

صحة الأسماء

الجزء التاسع

دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

نالتف

الشيخ أبي العباس أحمد بن القلقشندي

الجزء التاسع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٤ هـ
١٩١٦ م



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وصلی اللہ وسلم علی سیدنا محمد وآلہ وصحبہ

القسم الثانی

من مقاصد المکاتبات، الإخوانیات

(مما یکتب به رئیسُ إلى المرءوس والمرءوسُ إلى رئیسٍ والنظیرُ إلى النظیرِ)

قال فی ”موادّ البیان“ : ولها مَوْقعٌ خَطِیرٌ من حیثُ تشترکُ الکافیةُ فی الحاجة إليها . قال : والکاتبُ إذا کان ماهرًا، أغربَ معانیها، ولطّفَ مبانیها، وتسهّلَ له فیها ما لا یکادُ أن یتسهّلَ فی الکُتُبِ الّتی لها أمثلةٌ ورسومٌ لا تتغیّرُ ولا تُتجاوزُ، وهی علی سبعةَ عشرَ نوعًا :

النوع الأول

(التّهانی)

قال فی ”موادّ البیان“ : کُتِبَ التّهانی من الکُتُبِ الّتی تظهرُ فیها مقادیرُ أفهامِ الجُلبِ، ومنازلُهم من الصّناعة، ومواقِعُهم من البلاغة . وهی من ضروبِ الکتابَةِ الجلیلةِ النفیسةِ، لما فی التهنئةِ البلیغةِ من الإفصاحِ بقدرِ النعمة، والإبانةِ عن مَوْقعِ الموهبةِ، وتضاعفِ الشُّرورِ بالعطیةِ . وأغراضُها ومعانیها متشعبةٌ لا تقفُ عندَ حدٍّ، وإنما نذکرُ منها الأصولَ الّتی تفرّعتُ منها فروعٌ رجعتُ إليها، وحملتُ علیها .

قال : ويجب على الكاتب أن يراعى فيها مرتبة المكتوب إليه والمكتوب عنه في الرسالة اللائقة بهما مما لا يتسأخ بمثله .
ثم التهاني على أحد عشر ضربا :

الضرب الأول

(التهنئة بالولايات ، وهي على تسعة أصناف)

الصنف الأول — التهنئة بولاية الوزارة :

قد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب الملكة أن الوزارة كانت في الزمن المتقدم هي أرفع وظائف الملكة وأعلىها رتبةً ، وأنها الرتبة الثانية بعد الخلافة . وكانت في زمن الخلفاء تكاد أن تكون كالسلطنة الآن ، فهي من الأتباع ومن^(١) في معانهم على نحو ما كانت في الزمن المتقدم بين الرؤساء والأكابر ، ومن الرؤساء والأكابر بحسب ما تقتضيه رتبة المهنة .

وهذه تسخ تهاين من ذلك على ما كان عليه الحال في الزمن القديم .

تهنئة بوزارة : من إنشاء أبي الحسين بن سعد ، كتب بها إلى الوزير محمد بن القاسم بن عبيد رحمه الله ، وهي :

من كانت النعمة — أيد الله الوزير — نافرة عنه وبفنائيه غريبة ، فهي تأوى من الوزير إلى مثوى معهود ، وكنت محمود ، ومجاور منه من يوفئها حقها ، ويقابلها بحسن الصحبة لها ، ويجرى في الشكر لآيولاه ، والرعاية لما يسترعاها ، على شاكلة مضى عليها السلف من أهله ، ونشأ في مثلها الخلف ، مقتدياً بالأول الآخر ، وبالماضى

(١) أى التهنئة من الأتباع الخ .

الغائب؛ تشابهاً في كرم الأفعال ، ورعايةً لحقوق الآمال ؛ وأعتاداً للرفاة والرحمة ،
وعموماً بالإنصاف والمعدلة ؛ إلى ما خصَّ الله به أهل البيت رضى الله عن الماضين
منهم وأقام عزَّ الباقيين وحراستهم : من العلم بالسياسة والدرابة بتدبير المملكة ورعاية
الأمة ؛ والهداية فيهم لطرق الحيلة ونهج المصلحة .

والحمد لله على ما خصَّ به الوزير من فضله الذى رفع قدره فيه عن مساماة
ومشكلة المقادير والشيبه ^(٢) ، وجعله فيما جباه به نسيج وحده ، وقريع دهره ، وجمع
له من مواهب الخير ، وخصائص الفضل ما أبان به موقعه في الدين ، وأعطاه
معه الولاية من جميع المسلمين .

والحمد لله حمداً مجدداً على ما جدد له من رأى أمير المؤمنين وأجبتائه ، ومحلّه
من اختياره وأصطفائه .

والحمد لله على ما منحه من كرامته ، وجدد له من نعمته ، فيما أعاد إلى تدبيره من
وزارته ، وأشركه فيه من أمانته ؛ احتياطاً منه للملكة ، ونظراً للخاصة والعامّة ؛ فإن
عائدة رأيه سوت بين الضعيف والقوى ، ووصلت إلى الداني والقصى ؛ وأعادت
إلى الملك بهاءه ، وإلى الإسلام نوره وضياءه ؛ فاكتست الدنيا من الحدة بعد
الإخلاق ، والنضارة بعد الإنهاج ، ما لم يكن يوجد مثله إلا بالوزير في شرف منصبه ،
وكرم مرگبه ؛ فهنأ الله الوزير ما آتاه وتابح له قسمه ، ووصل له ماجدد له بالسعادة ؛
وأمدته فيه بالزيادة ؛ وأعطاه من كل مأمول أعظم حظّ وأوفر نصيب وقسم ؛ تراخياً

(١) فى الأصل والوراثة لتدبير وهو تصحيف سخيّف .

(٢) فى القاموس "قادرته قايسه وفعلت مثل فعله" .

(٣) الإنهاج البلى ، أظن القاموس فى مادة (ن هج) .

في مُدَّة العُمُر، وتناهِياً في دَرَجَةِ العِزِّ، وأَحْتِياطاً بِالْمَوْهَبَةِ في العَاجِلِه ، وفَوْزاً بِالكَرَامَةِ في الآجِلِه ؛ إِنَّه فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ .

تهنئة أُخْرَى في مِثْل ذلك : أوردَهَا في ترسُّله ، وهى :

التَهْنِئَةُ بِالْوَزِيرِ لِلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ بِمَا جَمَلَهُمْ بِهِ ، وَجَدَّدَ لَهُمْ مِنْ مِيسَمِ العِزِّ ، وَسَرَّبَلَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ حُلَّةِ الأَمْنِ بِوِلَايَتِهِ ، وَالنِّعْمَةَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَرِعَايَاهُ عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهِمْ مِنْ مِشَارِكَتِهِ وَخُطُوبِهِمْ مِنْ مَعْدَلَتِهِ ظَاهِرَةً ، وَلِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ الحَمْدُ الفَاضِلُ ، وَالشُّكْرُ الكَامِلُ . وَلِلوَزِيرِ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الجَلِيلَةِ ، وَالدُّوَلَةِ السَّعِيدَةِ ؛ أَنَّهُهَا مَوْقِعًا ، وَأَسْرَاهَا مَلْبَسًا ، وَأَدُومُهَا مُدَّةً ، وَأَجْمَلُهَا نَعْيَةً ؛ وَأَثْرَاهَا مُبُوعًا ، وَأَسْلَمُهَا عُقْبَى ؛ فَنُؤَلِّهُ اللهُ بِالمُعُونَةِ وَالْحِرَاسَةِ ، وَأَيِّدَهُ اللهُ بِالنَّصْرِ وَالْكَفَايَةِ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِمَا قَلَّدَهُ وَأَسْتَرْعَاهُ ، وَبَلَّغَهُ مَحَابَّةً وَمُنَاهً ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَوْقِعِي مِنْ ثِقَّةِ الوَزِيرِ يُلِحِّقُنِي عِنْدَهُ بِمَنْ مَكَّنْتَهُ الأَيَّامُ مِنْ قَضَاءِ الحَقِّ فِي التَّلَقِّيِّ وَالإِبْعَادِ ، وَيُعَوِّضُنِي بِتَفْضِيلِهِ مِمَّا حُرِمْتُهُ مِنْهَا مَحَلَّ ذَوَى الإِخْلَاصِ وَالإِعْتِدَادِ .

تهنئة أُخْرَى في مِثْل ذلك : أوردَهَا في ترسُّله أَيْضًا ، وهى :

وهذا أَوَّلُ يَتْلُوهُ مابَعْدَهُ بِلَا تَنَاهٍ وَلَا نَقْصٍ بِإِذْنِ اللهِ وَمِشِيئَتِهِ ، بَلْ يَكُونُ مَوْصُولًا لِاتِّبَاعٍ مِنْهُ غَايَةً إِلا شَفَعَتْهَا دَرَجَةٌ تُرْقَى ، تُكَنِّفُ ذَلِكَ كِفَايَةً مِنْ اللهِ شَامِلَةً كَامِلَةً ، وَغِظْبَةً فِي البَدءِ وَالعَاقِبَةِ بِلَا انْقِطَاعٍ ، وَلَا أَرْجَاجٍ ؛ حَتَّى يَكُونَ المُتَقَلِّبُ مِنْهُ يَعُدُّ بُلُوغَ العُمُرِ مِنْتَاهُ ، إِلَى فَوْزٍ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضَاهُ . فَهَنِيئًا لِلوَزِيرِ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِي فِيهِ مُسَاعَفَةَ المِقْدَارِ ، وَلَا يَنَالَهُ بغيرِ اسْتِحْقَاقٍ ؛ إِذْ لَا مِثْلَ وَلَا نَظِيرَ لِلوَزِيرِ : فَضْلًا ظَاهِرًا ، وَعِلْمًا عَلَى العُلُومِ مُوفِيًا ؛ وَسَابِقَةً فِي تَقْلِيْبِ الخِلَافَةِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، وَحَلْبَ الدَّهْرِ شَطْرًا بَعْدَ شَطْرٍ ؛ وَجَمْعًا مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ لِمَا كَانَ مُتَفَرِّقًا ، وَحِفْظًا

لما كَانَ ضَائِعًا ؛ وَحَمَايَةَ لَبِيْضَةِ الْمَلِكِ ، وَضَبْطًا لِلتُّغُورِ ، وَتَلَقِّيًّا لِلخُطُوبِ بِمَا يَفْلُ حَدَّهَا ، وَيُطْفِئُ نَارَهَا وَطَهَبَهَا وَيُقِيمُ أَوْدَهَا ؛ وَمَا وَهَبَ اللهُ فِي رَأْيِهِ مِنْ فَتْحِ الْبِلَادِ الْمُرْتَجَّةِ ، وَقَعَ الْأَعْدَاءُ الْمُتَغَلِّبَةَ ، وَسُكُونُ الدَّهْمَاءِ ، وَشُمُولُ الْأَمْنِ ، وَعُمُومُ الْعَدْلِ ؛ وَاللَّهُ يَصِلُ ذَلِكَ بِأَحْسَنِهِ .

تهنئةٌ أُخْرَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ : مِنْ إِنْشَاءِ عَلِيِّ بْنِ خَلْفٍ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَهِيَ :

أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ خَضْرَى الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ ، فَارِعَةً مِنَ الْمَعَالِي اسْمَقَهَا مُجُودًا ، كَارِعَةً مِنَ الْمِنَنِ أَعْدَبَهَا وَرُودًا ، سَاحِبَةً مِنَ الْمِيَامِنِ أَرْقَهَا بُرُودًا ؛ مُمْتَعَةً بِالنِّعَمِ الَّتِي يُرَامِي الشُّكْرَ عَنْ حَوْزَتِهَا ، وَيُحَامِي الْبِشْرَ عَنْ حَوْمَتِهَا ؛ مَبْلَغَةً فِي أَوْلِيَائِهَا وَأَعْدَائِهَا ، قَاضِيَةً مَا تَرْتَمِي إِلَيْهِ رِحَابُهَا ؛ فَلَا تَرَى لَهَا وَليًّا إِلَّا لِأَحَبِّ الْمَذْهَبِ ، نَاقِبَ الْكَوْكَبِ ؛ سَامِيَ الطَّرْفِ ، حَامِيَ الْأَنْفِ ؛ وَلَا عَدُوًّا إِلَّا ضَيْقَ الْمَطْرَحِ ، وَعِزَّ الْمَسْرَحِ ؛ صَالِدَ الرُّنْدِ ، مَفْلَلَانَ الْحَدَبِ ، رَاغِمَ الْعَرِينِ ، مَتَلُولًا لِلجَيْنِ . وَلَا زَالَتْ أَزِمَةُ الدُّنْيَا بِيَدِهَا حَتَّى تَبْلُغَ بِأَمَالِهَا مُنْتَهَاهَا ، وَتَجْرِيَ بِأَيَّامِهَا إِلَى أَقْصَى مَدَاهَا ؛ [فَهِيَ] مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ خَطَرًا ، وَأَحْسَنِهَا عَلَى الْكَافَّةِ أَثَرًا ؛ وَأَوْلَاهَا أَنْ يُفَاضَ فِي شُكْرِهَا ، وَتَتَعَطَّرَ الْآفَاقُ بِذِكْرِهَا . وَوَلَسِيدُنَا الْوِزِيرَ الْأَجَلَّ يَرَاعُ يَسْتَيْقِظُ فِي صَلَاحِهِمْ وَهُمْ هَاجِعُونَ ، وَيَنْصَبُ فِي الذُّبِّ عَنْهُمْ وَهُمْ وَادِعُونَ ؛ وَكَلَّ تَدْنِيهِمْ فِيهِ ، إِلَى مَدْبَرِ يَخَافُ اللهُ وَيَتَّقِيهِ ، وَيَعْمَلُ فِيمَنْ أَسْرَعَاهُ بِمَا يَرْضِيهِ ؛ وَلَا يَمُدُّ يَدَ الْإِقْتِدَارِ عَلَيْهِمْ مُتَسَلِّطًا ، وَلَا يَتَّبِعُ دَوَاعِيَ الْهَوَى فِيهِمْ مُتَسَقِّطًا ؛ وَاضِعًا الْأَشْيَاءَ فِي حَقَائِقِهَا ، سَالِكًا بِهَا أَمْثَلَ طَرَائِقِهَا ؛ مُلَانِيًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، مُحَاشِنًا مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ؛ قَرِيبًا مِنْ غَيْرِ صَعْرِ ، بَعِيدًا مِنْ غَيْرِ كِبَرٍ ؛ مُرَغَّبًا بِلا إِسْرَافٍ ، مُرْهَبًا بِإِنْصَافٍ ؛ نَاطِرًا إِلَى مَحْفَرَاتِ الْأُمُورِ وَأَطْرَافِهَا ، كَمَا يَنْظُرُ فِي مَعَاظِمِهَا وَأَشْرَافِهَا ؛ آخِذًا بِوَنَائِقِ الْحَزْمِ ، مَتَمَسِّكًا بِعَلَائِقِ الْعَزْمِ ، رَامِيًا بِفِكْرَتِهِ مِنْ وَرَاءِ الْعَوَاقِبِ ، خَاطِمًا بِأَرَائِهِ نُوفَ الْمِصَابِعِ ؛

ناظماً بيايته عقود المصالح، مؤطناً برياضته ظهور الجوامح؛ إن تَفَفَّ ذَا التَّبَوَّةِ
 القَرِيدِ، والهَفْوَةُ الوحيدة؛ أقتصر على ما يوافقُه الوالدُ الحِدْبُ، من مُقَوِّمِ الأدبِ
 [وإن قَبَضَ] ^(١) على المرتكس في غَوَايَتِهِ، المُفْلِسِ في عِنَايَتِهِ؛ ضَيَّقَ عليه مجالَ العَفْوِ،
 وأحاق به أليمَ العذابِ والسَّطْوِ؛ فقد سَكَنَتِ الرِّعْيَةُ في عَدْلِهِ، وأوتَ حرماً مَبِيناً من
 ظِلِّهِ؛ وَوَقَّتْ أَنَّ الحَقَّ بنظره شَاحِحٌ شَاقِقٌ، والباطلَ سَائِخٌ زَاهِقٌ؛ والإِنصَافَ مَبْسُوطٌ
 مَنشُورٌ، والإِجْحَافَ مَحْطُوطٌ مَبْتُورٌ، والشَّمْلَ مَنظُومٌ، والشَّرَّ مَضْمُومٌ. فنَطَقَتْ ألسِنُهَا
 بِإِحَادِهِ، وَأَشْتَمَلَتْ أَفْنِدْتِهَا عَلَى وِدَادِهِ؛ وَأَنْفَقَتْ أَهْوَاؤُهَا عَلَى رِيَّاسَتِهِ، وَتَطَابَقَتْ
 آرَاؤُهَا المَسَابِقَةُ عَلَى دَوَامِ سِيَادَتِهِ؛ وَعَرَفَ أميرُ المُؤْمِنِينَ عَدَقَ النظرِ في دَوْلَتِهِ؛ وَسَلَّمَ
 أُمُورَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى النِّصِيحِ المَأْمُونِ، وَالنَّجِيحِ المَيْمُونِ؛ الَّذِي وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى لِأَخْتِيَارِهِ،
 وَيَسَّرَهُ لِأَصْطِفَائِهِ وَإِيثَارِهِ؛ وَأَنَّهُ قَدْ نَاطَ أُمُورَهُ بِنِ لَمْ يَسْتَحْفَ تَقْيِيلَ حِمْلِهَا، وَنِيُوءُ
 بِبَاهِظٍ يَثْقُلُهَا؛ فَتَمَتَّعَ بِلَذِيذِ الكَرِيِّ، وَتَوَدَّعَ بَعْدَ السَّيْرِ وَالسَّرِيِّ؛ وَأَلِمَ مِنَ المَأْمُومِ
 مُعْضِلٌ، وَحُدُوثٌ حَدِيثٌ مُشْكَلٌ. وَهَذِهِ نِعْمَةٌ تَمُّ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ عُمُومَ الغَيْثِ
 إِذَا هَمَّ وَتَدَفَّقَ، وَتَشَمَّلَهُمْ شُمُولَ النِّهَارِ إِذَا لَمَعَ وَتَأَلَّقَ؛ وَهَمُّ أَوْلَى بِالتَّهْنِئَةِ فِيهَا
 وَشَكَرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا.

وسيدنا الوزيرُ حَقِيقٌ بِأَن يَهْدِي إِلَيْهِ الدُّعَاءُ المَرْفُوعُ، وَالتَّضَرُّعُ المَسْمُوعُ؛ بِأَن
 يَهِيضَهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا حَمَلَهُ، وَيُعِينَهُ عَلَى مَا كَفَّلَهُ؛ وَيَتَوَلَّاهُ بِتَوْفِيقٍ يَثْقُبُ أُنُورَهُ،
 وَتَأْيِيدٍ يُطَبِّقُ غَرَارَهُ، وَتَسْدِيدٍ يَحْسِنُ آثَارَهُ؛ وَإِجْرَاءٍ مَا يَتَوَلَّاهُ عَلَى أَوْضَحِ سَبِيلِ
 وَأَقْصَدِهِ، وَأَرْجَحِ دَلِيلِ وَأَرْشَدِهِ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَهَيَّا بِمَالِهِ عِيَاؤُهُ وَكَلَّهُ، وَلِذَلِكَ
 صَلاحُهُ كُلُّهُ. وَالعَبْدُ يَسْأَلُ اللهُ ضَارِعاً لَدَيْهِ، بِاسْطَايِدِهِ إِلَيْهِ؛ فِي أَنْ يَقْبَلَ صَاحِحَ
 أَدْعِيَتِهِ لِحَضْرَةِ الوِزَارَةِ السَّامِيَةِ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مَا أَحَلَّهُ فِي مَحَلِّهِ مِنْ رِيَّاسَتِهَا، وَأَوْقَعَهُ

(١) الزيادة يقتضها المقام كما لا يخفى .

في موقعه من سياستها؛ دائباً لا يُنتزع، وخالدا لا يرتجع؛ وأن يؤيدها فيه بما يقضى له بالإحراز والتحويل، وبنيجه من الأبتزاز والتحويل؛ إنه سميع الدعاء، فعأل لما يشاء؛ إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني - التهنئة بكفالة السلطنة :

وهذه نسخة من ذلك، كُتب بها عن نائب الشام، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة، وهي بعد الألقاب :

لا زال دائراً بهنائه الفلك، مُنيرا بضياء عدله وبشره الحلك؛ قريراً بحسن كفالته الملك شاهداً بفضل أسمائه وسماته الملك، مقسوماً بأمر الله نداءه وبأسه ليحياً من حى ويهلك من هلك؛ تقبلاً يسافه به التراب، ويُشاهد شرف مطلعته على السحاب .
 وينهى قيامه على قدم ولأء ودعاء : هذا ينزل القلب وهذا يصعد إلى الأفق، ومقامه على بشرى وحمدٍ منهما الأيمن يحلى بوصفه النطق كما تحلى الأعطاف بالنطق؛ وأنه ورد مثال شريف على يد فلان يتضمن البشارة العامه، والمسرة التامه، والنعمة التي يعود سننا جبينها من كل عين لأمه؛ وخبر الخير الذي حيت أزهاره المتضوعة ندم مضر فأول ما بلغه منافس الشام شامه، بأن المواقف الشريفة - أعز الله تعالى سلطانها - قد فوضت إلى مولانا كفالة الإسلام وبنيه، وكفاية الملك بصلاح مؤمنيه؛ ونيابة السلطنة الشريفة وما نسقت، وتدبير الممالك وما وسقت؛ فيالها بشرى آبتسمت لها ثغور البشر، ومسرة استجلى سناها من آمن وبهت الذي كفر، وخبراً تلقت الأسماع بريده منشدة : قل وأعد بأطيب الخبر؛ هنالك أخذ المملوك حظّه من خير بشرى، ونصيبه من مسرة حمد بصباح طرسها المسرى؛ وحمد الله تعالى أن أقام لسلطان البسيطة من يبسط العدل والإحسان لمنابه، ويقلد رعيتيه

عقود النعم إذا تقلد ما وراء سريره وبابه ، ومن إذا كفل سيفه ممالك الإسلام وثقت بالمعتم والسلامة ، وإذا كتب قلبه قالت ولا سيبا أخبار جند المسلمين : هكذا تكون العلامه ، وجهز المملوك هذه الخدمة نائبة عنه في تقبيل الأرض ، وعرض الهناء بين يدي من يسر المملوك بولائه اليوم ويرجو أن يسر به يوم العرض ، ولو وصف المملوك ما عنده من السرور والشوق لضاق الورق عن تسطير الواجب منه وضاق الوقت عن أداء الفرض ؛ والله تعالى يحدّد لمولانا ثمرات الفضل الواضح ، والرأى الراجح ؛ والتقدير الذى هو على ميزان الكواكب راجح ، وبتعنا كافة الممالك بدولة سلطانه الذى علم البيت الشريف أنه على الحقيقة الخلف الصالح .

وهذه نسخة تهئية لأمير جاندار بولاية إمرة جاندار ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهى بعد الألقاب :

أعلى الله منارها ومناها ، وخلد قبورها وإقبالها ، وأجزل من الغض الذى تناولته ثمرها وأسبغ به ظلالها ؛ ولا زال فى سيفها وعصاها مارب للملك ، وفى بأسها وندائها مواقع للنجاة والهلك ؛ ولا برحت القضب من سيوف وغصون : هذه حاكمة بسعدها حكم الملك ؛ وهذه مسخرة فى تجريدها تسخير الفلك ؛ تقبيل محاص فى ولائه ودعائه ، مهنيا القلب مسرور بما يتجدد من مسرات مولانا وهنائيه ؛ وينهى أنه بلغه ما أفاضته الصدقات الشريفة على مولانا من المبرات ، وما جدت له من المسرات ؛ وأنها ضاعفت مزيد الإحسان إليه ، ودعته أمير جاندار ودت العصى النجومية لو قدمت نفسها بين يديه ؛ وأن المواقف الشريفة قرّت به عينا وأقرت ، وأن الدولة القاهرة ألفت عصاها إليه وأستقرت ؛ وكما سلمت إليه العصا فى السلم سلمت إليه السيف فى الحرب ، وكما قرّبت به فى مواقف العدل والإحسان قرّبت به فى مواقف الطعن والضرب ؛ فأخذ المملوك حظّه من البشرى ، وأوجب على نفسه الفرح

وسجد لله شكراً ؛ وودّ لو حضر يُشافه بهذا الهناء الشامل ، ومثل قائماً لديه بحقّ
 التهنته القيام الحقيقي الكامل ؛ وحيث بُعدت داره ، ونأت عن العيان أخباره ؛
 فقد علم الله تعالى مواصلته بالأدعية الصالحة ليلاً ونهاراً ، والموالات المحبّة التي يشهد
 بها الخاطر الكريم سرّاً وجهاراً ؛ والله تعالى المسؤل أن يزيد مولانا من فضله ،
 ويسره بمتجددات الخير الذي هو من أهله ؛ ويمتّعنا كافّة الممالك بدوام سلطان هذه
 الدولة الذي شمل بظله ، وغنى بنصره عن نصله ؛ إن شاء الله تعالى .

الصف الثالث - التهنته بالإمارة .

من كلام الأقدمين :

تهنته من ذلك ، أوردها أبو الحسين بن سعد في ترسله ، وهي :

وهنا لله الأمير مواهبه الهنيئة ، وعطاياه السويّة ؛ وأدام تمكينه وقُدْرته ، وثبّت
 وطاقته ، وحرس ماخوله ؛ وجعل ماهياً له من مؤتف الكرامة أيمن الأمور فاتحةً
 وأسعدّها عاقبه ؛ ووصل أيامه بأجل الولايه ، وأجل الكفايه ؛ حتى ينتهي [من]
 أستيفاء سعادات الحُطُوظ وحوز القِسم والآمال ، [إلى] الدرجة التي تليق بما أفرده
 الله به من الكمال ، وخصّه به من الفضل في جميع الخصال . ومن أفضل ما اعتدّ به
 من نعم الله علىّ بالأمر وبجميل رأيه ، ومحلّي من طاعته وخدمته ؛ أنّي لا أخلو في كل
 وقت وحالي من بهجة تجدد لي ، ومسرّة تصل إليّ ، وتوفّر عليّ ، بما يسهله الأمير
 علىّ يده من مستصعب الأمور ، ومستغلق الخُطوب ؛ التي تبعد عنّي زواولها ،
 ويعمل الله بطوله وحوله للأمر القُدرة عليها ، ويتوحد بالكفاية فيها ؛ فينمو بجميل
 تديره ولطيف نظره ، ويطرّد بصاعد نجمه ويمنّ تقبّيته وعزّ دولته ؛ وذلك من
 فضل الله ونعمته ، يُؤتي فضله من يشاء وهو ذو الفضل العظيم .

الصنف الرابع - التهنية بولاية الحجابة .

وقد كان لها في الزمن القديم المحل الوافر في الدولة وعلو الرتبة فيها .

من كلام الأقدمين :

تهنئة من إنشاء أبي الحسين بن سعد، كتبت بها إلى أبي بكر بن ياقوت حين ولي الحجابة بعد نكبة أصابته، وهي بعد الصدر :

وقد كانت أنفسنا معشر عبيد سيدنا وحمة إنعامه، ومؤمل أيامه، في هذه الأحوال التي تقد سيدنا منها فيما ابتلاه صبره، وأبان فيه قدره؛ وزاد العارف بفضلته نفوذا في البصيرة، وأعاد ذوى الإرتياب فيه إلى الثقة؛ فاستوى المنازع والمسلم، وأستوى العالم والمعاد - نعمة منه تعالى ذكره خصه بها وصانه عن مشاكلة النظير، ومزاحمة الأكفاء - على سبيل من الفلق والإرتماض، والسقوط والإخفاض؛ جزعا من تلك الحال الغليظة، وإشفاقا على تلك النفس النفيسة؛ وخوفا على معالم البر والتقى، وبقية العلم والحجاء، وتاريخ الكرم والندى؛ أن يدرس منارها، وتطمس آثارها؛ ولولا ما من الله به من الخلاص منها وما منح بكرمه في عاقبتها، لأوشكت أن تأتي عليها وتُجلبها عن مواقيت آجالها؛ لكنه عظمت الأوه، وتقدست أسماءه؛ أتى بالأمن والفرج، بعد استيلاء الكرب والوجل، وأنبأت أسباب الرجاء والأمل؛ فعرف سيدنا موقع الخيرة فيما قضاه، وميزله الخبيث من الطيب ممن عاداه وتولاه؛ وجعل النعمة التي جددتها له فيما رده أمير المؤمنين إلى تديره من أمر داره ومملكته، وحراسة بيضة رعيته، مشتركة النفع والفائدة، مقسومة الخير والعائده؛ بين كافة الأمة فيما عم من المعدل، وشمل من المصلحة . ولاح من تباشير الخير، وأمارات البركة؛ في استقامة أمور البلاد، وصلاح أحوال العباد؛ وأفرد الله سيدنا بحظ من

المَوْهَبَةَ وَقَانِي فِيهِ عَلَى حُظُوظِ الْأَوْلِيَاءِ، وَزَادَنِي عَلَى سِهَامِ الشُّرَكَاءِ . وَأَنَا أَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ فِي إِسْعَادِ سَيِّدِنَا بِمَا جَدَّدَهُ لَهُ ، وَتَعْرِيفِهِ بِرُكَّةٍ مُفْتَتِحَةٍ وَمِنْ خَاتِمَتِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي مُبْتَدَأِهِ ، وَالسَّلَامَةُ فِي عُقْبَاهِ ؛ وَتَبْلِيغِهِ مِنْ حَظِّ مَأْمُولٍ ، وَخَيْرِ مَطْلُوبٍ ؛ وَحَالٍ عَلَيْهِ ، وَرُتْبَةِ سَنِيَّةٍ ؛ أَفْضَلَ مَا بَلَغَ أَحَدًا أَخْتَصَّهُ بِفَضْلِهِ ، وَأَصْطَفَاهُ مِنْ خَلْقِهِ ، إِنَّهُ جَوَادٌ مَاجِدٌ . فَإِنْ رَأَى سَيِّدُنَا أَنْ يَتَطَوَّلَ بِإِجْرَاءِ عِبْدِهِ عَلَى كَرِيمِ عَادَتِهِ فِي تَشْرِيفِهِ بِمَكَاتِبَتِهِ ، وَتَصْرِيفِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، مُحَقِّقًا بِذَلِكَ أَمَلَهُ ، وَزَائِدًا فِي نِعْمِهِ عِنْدَهُ ، فَعَلْ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تهنئةٌ أُخْرَى مِنْ ذَلِكَ ، مِنْ إِنْشَاءِ عَلِيِّ بْنِ خَلْفٍ أَوْ رَدَّهَا فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَهِيَ :

إِنَّمَا يُهَيِّئُ بِالْوِلَايَةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَاجِبِ الْجَلِيلِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ - مَنْ
 أَنْبَسَتْ إِلَيْهَا يَدُهُ بَعْدَ أَنْقِبَاضٍ ، وَأَرْتَفَعَ لَهَا قَدْرُهُ مِنْ أَنْخِفَاضٍ ؛ وَأَوْجَدَتْهُ الطَّرِيقَ
 إِلَى إِحْرَازِ جَزِيلِ الْأَجْرِ وَالْجَزَاءِ ، وَأَكْتَنَازِ جَمِيلِ الْبُرْكَاتِ وَالشَّنَاءِ ؛ وَأَفْضَتْ بِهِ إِلَى
 أَنْسَاعِ السُّلْطَانِ ، وَأَنْتِفَاعِ الْأَعْوَانِ ؛ فَأَمَّا مَنْ جَعَلَ اللَّهُ يَدَهُ الطُّوْلَى ، وَقَدْرَهُ الْأَعْلَى ،
 وَرِيَّاسَتَهُ حَاصِلَةً فِي نَفْسِهِ وَجَوْهَرَهُ ، وَسِيَادَتَهُ مُجْتَنَأَةً مِنْ سِنَخِ وَعُغْضُرِهِ ؛ فَالْأَوْلَى -
 إِذَا اسْتُكْفِيَ رَغْبَةً فِي إِنْصَافِهِ وَعَدْلِهِ ، وَحَاجَةً إِلَى سَدَادِهِ وَفَضْلِهِ ؛ وَأَفْتَقَرًا إِلَى
 فَضْلِ سِيرَتِهِ ، وَأَضْطَرَارًا إِلَى فَاضِلِ سِيَاسَتِهِ - أَنْ تُهَيِّئَ الرِّعْيَةَ بَوْلَايَتِهِ ، وَتُسِّرَ الْخَاصَّةَ
 وَالْعَامَّةَ بِمَا عُدِّقَ مِنْ أُمُورِهَا بِكِفَايَتِهِ ؛ وَغَيْرِ بَدِيعٍ رِبْطُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَاجِبِ
 الْجَلِيلِ أَمْرٌ حِجَابَتِهِ ، وَنَصْبُهُ لِلزَّرْحَمَةِ عَنْ حَضْرَتِهِ ، وَجَعْلُهُ الْوَسِيطَ وَالسَّفِيرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 خَوَاصِّ دَوْلَتِهِ ، وَقَدْ وَثِقَ يُؤْمِنُ تَقْيِينَتَهُ ، وَأَطَّلَعَ عَلَى خُلُوصِ نِيَّتِهِ ، وَسَكَّنَ إِلَى صِدْقِ
 طَاعَتِهِ ؛ وَعَرَفَ طَهَارَةَ جَبِيهِ ، وَسَلَامَةَ غَيْبِهِ ؛ وَصِدْقَ هُجَّتِهِ ، وَحَصَافَةَ أَمَانَتِهِ ؛

(١) فِي الْأَصُولِ أَرْبَاعٌ وَلَمْ تَقِفْ عَلَى فِعْلِهِ فِيمَا بَأَيْدِينَا مِنْ كِتَابِ اللَّفَّةِ .

(٢) أَيْ الدَّفْعِ وَالذَّبِّ يُقَالُ زَجَمْتُهُ عَنْهُ أَيْ دَفَعْتُهُ أَنْظَرَ الْمَصْبَاحَ .

واعْتِمَادَهُ لِلْحَقِّ فِيمَا يُورِدُ وَيُصْدِرُ ، وَيُنْهَى وَيُجِيبُ ؛ وَأَبْتَلَاهُ فَعَرَفَ طِيبَ طَعْمَتِهِ ، وَخِفَةَ وَطْأَتِهِ ؛ وَرَأْفَتَهُ بِالضَّعِيفِ الْمَهْضُومِ ، وَغَاظَتَهُ عَلَى الْعَسُوفِ الظُّلْمِ ؛ [فَرَأَى] أَنْ يُجَلِّهَ مَحَلَّ مَنْ لَا يَغِيبُ عَمَّا شَهِدَهُ ، وَلَا يَرْتَابُ بِمَا سَمِعَهُ ، عَلَى أَنَّ الْمَهْمَنَاءَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ يَجِدُهَا اللَّهُ لَدَيْهِ ، وَسَعَادَةٍ يُسْبِغُهَا عَلَيْهِ ؛ [وَلَوْ أَنْصَفْتُ] لَسَلَكْتُ مِنَ الصَّوَابِ سَنَاءً ، وَأَعْتَقَدْتُ جَمِيلًا حَسَنًا : لَأَسْتَشْعَارِي بِالْأَنْفَسِ مِنْ لَبُوسِ سِيَادَتِهِ ، وَتَحَلَّى بِالْأَنْصَحِ مِنْ عُقُودِ رِيَاسَتِهِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ رِعْيَتُهُ أَجْدَرَ أَنْ تُهَنَّأَ بِوِلَايَتِهِ ، وَتَعْرِفَ قَدْرَ مَا لَهَا مِنَ الْحِظِّ فِي نَظَرِهِ ؛ فَأَنَا أَعْدِلُ مِنْ هُنَائِهِ إِلَى الدُّعَاءِ لَهُ . بِأَنْ يَبَارِكَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِيمَا قَلَدَهُ ، وَيُوفِّقَهُ فِيمَا وَلَّاهُ وَيُسَدِّدَهُ ؛ وَيُلْهِمَهُ أَدْخَالَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ ، وَأَكْتَنَّا زَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ ؛ وَالْهِدَايَةَ إِلَى سَنَنِ الْأَسْتِقَامَةِ ، وَمَا عَادَ بِمَجِبَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ ؛ وَإِنْهَاضَهُ فِي خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْعَمَلِ مِنْ طَاعَتِهِ بِمَا يُزَلَّفُ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ ؛ وَاللَّهُ يُسْتَجِيبُ فِي الْحَاجِبِ الْجَلِيلِ هَذَا الدُّعَاءَ وَيَسْمَعُهُ ، وَيَتَقَبَّلُهُ وَيَرْفَعُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصفحة الخامسة - التهنئة بولاية القضاء .

التهنئة بذلك من كلام الأقدمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردتها في "مواد البيان" وهي :
 أَوْلَى الْمَنْحِ أَنْ يُتَفَاوَضَ شُكْرُهَا وَالتَّحَدُّثُ بِهَا ، وَيُتَقَارَضَ حَمْدُهَا وَالْقِيَامُ بِوَاجِبِهَا ؛
 نِعْمَةٌ شَمِلَتْ عِطَافُهَا ، وَعَمَّتْ أَطْأَتُهَا ؛ وَأَشْتَرَكِ النَّاسُ فِيهَا أَشْتَرَكَ الْعُمُومِ ، وَحَلَّتْ
 مِنْهُمْ فِي النِّعَمِ مَحَلَّ الْغَيْثِ السَّجُومِ . وَهَذِهِ صُورَةُ النِّعْمَةِ فِي وِلَايَةِ قَاضِي الْقَضَاةِ
 - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِهِ - لَمَّا تَنَزَّهَتْ مِنْ إِثْبَاتِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَأَنْحَسَارِ الْجَوْرِ
 وَالْإِبْجَافِ ؛ وَأَعْتَلَّ الْحَقُّ وَظَهَّرَهُ ، وَأَخْتَلَّ الْبَاطِلُ وَثُبُورَهُ ؛ وَعِزَّ الْمَظْلُومَ وَإِدَالَتِهِ ،
 وَذَلَّ الظُّلْمَ وَإِدَالَتِهِ ؛ وَتَمَكَّنَ الْمُضْعُوفَ وَأَقْتَدَارِهِ ، وَأَنْخِزَالَ الْعَسُوفَ وَأَقْتِسَارِهِ .

وإن هَنَأَهُ حرس الله علاه بموهبة أتى بارقها بجميل الثناء ، وجزيل الجزاء ؛ قد ناء من تحملها بياض الشيء ومتعبه ، وقام من سئها بكل الأدب ومنصبه ، عدلت عن الأمثل وضللت عن الطريقة المثلى ؛ لكنني أهنته خصوصا بالموهب المختصة به اختصاص أطواق الحمايم بأعناقها - والمناقب المطيفة به إطفاء كواكب السماء بنطاقها ، في أن ألف الله القلوب المتباينة على الإقرار بفضله ، وجمع الأفتدة المتنافية على الاعتراف بقصور كل محل عن محله ، وجعل كل نعمة تسبغ عليه ، ومنة تُسدى إليه ؛ موافقة الآمال والأمانى ، مفضية للبشائر والتهاينى ؛ لأن من أحب الحق وآثره ، وليس الصدق وأستشعره ؛ ينطق بلسان الإرادة والاختيار ، ومن تركهما وقلاهما ، وخلعهما وألقاهما ، ينطق بلسان الافتقار والأضطرار - والخصائص التي هو فيها نسيح وحده ، وعطر يومه وغده - والمحاسن التي هي أناسي عيون الزمان ، ومصايح أعيان الحسن والإحسان . ثم أعود فأهنته عموما بالنعم المشتركة الشمول ، الفضفاضة الذبول ؛ التي أقرت القضاء في نصابه ، وأعدت الحكم إلى وطنه بعد تجعته وأعتراه ؛ وأعلتهما في الرتبة الفاضله ، وقدعت بهما أنف الذروة العاليه . وأرفع يدي إلى الله تعالى داعيا في إمداد قاضي القضاة بتوفيق يسد مراميّه ، ويرشد مساعيّه ؛ ويهدب آراءه ويصححها ، ويبلغ أحكامه ويوضحها ؛ ويحلّد عليه النعمة خلودها على الشاكرين ، ويصّر بحسن العقبي في الدنيا والدين ؛ وهو سبحانه يتقبل ذلك ويرفعه ، إن شاء الله تعالى .

التهنئة بذلك ، من كلام أهل العصر :

تهنئة من ذلك : أوردها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه "زهر الربيع في الترسل البديع" وهي :

(١) في الأصل ويفخمها وهي تصحيف لا يناسب المقام .

أَفْعَدَ اللهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ ، وَشَكَرَ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ؛ وَخَلَدَهُ نَاصِرًا لِلشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ
وَأَدَامَهُ ، وَجَدَّدَ سَعْدَهُ وَأَسْعَدَ أَيَّامَهُ ؛ وَجَعَلَهُ الْمُسْتَرِشِدَ وَالْمُقْتَفَى بِأَمْرِ اللهِ وَالرَّاشِدَ
وَالْمُسْتَنْجِدَ وَالْمُسْتَنْصِرَ وَالنَّاصِرَ وَالْعَاضِدَ ، وَالْحَاكِمَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللهِ (١)

من الفُضَاةِ الثَّلَاثَةِ الْوَاحِدِ .

الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ تَبْرُكًا بِتَقْبِيلِهَا ، وَأَدَاءً لِرِجَالِهَا ، وَأَدَاءً لِرِجَالِهَا ، وَيَهْتَبُ
الْمَوْلَى بِمَا خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ مُضَاعَفَةِ نَفَاذِ كَلِمَتِهِ وَرَفْعِ مَرْتَبِهِ ، وَإِمَاءِ أَحْكَامِهِ
الشَّرِيفَةِ وَأَفْضَلِيَّتِهِ ، وَتَقْلِيدِهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ ، وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ؛ وَيَهْتَبُ
بِالْمَوْلَى مَنْ رُدَّتْ أُمُورُهُ إِلَيْهِ ، وَعُوِّلَ فِي مَلَا حِظَةِ مَصَالِحِهِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ مَوْلَانَا مَازَالَ
بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَشْهُورًا ، وَسَعِيهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ سَعْيًا مُشْكُورًا ، وَيَقْظَةُ مَوْلَانَا
جَدِيرَةٌ بِزِيَادَةِ الْإِهْتِمَامِ ، وَالْأَحْتِيَاظِ التَّامِّ ؛ بِمَلَا حِظَةِ طَلِبَةِ الْعِلْمِ وَالْمُسْتَعْلِينَ ، وَالْفُقَهَاءِ
وَالْمُدْرِسِينَ ؛ وَسَبْرِ أَحْوَالِ النَّوَابِ ، وَأَنْ لَا يَكْفِيَهُ الْإِعْتَادُ عَلَى حَسَنِ الْبِرَّةِ وَطَهَارَةِ
الْأَثْوَابِ ؛ بَلْ يُعْنَى فِي الْأَطْلَاعِ عَلَى مَا يَعْتَمِدُونَهُ النَّظَرَ ، وَيُلَاحِظُ كَلَّا مِنْهُمْ إِنْ غَابَ
عَنْ مَجْلِسِهِ أَوْ حَضَرَ ؛ فَمَنْ رَأَاهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا يَقْرَبُ
إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ مَالِ الْيَتِيمِ ؛ فَيَحَقِّقُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ أَمَلًا ، وَلَا يُضَيِّعُ أُجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا ؛ حَرَسَ اللهُ الْمَوْلَى وَمَتَّعَ بِحَيَاتِهِ ، وَأَعَادَ عَلَى الْكَافَّةِ بَرَكَةَ صِيَامِهِ الْمَقْبُولِ
وَصَلَاتِهِ ؛ وَنَفَعَ الْإِسْلَامَ بِمُسْتَجَابِ دَعَوَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الصَّنْفُ السَّادِسُ - التَّهْنِئَةُ بِوِلَايَةِ الدَّعْوَةِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمْلُوكَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاتِمِيَّةِ ، بِالْذِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ،
ذِكْرُ مَوْضُوعِهَا وَعُلُوُّ رُتْبَتِهَا عِنْدَهُمْ ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا حِفْظًا لِأَصْلِهَا وَلَا حَيْثُ وَقُوعِهَا .

(١) بِيَاضٍ بِالْأَصْلِ بِقَدْرِ كَلِمَةٍ وَلَعَلَّهُ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْقَضَاةِ الْخ .

تهنئةٌ من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردتها في "مواد البيان" وهي :

أطال الله بقاء داعي الدعوة لصباح من الرحمة يُبليجُه ، وطريق من الحكمة يُظهِرُ
 بيانه ، وليل من السنة يترع طيلسانه ، وحرسه على الإيمان يُجَدِّدُ ما أخلق من بروده ،
 وينظّم ما وهى من عقوده ؛ وعلى المؤمنين يفتح لهم أبواب الرّشاد ، ويهيى إليهم سماء
 الإفادة والإمداد . ولا زالت الحقائق مقصودةً منه بالميزة التي رشّحتْ لحفظ مبانيها ،
 وأهلته للعبرة عن معانيها ؛ حتى يرقمها في الأخلاق ، ويمحو بهارُ سوم العناد ، وينشر
 بُسرها في الآفاق والبلاد . أنا أعدل عن هُنا داعي الدعوة - أطال الله بقاءه -
 بمأدق به من أمر الدعوة الهاديّة العلوّية ، ونُصب له من فرّ مضاحك المُشكلات
 عن أسرار الحقائق الإلهية ، والترجمة عن غوامض الحكم الشرعيّة ، والتوقيف على
 موارد الهدى ومشارعه ، والإرشاد إلى مشارق الحق ومطالعِه ؛ إلى هُنا الدعوة
 وأهلها بما قيضه الله تعالى لهم من محلّه الرفيع الذي ألقه العقل نحو هذا الكمال ،
 ووطأ له مدارج الترقى والاتّصال ؛ فشفت نفسه وشرفت ، وتطلّعت على عالم الملكوت
 وأشرفت ؛ وجنى بيد التبصرة ثمار الحكمة ، وأستنزل بمنزل المواد غيوث النعمة ؛
 وجرّد الضياء من الظلام ، تجريد الأرواح من الأجسام إلى دار السلام ؛ وأستمد
 بلطيفته موائد علوم عالم اللطافه ؛ وأمد بمركب أفاظها تحاكم الكافه ، وحلّ في الغبراء
 محلّ الغراء في الخضراء ، إن أوضحت سبيل سائرٍ يجنب طريق جائرٍ توصّل بنزوعها
 غاشية إظلام ، حُسِر عن الحق قناع إبهام ، أوفعلت في الجواهر زيادة وثمرة (؟)
 أخذت تعاديا (؟) فأدلتّه للهمم العاملة شرفاً وسموا : لما أعلّى بذلك من قدرها وقدرهم ،
 وطيب من ذكرها وذكّرهم ؛ وأعطف إلى الدعاء لداعي الدعوة بأن يجعل الله تعالى

ماخُوْلَه من هذه الرِّياسَة رَاهِنًا لَا يُرْتَجَع ، وما نُؤَلِه من هذه السِّيَادَةِ مُسْتَقْرًا لَا يُنْتَرَع ؛ وَأَنْ يُؤَيِّدَه بِالتَّوْفِيقِ ، وَيُعَدِّ لَهُ مَنَاجِحَ التَّحْقِيقِ ؛ وَيُطَلِّقَ لِسَانَه بِالْبَيَانِ ، وَيُمِدِّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ فِي نُصْرَةِ الْإِيمَانِ ؛ وَقَدْ حَتَمَ اللهُ تَعَالَى بِاجَابَةِ دَاعِيهِ ، وَلَا سِيَمَا دَاعِيَ الدُّعَاةِ [فَإِنَّهُ] جَدِيرٌ بِأَنْ يُجَابَ الدُّعَاءُ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قال في " موادّ البيان " : وإنما أوردت هذا المثال بهذه الألفاظ ، لأن ألفاظ هذا الداعي يجب أن تكون مشتقة من ألفاظ الدعوة ، مناسبة لمذهبها ؛ ولولا ذلك لأغنى عنه مثال تهنته قاضي القضاة ؛ ومن تأملهما عرف ما بينهما من الفرقان .

الصنف السابع — التهنته بالتقدمة على الرجال .

رُقْعَةٌ مِنْ ذَلِكَ :

[من حلّ] محلّ سيدي — أطال الله بقاءه — من السُّؤدَدِ الناطقِ الشّواهدِ ، الْمُنتَظِمِ المَعَاقِدِ ؛ الْمُتَضَارِعِ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ ، الْمُتَنَقِّلِ فِي الْوَالِدِ عَنِ الْوَالِدِ — وَالمُجِدِّ الَّذِي قَصَرَ عَنْ مُطَاوَلَتِهِ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ ، وَتَطَاوَلَهُ الْإِنْعَامُ الْمُخَوَّلُ ؛ وَحَازَ مَا حَازَهُ مِنْ شَرَفِ الرِّياسَةِ ، وَفَضْلِ السِّيَاسَةِ ، وَالْأَسْتِقْلَالِ بِمُحَقَّقِ مَا تَوَلَّاهُ ، وَتَسْهِدِ مَا تَوَلَّاهُ وَاسْتَكْفَاهُ ؛ فَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ أَعَالِي الرُّتَبِ ، وَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ الْمَنَازِلُ السَّنِيَّةُ مِنْ كَثَبِ — خَطْبَتِهِ الْعُلَا سَائِقَةٍ عَنْهُ مَهْرَهَا ، وَتَطَامَنَتْ لَهُ مَوْطِنَةٌ ظَهَرَهَا ؛ فَلَمْ يَكْثُرْ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى [أَهْلِ] عَصْرِهِ فَضْلاً عَنِ قَبِيلَتِهِ ، وَيَتَأَمَّرَ عَلَى جَمِيعِ نَوْعِهِ فَضْلاً عَنِ طَائِفَتِهِ : لِأَنَّهُ الْمُتَقَدِّمُ عَلَيْهِمُ بِالرُّتْبَةِ وَالطَّبَعِ ، لَا بِالْأَصْطِلَاحِ وَالْوَضْعِ ؛ فَشَكَرَ الْمَمْلُوكُ اللهُ تَعَالَى عَلَى بُزُوغِ هَلَالِهِ وَإِبْرَاقِهِ ، وَطُلُوعِهِ لِمِيقَاتِ الْعِزِّ وَتَتَفَاقِهِ ؛ وَسَأَلَهُ أَنْ يُجْعَلَ مَا أَقْرَ الْعَيُونَ مِنْ سِيَادَتِهِ ، وَحَقَّقَ الظُّنُونَ فِي سَعَادَتِهِ ؛ خَالِدًا رَاهِنًا ، وَمُقِيمًا قَاطِنًا ؛ وَأَنْ يَزِيدَهُ مِنَ السَّعَادَةِ ، وَيُرْقِيَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي دَرَجِ السِّيَادَةِ : لِتَكُونَ هَذِهِ الرُّتْبَةُ عَلَى أَمْتِنَاعِ مَرَقِبَتِهَا ، وَأَرْتِفَاعِ

مركبها ؛ أول درجة تحطّأها ، ومنزلة فرعها وعلاها ؛ ثم لا يزال راقيا فيما يتلوها حتى
يحتذى بكواكب الجوزاء ، ويطُحودارة على الحلفاء ، مهتأ غير منغص ، ومزيدا غير
منقّص ؛ والله تعالى يجب هذه الأدعية الواقعة مواقعها ، والمستحقّات الموضوعّة
مواضعها .

الصف الثامن - التهنة بولاية الديوان .

رُقعة من ذلك :

وَيْهَى أَنْ مِنْ حَلِّ مَحَلِّ مَوْلَانَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ رَافِلًا فِي لُبُوسِ السَّعَادَةِ ،
مَتَحَفَّلًا بِسُلُوسِ السِّيَادَةِ ؛ مَتَنَقَّلًا فِي رُتَبِ الْمَجْدِ ، مَتَوَقَّلًا إِلَى غَدْنِ الْحَدِّ ؛ مَسْتَوِيلًا
عَلَى شِعَابِ الْعُلَا ، مَتَمَكَّنًا مِنْ رِقَابِ الْأَعْدَاءِ - فِي الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِضْطِلَاعِ ، وَالْمَعْرِفَةِ
بِحُقُوقِ الْأِصْطِفَاءِ وَالْأِصْطِنَاعِ ؛ وَرَفَعَهُ مَذْهَبِهِ عَلَى الْكِفَايَةِ وَالْغِنَاءِ ، وَالنُّهُوضِ بِثَقِيلِ
الْأَعْيَاءِ ؛ خَطَبْتَهُ التَّصَرُّفَاتِ حَامِلَةً عَنْهُ صَدَاقَهَا ، وَتَشَوَّفْتُهُ الْوَلَايَاتِ مَادَّةً إِلَيْهِ أَعْنَاقَهَا ؛
وَكَانَتْ وَاضِحَةً فِي مَخَائِلِ فَضْلِهِ ، لَا تُحِجُّ فِي دَلَائِلِ نُبُلِهِ ، مَكْتُوبَةٌ فِي صَفَحَاتِ الْأَقْدَارِ ،
مَرْقُومَةٌ بِسَوَادِ اللَّيْلِ عَلَى بَيَاضِ النَّهَارِ ؛ فَجَدَلَ الْمَمْلُوكُ بِذَلِكَ ، جَدَلَ الْحَمِيمِ الْمُشَارِكِ ،
وَسُرَّ بِهِ سُرُورَ الْخَلِيطِ الْمُشَابِكِ ؛ وَبَلَى لَأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي تَوْلَاهُ مَوْلَانَا وَجَدَ [فِيهِ] خَلَا
فَرَقَعَهُ ، وَخُوَّلَا فَرَفَعَهُ ؛ بَلْ لَأَنَّ الْحَقَّ غَالِبَ الْحِظِّ فَعَلَبَهُ ، وَالْوَاجِبَ سَالِبَ الْمُحْكِنِ
فَسَلَبَهُ ؛ وَأَنَاخَ رِكَابَ الرِّيَاسَةِ فِي الْمَحَلِّ الْخِصْبِ الَّذِي يَجْمَدُهُ وَيَرْتَضِيهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَنْفَضِّلُ عَلَى رِعْيَتِهِ ، الْمَتَوَطِّنِينَ بِفَاضِلِ سِيَاسَتِهِ ، مِنْ حِبَائِهِ وَلَطْفِهِ ، وَرَأْفَتِهِ وَعَطْفِهِ ، بِمَا
يُسَيِّغُ عَلَيْهِمْ ظِلَالَ الْعَدْلِ ، وَيَقْلِّصُ عَنْهُمْ سُدُولَ الْجُورِ وَالْحَيْفِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : وكتبتُ لَمَقْرَ البَدْرِ مُحَمَّدِ الكَلِستَانِي الشَّهيرِ بالسَّرايِ مهتِّئًا له باستقراره
في كِتابَةِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بالديارِ المِصرِيَةِ في الدُولَةِ الظَّاهِرِيَةِ « برقوق » في سلطته الأولى :

رَفَعْتَ لِلْمَجْدِ مَدًّا وُلِّيتَ بِنِيانًا * وَشَدَّتْ لِلْفَضْلِ بَعْدَ الوَهْنِ أَرْكَانًا !
وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ فِي زَهْوٍ وَمَالِكُهُ * يَمِيسُ مُحِبًّا ، وَهَنَّا التَّخْتُ إِوَانًا !
قَدِمْتَ مِصْرًا فَامْسَتْ مِنْكَ فِي فَرِهِ * تَهَزُّ بِالْبِشْرِ مِنْ لُفْيَاكِ أُرْدَانًا !
وَعُودِرَ النَّيْلِ مَدًّا وَافَيْتَ مُبْتَهَجًا * وَقَدِ رَمَى الصَّدَّ وَالْإِبْعَادَ جِيحَانًا !
أَلْفَاظُكَ الْغُرُصَارَتِ لِلوَرَى مَثَلًا * وَكُتِبُكَ الزَّهْرُ بَعْدَ اللَّثْمِ تَيْجَانًا !
تَفُوقُ قُسًّا إِذَا تَبَدُّو فِصَاحَتِهَا * وَتَفَضَّحُ الْمِصْقَعَ الْمَلَّاقَ سَجَبَانًا !
قَدِ انْحَمَّتْ فِي مَجَازَاتِ بِلَاغَتِهَا * تُرْكَأُ وَرُومًا وَبَعْدَ الْفُرْسِ عُربَانًا !
كُلُّ المَوَالِي إِذَا وَلَّوْا فَلَا أَسْفُ * إِذْ أَنْتَ بَاقٍ ، وَيَسْقِي اللهُ مَوْلَانَا !
مَوْلَى بِهِ قَدْ تَشَرَّفْنَا وَجَمَّانَا * بِوَجْهِهِ ، وَلِذِكْرِ القَوْمِ أَنْسَانَا !

الصفحة التاسع - التهئة بولاية عمل .

أبو الفرج البغاء :

عَرَفَ اللهُ سَيِّدِي بَرَكَةَ هَذَا العَمَلِ الجَلِيلِ ، بِنَبِيلِ نَظَرِهِ الجَمِيلِ ، وَحَمِيدِ أثرِهِ
المُحروسِ ؛ وَتَنَاصَرُ سِيَاسَتُهُ الشَّرِيفَةُ بِسِمَةِ رِيَاسَتِهِ ؛ وَوَفَّقَ رِعْيَتَهُ لَشُكْرِ مَآوِلِيهَا مِنْ
فَائِضِ عَدْلِهِ وَمُحْمَدِ فِعْلِهِ ؛ فَالْأَعْمَالُ مِنْهُ - أَيْدِي اللهِ تَعَالَى - بِالتَّهْنَةِ أَوْلَى ، وَبِالتَّطَاوُلِ
بِمَا شَمِلَهَا مِنْ بَرَكَاتِ تَدْبِيرِهِ أُخْرَى ؛ وَاللهُ بِكَرَمِهِ يَسْمَعُ فِيهِ صَالِحَ الدَّعَاءِ ، وَيَبْلِغُهُ أبلغَ
مُدَدِ البَقَاءِ ، فِي أَسْبَغِ نِعْمِهِ ، وَأَرْفَعِ مَنزِلِهِ ، وَأَصْدَقِ أَمْنِيَّتِهِ ، وَأُنْجِحِ طَلِبَةَ بِنْتِهِ .

وله في مثله :

لولا ما يَشْرِكُ التَّهَانِيَّ من بركات الدعاء الذي أرجو أن يسمعَ اللهُ فيك صالحه ،
ويُجِيبَ أحسنه ، لأجلناك عن التَّهِنَّةِ بمسجِدِ الأعمال ، ومستحدِّثِ الوِلايَاتِ ،
لقصورها عن استحقاقك ، وأنحطاطها وإن جلتَّ عن أيسرِ واجباتك ؛ وتعجلها
بمأثورِ كفايتك ، وبركاتِ نظرك ، ومواقعِ إنصافك . فهناك اللهُ نعمةَ الفضلِ التي
الولايةُ أصغرُ آلتها ، والرِّياسَةُ بعضُ صفاتها ؛ ولا أخلاك من موهبةٍ مُجدِّده ،
ومنحةٍ مُؤبَّده .

وله في مثله :

سیدی - أيدَه اللهُ - أرفعُ قدرًا ، وأنبهُ ذكرا ؛ وأعظمُ نبلا ، وأشهرُ فضلا ؛ من
أن تُهِنَّه بولايةٍ وإنَّ جَلَّ خطرُها ، وعَظُمَ قدرُها ؛ لأنَّ الواجبَ تهنئةُ الأعمالِ بفائضِ
عَدله ، والرَّعيَّةِ بمحمودِ فعله ، والأقاليمِ بآثارِ رِياسَتِهِ ، والولاياتِ بسِماتِ سِياسَتِهِ ؛
فعرَفه اللهُ يَمَنَ ما تولاهُ ، ورعاه في سائرِ ما استرعاه ؛ ولا أخلاه من التوفيقِ فيما يُعانيه ،
والتسديدِ فيما يُيرمه ويُمضيه .

الإجابة عن التَّهَانِيَّ بالولايات

قال في "موادِّ البيان" : هذه الكُتُبُ إذا وردت ، وجبَ على المُجِيبِ أن يستنبِطَ
من كلِّ كتابٍ منها المعنى الذي يُجِيبُ به . قال : والطريقةُ المستعملةُ فيها أن كتابَ
المجيبِ يجبُ أن يبنى على أن المهنيَّ قسيمٌ في النعمة المتجدِّده ، وشريكٌ في المنزلةِ
المستحدِّثة ، وأن الحظَّ الأوفرَ فيما ناله المهنيُّ للمهنيِّ وببركةِ دُعائه ، وتوقعه لما يردُّ

من حاجاته وتبعاته لينفدَها ، نازلا على أخلص مخالصته ، وعاملا بشروط مودته ؛ ونحو هذا مما يضارعه . فإن كان المحيَّب رئيسا أو مرءوسا ، وجب أن يرتَّب الخطاب على ما تقتضيه رتبة كل واحد منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وردتِ المُشْرِفةُ الكريمةُ ، أتمَّ اللهُ على مُرسليها نعمته ، وأعلى قدره ومنزلته ؛ وجعل جناح العدا مخفوضا ، وعيشه في دعةٍ وخفض ، وقدره للتمييز مرفوعا ، وعدوه للتقصير في آخطاطٍ وخفض ؛ فتلقاها باليمين ، وظنها الريح الجنوب لما تجلته من رقة الحين ؛ وعلم ما أبداه فيها من تفضلاته ، وأعترف بالتقصير عن مجاراته ومجاراته ؛ فشتت سمعه بالفاظٍ كأنهن اللؤلؤ والمرجان ، وبيئت البون الذي بينه وبين غيره تلك الفصاحة والبيان ؛ وقابل أيديهِ بشكر لسانه ، وجازاه بمحسن الدعاء عن إحسانه ؛ ولا يقومُ بشكر فضله اللسان ولا الجُنان ، وهل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسان؟ .

فأما ما أشار إليه من الهناء بالمكان الذي تولاه ، وأبداه من المحبة التي اوجبته عليه أن يتوالاه ؛ فالله تعالى يُعينه على ما هو بصدده ، ويجعل الحق والخير جارين على لسانه ويده ؛ ويرزقه أتباع محكم كتابه وسنة رسوله ؛ ويحصل له من الرشد غاية سؤله ومأموله ؛ فإن هذه الولاية صعبة المراس ، وجوادها كثير الشئاس ؛ لكن بركات المولى يحصل من الله الأرب ، ويسهل لأوليائه القصد والإسعاد والطلب ؛ أدام اللهُ ظلَّ المولى وأسعدَه ، وأوضح لديه طريق السعادة ومهدَه ؛ ومنتحه من الألطاف الخفية أفضل ما عوده ؛ بمنه وكرمه .

الضرب الثاني

(التهنئة بكرامة السلطان وأجوبتها)

وفيه ثلاثة أصناف :

الصنف الاول - التهنئة بالإنعام والمزيد ولبس الخلع وغير ذلك .

من كلام الأقدمين :

ويُنهي أنه اتَّصلَ بالملوك ما أهل مولانا السلطان مؤلانا له : من المحلِّ السنيّ ،
والمكانِ العليّ ، الذي لم يزلْ موقوفاً عليه ، متشوّفاً إليه ، نافرّاً عن كلّ خاطبٍ سواه ،
جامحاً على كلّ راكبٍ إلاّ إياه ؛ فأقرّ الله عينَ الملوكِ بذلكِ لصدّق ظنه ، وعلم أنّ
ماأصاره الله تعالى إليه من هذه المنزلة المنيّفة ، والرّتبة الشريفة ؛ مدرّجةً تُفضي
إلى مدارج ، ومعرجة تنهّي إلى معارج ؛ والله تعالى يزيدُ معاليه علواً ، ويضاعف
محله سُمواً ؛ بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

ومنه - ويُنهي أنه اتَّصلَ بالملوك نَبأ الموهبة المتجدّدة لديه ، والنعمة المُسبّغة
عليه ؛ وما اختصّه به مولانا السلطان من الأَصْطِفَاء والإيثار ، والأجْتِبَاء والأخْتِيَار ؛
وتقديمه للرّتبة الأثيرة ، والإنافة إلى المنزلة الخطيّرة ؛ فسرّ الملوك للرياسة إذ أحلّها
الله تعالى في محلّها ، وأنزلها على أهلها ؛ ووصلها بكفئتها وكافئها ، وسلّم قوسها إلى راميتها ؛
والله تعالى يجعلُ هذه الرتبة أولَ مرّقة من مرّاقِ الآمال ، ومكبرِ الرتب التي يقرّعها
من رتب الجلال ؛ إن شاء الله تعالى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

أدام الله أنصاره، وجعل التقوى شعاره؛ وألبسه من الحماد أكرم حله، وتوله من المكارم أحمد خله؛ ولا زالت الخلع تتشرف إذا أفيضت عليه، والمدائح تُستطاب بذكره لاسيما إذا أنشئت بين يديه .

الخادمُ يُنهي إلى علم المولى أنه اتصل به خبر أهدى إليه سُوراء، ومنحه بهجةً وحبورا : وهو ما أنعم به المولى السلطانُ خلد الله سلطانه، وضاعف إحسانه : من تشريفه بخلعته ، وما أسبغه عليه من وارفِ ظلّه ووافرِ نعمته ، وأبداه من عناية به بالمولى ومحبتة به وقد حصل له من المسرة ما أجذله ، وبسط في مضاعفة سعد المولى أمله ؛ فإنه بلغه أن هذه الخلعة كالرياض في نضارتها ، وحسن بهجتها ؛ وأنها كلما برقت برق لها البصر، وظنّها حسنها حديقة وقد حدّق إليها النظر ؛ وقد جمعت ألوان الأزهار، وأزرى ناصجها في اللطف على نسمة الأستحار؛ وأسكنت حُبها حبات القلوب التي في الصدور، وسمت عن المدح برائق المنظوم وفائق المنثور ؛ وأن ابن سليمان لو رآها، لآترف بأن في لبسها لكلّ قتي شرفاً لا ريب فيه، ونسب البيت المنسوب إليه إلى أعاديه ؛ وأنه لو نظر نظرة نضارها لما جعل لها في الحسن نظيراً، ولو ألقاها على وجهه لأرتد لوقت بصيرا ؛ فلذلك أصدر هذه الخدمة مهنية، ومغربة عما حصل له من الفرح ومنية ؛ ولجيد مدحه العاطل من مثل هذه الألفاظ محليه ؛ توله الله في كل يوم مسرة وبُشرى، وأجرى له على الألسن حمداً وشكراً؛ وجعله لكل خير أهلاً، وشكره تفضلاً شاملاً وفضلاً ؛ ومتعه من العافية بلباس لا يبلى؛ إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني - التهئة برضا السلطان بعد غضبه .

من ذلك :

وتُنهي أنه أتصل بي ماجدده الله تعالى لمولاي - أطال الله بقاءه - من حُسن عاطفة مولانا أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - وأنعطفه عليه بعد أنصرافه ؛ وإعادته إلى رُتبته التي نَشَرْت عنه دَلالاً مَلالاً، وهَجْرته هَجْر المستُصلِح المستعْتَب ، لا هَجْر القالِي المتجَنَّب ؛ وكيف تَفْلَاه، وهي لا تجد لها كُفُوًا سِوَاه ؛ ولتوقُّع المملوك بما وقع من هذه الحال، وعلمه أن عودها إليه كعودة المودع [إلى مودعه،] لآعودة المتجع إلى مربعه ؛ وأن الذي وقع من الانحراف إصلاح باديته تهذيب وتقويم، وخافيه توقيه وتعظيم : لما في عتاب أمير المؤمنين من شرف الرُتبه ، والدلالة على استقرار الأثره والقربه ؛ وحلوله محل الصقال، من أبيض النصال، والثفاف من العسال ؛ ولا سيمًا ورياسته مُحفوظه ، وسيادته ملحوظه ؛ وهيبته في النفوس ماثله ، وجلالته في القلوب حاصله ؛ ولم ير المملوك أجمل موهبة من الله سبحانه من شكر يسترهن هذه النعمة ويحلدها ، وحمد يرتبطها ويقيدها ؛ ورجبت إلى الله سبحانه أن يجعل هذا العز الحادث لاثنا لا يتحول ، والسعد الطاريف ما تكما لا ينتقل ؛ إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

وينهى أن من عادة الزمان أن يكف سحابه ثم يكف ، ويرف نبائه ثم يجف ؛ ويدر حلبه ثم يقطع ، ويقبل خيره ثم يجمع ؛ إلا أنه إذا سلب النعمة من يستوجب إمرارها عليه ، وأترع الموهبة من يستحق استمرارها لديه ؛

(١) لعل الواو زائدة ويكون متعلق اللام في قوله «ولتوقع» الخ تأمل .

كَانَ كَالْغَالِطِ الَّذِي يُرَاجِعُ نَفْسَهُ فَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَطَ ، وَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ الْغَلَطَ ؛
 مُعْقِبًا نُبُوته بِإِنَابَتِهِ ، مُتَعَقِبًا هَفْوَتَهُ بِاسْتِفْقَالَتِهِ ؛ مَاحِيًا إِسَاءَتَهُ بِرَأْبِ مَائِمٍ ، وَأَسْوِ مَا كَلَّمَ ؛
 وَإِصْلَاحِ مَا أَفْسَدَ ، وَتَأْلِيفِ مَا شَرَّدَ . فَلَا جَرَمَ أَنَّ النُّفُوسَ بِإِقْبَالِهِ عَلَى مَنْ هَذِهِ
 صِفَتُهُ وَائْتِقَهُ ، وَالْأَمَالَ لِإِنْصِرَافِهِ إِلَى مَنْ هَذِهِ صُورَتُهُ مُتَحَقِّقَهُ ؛ وَإِذَا سَلَبَهَا هَزْوَلَ
 فِي إِيدَاعِهَا لَدَيْهِ ، وَأَخَذَ [فِي] إِفَاضَتِهَا عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ الْمَمْلُوكُ - مُدْعَاةً الزَّمَانَ مُوَلَانَا
 بِسُوءِ أَدَبِهِ ، وَنَأْيٍ عَنْهُ بِجَانِبِهِ ؛ وَقَبْضِ بِنَانِهِ ، وَغَيْرِ عَلَيْهِ سُلْطَانَتِهِ - عَارِفًا أَنَّ هَذِهِ الْفَعْلَةَ
 فَلْتَةٌ مِنْ فَلَاتِهِ الَّتِي يَتَوَقَّئُ شَرَّهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى مِثْلِهَا ؛ وَأَنَّ الْإِسْتِئْصَارَ ، يَقُودُهُ
 إِلَى الْإِعْتِدَارِ ، وَالْإِضْطِرَارِ ، يَحْدُوهُ عَلَى رَدِّ مَا أَنْتَرَعَهُ بِالْإِجْبَارِ : لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مِنْ يَجْلُ
 مَحَلَّ مُوَلَانَا فِي آرْتِبَاطِهِ بِإِنْسَانِهِ ، وَتَعَهُّدِهِ بِسُقَى أَغْرَاسِهِ ؛ وَقِيَامِهِ بِسُكْرِهِ ، وَتَرْكِيئِهِ بِبِرِّهِ -
 مُتَوَقِّعًا لِأَنَّ تَبَيُّظَ عَيْنِهِ ، وَيُنْكَشِفُ رَيْئَهُ ؛ فَيَرَى مَا صَبَعَتْ يَدَاةُ ، وَيَبَادِرُ لِأَسْتِقَالَةِ
 مَا جَنَاهُ ؛ حَتَّى طَرَقَ الْبَشِيرُ بِمَا سَهَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْحِسَارِ الْكُرْبَةِ ، وَعَوْدِ مُوَلَانَا إِلَى
 شَرَفِ الرَّتْبَةِ ؛ وَصَلَاحِ مَا فَسَدَ ، وَعَوْدِ السُّلْطَانِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ إِلَى مَا عَهَدَ ؛ وَرُكُونِهِ
 إِلَى حَضْرَتِهِ ، وَأَنْقِلَابِهِ عَنْهُ رَافِلًا فِي تَشْرِيفِهِ وَمَكْرَمَتِهِ ؛ فَكَانَ مَعْتَقِدُ الْمَمْلُوكِ فِيهِ هِلَالًا
 فِي السَّرَارِ فَأَهْلًا ، وَجَنِينًا فِي الْحَشَا فَاسْتَهْلًا ؛ فَاسْتَوَى عَلَى الْمَمْلُوكِ مِنَ السُّرُورِ مَا عَمَّ
 جَوَارِحَهُ ، وَعَمَّرَ جَوَانِحَهُ ؛ وَأَطَارَ بِجِنَاحِ الْمَرْحِ ، وَالْبَسَ حُلَّةَ الْفَرَحِ ؛ إِذْ مَا جَدَّدَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ يُحَلُّ بِهِ فِي الْعُمُومِ ، مَحَلَّ الْغَيْثِ السَّجُومِ ؛ لِأَنَّهُ حَرَسَ اللَّهُ
 عِزَّهُ لِأَسْتَاثِرِ بَعَوَارِفِ اللَّهِ عِنْدَهُ ، وَلَا يُكْرَهُ عَلَى عَطَايَاهُ يَدَهُ ؛ بَلْ يَمْنَحُ مِمَّا مُنَحَ ؛
 وَيُؤَلِّقُ مِمَّا تَوَلَّى ، وَلَا يَضُنُّ بِمَالٍ وَلَا جَاهٍ ، وَلَا يَقْعُدُ عَمَّنْ أَمَلَهُ وَرَجَاهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
 يَجْعَلُ ذَلِكَ مِمَّا أَقْرَبَهُ الْعُيُونِ ، وَصَدَّقَ فِيهِ الظُّنُونِ ؛ لِأَتَحْلِقَهُ الْأَيَّامَ وَلَا تُبْلِيهِ ،
 وَلَا تَزْوِيهِ الْحَوَادِثُ وَلَا تُؤَثِّرُ فِيهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث - التهنية بالخلاص من الاعتقال .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جَدَّدَ اللهُ سَعْدَهُ ، وَضَاعَفَ جَدَّهُ ؛ وَأَنْجَحَ قَصْدَهُ ، وَأَعَدَّبَ مِنْهُلَهُ وَوَرَدَهُ ؛ وَلَا أَنْفَكْتَ الْأَيَّامَ زَاهِيَةً بَقَائِهِ ، وَالْأَنْفُسَ مَسْرُورَةً بِأَرْتِقَائِهِ إِلَى رَبِّ عَالِيَانِهِ . أَصْدَرَهَا تُفْصِحُ عَنْ شَوْقٍ يَعْجِزُ عَنْ سَوْفِهِ الْجَنَانِ ، وَيَقْصُرُ عَنْ طُولِهِ اللِّسَانِ ؛ وَسُرُورٍ تَزِيدُ حَتَّى أَبْكَاهُ ، وَلَا عَجَبًا بِمَشَاهِدَةٍ طَلَعَتْهُ السَّعِيدَةُ أَغْرَاهُ ؛ وَثَنِيهِ بِمَا جَدَّدَ اللهُ لَهُ بَعْدَ الْأَعْتِقَالِ مِنَ الْفَرَجِ وَالْفَرَحِ ، وَمَنْ بِهِ بَعْدَ ضَيْقِ الْخَوَاطِرِ مِنَ الْإِتْبَاهِجِ وَالْمَرْحِ ؛ فَهَذِهِ الْمَسْرُورَةُ مَاءٌ زَلَالٌ بَرَدَ بِهَا الْأَوْامُ ، وَإِنْعَامٌ عَامٌ ، حَمِدَ اللهُ عَلَيْهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَوَّضَهُ عَنْ مَأْتَمِ الْحُزْنِ بِمَأْتَمِ السُّرُورِ ، وَ[عَنْ] الْهَمِّ الْمَانِعِ عَنِ الْوُرُودِ وَالصُّدُورِ بِأَنْشِرَاحِ الصُّدُورِ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ شَعَفَهَا حُبُّهُ وَشَغَفَهَا ، وَضَاعَفَ لَتَعْوِيقِهِ أَسَاهاً وَأَسْقَهَا ؛ بِحَيْثُ أَعْتَرَى الْمَنَاطِقَ قَلْقٌ وَعَلَاها أَصْفِرَارٌ ، وَعُطِّلَتْ يَدُ كُلِّ غَانِيَةٍ مِنَ الْحُلِيِّ فَمَا ضَمَّهَا قَلْبٌ وَلَا سِوَارٌ ؛ وَلَيْسَ الْخُطْبَاءُ حَزَنًا وَالْإِسْتِئْثَاءُ الْحَايِرُ ، وَكَادَتْ لَغَيْبَتِهِ وَفَقْدَ اسْمِهِ تَنْدُبُهُ الْجَوَامِعُ وَتَبْكِيهِ الْمَنَابِرُ ؛ خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ ، وَسَهَّلَ لَهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَصْدَهُ وَإِرَادَتَهُ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

الأجوبة عن التهنية بكرامة السلطان ورضاه بعد غضبه

قال في " مواد البيان " : يجب أن تكون أجوبة هذه الرِّقَاعِ مُودَعَةً مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَهْنِيِّ - لِحَافِظَتِهِ عَلَى رُسُومِ الْمُوَدَّةِ وَقِيَامِهِ بِشُرُوطِ الْخُلَّةِ - مَا تَقْتَضِيهِ رَتَبَتُهُ وَرُتْبَةُ الْحَيْبِ ، وَأَنَّهُ مَشَارِكٌ لَهُ فِي مُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ ، مُفَاوِضٌ فِي حَدِيثِ الْمَسْرُورَةِ ؛ وَالتَّيْمُنُ بِالْإِعْتِاقِ ، وَنَحْوِ هَذَا مِمَّا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ عِنْدَ الْمَبْتَدِئِ بِالْهِنَاءِ ؛ وَيَضَعُهُ بِحَيْثُ وَضَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِمَنْ كَاتَبَهُ .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع : [جواب] هناء بخلعة :

أدام الله علاءه ، وشكر آلاءه ، وضاعف سناءه ؛ وحيد منته التي أثقلت لكل
معتف ظهراً وخفقت همماً ، وأنالت لكل ولي نصيباً من عوارفها وقسماً . المملوك
ينهى إلى العلم الكريم ورود المكتبة التي كسنتها يده حلة جمال ، وألبستها ثوب
إفضال ؛ وأعدتها بكرمها ، وحسنت وجهها بلسان قلمها ؛ فأمرتته سحاب جود
أربنى على السحاب الهتون ، وأوقفته منها على ألفاظ كأمثال اللؤلؤ المكنون ؛ فأجتنى
ثمار الفضائل من أغصانها ، وأجتنى عروس محاسنها وإحسانها ؛ وفيهم ما أشار إليه
من التهنية بالخلعة التي أنعم المولى بها على خادمه وتصدق ، وحقق الأمل في مكارمه
وصدق ، وإنعامه خلد الله دولته ، وأعز نصرته ، قد كثر حتى أنجمه ، وميزه على
كثير من ممالك بيته العالی وفضله ؛ وأنالهُ من المنزلة ما سماها على أمثاله ، ورفق بها
بعد رقة حاله ؛ فالله يخلد سلطانه ، ويثبت بالسعادة أركانه ؛ وهذا بسعادة مولانا
ومساعدته ، ومعاونته ومعاضدته : فإنه كان السبب في الاتّصال ببابه أولاً وآخراً ،
ومن أغاثه بذلك وأعاناه عليه باطناً وظاهراً .

وكل خير توخاني الزمان به * فانت باعته لي او مسبيه

الضرب الثالث

(من التهانى التهتة بالعود من الحج)

وهذه نسخ من ذلك يُنسخ على منوالها .

فمن ذلك :

ويُنهى أنه طرَق المملوكَ البشيرُ بعود مولانا - أطال الله بقاءه - من مقام الطائفين ، إلى مقام المعتفين ؛ وأوتيه من كعبة الإحرام ، إلى كعبة الإكرام ؛ وتقله من موقف الحجاج ، إلى موقف المحتاج ؛ وحلولة بمنزله الذى هو قبلة ذوى الآمال ، ومحط الرجال ؛ بالسعى المشكور ، والحج المبرور ؛ والنسك المقبول ، والأجر المكتوب ؛ فخدمت الله تعالى على موهبته ، وسألته زيادته من مكرمه ؛ وأستنجحت هذه المكتبة أمام ما أرومه من مشاهدته ، وأرجوه من الأستسعاد بملاحظته ؛ وبرد أوار الشوق بمحاضرته ، ومجدداً عهد التيمن بمباسمته ؛ فإن أقتضى رأيه العالى أن يعرف المملوك جملةً من خبره فى بدئه وعوده ؛ ومنقلبه ومتوجهه ؛ وما تفضل الله تعالى به من أمان سبيله ، وهداية دليله ؛ وتخفيف وعناء سفره ، وتسهيل وطره : لِأَسْكُنَ إِلَى ذَلِكَ إِلَى حِينِ التَّمَثُلِ بِنَظَرِهِ ، فَله الفضلُ فى ذلك .
والله تعالى يبلغه سوله ، ويوصله مراده ومأموله ؛ بمنه وكرمه .

ومن ذلك :

ويُنهى أن مولانا لا يزال حاجاً إلى كعبة الحرم ، أو كعبة الكرم ؛ وطاقفاً بشعائر الوفود ، أو بشعائر الجود ؛ وواقفاً بموقف الإستفتاح ، أو موقف السماح ؛ وناحر البدن بمنى ، أو ناثر البدر للنبى ؛ فلا يرتفع فى حاٍ من الأحوال بره ، ولا ينقطع عن الله

تعالى ذكَّره ؛ ومن كان بهذه المثابه ، في إحراز الأجر والإنايه ؛ فهو حقيقٌ أن تعمَّر
 بالتهنئة أوقاته وأزمانه ، كما عمَّرها سعيه وإحسانه ؛ وقد عرف المملوك أنكفائه
 - أدام الله علوه - عن مقام الطائفين والعاكفين ، إلى مقام القاصدين والمعتمدين ،
 وعوده إلى منزله المعمور ، بعد قضاءه فريضة السعي المشكور ؛ فعدلت في مخاطبته
 عن الهناء إلى الدعاء بأن يتقبل الله تعالى نُسكته ويثقل ميزانه ، ويُطيق في حلبة
 الخيرات عَنانَه ؛ ويُحييه لأجرٍ يُجزِّره ، وثوابٍ يكثرُه ؛ والله تعالى يُجيبُ ذلك فيه ،
 ويُريه في نفسه وأحبته ما يرتضيه .

ومن ذلك :

وَتُهِى أَنَّهُ قَدْ طَرَقَنِي الْبَشِيرُ بِأَنْكَفَاءِ مَوْلَانَا إِلَى مَقَرِّ عِلَائِهِ ، وَأَنْفِصَالِهِ عَنِ مَلَأْدِ
 النَّسَاكِ وَالْعِبَادِ ، إِلَى مَعَاذِ الزُّوَارِ وَالْقُصَادِ ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّ ذَلِكَ النَّسِيمَ الْعَلِيلَ مِنْ تَلْقَائِهِ ،
 وَذَلِكَ النُّورَ الصَّادِعَ مِنْ آلَائِهِ ؛ وَذَلِكَ الْأَقْتَرَارَ مِنْ أَسْرَتِهِ وَتَحَايِلِهِ ، وَتِلْكَ الْعُدُوبَةَ
 مِنْ شِمِيهِ وَشَمَائِلِهِ ؛ فَكَادَ الْمَمْلُوكُ يَطِيرُ - لَوْ طَارَ قَبْلِي غَيْرُ ذِي مَطَارٍ - فَرَحًا ، وَأُخْرِقُ
 الْأَرْضَ وَأَبْلُغُ الْجِبَالَ لَوْ أَمَكُنَ ذَلِكَ مَرَحًا ؛ وَأَنْفَتَحَ قَلْبِي حَتَّى كَادَتْ مَهْجَتُهُ تَفِيضُ
 سُرُورًا ، وَطَاشَ حِلْمِي حَتَّى تَفْتَرِقَ مَجْمُوعُهُ بَهْجَةً وَحُبُورًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ نِعْمَهُ
 مَوْصُولَةً الْحَبْلِ ، مَجْمُوعَةَ الشَّمْلِ ؛ بِمَنِّهِ وَكِرْمِهِ .

أبو الفرج البغّاء :

جعل الله سعيك مشكوراً ، وحمك مبروراً ؛ ونسكك مقبولاً ، وأجرك مكتوباً ؛
 وأجزلك من المثوبة جزاءك ، ومن عاجل الأجر وآجله عطاءك ؛ وقرن بالطاعات عزماتك ،
 وبالسعي إلى الخير نهضاتك ؛ ووفقك من صالح الأعمال ، وزكى الأفعال ، لما يجمع
 كل خير الدارين . ولما طرفتني البشارةُ بقُدومك ، بدأت بإهداء الدعاء ، وتجديد

الشكر لله تعالى والثناء ؛ وأستبنت في ذلك المكاتبه ، أمام ما أنا [عازم] عليه : من المشافهة والمخاطبة ؛ ولن أتأخر عن حظي من المسير إليك للتيمن بالنظر إلى غرتك ، ومداواة ما عانيته من ألم الشوق بمشاهدتك .

الضرب الرابع

(من التهانى ، التهنته بالقدوم من السفر)

من كلام المتقدمين :

على بن خلف :

ويُنهي أنه أتصل بالملوك خبرٌ توجهه إلى الناحية الفلانية ، فعرف الملوك أنه قصدها ليخص قاطنيها ، بنصيب من مواهبه ؛ وفيض على ساكنيها ، سجالاً من رغبته ؛ ويسوى بينهم وبين من رأسه بجبانه ، وجبره بنوافله وآلائه ؛ فسألت الله تعالى أن يطيل عمر المكارم بإطالة بقائه ، ويجمع شمل السؤدد بدوام علاقته ؛ ثم أتصل بي عوده إلى مقره ، خفيف الحقايب من وفره ، ثقيلاً من شأنه وشكره ؛ فحمد الملوك الله تعالى على إسفار سفره عن بلوغ الأوطار ، وانحسار أمنيته عن أذيال المسار ؛ وما خصه به من السير الشحيح ، والسعي النجيج ؛ والسلامة المفرقة على الوجهة والمتقلب ، والمفتتح والمعتقب ؛ ولما عرض للملوك ما قطعته عن مشافهته بالدعاء ، رفع يده إلى الله تعالى ضارحاً لديه في أن يتولاه في هذا المقدم الميمون ، بالسعد المضمون ؛ وإنالة الأمانى المقررة للعيون ؛ وأن يمنحه في الحبل والترحال ، والقطن والإتقال ، توفيقاً يقارن ويصاحب ، ويساير ويواكب ؛ وأن يجعل ما حوله من نعمه راهناً خالداً ، وما أولاه من مواهبه بادئاً عابداً ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل وجهته وهو تصحيف إذ الوجهة الناحية والجهة وهو غير مراد كما لا يخفى .

(٢) مصدر قطن في كتب اللغة التي بأيدينا على قول لا على فعل .

وله أيضا :

وَيُنْهَى أَنَّهُ طَلَعَ عَلَيْهِ الْبَشِيرُ ، طُلُوعَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ ؛ مُؤَذِّنًا بِمَقْدَمِ حَضْرَتِهِ ، وَمُعَلِّمًا
بِظُهُورِ طَلْعَتِهِ ؛ وَحُلُولِهِ فِي مَعَانِهِ الَّذِي هُوَ مَعَانُ الْإِقْبَالِ ، وَعَوْنُ الرِّجَالِ ؛ وَقِرَارُهُ
الْأَقْيَالِ ، وَمَحْطُّ الرِّجَالِ ؛ وَقَبْلَةُ الْجُودِ ، وَمُعْرَسُ الْوُفُودِ ؛ فَسَأَلَتْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُقَيِّمَهُ
جَمَالًا لِلْأَيَّامِ ، وَثِمَالًا لِلْأَنَامِ ؛ وَعِمَادًا لِلْقُصَادِ ، وَمَرَادًا لِلرُّوَادِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِيهِ
فِي تَصَرُّفَاتِهِ ، وَجَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكِّنَاتِهِ ؛ مِنْ سَعَى سَعِيدٍ ، وَعَيْشِ رَغِيدٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .
أبو الفرج البغّاء :

مَنْ كَانَتْ غَيْبَةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةً بِغَيْبَتِهِ ، وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةً بِأَوْبَتِهِ ؛ سَافَرَتْ
الْأَنْفُسُ حَيْثُ كَانَ إِلَيْهِ ، وَقَدِمَتْ الْأَمَالُ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا زَالَتْ الْأَنْفُسُ
إِلَى الْأُمْنِيَّةِ بِقُرْبِهِ مَطْلَعُهُ ، وَلُورُودِ السُّرُورِ بِوُرُودِهِ مَتَوَقِّعُهُ ؛ إِلَى أَنْ أَنْسَتْ بَعْدَ
الْوَحْشَةِ بِإِقْبَانِهِ ، وَتَنَسَّمَتْ أَرْجَ مَنْهٍ وَتَعَانَهُ ؛ فَوَصَلَ اللَّهُ قُدُومَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ ، بِأَضْعَافِ
مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَهُ مِنَ السَّلَامَةِ ؛ مَحْرُوسًا مِنْ طَوَارِقِ الْغَيْرِ ، مَبْلَغًا أَعَدَّ الْعُمُرَ .
وله في مثله :

مَنْ كَانَتْ مَادَّةُ سُرُورِهِ ، بِمَغْيِبِهِ وَحُضُورِهِ ؛ لَمْ يَجِدْ مَعَ بُعْدِكَ مُؤْنِسًا يَسْكُنُ إِلَيْهِ ،
وَلَا عَوَظًا يَعُولُ فِي السَّلْوَةِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا زَلَتْ أَيَّامَ غَيْبَتِكَ - لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكَ -
بِالْوَحْدَةِ مَسْتَأْنِسًا ، وَبِالسُّوقِ إِلَيْكَ مُجَالِسًا ؛ الْأَقِيكَ بِالْفِكْرِ ، وَأَسَاهِدُكَ بِاتِّصَالِ الذِّكْرِ ؛
إِلَى أَنْ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَوْبَتِكَ بِمَا عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَجَلَّتْ لَدَيْهِ مَعَهُ الْمَوْهَبَةُ ؛
فَوَصَلَ اللَّهُ بِالسَّلَامَةِ نَهْضَاتِكَ ، وَبِالسَّعَادَةِ حَرَكَاتِكَ ، وَبِالتَّوْفِيقِ آرَاءَكَ وَعَزَمَاتِكَ ؛
وَحَرَسَنِي بِبَقَائِكَ وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَهَتَّأَنِي النِّعْمَةَ الْجَلِيلَةَ بِقُرْبِكَ .

(١) في القاموس واللسان « المعان المباءة والمنزل » وأوردها في مادة م ع ن .

وله في مثله :

مَنْ كُنْتَ نِهَآيَةَ أَمْنِيَّتِهِ ، وَقُطِبَ مَسْرَّتُهُ ؛ كَانَ مِنْ نَفْسِهِ مَسْتَوْحِشًا مَعَ بَعْدِكَ ،
وَبَدَّهْرِهِ مَسْتَأْنِسًا مَعَ قُرْبِكَ ؛ وَمَا زِلْتُ مَعَكَ بِالنِّيَّةِ مُسَافِرًا ، وَبِالشُّوقِ سَافِرًا ؛
وَبِالفِكْرِ مَلَاقِيَا ، وَبِالْأَمَانِيِّ مُنَاجِيَا ؛ إِلَى أَنْ جَمَعَ اللَّهُ شِمْلَ سُورِي بِأَوْتِيكَ ،
وَسَكَنَ نَافِرَ قَلْبِي بِعَوْدَتِكَ ؛ عَلَى الْحَالِ السَّارَةِ مِنْ كَمَالِ السَّلَامَةِ ، وَوُفُورِ الْكُلْفَةِ ؛
فَأَسْعَدَكَ اللَّهُ بِمَقْدَمِكَ سَعَادَةً تَكُونُ بِهَا مِنَ الزَّمَانِ مُحْرُوسًا ، وَبِالْإِقْبَالِ مُقَابِلًا ،
وَبِالْأَمَانِيِّ ظَافِرًا ؛ وَلَا أَوْحِشُ اللَّهُ مِنْكَ أَوْطَانَ الْفَضْلِ ، وَعَضَّدُ إِخْوَانَكَ بِبِقَائِكَ
وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَ الْقَلْبُ يَجِدُ عَنْكَ مُنْصَرَفًا ، أَوْ يَرَى مِنْكَ فِي آكْتِسَابِ الْمَسْرَةِ خَلْفًا ؛
لَأَسْتَرَحَ إِلَيْهِ مِنْ أَلَمِ بَعْدِكَ ، وَأَسْتَنْجِدَهُ عَلَى مَرَارَةِ فِرَاقِكَ ؛ لِكِنَّكَ أَيْدِكَ اللَّهُ جَمْلَةً
مَسْرَّتِهِ ، وَنِهَآيَةَ أَمْنِيَّتِهِ ، فَلَيْسَ تُتَوَجَّهُ أَمَانِيَّتُهُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا تَقْفُ آمَالُهُ إِلَّا عَلَيْكَ ؛
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْرَبَ بَقِيَّتِكَ أَعْيُنَ إِخْوَانِكَ وَأَوْدِيَّتِكَ ؛ وَأَفَاكَ اللَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَوْتِكَ
أَضْعَافَ مَا آكْتَنَفَكَ مِنَ الْكِفَآيَةِ فِي ظَنِّكَ .

ابن أبي الخصال :

سَرَّ اللَّهُ مَوْلَايَ وَرَيْسِي ، وَرَبَّ تَشْرِيفِي وَأَيْسِي ؛ بِلِقَاءِ الْأَحْبَابِ ، وَأَتَّصَلَ
الْأَسْبَابَ ، وَأَوْبَةَ الْغِيَابِ ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تُتَصَنَّعُ لِإِقْبَالِهِ ، وَتُقَبَّلُهُ أَوْجُهُ الْعِزِّ
فِي آقْبَالِهِ ؛ وَتُؤْفِيهِ عَلَى رِغْمِ الْحَاسِدِ حَقَّ جَلَالِهِ .

البُشْرَى - أَدَامَ اللَّهُ أَعْتَارَهُ - بِمَقْدَمِ الْوَزِيرِ فُلَانٍ قَدْ أَوْضَعَتْ رِكَابَهَا ، وَأَتَّصَلَ
بِالنَّفُوسِ أَعْلَاقُهَا وَأَسْبَابُهَا ؛ فَهَنِيئًا مَعَشَرَ الْأَوْلِيَاءِ بِسُبُوحِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْمِنْحَةِ

الجزيلة ؛ ولا أستوفى شكر ما به أتى معظّم قدره ، ولمتريّم برّه ؛ من شئاء كعريف الطيب
يهدى ، ومدّه في الإنهاض لا يقضى واجبه ولا يؤدي ؛ ولا زالت حياة مولاي
تفدى ، وأفعال برّه تتعدى ؛ وقد لثمت مواقع أنامله ودأ ، ووردت من محاسن بيانه
منهلاً عذبا [ووردا] فامتغى الله بحياته العزيزة الأيام ، الطيبة الإمام ، الموصولة
العهد والذمام ؛ وأقرأ على سيدي من سلامي ما يلئم يده ، ويقضى حق اليراع [الذي]
أنشأ به البر وولده ، والسلام المعاد عليه وعلى جنته ورحمة الله وبركاته .

الشيخ جمال الدين بن نباتة عن نائب الشام إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله
كاتب السرّ الشريف ، بالأبواب الشريفة بالديار المصرية ، عند عودته من الكرك
إلى الديار المصرية ، في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، مهنتاً له بعودته إلى منزله
بالديار المصرية ، وأستقراره وعودته إلى كتابة السرّ الشريف بالأبواب الشريفة
السلطانية ، وهي :

تقبّل الباسطة الشريفة - إلى آثر الألقاب - لازالت خصائص الحمد على فضل بنانها
معقوده ، وماثر البأس والكرم لها ومنها شاهدة ومشهودة ، وبواتر السيوف مسيرة
القصدي إلى مناظرة أقلامها المقصودة ؛ تقبيلاً يود لو شافه بشفاهه مورد الجود من
الأنامل ، وكأثر بغيره عند المثول للتقيل ثغور الأمائل ؛ فكان يشافه بسوقه مورد
كثير الزحام ، وكان يكأثر بعقد قبله على يد الفضل عقوداً جزيلة الانتظام ، وكان
يحاكم جور الضيم إلى من أبى الله لجار مشاهدته أن يضام . وينهى ما وصل إليه
وإلى الأولياء من السرور ، وما رُفِع بينهم وبين الأبتهاج من الشُّرور ، وما طُوع
في أخبار المسرة من السُّطور ؛ بوصول مولانا ومن معه إلى مساكن العزساكين ،
ودخولهم كدخول يوسف عليه السلام ومن معه إلى مصر آمين ؛ وأستقراره

في أشرف مكان ومكانه، واستنصار مصر بأقلامه على العادة فإن هذه سهام وهذه
كأنه؛ وإسفار غمام السفرة عن كوكب علا طاماً حرس يمينه أفق الملك وهده
وزانه؛ وما كانت إلا غيبة أحمد الله عقبها، وغيبة بعد من الله عز وجل وجلاها؛
وفرة ثنى الله فترتها فتنفس خناق المنصب المشتاق لوجهه الكريم، وهجرة صرف الله
هجيرها فسقى طرس الإنشاء الذي أبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم؛ وما محاسن
مولانا إلا زينة من زين الدنيا فعلها يتشاكس المتشاكسون، وما مزاج كلماته إلا
من تسنيم ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

فالحمد لله على أن أقر العيون بمعاودة ظلّه الوريث، وعلى أن شفى الصدور
بقربه وأولها وأولها صدر السر الشريف؛ وعلى أن أجزل الهناء وقد شمل ظلّه،
وقد بكل بابن الفضل فضله؛ وقد بهر سنأوه وسنأه، وقد تسعب القريب والبعيد
فإن أجدى على مصر مورده فقد جادت على الشام سماء . وقد أخذ المملوك حظّه من
هذه البشري، ووالى السجود لله شكراً؛ وجهاز خدمته هذه نائبة عنه في تقبيل بنان
إن سماء مولى الكرم بحرا، فقد سماء مربى الملك برا؛ لازالت الممالك متحفة بين
مولانا طاعناً ومقياً، متصفة بحمده وحمد سلفه الكريم حديثاً وقديماً؛ تالية على مهمات
الملا بصحبة بيته الشريف ﴿ وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في تهنئة بقدوم من سفر :

أدام الله ظلّه، ورفع محله، وشكر إعامه وفضله؛ وأعز أنصاره، وضاعف
أقناده؛ ولا زال مؤيداً في حركاته، مسدداً في سائر فعلاته؛ مصحوباً بالسلامة
في المهامه والفقر، مخصوصاً من الله تعالى بالأعوان والأنصار .

المملوك يُنهي بعد تقبيل الأرض ، والقيام بما يجب من سُنة والفرض ؛ علمه
 بجُلوس ركابه العالی بمغناه ، واستقرارِ خاطرِه الشريف في محله ومثواه ؛ وجمع السَّمَل
 بالأهل بعد طول الغيبة ، وبعْد القُقُول والأَوْبه ؛ فتضاعف لذلك فرحُه وسُروره ،
 وزال عن قلبه قليلُ الهمِّ وكثيره ؛ فالله يمنح المولى أطيَب المنازل ، وأسْرَ الرّواحل ؛
 ويجعلُ تجارةَ مجده راجحة ، وأوامرَ دوامِ عزّه لألحّه ، حتّى تُتشدّ نفسه الكريمة
 قولَ أبي الطيّب :

أنا من جميع الناس أطيَبُ منزلاً * وأسْرَ راحلةً وأزْبَجُ متَجراً!

لا زالت الأعيُنُ قريّةً برؤيته ، وقلوبُ الإخوان قازّةً بمشاهدته ؛ والأوجهُ وسيمةً ،
 والنعم الظاعنة مُقيمه ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهئة بالقدوم من السفر

قال في "موادّ البيان" : أجوبة هذه الرّقاع ينبغي أن تُبنى على الاعتراف للهنيئاً
 بحقّ تعهده ، وكرمِ تفقّده ، وإطلاعه على الحال في السّفَر ، وما أفضت إليه من
 السلامة ، والتأسّف على ما تقضى من الأيام في مُباعدته ، والتخلّف عن مُبايسته ؛
 وأنه لم يزل يدّرع الإدلاج ، ويقطع الفجاج ؛ رغبةً في القُدوم إليه ، والوفادة عليه ؛
 وبلى الغلّة برؤيته ، وترويح النفس بمحاضرته ؛ وما يليق بهذا النمط من الكلام .

الضرب الخامس

(من التهنئة بالشهور والمواسم والأعياد)

وهي على ثمانية أصناف :

الصنف الأول - التهنئة بأول العام وُغرة السنة .

من كلام المتقدمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء أبي مسلم محمد بن بحر :

أسعدَ اللهُ سيدي بِعامِهِ ، والفضلُ منه وما حوى من الأعيادِ والأَيَّامِ الخَطِيرةِ
وسائرِ شهورِهِ وأَيَّامِهِ ، ومتصرِّفِ أحوالِهِ ، وبما يأتى ويكرُّ عليه من زمانِهِ ؛ سعادةً
تُسوقُ إليه حُطُوطَ الدِّينِ والدنيا كَامِلِهِ ، وتُجمَعُ له فوائِدُ الأَمَدِينِ تامَّةً وإِفيهِ ؛
وترتَبِنُ إليه النِّعمُ فلا تَرَأَى لَدَيْهِ زائِدَةً نَامِيهِ ؛ وَبَلَّغَهُ بِهَا الأَمَلَ ، ومدَّ له في البقاءِ
إلى أنفُسِ المَهِلِ .

ولأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ على مَولايَ بركةَ الشهرِ والسنةِ المتجدِّدينِ ، وهَبَ له فيهِما وفيما يتلوهُما
من أَيامِ عُمُرِهِ ، وأزمانِ دَهرِهِ ، سعادةً تُجمَعُ له أَشْجَاتُ الحُطُوطِ ، وتصلُ لَدَيْهِ مَوادُّ
المَزِيدِ ، وتُيسِّرُ له بُلُوغَ الأَمَلِ في كُلِّ ما يُطالِعُ ويُنازِعُ ، والأَمْنِ من كُلِّ ما يُراقِبُ
ويُحاذِرُ .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ على سيدي بركةَ الشهرِ والسنةِ ، وأعاشَهُ لأمثالِها مُدَّةَ أَختلافِ الجَديدِينِ ،
وتَجاورِ الفَرَقَدِينِ ؛ ممتعاً بالنِّعمِ السابِغَةِ ، والمواهِبِ المترادِفَةِ ؛ والسَّعادةِ والغِبطَةِ ،
والعزِّ والمَسرَّةِ .

وله في معناه :

جَدَّدَ اللهُ لِسَيِّدِي فِي الْأَيَّامِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الرَّاهِنَةِ وَالْمُنْتَقِلَةِ ؛
حُظُوظًا مِنَ السَّعَادَاتِ ، وَأَقْسَامًا مِنَ الْخَيْرَاتِ ؛ لَا يُحْصَى عَدْدُهَا ، وَلَا يَنْقَضِي
مَدَدُهَا .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ [عَلِيٌّ مَوْلَايَ] بَرَكَةَ الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ الْمُتَجَدِّدِينَ عَلَيْهِ ، وَعَرَّفَهُ فِيهِمَا
وَفِي الْأَيَّامِ بَعْدَهُمَا مِنْ حَادِثٍ صُنِعَ ، وَلَطِيفٍ كَفَّيْتَهُ ؛ مَا تُدْرِكُهُ فِيهِ السَّعَادَةُ ،
وَتَعْظُمُ بِهِ الْمِنَّةُ ، وَتَحْسُنُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ عَلِيٌّ مَوْلَايَ بَرَكَةَ هَذَا الشَّهْرِ : الْمَاضِي [مِنْ] أَيَّامِهِ وَبَاقِيهَا ، وَهَذِهِ
السَّنَةَ ، وَجَعَلَهَا أَيْمَنَ سَنَةٍ حَالَتْ عَلَيْهِ وَأَسْعَدَهَا .
وَمِنْهُ : وَيُنْهَى أَنْ الْمَمْلُوكَ يَهْنَأَ غُرَّةَ الْأَيَّامِ ، بَغْرَةَ الْأَنَامِ ؛ وَصَدَرَ الْعَامَ ، بِصَدْرِ
الْكَرَامِ ؛ بَلْ يَهْنَأُ الزَّمَنُ كُلَّهُ نَعْمَ وَأَهْلُهُ بِالْحَضْرَةِ الَّتِي وَاسَتْ الْمَعَالِي .

الصفحة الثاني - التهنية بشهر رمضان .

من كلام المتقدمين :

لأبي الحسين بن سعد :

جَمَعَ اللهُ لِمَوْلَايَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ شُرُوطَ آمَالِهِ وَأَحْكَامَ آمَالِيهِ ، فِي حَاضِرِ
أَمْرِهِ وَعَاقِبَتِهِ ، وَعَاجِلِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ؛ وَأَبْقَاهُ لِأَمْنَالِهِ بَقَاءً لَا يَتَنَاهَى أَمَدُهُ ، فِي ظِلِّ
عَيْشِ رِيضَاهُ وَيَحْمَدُهُ .

وله في مثله :

عَرَّفَ اللهُ سَيِّدِي بَرَكَةَ هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ وَأَعَاشَهُ لِأَمثَالِهِ ، مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ ،
وَأَخْتَلَفَ الْعَصْرَانِ ؛ مَمْتَعًا بِسَوَابِغِ النَّعْمِ ، مَحْرُوسًا مِنْ حَوَادِثِ الْغَيْرِ ، وَمُوقِّفًا فِي شَهْرِهِ ،
وَأَزْمَانَ دَهْرِهِ ؛ لِأَزْكَى الْأَعْمَالِ ، وَأَرْضَى الْأَحْوَالِ ؛ وَمَقْبُولًا مِنْهُ مَا يُؤَدِّيهِ مِنْ فَرَضِهِ ،
وَيَتَنَقَّلُ بِهِ قُرْبَةً إِلَى رَبِّهِ .

وله في مثله :

عَرَّفَهُ اللهُ بَرَكَةَ إِهْلَالِهِ ، وَأَبْقَاهُ طَوِيلًا لِأَمثَالِهِ ؛ مَوْقِّفًا فِيهِ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ ،
وَمُرَاعَاةِ الْحَقِّ ، وَتَأْدِيَةِ الْفَرَضِ ؛ وَالتَّنَقُّلِ بِالرِّبِّ ، لِمَا يُرْضِيهِ ، وَيَسْتَحِقُّ جَزِيلَ الْمَثُوبَةِ
عَلَيْهِ ؛ مَمْتَعًا بَعْدَهُ بِسِنِّي الْمَوَاهِبِ ، وَجَسِيمِ الْفَوَائِدِ ؛ مَعَ اتِّصَالِ مُدَّةِ الْعُمُرِ ، وَاجْتِمَاعِ
أُمْنِيَّاتِ الْأَمَلِ .

وله في مثله :

عَرَّفَ اللهُ مَوْلَانَا بَرَكَةَ هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ وَأَيَّامِهِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ؛
وَوَصَلَ لَكَ مَا يَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ ؛ وَتَابَعَ لَكَ الْمَزِيدَ مِنْ مَنَائِحِهِ وَأَنْعَامِهِ ؛ وَخَتَمَ
لَكَ بِالسَّعَادَةِ الْعُظْمَى بَعْدَ الْإِبْتِقَالِ [فِي الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ إِلَى] أَعْدِ الْمُدَى ؛ وَفِي الْعِزِّ
وَالثَّرْوَةِ إِلَى أَقْصَى الْمُنَى .

أبو الفرج البيهقي :

جَعَلَ اللهُ مَا أَظَلَّهُ مِنْ هَذَا الصِّيَامِ مَقْرُونًا بِأَفْضَلِ قَبُولِ ، مُؤَدِّنَا بِإِدْرَاكِ الْبُغْيَةِ وَنُجْحِ
الْمَأْمُولِ ؛ وَوَفَّقَهُ فِيهِ وَفِي سَائِرِ أَيَّامِهِ ، وَمَسْتَأْنِفِ شُهورِهِ وَأَعْوَامِهِ ؛ لِأَشْرَفِ الْأَعْمَالِ
وَأَفْضَلِهَا ، وَأَزْكَى الْأَفْعَالِ وَأَكْمَلِهَا ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنْ رَمْرَفُوعٍ ، وَدَعَاءِ مَسْمُوعٍ ؛
وَسَعَى مُشْكُورٍ ، وَأَمْرٍ مَبْرُورٍ ؛ إِلَى أَنْ يَقْطَعَ فِي أَجْمَلِ غَبِطَةٍ وَأَتَمَّ مَسْرَةٍ أَمثَالَهُ .

وله في مثله :

عَرَّفَكَ اللهُ بركةَ هذا الشهرِ المعظَّمِ قدره ، المشرفِ ذِكْرُه ، ووفَّقَكَ فيه لصالحِ
الأعمالِ ، وزَكَّى الأفعالِ ؛ وقابلَ بالقَبولِ صيامَكَ ، وبتعظيمِ المثوبةِ تهجَّدَكَ وقِيامَكَ ،
ولا أخلاكِ في سائرِ ما يتبعُه من الشُّهورِ ، ويَلِيه من الأزمنةِ والدُّهورِ ؛ من أحرِّ
تذَنُّره ، وأثَرِ تَشْكُرُه .

قلت : ومما كتبتُ به تهنئةً بالصومِ للفقيرِ الأشرفِ الناصريِّ محمدِ بنِ البارزِيِّ
كاتبِ السرِّ الشريفِ المؤيَّديِّ بالممالكِ الإسلاميةِ ، في سنة ستِّ عشرةٍ وثمانمائةٍ نظماً :

أَيَّا كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ وَمَنْ بِهِ * تَمَيَّسُ نَوَاحِي مِصْرَتَيْهَا مَعَ الشَّامِ !
وَمَنْ جَلَّتِ الْجُلِّيُّ كِتَابُ كُتُبِهِ ، * وَمَنْ نَابَ عَنِ وَقْعِ السُّيُوفِ بِأَقْلَامِ !
تَهَنَّأَ بِهَذَا الصَّوْمِ وَالْعِيدِ بَعْدَهُ ، * وَمِنْ بَعْدِهِ بِالْعِيدِ وَالْعَامِ فَالْعَامِ !
وَتَرَفَّى رُقَى الشَّمْسِ فِي أَوْجِ سَعْدِهَا * وَتَبَقَّى بَقَاءَ الدَّهْرِ فِي فَيْضِ إِنْعَامِ !

الصفحة الثالث - ما يصلحُ تهنئةً لكلِّ شهرٍ من سائرِ الشُّهورِ .

لأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ بركةَ إِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْثَالِهِ ، أَطْوَلَ الْمُدَّةِ ، مَتَمَّعًا بِأَدْوَمِ النِّعْمَةِ ، وَمَشْفَعًا (?)
بِأَفْضَلِ الْأَمَلِ وَالْأَمْنِيَّةِ .

وله : أسعد اللهُ سيدي بِإِنْصِرَامِهِ وَإِهْلَالِ مَا بَعْدَهُ ، وَأَبْقَاهُ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مَتَمَّعًا
بِالْعِزِّ وَالنِّعْمَةِ ؛ محروسًا من الآفاتِ المخوفةِ ، والحوادثِ المخدورةِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَيَّ سَيِّدِي بركةَ الْمَاضِيِ وَالْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ [والأعوامِ]
وَالدُّهُورِ ، وَوَصَلَ لَهُ السَّعَادَةَ بِاتِّصَالِهَا ، وَجَدَّدَ لَهُ النِّعْمَةَ بِتَجَدُّدِهَا .

وله : عَظَّمَ اللهُ بَرَكَهَ أَنْسِلَاخِهِ ، وَإِهْلَالَ مَائِلُوهُ ؛ مُجَدِّدًا لَكَ بِتَجَدُّدِهِ فَوَائِدَ الْخَيْرَاتِ ، وَأَقْسَامَ الْبَرَكَاتِ ؛ تَدْوِمَ فِيهَا الْمُدَّةَ ، وَتَطْوِيلَ بِهَا النِّعْمَةَ .

وله : أَسْعَدَكَ اللهُ بِإِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَكَ أَبَدًا لِأَمْتَالِهِ ؛ مِمَّتَعًا بِدَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعْمَةِ ، وَاجْتِمَاعِ أَسْبَابِ الرَّخَاءِ وَشُرُوطِ الْمَحَبَّةِ ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

[وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ وَمَائِلُوهُ ، وَبَلَّغَهُ مَايُجَاوِلُهُ وَيَخُوهُ ؛ فِي مَسْتَأْنِفِ الشُّهُورِ ، وَمُؤْتَفِّ الدُّهُورِ ؛ مُضَاعَفًا لَهُ الْعِزَّ وَالتَّأْيِيدَ ، وَمَوْصُولًا لَهُ أَصْلُ النِّعْمَةِ بِمُحْسِنِ الْمَزِيدِ] ^(١) .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَهَ الشَّهْرِ ، وَأَدَامَ لَهُ سَلَامَةَ الدَّهْرِ ؛ مَوْفُورًا مِنَ الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ ، غَيْرَ مَدْعُورٍ بِنَوَائِبِ الزَّمَانِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، وَالسِّنِّينَ وَالْأَحْقَابَ ؛ وَجَمَعَ لَهُ الْمَوَاهِبَ كَامِلَةً ، وَالْفَوَائِدَ فَاضِلَةً ؛ دِينًا وَدُنْيَا ، وَحَاضِرَةً وَعُقْبَى .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَيْكَ بَرَكَتَهُ ، وَعَرَّفَكَ يَمَنَّهُ وَسَعَادَتَهُ ؛ وَجَدَّدَ لَكَ الْخَيْرَاتِ ، بِتَجَدُّدِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ ؛ حَتَّى تَحُوزَ مِنْهَا أَسْنَى الْحُطُوظِ وَتَبْلُغَ مَا تَمَنَّاهُ أَقْصَى الْغَايَاتِ .

الصفحة الرابع - التهنية بعيد الفطر .

من كلام المتقدمين :

لأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ هَذَا الْعِيدِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْتَالِهِ ؛ مِنَ الْأَعْيَادِ الْمَشْهُودَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ، [فِي] أَهْنًا عَيْشٍ وَأَرْغَدَةً ، وَأَطْوَلَ مَدَى وَأَبْعَدَهُ .

(١) الزيادة في بعض النسخ .

أبو الفرج البغاء :

أسعدك الله بهذا النِطْرِ الجَدِيدِ ، والعِيدِ السَّعِيدِ ؛ وَوَصَلَ أَيَّامَكَ بَعْدَهُ بِأَكْمَلِ
السَّعَادَاتِ ، وَأَجْمَلَ الْبَرَكَاتِ ؛ وَجَعَلَ مَا أَسْلَفْتَهُ مِنَ الدُّعَاءِ مَقْبُولًا مَسْمُوعًا ،
وَمِنَ التَّهَجُّدِ زَايِكًا مَرْفُوعًا ؛ وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ نِعْمَةٍ يَحْرُسُ الشُّكْرُ مُدَّتَهَا ، وَلَا يُخْلِقُ
الدَّهْرُ جِدَّتَهَا .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

المولى أدامَ اللهُ نِعْمَهُ ، وَحَرَسَ شَيْئَهُ ، هُوَ سَيِّدُ الْأَفْضَالِ ، وَرَبُّسُ الْأَمَائِلِ ؛
وَحَسَنَةُ الزَّمَانِ ، وَلَيْثُ الْأَقْرَانِ ؛ وَهُوَ فِي الْأَنَامِ ، كَالْأَعْيَادِ فِي الْأَيَّامِ ، فَإِنَّ الْأَنَامَ لَيْلٌ
وَالْمَوْلَى الْمِصْبَاحُ بِلِ الصَّبَاحِ ، وَسَائِرُ الْأَيَّامِ أَجْسَادُ وَسَائِرُ الْأَعْيَادِ هِيَ الْأَرْوَاحُ ؛ فَإِذَا
كَانَ الْمَوْلَى قَدْ زُهِىَ عَلَى أُنْبَاءِ جِنْسِهِ ، وَيَوْمُ الْعِيدِ عَلَى غَدِهِ وَأَمْسَهُ ؛ فَقَدْ صَارَ كَلٌّ
مِنْكَ إِلَى صَاحِبِهِ يَتَقَرَّبُ ، وَيَلْزَمُ وَيَلْزَبُ ، وَهُوَ أَحَقُّ النَّاسِ بِأَنْ يُبَهِّجَهُ مَقْدَمُهُ ، وَأَنْ
يُهَيِّئَ بِيَوْمِهِ الَّذِي هُوَ جَمْعُ السُّرُورِ وَمَوْسِمِهِ .

وَإِذَا حَادَمَ يَهَيِّئُ الْمَوْلَى هَذَا الْعِيدَ ، وَالْيَوْمَ السَّعِيدَ ؛ فَإِنَّهُ وَافِيَ فِي أَوَانِ الرَّبِيعِ وَزَمَانِهِ ،
لِيُبَاهِيَ بَعْضَ قَدِّهِ أَغْصَانُ بَانِهِ ؛ وَيَسْتَنْشِقُ فِي صَدْرِهِ وَوَرْدِهِ ، رَائِحَةَ رَيْحَانِهِ وَوَرْدِهِ ؛
وَيُخْتَالُ فِي رِيَاضِهِ وَحَدَائِقِهِ ، وَيُلَاحِظُ بِهَيْجَةِ أَزْهَارِهِ وَشَقَائِقِهِ ؛ وَالْعِيدُ وَالرَّبِيعُ ضَيْفَانِ
وَمَكَارِمُ الْمَوْلَى جَدِيدَةٌ بِإِكْرَامِ الضَّيْفِ ، وَالتَّمَتُّعُ بِالْمَلَادِّ فِيهِمَا قَبْلَ رَحِيلِهِمَا وَقُدُومِ حَرِّ
الصَّيْفِ ؛ وَأَنْ يُحَسِّنَ وَجْهَ عِيدِهِ ، بِحُلُولِهِ فِي مَغْنَاهِ وَوُجُودِهِ ؛ بِمَا يُؤَلِّيه لُغْفَاتِهِ مِنْ
إِنْعَامِهِ وَجُودِهِ ؛ لِأَزَالَتِ الْأَعْيَادِ تُهَيِّئُ بِنِقَائِهِ ، وَالسَّنَةُ الْأَيَّامَ تَشْكُرُ سَوَائِغَ نِعَائِهِ ؛
وَتَعْمَدُ جَزِيلَ عَطَائِهِ ، وَتَنْطِقُ بَوْلَانِهِ وَثَنَائِهِ ، أَبَدًا ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قلت : وما كتبتُ به مهثًا للقرّ الأشرف الناصريِّ محمد بن البارزي صاحب
دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية في الدولة المؤيدية «شيخ» بعيد الفطر
نظامًا ، بعد أن سألتُهُ حاجةً قضاها ، وأسنى لي الجائزة على نثرِ كتبتُهُ له .

سَأَلْتُ نِظَامَ الْمَلِكِ كَاتِبَ سِرِّهِ * إِزَالَةَ ضَنْكَ أَرْهَفَ الدَّهْرُ حَدَّهُ !
فَمَنْ بَجَاهِ زَعْرَعِ الْأَرْضِ وَقَعُهُ ، * وَجَادَ بِمَالٍ لَا يُرَى الْفَقْرُ بَعْدَهُ .
وَبِالْبَارِزِيِّ أزدَانَ وَصُفِّ مَكَارِمِ * فَأَشْبَهَ فِي فَضْلِ أَبَاهُ وَجَدَّهُ !
فِيهِنَّاهُ صَوْمٌ ثُمَّ عِيدٌ مَسْرِيَّةٌ * وَطَالَعُ إِقْبَالٍ يُقَارِنُ سَعْدَهُ !
وَرَفَعُ دُعَاءٍ لَا يُغَيَّبُ تَتَابِعًا ، * وَطِيبُ ثَنَاءٍ خَامَرَ الْمِسْكَ نَدَّهُ !

الصفحة الخامس - التهئة بعيد الأضحى .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

كتابي والنحر - نحر الله أعداء مولاى وحساد نعمته ، وأمتعه بمواهبه عنده ،
وبارك له في أعياده ومتجدد أيامه ، بركة تنظم السعادات ، وتضمن الخيرات ،
متصلة غير منقطعه ، وراهنة غير فانية .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

تَهَنَّأَ فَيَأْتِي السُّرُورِ أَوَاهِلُ * وَكُلُّ مَخُوفٍ عَن جَنَابِكَ رَاحِلُ !
وَتَجَمُّكَ مِنْ فَوْقِ الْكَوَاكِبِ طَالِعُ ، * وَنَجْمُ أَمْرِي يُشْنَأُ سُمُوكَ آفِلُ !

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّ جُودُهُ : * فَدَتَكَ الْعَوَالِي وَالْحِيَادُ الصَّوَاهِلُ !
تَمَّتْ بَعِيدَ النَّحْرِ ، وَفَاكَ خَاضِعًا * يُحَقِّقُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ آمِلُ !
وَدُمَّ كَابِتِ الْأَعْدَاءِ وَأَبْقِ مَخْلَدًا * عَلَى الْمَالِ عَا ، بِالرَّعِيَّةِ عَادِلُ !
لَقَدْ رَاقَ مَدْحِي فِي مَعَالِكَ مِثْلَ مَا * صَفَتْ مِنْكَ أَوْصَافُ وَرَقَتْ سَمَائِلُ !

جعلَهُ اللهُ أُبْرَكَ الْأَعْيَادِ وَأَسْعَدَهَا ، وَأَيْمَنَ الْأَيَّامِ وَأَجْمَدَهَا ، وَأَجْمَلَ الْأَوْقَاتِ وَأَلْذَهَا
وَأَرْغَدَهَا ، وَلَا يَبْرَحَ مَسْرُورًا مُسْتَبْشِرًا ، مَنصُورًا عَلَى الْأَعْدَاءِ مُقْتَدِرًا ، مَسْعُودًا مُجُودًا ،
مُعَانًا بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ مَعْضُودًا ، مُهْنًا بِالسُّعُودِ الْجَدِيدَةِ ، وَالْجُدُودِ السَّعِيدَةِ ، وَالْقُوَّةِ
وَالنَّاصِرِ ، وَالْعُمُرِ الطَّوِيلِ الْوَافِرِ :

وَلَا زَالَتْ الْأَعْيَادُ لِيَسْكَ بَعْدَهُ * [فَتَخْلَعُ ^(١)] مَحْرُوقًا وَتُعْطِي مُجَدِّدًا ،
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى * كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا !

وَأَعَادَهُ عَلَى الْمَوْلَى فِي صِحَّةٍ دَائِمَةٍ ، وَسَلَامَةٍ مُلَازِمَةٍ ، وَأَصَارِ عِيدِهِ مُطِيعًا لِأَوَامِرِهِ
كَسَائِرِ الْعِيدِ ، وَعَيْبِدَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَسْرَةِ بِبَقَائِهِ لَهَا كَالْعِيدِ ، وَالْأَيَّامَ بِهِ ضَاحِكَةً
الْمَبَاسِمِ ، وَالْأَعْوَامَ جَمِيلَةَ الْمَوَاسِمِ ، وَمَتَعْنَا بِدَوَامِ حَيَاتِهِ ، وَأَسْتَجْلَاءَ جَمِيلِ صِفَاتِهِ ،
وَأَسْتِحْلَاءَ مَدَائِحِهِ بِأَنْشَادِ عُفَاتِهِ ، وَأَرَاهُ تَحْرَأُ عَادِيهِ ، بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَضَاحِيهِ ، وَأَصَارِ الْحَجِّ
إِلَى بَابِهِ غَافِرًا سَيِّئَاتِ الْإِفْلَاسِ وَالْإِعْدَامِ ، وَمُيَسِّحًا لِيَسَّ الْخَيْطِ مِنْ إِنْعَامِهِ الْعَامِ ،
أَلْبَسَهُ اللهُ مِنَ السَّعَادَةِ أَجْمَلَ حُلَّةً ، وَمَتَّحَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ أَحْسَنَ خَلَّةً .

الصفحة السادسة — التهنية بعيد الغدير من أعياد الشيعة :

وكان لهم به اهتمام في الدولة الفاطمية بالديار المصرية . والطريق في التهنية به
على نحو غيره من الأعياد .

(١) يباض بالأصل والتصحيح من المقام .

ما يصلح تهنئة لكلِّ عيد .

أبو الفرج البغاء :

لولا العادة المشهورة ، والسنة الماثورة ، بالإفاضة في الأدعاء ، والمشاهدة بالتهنئة
والثناء ، في مثل هذا اليوم الشريف قدره ، الرفيع ذكره ؛ لكان أيده الله دون رؤساء
الدهر ، وملوك العصر يجلُّ عن التهنئة : إذ كانت سائر أيامه بما يودعها من أفعال
الخير معظمه ، وبما يبدؤها من المحاسن مكرمه ، فبلغه الله أمثاله محروساً في نفسه
ونعمته ، محفوظاً في سلطانه ودولته ؛ موفياً على أبعده أمانيه ، مدركاً غايتها فيما يؤمله
ويرتجيه .

وله في مثله :

عرفك الله بمن هذا العيد وبركته ، وضاعف لك إقباله وسعادته ؛ وأحيالك لأمثاله
في أسبغ النعم وأكملها ، وأفسح المدد وأطولها ؛ وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز
المنازل وأيقعها ؛ وحرس منحتك من المحذور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور .

الصنف السابع - التهنئة بالنبيروز .

وهو من أجل أعياد الفرس ، على ما تقدم ذكره في الكلام على أعياد الأمم ،
في المقالة الأولى . وكان للكتاب به اهتمام في أوائل الدولة العباسية بالعراق ، جرياً
على ما كان عليه الفرس من قديم الزمان .

وفيه لأبي الحسين بن سعد :

هذا يوم شرفته العجم ، ورعى ذمامه الكرم ؛ وهو من أسلاف سيدي دوي
النباهة ، وأخلافه دوي الطهارة ؛ بين منشيئ رنمه ، ومؤدى حقه ؛ وكاس له بقبول

أنتسأه إليه جمالاً يبقى على الأيام، وحالاً ينفق بها لدى الأنام؛ فليس أحد أحق بالتهنئة [به] من سنه أبؤه، وشيئته آلاؤه؛ فصارت إلى أوليته نسبتته، وبكرم سجيته عصمته .

وفيه له : هذا - أيد الله سيدي - يوم عظمه السلف من العجم، وسيدي وارث سنة الكرم؛ وللإسادة على العبيد في هذا اليوم رسم في الإلطف، وعليها لهم حق في القبول والإسعاف؛ وقد بعثت بما حضر جارياً على سنة الخدمه، وعادلاً عن طريق الحشمه؛ ومقتصرًا على ما أئسعت له الحال، وما يوجبه قدر سيدي من المبالغة في الاحتفال، فإن رأى أن يشرف عبده بالأحتمال إليه، وإجرائه مجرى الأئس عنده، فعل، إن شاء الله تعالى .

وفيه للكرجي :

هذا يوم تسموله العجم، ويستعجم^(١) في العرب؛ تشریفًا له وأعترافًا بفضلته، وأقدياءً بأهله؛ وأخذًا بسنتهم فيه، فليهن لإحراز الدولة في العز^(٢) [منزلا] بحيث لا يرام، ولا يضام؛ ولا ترقى إليه الأمانى، ولا يطمع في مساواته المساوى؛ ولأنهم بعد تصرم الدولة على حميد آثارها، وجميل الذكر فيها؛ أعلام تُضرب بهم الأمثال، وتزهو بأيامهم الأيام؛ وآثارهم تُقضى، وأعيادهم تُنتظر؛ يتأهب لها قبل الأوان، ويعرف فيها أثر الزمان؛ وإنك منهم في الدروة الساميه، والرئبة العاليه؛ ومجلى لا عار معه على حرة في الخشوع لك، والتعلق بحملك. وقد وجدت الأتباع عند ساداتها في مثل هذا اليوم على عادة في الإلطف جسمتها، وسيرت بها على أقوام منحتم ظهور الدعوى فيها، فأقبل قائلهم يقول : « لو كان باب الإهداء مفتوحًا غير مسدود،

(١) مراده أن العرب آتبت العجم في تعظيمه تأمل . (٢) قد بلغ التحريف من هذا مبلغه

حتى لا يكاد يفهم والمراد أن دولة الفرس أحرزت من العز منزلا بحيث الخ تأمل .

وَمُبَاحًا غَيْرَ مُنْعَوٍ ؛ لِأَتَّخَفْتُ بِالْغُرَابِ الْأَعْمَمِ ، وَالْكِبْرِيَّتِ الْأَحْمَرِ ، وَالْأَبْلَقِ الْعُقُوقِ ،
وَبَيْضِ الْأَنْوَقِ . وَقَدْ بَعَثْتُ بَهْدِيَّةً لَا تُرَدُّ (يعنى الدعاء) .

وفيه : من كان محلّك من العزّ ، ونباهة الذّكر ، وارتفاع الدرّج ، وعلو المنزلة ؛
وسعة البلد ، وبعْد الأمد ؛ لم يتقرّب متحلّ بالعلم والأدب إليه في يومٍ جديدٍ
إلا بصالح الدعاء ، وحسن الثناء .

وفيه : لو آخَرْنَا هَذَا أَنْتَظَارًا لَوْجُودِ مَا تَسْتَحِقُّهُ ، لِأَنْقَضَتْ أَيَّامُنَا ، بِلِ أَعْمَارُنَا ،
قَبْلَ أَنْ نَقْضِيَ لَكَ حَقًّا ، أَوْ نُؤَدِّيَ عَنْ أَنْفُسِنَا فَرَضًا : لِأَرْتَفَاعِ قَدْرِكَ عَمَّا تَحْوِيهِ
أَيْدِينَا ، وَعُلُوِّ حَالِكِ عَمَّا تَبْلُغُهُ آمَالُنَا ؛ وَقَدْ أَقْنَدَيْتُ بَسْنَةَ الْخَدَمِ وَالْأَوْلِيَاءِ فِي الْأَعْيَادِ ،
وَأَوْصَحْتُ الْعُدْرَ فِي تَرْكِ الْأَجْتِهَادِ ؛ وَبَعَثْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، الَّذِي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَهُ
عَلَيْكَ أَلْفَ عَامٍ ، فِي نَمَاءٍ مِنَ الْعِزِّ ، وَعُلُوِّ مِنَ الْقَدْرِ ، وَتَمَامٍ مِنَ السُّرُورِ ، وَمَزِيدٍ
مِنَ النَّعْمَةِ

الصفحة الثامن - التهنية بالمهرجانات .

وهو أحد أعياد الفرس ، على ما تقدّم ذكره في المقالة الأولى ، في الكلام على أعياد
الأمم . وكان للكُتّاب من الاحتفال بالتهنية به في أوائل الدولة العبّاسية ما لهم بالنيروز .

فيه - لأبي الحسين بن سعد :

لَسَيِّدِي عَلِيٌّ فِي الْأَعْيَادِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ؛ عَادَةً أَخْتَرْتَنِي عَنْ بَعْضِهَا
فِي هَذَا الْفَصْلِ ، كَلَّالُ الطَّبْعِ عَنِ الْبَعْضِ ؛ وَوُقُوعُ الْخَطَرِ (٤) بَعْضُهُ مِنَ الثَّنَاءِ نَظْمًا
وَتَثْرًا ، وَمِنَ الْإِهْدَاءِ عَرْضًا وَبِرًا ؛ دَعَاءٌ تَزِيدُ قِيَمَتَهُ عَلَى الْأَعْلَاقِ الثَّمِينَةِ ، وَمَوْقِعُهُ عَلَى
الذِّخَائِرِ النَّفِيسَةِ ، وَطُفُّهُ عَلَى التُّخَفِ الْبَدِيعَةِ ؛ فَاسْعَدَ اللَّهُ سَيِّدِي بِهَذَا الْيَوْمِ سَعَادَةً
تَقِيمُ ، وَلَا تَرِيمُ ؛ وَتَزِيدُ ، وَلَا تَيْبِدُ ؛ وَتَتَوَطَّنُ ، وَلَا تَتَّظَنُّ ؛ وَتَجْمَعُ حَطُوظًا مِنْ

الخيرات، وفوائد من البركات؛ يتصلُّ سندها، ولا ينتهي أمدها؛ وأبقاه في أسبغ عن
وأرفع رتبة وأرغد عيشة، مكنوفاً بحراسة تقيه [وآله] عوادي الزمان، وتصرف
عنهما طوارق الحدثنان؛ ما طرد الليل النهار، وطلع نجم وغار؛ وعلى ذلك - أيد الله
سيدي - فإنَّ الحرص على إقامة الرسم والتطير من إضاعة الحق بعثاني على مراجعة
القرينه، وأستكداد الرويه؛ فأسعفا بما قبلته الضرورة؛ ولم أطلع في إهدائه سلطان
الحشمه؛ وفضل سيدي يتسع لقبول الميسور، وتحسين القبيح؛ والله المعين على
تأدية حقه، والقيام بواجب فرضه .

وله فيه أيضاً، إلى من منع أن تُهدى إليه فيه هدية .

لو كنت فتحت باب الإلطف، ونهجت إليه سيلاً؛ لتنازع أولياؤك قصب
السبق وتنافسوا في السرف؛ فبان للجهت فضله، وأتمس العذر في التقصير ملتئمسه؛
وعمت المنحة كآقتهم بما يظهر من موافعهم، وينكشف من أحوالهم؛ لكنك
حظرت ذلك حظراً استوى فيه الفريقان في الحكم، وأمتد فيه على ذوى الخلل
الستر؛ ولم تحظر الدعاء، إذ حظرت الإهداء؛ فأنا أهديه ضرورة وأختياراً،
وإعلاناً وإسراراً؛ فأسعدك الله بهذا العيد الجديد، الذي زاد بك في قدره، وشرفه
بأن جعلك من أربابه وولاية أمره .

أبو الفرج البغاء :

هذا اليوم من غرر الدهور المشهوره، وفضائل الأزمنة المذكوره؛ معظم
في العهد الكسروي، مستظرف في العصر العربي؛ باعث على عمارة المودات،
مخصوص بالإنبساط في الملاطفات، ولست أستريده - أيده الله - من بريولي،
ولا تطول إلى يسديه؛ غير إدخال في جملة من بسطته الأنسه، وتقفته المحبه؛

وتَقَرَّبْتُ مِنْهُ بِوَكَيْدِ الْحِدْمَةِ ، فِي قَبُولِ مَا إِنْ شَرَّفَ بِقُبُولِهِ ، كَانَ كَثِيرًا مَعَ قَلْتِهِ ، جَلِيلًا مَعَ نَزَارَتِهِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَقْوَى مِنْهُ تَقَيُّي ، وَيُقَابِلُ بِقَبُولِ مَا أَنْفَذْتَهُ رَغْبَتِي ، فَعَل ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

قَدْ أَطَعْتُ فِي الْإِنْسِاطِ إِلَيْكَ دَوَاعِيَ النَّفْسِ ، وَسَلَكْتُ فِي التَّحَرُّمِ بِكَ سُبُلِ الْأَنْسَةِ ، وَتَوَصَّلْتُ بِمَلَاطِفَتِكَ إِلَى حَسَمِ مَوَادِّ الْحِشْمَةِ ؛ فَاسْتَشْهَدْتُ عَلَى تَقَيُّي بِكَ فِيمَا أَنْفَذْتَهُ بِمُفَارَقَةِ الْحَقْلَةِ ، وَكَلَّفَ الْمُكَاتِرَةَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكَلِّمَنِي فِي تَقَبُّلِهِ إِلَى سَعَةِ أَخْلَاقِكَ ، وَتَسَلَّكَ فِي ذَلِكَ أَخْصَرَ طَرِيقِي إِلَى مَا أَخْطَبُهُ مِنْ مَوَدَّتِكَ ، وَأَزَاحِمُ عَلَيْهِ فِي إِخَائِكَ ؛ فَعَلْتُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

هَذَا الْيَوْمَ - أَيْدِ اللَّهِ سِيدِي - مِنْ أعيَادِ المُرْوَةِ ، وَمَوَاسِمِ الفُتُوَّةِ ، وَأوطَانِ السَّرُورِ ، وَمَحَاسِنِ الأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ ؛ بَلَّغَهُ [اللَّهُ] أمثالهُ فِي أَنْضَرِ عَيْشٍ وَأَسْبَغِ سَلَامِهِ ؛ وَأَبْسَطِ قُدْرِهِ ، وَأَكْمَلِ مَسَرَّهُ ؛ وَقَدْ تَوَثَّبْتُ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ فِيهِ بِأَدْبِهِ ، وَالْاِخْتِذِ بِمَعْرِفَةِ فُرُوضِهِ بِمَدْهَبِهِ ؛ وَأَطَعْتُ فِي الْاِنْسِاطِ إِلَيْهِ دَوَاعِيَ الثَّقَّةِ ، وَأَنْفَذْتُ مَا اعْتَمَدْتُ فِي قَبُولِهِ عَلَى مَكَانِي مِنْهُ ، عَانِدًا بِالتَّقْلِيلِ مِنْ كَلْفِ الْمُكَاتِرَةِ ، وَمَسْتَتِقِلِ الكَلْفِهِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَأْتِي فِيمَا آتَمَسْتَهُ مَا يُنَاسِبُ شَرَفَ طَبْعِهِ ، وَسَعَةَ أَخْلَاقِهِ ؛ فَعَل ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتِ المُلَاطَفَاتُ بِحَسَبِ الرُّتَبِ وَقَدْرِ المَنَازِلِ ، لَمَا آبَسَتْ قُدْرَةٌ وَلَا آتَسَعَ إِمْكَانٌ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ نَبِلُ مَحَلِّهِ ؛ وَوَجِبَاتُ رِيَاسَتِهِ ؛ وَلَكُنْتُ مِنْ بَيْنِ خَدَمِهِ ضَعِيفِ المُنَّةِ عَنْ خِدْمَتِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ ؛ بَلَّغَهُ اللَّهُ أمثالهُ فِي أَفْسَحِ أَجَلٍ ، وَأَنْجَحِ أَمَلٍ ،

بما يخدمه به ذَوُّ الخِدْمَاتِ الوَكِيدَةِ عنده، المَكِينَةِ لَدَيْهِ ؛ غيرَ أَنِّي أُثِقُ منه -أيده الله-
بجملٍ قَلِيلٍ على عِلْمِهِ بإخْلَاصِي فِي وِلَايَتِهِ ، وَأَنْتَسَابِي إِلَى جُمْلَتِهِ ، وَأَخْتِلَاطِي بِأَنْسَابِهِ ؛
فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ يُجِرِّيَنِي فِي قَبُولِ ذَلِكَ عَلَى سُنَّةِ أَمْثَالِهِ مِنْ ذَوِي الْجَلَالَةِ ، عِنْدَ أَمْثَالِي
مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْحَاشِيَةِ ، فَعَل .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتِ الْهَدَايَا لَا تُسْتَقْبَلُ مَا لَمْ تُنَاسِبْ فِي نَفَاسَةِ الْقَدْرِ ، وَجَلَالَةِ الذِّكْرِ ، مَحَلٍّ مِنْ
يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ ، وَمَنْزِلَةٍ مِنْ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ ، لَمَا سَمَتِ هِمَّةٌ ، وَلَا آسَعَتْ قُدْرَةٌ ،
لَمَا يَسْتَحِقُّهُ -أيده الله- . بِأَيْسَرِ وَاجِبَاتِهِ ، وَأَصْغَرِ مَقْتَرَضَاتِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَنْسَابَةَ
بِتَفَضُّلِهِ ، وَالْإِعْتِدَادَ بِسَالِفِ تَطَوُّلِهِ ؛ وَالتَّحَقُّقَ بِخِدْمَتِهِ ، وَالْإِنْتِسَابَ إِلَى جُمْلَتِهِ ؛
بَسَطْنِي إِلَى إِنْفَازِ مَا إِنْ شَرَفْنِي بِقَبُولِهِ كَانَ مَعَ قَلَّتِهِ كَثِيرًا ، وَمَعَ نَزَارَتِهِ جَلِيلًا ؛ فَإِنْ
رَأَيْتُ أَنْ يَقْوَى بِذَلِكَ مِنْهُ نِقْتِي ، وَيَحْسِمَ مَادَّةَ أَحْتِشَامِي ، فَعَل .

أجوبة التهنئة بالمواسم والأعياد

قال في "مواد البيان" : هذه الكتبُ والرِّقَاعُ مضمونها الهناءُ بالموسمِ الجدیدِ ،
والدعاءُ للمهنأِ فيه بجمليهِ . قال : وهذا المعنى مُقَاوِضٌ بَيْنَ الْمَهْنِيِّ وَالْمَهْنِيِّ ، وَيَنْبَغِي أَنْ
تَكُونَ أَجْوِبَتُهَا مُشْتَقَّةً مِنْهَا . ثم قال : وقد يتصرفُ الكُتَّابُ فِيهَا إِذَا كَاتَبُوا الرُّؤْسَاءَ
تصرفًا يخرج عن هذا الحكم .

وهذه أمثلة من ذلك :

أبو الفرج البغفاء :

سَمِعَ اللهُ دُعَاكَ ، وَبَدَأَ فِي تَقْبُلِ الْمَسْأَلَةِ بِكَ ؛ وَأَجْزَلَ مِنْ أَقْسَامِهِ حَظُّكَ ؛ وَبَلَغَكَ
أَمْثَالَهُ فِي أَوْسَعِ مُدَدِ الْبَقَاءِ ، وَزَادَ فِيهَا خَوْلَكَ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالنِّعْمَاءِ ؛ وَلَا أَخْلَانِي
مِنْ بَرِّكَ ، وَأَنْهَضْنِي بِوَأَجِبَاتِكَ .

وله في مثله :

كُلُّ يَوْمٍ أَسْعَدُ فِيهِ بِمَشَاهِدَتِكَ ، وَأَقْطَعُهُ فِي ظِلِّ مَوْدَتِكَ ، حَقِيقٌ بِالْإِحْمَادِ ، مُوفٍ
عَلَى مَحَاسِنِ الْأَعْيَادِ ؛ فَسَمِعَ اللَّهُ دُعَاكَ ، وَأَطَالَ مَا شِئْتَ الْبَقَاءَ بَقَاكَ ؛ وَجَعَلَ سَائِرَ
أَيَّامِكَ مَقْرُونَةً بِالسَّعَادَاتِ ، مَوْصُولَةً بِتَنَاصُرِ الْبَرَكَاتِ .

من زهر الربيع :

يَخْدُمُ الْمَجْلِسَ الْعَالِيَّ جَعَلَ اللَّهُ قَدْرَهُ عَلَى الْأَقْدَارِ سَامِيًا ، وَجَزِيلَ نَوَالِهِ عَلَى مَنْ
هَامَ بِهِ مِنَ الْعَفَاةِ هَامِيًا ؛ وَنَصْرَهُ نَصْرًا عَزِيزًا ، وَأَسْكَنَهُ مِنْ حِرَاسَتِهِ حِصْنًا حَصِينًا
وَمِرْزَا حَرِيْزًا ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ حَالِيَةَ الْحِيدِ بِوُجُودِهِ ، وَالْأَيْدِي تَهَشُّ إِلَى تَنَاوُلِ
أَيْدِيهِ وَجُودِهِ ؛ وَأَخْبَارُ الْمَكَارِمِ عَنْهُ مَرْوِيَّةٌ وَإِلَيْهِ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَآيَاتُ فَضْلِهِ وَفَضَائِلُهُ
بِكُلِّ لِسَانٍ مَثْنُوَةٌ .

وَيُنْهَى إِلَى عِلْمِهِ وَرُودَ مَشْرِفَتِهِ الَّتِي حَلَّتِ الْأَسْمَاعَ عِنْدَ مَاحِلَّتِ ، وَسَمَّتْ عَنْ
الرِّيَاضِ لَمَّا جُلِّيَتْ عَرُوسُ فَضْلِهَا وَجَلَّتْ ؛ وَزَهَتْ عَلَى زُهُورِهَا ، بِرَقْمِ سُطُورِهَا ؛
وَطِيبَ عَرْفَهَا وَنَشْرَهَا ، بِمَا فَاحَ مِنْ طَيِّبِهَا عِنْدَ نَشْرِهَا ؛ وَفَائِقَ حُسْنِهَا وَبَهْجَتِهَا ، بِرَائِقِ
بِرَاعَةِ عِبَارَتِهَا ؛ وَمَعَامِلَتِهَا بِمَا يَجِبُ مِنْ فُرُوضِ إِكْرَامِهَا وَالسَّنَنِ ، وَالْمَشْيِ فِي تَجْمِيلِهَا
عَلَى الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ مِنْ مُوَالَاتِهِ وَالسَّنَنِ ، وَعِلْمِهِ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْهِنَاءِ بِالْعِيدِ ،
وَالْيَوْمِ السَّعِيدِ ، وَقَدْ تَحَقَّقَ بِذَلِكَ إِحْسَانَهُ الَّذِي مَا بَرِحَ مَتَحَقِّقًا بِجَمِيلِهِ وَجَزِيلِهِ ،
وَشَاكِرًا لِكَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ ؛ وَحَصَلَتْ لَهُ الْبُشْرَى ، وَالْمَسْرَةُ الْكُبْرَى ؛ لَيْسَ لِلْعِيدِ بِمُفْرَدِهِ ،
وَلَا لِهَذَا الْهِنَاءِ بِمَجْرَدِهِ ؛ بَلْ لِبِقَاءِ الْمَوْلَى وَدَوَامِ سَعَادَتِهِ ، وَتَخْلِيدِ سَيَادَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ
إِنْسَانٍ عَيْنٌ وَلِكُلِّ عَيْنٍ إِنْسَانٌ ، وَهُوَ رُوحٌ وَالْأَيَّامُ وَالْأَنْفَامُ جُثْمَانٌ ؛ فَالْمَلُوكُ بِبِقَائِهِ كَلٌّ

يَوْمٍ يَتَجَدَّدُ لَهُ عَيْدٌ جَدِيدٌ ، وَيتَضَاعَفُ لَهُ جَدُّ سَعِيدٍ ؛ حَرَسَ اللهُ شُرْفَهُ الرَّفِيعَ مِنَ الْأَذَى ، وَأَرَاهُ فِي عَيْنِ أَعَادِيهِ جِدْعًا نَاتِنًا وَسَلَّمٌ لِحَظَّةِ الْمَحْرُوسِ مِنَ الْقَذَى ؛ وَأَصَارَ أَيَّامَهُ كُلَّهَا أَيَّامَ هِنَاءٍ ، وَبِدَايَةَ سَعَادَتِهِ بِغَيْرِ حُدٍّ وَاتِّهَاءٍ .

الضرب السادس

(التهنئة بالزواج والتسرى)

من كلام المتقدمين :

أبو الفرج البيهقي :

وَصَلَ اللهُ هَذَا الْإِتِّصَالَ السَّعِيدَ ، وَالْعَقْدَ الْحَمِيدَ ؛ بِأَحْمَدِ الْعَوَاقِبِ ، وَأَجْمَلِ الْمَنَحِ وَالْمَوَاهِبِ ؛ وَجَعَلَ شَمْلَ مَسْرَّتِكَ بِهِ مَلْتُمًا ، وَسَبَبَ أَنْسِكَ بِإِقْبَالِهِ مَتَّظًا ؛ وَعَرَّفَكَ بِهِ تَعَجَّلَ الْبَرَكَاتِ ، وَتَنَاضَرَ الْخَيْرَاتِ ؛ وَلَا أَخْلَاكَ فِيهِ مِنَ التَّهَانِي بِجُبَاءِ الْأَوْلَادِ ، وَكَبَّتْ بِكَثْرَةِ عَدَدِكَ سَائِرَ الْحُسَادِ ؛ وَهَنَانِي النِّعْمَةَ الْجَلِيلَةَ بِإِخَائِكَ ، وَعَضَّدَنِي وَسَائِرَ إِخْوَانِكَ بِبِقَائِكَ .

وله في مثله :

قَرَنَ اللهُ بِالْخَيْرَةِ مَا عَقَدْتَ ، وَبِالسَّعَادَةِ مَا جَدَّدْتَ ، وَبِجَمِيلِ الْعَاقِبَةِ مَا أَفْدَتَ ، وَعَزَّفَكَ بَرَكَاتِ هَذَا الْإِتِّصَالِ ، وَلَا أَخْلَاكَ فِيهِ مِنْ مَوَادِّ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ ؛ وَعَضَّدَكَ بِالْبَرَّةِ مِنْ عَقَبِكَ ، وَالسَّادَةِ مِنْ دُرِّيَّتِكَ .

وله في مثله :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مَلْتَحِفًا بِلُحْفِ مَوَدَّتِكَ ، وَمَتَمِّسًا بِعَصَمِ أُخُوَّتِكَ ؛ أَوْلَى بِالتَّهْنِئَةِ بِمَا يَحْدُثُ لَكَ مِنْ وُرُودِ نِعْمَةٍ ، وَأَتِّصَالِ مَوْهَبَةٍ ؛ فَإِنِّي مَا أُجِدُّ فَرَضَ الدِّعَاءِ لَكَ

ساقطاً ، ولا واجبَ الشكر لله تعالى على ما أولاني فيك زائلاً ؛ فعرفك الله بركة هذا
الاتصال الحميد ، والاتقان السعيد ؛ وجعله للسُرور مكثرًا ، وباليمن مبشراً ؛ وأحياك
للتهاني بمثله في السادة من ولدك ، والتُّجباء من ذريَّتِكَ .

وله في مثله :

وصل الله هذا الاتِّصال الميمون بأرَّحج البركات وأفضَلِها ، وأنجح الطَّلِبات
وأكملها ؛ وأحمد بدأه وعُقباه ، وبلغك الآمال في سائر ما تهواه ؛ وأحياك للتهاني
بأمثاله في البررة من ولدك ، والتُّجباء من عقبك .

من كلام المتأخرين :

للشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جعل الله الخيرة له فيما يذرُه ويأتيه ؛ والنجاح مقرونًا بما يعيده من الأوامر ويُنْديه ،
والألْسنة شاكراً ما يؤليه من الإنعام ويُسْديه . صدرت هذه الخدمة معربةً عن
ثناء تارَّج عرْفُه ، وولاءٍ أعجز الألسنة شرحه ووصفه ؛ وتهنئة بهذه الوصلة المباركة
جعلها الله للاتِّصال بالسعادة سبباً ، ومحصلةً من الخيرات مرَّاماً وإفراً وأرباباً ؛
وعرْفُه بركة هذا العرس الذي أصبح الخيرُ بفنائِه مُعرَّساً ، ونورُ الشمس من ضياء
بهجته مقتبساً ؛ فنحمدُ الله على هذه الوصلة سراً وجَهراً ، ونشكرُه أن جعلَ بينه
وبين السعد نسباً وصهراً ؛ منحَ الله المولى الرِّفاءَ والبينَ ، والعمر الذي يُفني الأيامَ
والسنين ، ورزقه إسعافاً دائماً وإسعاداً ، وأراه أولاداً أولاده آباءً بل أجداداً ؛
إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهئة بالزواج والتسرى

قال في "مواد البيان" : أجوبه هذه الرقاع يجب أن تكون شكرا للهني على العناية والأهتمام، و[مشملة على] الإبانة عن موقع دعائه من التبرك واليتمن به ، إلا أن تكون البدايه بمعنى يخرج عما هذا جوابه ، فينبغي أن يُجاب عنه بما يقتضى الإجابة عن ذلك .

الضرب السابع

(من التهانى التهئة بالأولاد، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول - التهئة بالبنين .

مما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

إنه ليس من نعم الله وقرائد قسمه وإن حُسن موقعها، ولطف محلها؛ نعمه تعدل النعمة في الولد، لأنها في العدد، وزيادتها في قوة العُضد؛ وما يتعجل من عظيم بهجتها، ويرجى من باقى ذكرها في الخلوف والأعقاب، ولا حق بركتها في الدعاء والاستغفار .

ومنه : إنه ليس من النعم نسيه النعمة في الولد، لزيادتها في قوة العُضد، وحسن موقعها في الخلف والعقب؛ واتصل بي خبر مولود فسرتني ماوصل الله به من العارفة إليك، وشركتك في جميل الموهبة فيه شركة من له مالك وعليه ماعليك؛ وسألت الله أن يؤزعاك شكر النعمة ويؤنس بهذا المولود ربك، ويكثر به عددك؛ ويعظم بركته ويمن طاره عليك، ويزيد به في النعمة كذلك، ويفعل الله ذلك، بمنه وطوله .

وفيه لابي الحسين بن سعد إلى أبي مسلم بن بحر يهنئه بآب حديث له :
 فأما ماجتد الله من النعمة في القادم والموهوب لك ولدا وأنسا، ولنا سندنا
 ودنحرا، فقد جل قدر هذه الموهبة عن أن يحاط لها بوصف، أو يوفى لها بشكر.
 وفيه لعل بن خلف :

ويهي أنه اتصل بالملوك بزوغ نجم سعد في مشارق إقباله، مؤذن بالساق سموه
 وجلاله؛ فأحدث من الجلال والاستبشار بمقدمه، والتبرك والتمن بقدمه؛
 ماتلألت على الملوك أنواره، وحسنت عنده آثاره؛ وسألت الله تعالى راغباً إليه
 في أن يعرفه سعادة مولده، وبين موفده؛ ويجعله شادا لعضده، وموريا لزندة؛
 ويشفعه والسادة السابقين، بجباء متلاحقين؛ يتبجحون في نطاق سعادتة، ويتوسمون
 في آفاق سيادته؛ ويصون سلكتهم من الانفصام، وشملهم من الانهدام؛ ويقيمهم
 غررا في وجوه الأيام، وأقارا في صفحات الظلام؛ بمنه وفضله، إن شاء الله تعالى.

وفيه له : ويهي أن الملوك يسكر الله تعالى على ما أنزله عند مولانا من عوارفه،
 وأختصه به من لطائفه؛ شكر من شاركه في النعمة المسبغة عليه، وأتهى إلى خبر
 السند المتجدد لمولانا، فطار الملوك بخوافي السرور ومقادمه، وأخذ من الإبتهاج بأوفى
 قسمة؛ وسأل الله تعالى أن يبارك له في عطيته، ويردده زيادته؛ ويوفر عدده،
 ويشد بصالح الولد عضده؛ ويجنيه من هذا القادم ثمار المسرة، ويرى عينه منه
 أقر قرة؛ ويشفع المنحة في موهبته بإطالة مدته.

وفيه : ويهي أن أفضل النعم موقعا، وأشرفها خطرا وموضعا؛ نعمة الله تعالى
 في الولد؛ لزيادتها في العدد وقوة العضد؛ وما يتعجل من عظم جماله وزيتها،
 ويرجى من حسن ماها وعاقبتها؛ في حفظ النسب والأصل، وحسن الخلافة على

الأهل ؛ وجميل الذكر والشَّاء، ومتقبَّل الاستِغْفارِ والدُّعاء ؛ وقد اتَّصل بالملوك بزُوغِ هلالِ سماءِ المجدِّ ، ومتعلِّق الإقبالِ والسَّغد ؛ فأشرقَت الأيامُ بإشراقه ، ووثقتِ الآمالُ باجتلائه وأتساقه ؛ فقام المملوكُ عن مولانا بِشكرِ هذه النعمة المتجدِّده ، والموهبة الراهنة الخالده ؛ وهنأتُ نفسِي بها ، وأخذتُ بحظِّي منها ؛ والله تعالى يعرفه مِن المولودِ من أطهرِ الودَّة وأطيبِ والدٍ ؛ ويعمرُّ به منزله ، ويؤنس ببقائه رحله ؛ ويبلِّغ محبِّيه ، من الآمالِ فيه ، ما بلِّغهم في الماجدِ أبيه ؛ إن شاء الله تعالى .

وفيه : وينهى أن نِعَمَ الله تعالى وإن كانت على مولانا متظاهره ، ولديه متناصره ؛ فقد كان المملوكُ يرغبُ إلى الله تعالى في أن يُجملَ الأيامَ من نسله ، بمن يحفظُ عليها شرفَ أصله ، ويحلفه بعد العُمُر الطويلِ في نُبله وكرمِ فعله ؛ ولما اتَّصل بالملوكُ نبأ هذا الهلالِ البازغِ في سمائه ، المُقرِّعين أوليائه ، المحبِّين لظنونِ أعدائه ؛ حمدتُ الله تعالى على موهبته ، وسألته إقرارِ نعمته ؛ وأن يُعرفَ مولانا بركةَ قدمه ، ويُمنَ مقدِّمه ؛ ويوفِّرَ حظَّه من زيادته ، وسعادةِ وفادته ، وأن يجعله براً تقياً ، مباركاً رَضياً ؛ ويُفسِّحَ في أجله ، ويبلِّغه فيه أمله ؛ إن شاء الله تعالى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

هُنَّتْ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ * وَنَقَّاذِ أُمِّ فِي الْعِدَا بِنَقَادِ!
وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مَهْنَأً * وَوَقِيَتْ شَرَّ شِمَاتَةِ الْحُسَادِ!
يَا مَالِكِ الرَّقِّ الَّذِي أَضْحَى لَنَا * مِنْ جُودِهِ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَجْيَادِ!
خُلِدَتْ فِي عَيْشِ هَنِيٍّ أَحْضَرِ * يَسْطُو بِبَيْضِ طُبَّا وَسُمْرِ صَعَادِ،
حَتَّى يَخَاطِبَكَ الزَّمَانُ مَبْشَرًا : * مَتَّعَتْ بِالْإِخْوَانِ وَالْأَوْلَادِ!

جَدَّدَ اللهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ مَسْرَّةً وَبُشْرَى ، وَأَطَابَ لِعُرْفِهِ عَرَفًا وَتَشْرَابًا ، وَشَدَّ لَهُ بَوْلَهُ السَّعِيدِ الطَّلَعَةِ أَزْرًا وَأَسْرًا ، وَسَرَّى بِهِ الِهْمُومَ عَنِ الْقُلُوبِ وَأَصَارَهَا لَدَيْهِ أُسْرَى ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ إِلَى سَمَاءِ الْمَعَالَى لِيُقَالَ : سُبْحَانَ الَّذِي بَعَدَهُ أُسْرَى .

المملوك يُخْدَمُ الْمَوْلَى وَيَهْنِيهِ وَيُشْكِرُهُ ، وَيُطْلِعُهُ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ لِلْسَّبَبِ الَّذِي يُنْبِيهِ وَيَذْكُرُهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِهِ قُدُومَ الْمَسَافِرِ بِلِإِسْفَارِ الْبَدْرِ ، وَظَهُورِ مُيُونِ الْعُرَّةِ الَّذِي جَاءَ لِأَهْلِهِ بِأَمَانٍ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ ، وَهُوَ الْوَلَدُ الْعَزِيزُ الْمَوْفِقُ النَّجِيبُ ، فَلَانَ ، أَبْقَاهُ اللهُ تَعَالَى لِيَحْيَا مَشْكُورًا مُجُودًا ، مَنْصُورًا بِسَيْفِ مَجْدِهِ وَسِنَانِ سَعْدِهِ مَسْعُودًا ، وَأَدَامَ عِزَّهُ وَعُلَاهُ ، وَأَعْلَى نَجْمَهُ وَخَلَّدَ شَرَفَهُ وَبَهَاءَهُ ، وَضَاعَفَ سَنَاءَهُ وَسَنَاهُ ، وَأَرَانَا مِنْهُ مَا أَرَانَا مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَبِيهِ ، فَسُرُّوْا بِتَبَاجِ هَذِهِ النِّعْمَةِ غَايَةَ السُّرُورِ وَالْإِبْتِهَاجِ ، وَأَتَضَّحُّ لَكُمْ فِي شُكْرِ إِحْسَانِ الْمَوْلَى وَحُسْنِ وِلْدِهِ كُلِّ طَرِيقٍ وَمِنْهَاجٍ ، وَسَأَلَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُطَوَّلَ لَهُ عُمْرًا ، وَيَجْعَلَ لَهُ إِسْعَادَ الْوَالِدِ وَإِسْعَافَهُ ذُنُجْرًا ، لِيَرْتَعَا فِي رِيَاضِ الدَّعَةِ فِي صِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ ، وَيَجْعَلَ فِي فَنَاءِ الْعُلَا لَهَا دَارَ إِقَامَةٍ ، وَيُلْغَا مِنْ السَّعَادَةِ دَرَجَةً لَا تَرِيمُ عَالِيَةً وَلَا تُرَامُ ، وَتَخْضَعُ لَهَا اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَيُرْشِقَاهُمَا بِسِهَامِ الصُّرُوفِ وَيَطْعَنَاهُمَا بِأَسْتِنَتِهَا ، وَيَقْضِيَا دَعَاءَ الْأَيَّامِ لَهَا مِنْ صُدُورِهَا وَيَسْمَعَا مِنْ أَسْتِنَتِهَا ، مَخَاطِبَةً لِأَبِيهِ ، وَمَنْشُدَةً لِسَائِرِ أَهْلِهِ وَمُحِبِّيهِ :

مَدَّكَ اللهُ الْحَيَاةَ مَدًّا ، * حَتَّى تَرَى نَجْمَكَ هَذَا جَدًّا

الصف الثاني - التهئة بالبنات .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

النِّعْمَةُ نِعْمَتَانِ : إِحْدَاهُمَا تُجْعَلُ الْأُنْسُ ، وَالْآخْرَى تُدْنِرُ الْأَجْرَ ، وَعَلَى حَسَبِ

مَاتَلَقِي بِهِ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى ظَاهِرِ الْمَحْبُوبِ ، وَالتَّسْلِيمِ فِيمَا يَجْرِي مَجْرَى بَعْضِ الْمَكْرُوهِ ؛
يَكُونُ الْمَتَاعُ عَاجِلًا ، وَالثَّوَابُ آجِلًا ؛ وَمَا قَدَّمْتُ الْقَوْلَ [إِلَّا] لِمَا ظَنَنْتَهُ يَعْرُضُ
لَكَ مِنَ الْوُجُومِ فِي هَذِهِ الْمَوْهَبَةِ ، فِي الْمَوْلُودَةِ الَّتِي أَرْجُو أَنْ يَعْظُمَ اللَّهُ بَرَكَتَهَا ، وَيَجْعَلَهَا
أَيْمَنَ مَوْلُودٍ فِي عَصْرِهَا ، وَدَالَّةً عَلَى سَعَادَةِ أَبِيهَا وَجَدِّهَا ؛ وَ[لَيْنٌ] كَانَ فِي الطَّبَعِ حُبُّ
الذُّكُورِ وَالشَّغْفُ بِالْبَيْنِ ، فَإِنَّ الْبَيْنَ مِنَ الْبَنَاتِ ، وَهِنَّ بِالْأَيْمَنِ مَعْرُوفَاتٌ ؛ وَبِالْبَرَكَاتِ
مَوْصُوفَاتٌ ، وَبِالذُّكُورِ فِي أَثَرِهِنَّ مَبْشِرَاتٌ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ النِّعْمَةَ فِيهَا تَهْنِئَةً لَا تَنْقِضِي
سَعَادَتَهَا ، وَلَا يَعْتَرِضُ النِّقْصَ وَالتَّقْدِيرَ شَيْئًا مِنْهَا ؛ وَابْقِي هَذِهِ الصَّبِيَّةَ مَمْتَعًا أَبُوهَا بِهَا ،
وَمُنْشَأً لَهُ الْحِطُّ مِنْ حَدَاتِهَا ؛ وَبَلِّغْهَا أَفْضَلَ مَبَالِغِ الصَّالِحَاتِ الْقَائِمَاتِ مِنْ أُمَّهَاتِهَا ؛
وَجْعَلْ فِي مَوْلِدِهَا أَصْدَقَ دَلِيلٍ عَلَى طُولِ عُمُرِ أَبِيهَا وَسَعَادَةِ جَدِّهِ ، وَتَضَاعُفِ نِعَمِ اللَّهِ
عِنْدَهُ ؛ إِنَّهُ لَطِيفٌ جَوَادٌ .

أبو مسلم محمد بن بحر :

مَرْحَبًا بِبِكْرِ النِّسَاءِ ، وَبِكْرِ الْأَوْلَادِ ، وَعَقِيلَةَ الْخِجَاءِ ، وَالْمَأْمُولَةَ لِلْبَرَكَةِ ، وَالْمَشْهُورَةَ
بِالْأَيْمَنِ ؛ وَقَدْ جَرَّبْنَا فَوْجِدَانَهُ مَعْهُودًا مَسْعُودًا ؛ وَاللَّهُ يَعْرِفُكَ أَضْعَافَ مَا عَرَفَ
مَنْ قَبْلَكَ ، وَيُبَارِكُ لَكَ فِيمَا رَزَقَكَ ؛ وَيُنَيِّئُ لَكَ بِأَخٍ لِلْمَوْلُودَةِ وَيَجْعَلُهُ رَدِيفَهَا ،
وَفِي الْخَيْرِ قَرِينَهَا وَشَرِيكَهَا .

علي بن خلف :

وَيُنَبِّئِي أَنَّ الْمَمْلُوكَ أَتَّصَلَ بِهِ آرْتِمَاضٌ ^(٢) مَوْلَانَا بِمَقْدَمِ الْكَرِيمَةِ الْوَافِدَةِ ، بِطَالِعِ
السَّعَادَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ؛ فَعَجِبَ الْمَمْلُوكُ مِنْ وَقُوعِ ذَلِكَ مِنْ مِثْلِ مَوْلَانَا مَعَ كَمَالِ نُبُلِهِ ،

(١) المراد به التضييق انظر القاموس .

(٢) يريد قلقه وعدم انبساطه .

وشرف عقله وعلمه ؛ فإن الله تعالى جلَّ اسمه يقول : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ وإن ما جتده الله تعالى من مواهبه جدير أن يتلقى بالسرور والفرح ، لا بالاستياء والترح ؛ لاسيما والذكر إنما يتفضل على الأنثى بنجابته ، لا بجلبته وصورته ؛ وقد يقع في الإناث من هو أشرف من الذكور طبعاً ، وأجزل عائدةً ونفعاً ؛ وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا رُزِقَ الْعَبْدُ الْأُنْثَى نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا أَهْلَ الدَّارِ أَنْشُرُوا بِالرُّزْقِ ؛ وَإِذَا رُزِقَ ذَكَرًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا أَهْلَ الدَّارِ أَنْشُرُوا بِالْعِزِّ ” فليستقبل مولانا الرزق بالشكر فإن العز يتبعه ، ولا يعارض الله تعالى في إرادته ؛ ولا يستقل شيئاً من هبته ؛ والله تعالى يعرفه بمن عهدها ، وسعادة قدمها ؛ وأن يسره بعدها بإخوة متابعين متلاحقين ؛ يؤيدون أمره ، ويحيون بعد العمر الأطول ذكوره .

أبو الفرج الببغاء :

لو كان الإنسان متصرفاً في أمره بإرادته ، قادراً على إدراك مشيئته ؛ لبطلت دلائل قدره ، وأستحالت حقائق الصنعه ؛ ودرست معالم الآمال ، وتساوى الناس ببلوغ الأحوال ؛ غير أن الأمر لما كان بغير مشيئته مصنوعاً ، وعلى ما عنه ظهر في الابتداء مطبوعاً ؛ كان المخرج له إلى الوجود من العدم ، فيما آرتضاه له غير متهم ؛ ومولانا - أيداه الله - مع كمال فضله ، وتناهي عقله ؛ وحيدة فطنته ، وثاقب معرفته ؛ أجل من أن يجهمل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو يتسخط مواهبه الصادرة إليه ؛ فيرمقها بنواظر الكفر ، ويسلك بها غير مذاهب الشكر .

وقد أتصل بالملوك خبر المولودة كرم الله غررتها ، وأطال مدتتها ؛ وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أمله فيها ؛ وما كان من تغيره عند أنصاح الخبر ، وإنكار ما آختره

له سابقُ القَدَرِ؛ فمَجِبَ المملوكُ من ذلك وأَسْتَنَكَه، من مَوْلانا وَأَنْكَرَه؛ لِضِيقِ العُدْرِ
 في مثله عليه . وقد عَلِمَ مَوْلانا أَنَّهُنَّ أَقْرَبُ إلى القُلُوبِ ، وأنَّ اللهَ تَعَالَى بدأ يَهِنَ
 في الترتيب فقال جَلَّ من قائل: ((يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ وَهَبٌ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ))
 وما سَمَّاهُ اللهُ هَبَةً فهو بالشُّكرِ أَوْلَى، وَبِحُسْنِ التَّقَبُّلِ أَحْرَى؛ وَلَكَمْ نَسِبَ أَفْدَنَ،
 وشَرَفَ أَسْتَحَدَّثَنَ؛ من طُرُقِ الأَصْهارِ، والأَتِّصَالِ بالأَخْيَارِ . والمَلْتَمَسُ من الذِّكْرِ
 نِجَابَتُهُ ، لِأَصُورَتِهِ وَوِلادَتِهِ ؛ وَلَكَمْ ذَكَرِ الأَثَى أَكْرَمُ مِنْهُ طَبْعاً ، وَأَظْهَرُ مِنْهُ نَفْعاً ؛
 فمَوْلانا يُصَوِّرُ الحَالَ بِصُورَتِهَا ؛ وَيَجِدُّ الشُّكْرَ عَلَى ما وَهَبَ مِنْهَا ؛ وَيَسْتَأْنِفُ الأَعْتِرَافَ
 له تَعَالَى بما هو الأَشْبَهُ بِبِصِيرَتِهِ ، والأوَّلَى بِمَثَلِهِ ؛ إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث - التهئة بالتوعم .

أَحْسَنُ ما رأيتُ من ذلك قولُ بعضِ الشعراءِ مما كَتَبَ به إلى بعضِ أصحابِهِ ،
 وقد وُلِدَ له ذِكْرُ وَائْتِيٍّ من جاريةِ سِوداءَ ، وهو قوله :

وَخَصَّكَ رَبُّ العَرِشِ مِنْها بِتَوَعَمٍ * وَمِنْ ظُلُمَاتِ البَحْرِ يُسْتَخْرِجُ الدَّرَرَ!
 وَارِثًا أَضْحَى وَإِرتًا عِلْمَ جَارٍ . * فَأَعْطَاكَ مِنَ ألقَابِهِ الشَّمْسَ والقَمَرَ!

الأجوبة عن التهئة بالأولاد

قال في "مواد البيان": أجوبة هذه الرِّقاعِ يجبُ أن تُبْنَى على شُكْرِ أَهْتَامِ المُهَنَّى
 ورِعايَتِهِ ، والأَعْتِدَادِ بِعِنايَتِهِ ؛ وأنَّ الزيادةَ في تجددِ المُهَنَّى [به] زيادةٌ في عَدَدِهِ ، وأنَّ
 نِصْبِهِ من تحركِ السرورِ فيما يَخْلُصُ إليه من المَوَاهِبِ كِنْصَبِهِ: لِتَناسُهِمَا في الإخاءِ ،
 وتَوافِيهِمَا في الصِّفاءِ ، وأنَّ تراعى مع ذلك مرتبةِ المُهَنَّى والمُهَنَّى ، ويني الخطابِ على
 ما يقتضيه كُلُّ منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وِينْهَى رُودَ الْكَتَابِ الَّذِي تَشْرَفُ الْمَمْلُوكُ بِوُرُودِهِ ، وَأَشْرَقَتِ الْأَيَّامُ بِكَالِ
سُعُودِهِ ، وَأَرْغَمَ بِبِلَاغَتِهِ مَعْطَسَ مُنَاوِيهِ وَحَسُودِهِ ؛ فَشَكَرَ أَيَادِيَّ مِنْ أَنْعَمَ بِإِرْسَالِهِ ،
وَأَ كَتَسَى بِالْوُقُوفِ عَلَيْهِ حُلَّةً مِنْ حُلَلِ نَخْرِهِ وَجَمَالِهِ ؛ وَبَالِغَ فِي إِكْمَالِهِ ، حَتَّى وَقَفَ
إِجْلَالًا لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ تَلَا آيَاتِ حُسْنِهِ عَلَى أُذُنَيْهِ ؛ فَوَجَدَهُ مَشْتَمِلًا عَلَى إِحْسَانٍ
لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ ، وَمِنْ أَوْدَعَهَا فِيهِ فَلَا يُحْصِيهَا حَضْرًا وَلَا عَدَدًا ؛ فَهَيَّجَ بِوُرُودِهِ
رَسِيْسَ الْأَشْوَاقِ ، وَتَقَلَّدَ بِإِنْعَامِ مُرْسَلِهِ كَمَا قُلِّدْتَ الْحَمَائِمُ بِالْأَطْوَاقِ ، وَوَجَدَ لَوْعَةً
لَا يُحْسِنُ وَصْفَهَا لِسَانُ الْيَرَّاعِ فِي الْأُورَاقِ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمَوْلَى مِنَ التَّهْنِئَةِ
بِالْوَلَدِ الْجَدِيدِ ، بَلْ بِأَصْغَرَ الْخَدَمِ وَالْعَبِيدِ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْإِهْتِهَابِ لِمِيلَادِهِ ، وَأَظْهَرَهُ
مِنَ التَّفَضُّلِ الْمَعْرُوفِ مِنْ آبَائِهِ الْكِرَامِ وَأَجْدَادِهِ ؛ وَلَمْ لَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ
وَالْوَالِدُ مَمْلُوكُهُ ، وَهُوَ مَمْلُوكُ السَّادَةِ الْأَجْلَاءِ أَوْلَادِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ مَجْدَهُ وَنَمَّتْهُ بِثُوبِ
مَكَارِمِهِ ، وَخَفَّضَ قَدْرَ مُحَارِبِهِ وَرَفَعَ كَلِمَةَ مُسَالِمِهِ ؛ وَلَا زَالَ مَمَالِكُهُ تَتَرَدَّدُ تَزِيدُ
الْأَيَّامِ ، وَسَعَادَتُهُ بَاقِيَةٌ بَقَاءَ الْأَعْوَامِ ، وَعَيْنُ الْعَنَاءِ تَحْرُسُهُ فِي حَالَتِي السَّفَرِ وَالْمَقَامِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثامن

(من التهناني التهنئة بالإبلال من المرض والعافية من السقم)

فمن ذلك :

وِينْهَى أَنَّهُ مَازَلَتْ أَجْسَامُ أَهْلِ التَّصَافِي ، تَشْتَرِكُ فِي الْأَسْقَامِ وَالْعَوَافِي ، كَمَا تَشْتَرِكُ
أَنْفُسُهُمْ فِي التَّخَالُصِ وَالتَّوَافِي ؛ وَلَمَّا أَلَمَ بِمَوْلَانَا هَذَا الْأَلْمَ الَّذِي تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى

بإماتته ، ومن فيه على السؤدد بحراسة مولانا وحياطته ؛ فرأيتُه حالاً في جوارحي ،
مُحَرِّقاً لجوائحي ؛ مازجاً لأعضائي ، ممتلكاً لأنوائِي^(١) ؛ ولئن كنت قد تجملت من ذلك
عباً ، وأرتقيت من تجلته مرتقى صعباً ؛ فلقد نخرت بمأسسته ، وأحمدت طبعي على
مساكلته ؛ وشكرت الله تعالى إذ جعلني شعبة من سرحته ، وجيلة من طينته ؛ وعلى
مأسرته من إقالته وإنعاشه ، ومصافاته وإنشاشه ؛ وسألت الله تعالى أن يبقية نورا
يوضح مغرب الدهر ومشرقه ، ودرأ يرصع فود المجد ومفرقه ؛ ويحسن الدفاع عن
حوبائه ، وهو سبحانه يُجيب ذلك ويتقبله ، ويرفعه ويسمعه ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

المملوك يهنيُّ مولاه خاصةً إذ جعله الله تعالى من صفوة أوليائه ، وخالصة أحبائه ؛
الذين يتبليهم اختباراً ، ويتأبهم اختياراً ؛ ليجمع لهم بين تمحيص وزرهم ، ومضاعفة
أجرهم ؛ والحض على طاعته ، والأل انصراف عن معصيته ؛ ويهني الكافة عامة بالموهبة
في نوره المطلعة لامل الإقبال ، المروية لمأحل الآمال ؛ ثم أعطف على حمد الله
على ما من به من إبلاله ، ويسره من استقلاله ؛ والرغبة إليه في أن يمنحه صحةً مُخلدً
وتُقيم ، وعافية ترهن ولا تريم ؛ وأن يجيه من عوارض الأسقام ، ويصونه من حوادث
الأيام ؛ بفضله وجوده ، إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البغاء :

أفضل ما يفزع إليه العبد المخلص ، والمولى المتخصص ؛ فيما ينوب سيده ويهم
ولي نعمته ، الدعاء المقترن بصدق النية ، وصدق الطوية [فالحمد لله الذي من بالصحة]
وتصدق بالإقالة ، وتدارك بجميل المدافعة ؛ وعم سائر خدمه أيده الله بالنعمه ، وأعادته

(١) كذا في الأصل ولعله لأحشائي أرنحو ذلك .

إلى أجمل عاداته من السلامة والصحة، فائراً بمدخر الأجر، متعبداً بمستأنف الشكر؛ فلا أخلاه الله من زيادة فيما يؤليه، ولا قصدنا بسماع سوء فيه؛ وحرص من الغير مهيجته، ومن المحذور نعمته .

وله في مثله :

ما كنت أعلم أنّ عافيتي مقرونة بعافيتك، ولا سلامتي مضافة لسلامتك؛ إلى أن تحققت ذلك من مشاركتي إياك في حالتى الألم والصحة، والمرض والمحنة؛ فالحمد لله الذى شرف طبيعى بمناسبتك، وجمّل خلقي بملاءمتك؛ فيما ساء وسرّ، وإياه تعالى أشكر على ماخصني به من كمال عافيتك، وسبوغ سلامتك وسرعة إقالتك؛ وبه - جلّ اسمه - أتق في مزيدك من تظاهر النعم، وتوفر القسم .

وله في مثله :

ولولا أنّ متضمن كتابك قرّن ذكر المرض الهاجم عليك، بذكر ما وهبه الله لك من عود السلامة إليك؛ لما اقتصر بي القلق على [ما] دون المسير نحوك، والمبادرة لمشاهدتك؛ غير أنّ السكون إلى ما أداه كتابك سابق الجزع، والطمانينة إلى ما وهبه الله من كفايتك حالت دون الهم؛ فالحمد لله الذى من بالإقالة، وتصدق بالسلامة وعمم بالكفاية؛ وهو ولى حراستك وحراستى فيك .

وله في مثله :

سيدنا فى سائر ما يذكره الله من هجوم ألم مؤذن بصحة، وأعراض محنة مؤدية إلى منحه؛ مرموق بالعافية، محروس من الله جلّ اسمه بالحفظ والكلاءة؛ فهو مع العلة فائز بذخائر الأجر، ومع العافية موفق للاستفادة الشكر؛ فالحمد لله الذى عقد الكرم ببقائه، وشفى مرض الآمال بشفائه؛ وكفاه أعراض الخوف، وعوارض الصروف .

وله في مثله :

مَا أَنْفَرَدَ جِسْمُكَ بِالْعِلَّةِ دُونَ قَلْبِي ، وَلَا أَخْتَصَّصْتُ نَفْسَكَ - حَرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى -
بِعْمَانَةِ الْمَرَضِ دُونَ نَفْسِي ؛ وَلَمْ أَزَلْ بِالْقَلْبِ تَالِيًا ، وَفِي سَائِرِ مَا شَكُوتهُ بِالنِّيَّةِ مُسَاوِيًا ؛
إِلَى أَنْ كَشَفَ اللَّهُ الْعُمَّةَ ، وَأَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَنَفَسَ الْكُرْبَةَ ؛ وَمَنْنَ بِالسَّلَامَةِ ، وَتَصَدَّقَ
بِالْكِفَايَةِ ؛ وَأَوْجَبَ بِالْعَافِيَةِ عَلَيْنَا جَمِيعًا فُرُوضَ الشُّكْرِ ، بَعْدَ مَا أَدَّخَرَ لَكَ بِالْأَلْمِ مِنْ
كَثْرَةِ الْأَجْرِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا يُؤَدِّي إِلَى حِرَاسَةِ مَا حَوَّلَكَ ، وَيُؤَدِّنُ بِالْمَزِيدِ
فِيَا مِنْحَكَ .

ومن كلام المتأخرين :

أَعْلَى اللَّهِ قَدَرَ الْجَنَابِ الْفَلَّانِي ، وَلَا زَالَتْ شُمُوسُ أَيَامِهِ لِاتِّخَافِ كُسُوفِهَا وَلَا أَقْوَالًا ،
وَأَقْمَارُ لِيَالِهِ تَغْرَسُ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَمَحَبِّيهِ فُرُوعًا وَأَصْصُولًا .

المملوكُ يخدمُ خدمةً من تجلُّ جميلًا ، ونال من تفضل الجنب الكريم جزيلا .

وَيُنَبِّئِي مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ السُّرُورِ بِعَافِيَةِ مَوْلَانَا ، فَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى مَا جَدَّدَ مِنَ النِّعْمَةِ
التَّامَّةِ ، وَسَمَّحَ بِهِ مِنَ الْكِرَامَةِ الْعَامَّةِ ؛ حِينَ أَعَادَ الْبَدْرَ إِلَى كَمَالِهِ ، وَالسُّرُورَ إِلَى أُمَّتِّ
أَحْوَالِهِ ؛ وَمَا كَانَتْ إِلَّا غَلْطَةً مِنَ الدَّهْرِ فَاسْتَدْرَكَهَا ، وَصَفْقَةً خَارِجَةً عَنْ يَدِهِ فُمْلِكَهَا ؛
فَقَرَّتْ بِذَلِكَ الْعُيُونَ ، وَتَحَقَّقَتْ فِي بُلُوغِ الْأَمَلِ الظُّنُونِ ؛ وَأَجْبَرَ قَلْبُهُ بَعْدَهَا وَهَنَ ،
وَعَادَ جَفْنُهُ بَعْدَ الْأَرْقِ إِلَى الْوَسَنِ ؛ وَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ .
وَلَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي الْمَمْلُوكُ لَوْ فَازَ مِنَ الرُّؤْيَةِ الشَّرِيفَةِ بِحِطِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَتَمَلَّى بِمَشَاهِدَةِ
وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّ فِيهِ الْبُغْيَةَ وَالْوَطْرَ .

والمملوكُ فما يُعدُّ نَفْسَهُ إِلَّا مِنَ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ بَدَّلُوا نَفْسَهُمْ لِحُبِّهِ وَأَعَدُّوْهَا ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُسِّرُ الْأَوْلِيَاءَ بِتَضَاعُفِ سُعُودِهِ ، وَيُدِيمُ بِهِجَةَ الْأَيَّامِ بِمَيْمُونِ وُجُودِهِ ؛ وَيُطِيلُ

في مدته ويحرسها من الغير، ويحرس أحوال مزاجه الكريم على القائلون المعتبر،
ويكفي أوليائه ومحبيه فيه كل مكروه وحذر؛ إن شاء الله تعالى .

من زهر الربيع :

ولما شكوت، أشتكى كل ما * على الأرض وأهتر شرق وغرب!

لأنك قلب لجسم الزمان * وما صحَّ جسمٌ إذا اعتلَّ قلب!

حرس الله جنابه، وأسبل عليه رداء السعد وأثوابه؛ ومنعه برود العافية وجلبابها،
وفتح له إلى نيل السعادة سائر أبوابها؛ ومنحه الكفاية والأمن في سريه، والعافية
في جسمه من فلق كل مرض وكرهه؛ وجمع له بين الثواب والأجر، وجازاه بجزيل
الغفران عن جميل الصبر .

المملوك يبشر نفسه ومولاه بما من الله به من صحة مزاجه الكريم، والإبلال من
مرض كاد يدير كئوس الحمام على كل صديق حميم؛ ويمجد الله على عافيته حمدا
جزيلا، ويشكره عليها بكرة وأصيلا؛ فإنه قد عوفي لعافيته المجد والكرم، وزال عنه إلى
أعدائه الألم؛ فالمولى حفظ الله صحته من السقم، وحماه من ألم ألم؛ وجعل سعادتَه
تترايد على ممر الأنفاس، وجسده سالما من الأذى كسلامة عرضه من الأذناس؛
إن شاء الله تعالى .

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وقى الله من الأسواء شخصه الكريم، وشمله النظيم؛ وقلب محبه الذي هو في كل
وادي من أودية الإشفاق يريم .

ولا زالتِ الصِّحَّةُ قَرِينَهُ حَتَّى لَا يَعْتَلَّ فِي مَنَازِلِهِ غَيْرُ مُرُورِ النَّسِيمِ . وَيَصِفُ شَوْقًا
يَزِيدُ بِالْأَنْفَاسِ وَقَدَا ، وَيَجِدُّ لِأَحْشَاءِ وَجَدًا ، وَيَبَاشِرُ الْقَلْبَ الْمُغْرَمَ فَيَمُدُّ لَهُ مِنْ
عَذَابِ الْإِنْتِظَارِ مَدًّا .

وَيَنْهَى أَنَّهُ جَهَّزَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ نَائِبَةً عَنْهُ فِي اسْتِجْلَاءِ وَجْهِهِ أَكْرَمِ الْأَحْبَةِ ، وَتُصَاحِغِ
الْيَدَ الَّتِي أَقْلَامُ كُتُبِهَا فِي شَكْوَى الْبِعَادِ أَطْبَهُ ، مَبْدِيَةً إِلَى الْعِلْمِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ مَعَ مَا كَانَ
يَكَايِدُهُ مِنَ الْأَشْوَاقِ ، وَيَعَالِجُهُ مِنْ خَوَاطِرِ الْإِشْفَاقِ ، بَلَّغَهُ ضَعْفُ الْجَسَدِ الْمَوْقِي ،
وَإِعْرَاضُ الْأَلْمِ الَّذِي اسْتَطَارَ مِنْ جَوَانِحِ الْمُحِبِّينَ بَرَقًا ؛ فَلَا يَسْأَلُ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ عَنْ
قَلْبٍ تَأَلَّمَ ، وَصَدْرٍ صَامَتٍ بِالْهُمُومِ وَلَكِنَّهُ بِجِرَاحِ الْأَشْجَانِ تَكَلَّمَ ، وَلِسَانٍ أَنْشَدَ :

أَلَا لَيْتَنِي حُمَلْتُ مَا بَيْكَ مِنْ ضَنْبِي * عَلَى أَنْ لِي مِنْهُ الْأَذَى وَلَكَ الْأَجْرُ!

ثُمَّ لَطَّفَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَجَّلَ خَبَرَ الْعَافِيَةِ الْمَأْمُولَةَ ، وَالصِّحَّةِ الْمُقْبِلَةَ عَقِيبَ الدَّعَوَاتِ
الْمَقْبُولَةِ ؛ فَيَالِهَا مَسْرَّةً شَمَلَتْ ، وَمَبْرَةً كَلَّمَتْ ؛ وَتَهْنِئَةً جَمَعَتْ قُلُوبَ الْأَوْدَاءِ وَجَمَلَتْ ،
وَأَعْضَاءَ فَدَتْهَا عِيُونُ الْمَهَامَا فَتَقَلَّتْ عَنْهَا صِفَاتِ السَّقَامِ وَحَمَلَتْ ؛ وَعَافِيَةً حَوَّلَتْ إِلَى
قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ الْمَرَضِ ، وَجَوْهَرِ جَسَدِ طَاهِرٍ زَالَ [عَنْهُ] بِأَسِّ الْعَرَضِ ؛ فَهَنِيئًا لَهُ
بِهَذِهِ الصِّحَّةِ الْمُتَوَافِرَةِ الْوَاقِيَةِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَمَعَ بَيْنَ حُصُولِ الْأَجْرِ
وَوُصُولِ الْعَافِيَةِ ، وَعَلَى أَنْ حَفِظَ ذَاتَهُ الْكَرِيمَةَ وَحَفِظَهَا هُوَ الْمَقْدَمَةُ الْكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ :

وَتَقَاسَمَ النَّاسَ الْمَسْرَةَ بَيْنَهُمْ * قَسِمًا فَكَانَ أَجْلَهُمْ قَسِمًا أَنَا!

وَاللَّهُ تَعَالَى يُسْبِغُ عَلَيْهِ ظِلَالَ نِعْمِهِ ، وَيَحْفَظُهُ حَيْثُ كَانَ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَدَمِهِ ؛
وَكَأَسْرَ الْأَحْبَابِ بِجَبْرِ عَافِيَتِهِ كَذَلِكَ يُسْرُهُمْ بَعِيَانِ مَقْدَمِهِ .

أجوبة التهئة بالإبلال من المرض والعافية

قال في "مواد البيان": أجوبة هذه الرّفاع يجب أن تكون مبنية على وصف الألم وصورته وما تفضّل الله تعالى به من إماتته ، وشكر المهني بأهتامه وعنايته .

وهذه أمثلة من ذلك :

من زهر الربيع :

أدام الله نعمته ، وشكر مته ، وأدال دولته ؛ وأعلى قدره وكلمته ، وحّم على الألسنة شكره والقلوب محبته . ولا زالت التهانى من جهته وافده ، والبشائر واردة .

ويُنهى ورود الكتاب الذى أعدته يد المعالى فعاد كريما ، وشاهد حُسن منظره فصار وجهه وسما ، وأنه وقف عليه ، وأحاط علما بكل ما أشار المولى إليه ؛ فذكره أنسا كان بخدمته لم ينسه ، وجدد له وجدا ما زال يجد في قلبه ونفسه عينه ونفسه ؛ ونشر من مآثره الماثورة ، وفضائله المرقومة في صفائح الصحائف المسطورة ؛ ماشف به وشرف ، وشوق إلى لسانه وشوف ؛ وأقام البرهان على ذكي فطنته ، وزكى فطرته ؛ وعلم ما أنعم به وتفضل ، وأحسن وتطول : من تهئة المملوك بالإبلال من مرضه ، والبرء من سقمه ، والتخلص من يدى وجعه وألمه ؛ وسرور ورود كريم مشرفته ، أعظم من سروره بلباس ثوب عافيته ؛ وبدوام مجده وسعادته ، أكثر من صحّة مزاجه وأستقامته : فإن مكارم المولى كالحدايق الناضرة ، ومثرتة أعز في القلوب من الأحداق الناظرة .

فالحمد لله الذى من بالعافية من ذلك المرض ، والداء الذى ألمّ بعرضيه فاحتوى منهما على الجوهر والعرض ؛ وطال حتى أسامه من نفسه وعواده ، وآيسه من الحياة

لولا لطف الله والله لطيف بعباده ؛ وهذا ببركة المولى ودعائه الذى كان يرفعه ،
والخواطر والأسماع مع بُعد الشقة تشهد به وتسمعه ؛ جعل الله التهانى مع الأبد
واردة منه وإليه ، وشكر إنعامه وأتم نعمته عليه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وكتبت للمقر العلائى علاء الدين الكركى وهو يومئذ كاتب السر الشريف
فى الدولة الظاهرية «برقوق» فى سلطته الثانية ، وقد برأ من مرض نظما :

أفديه من جسد قد صح من سقم * فبات جوهره خال من العرض !
فاستبشرت بعلى القوم شيعته * ومات حاسده بالسقم والمرض !

الضرب التاسع

(التهنئة بقرب المزار)

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

قرب الله مزاره ، وأذنى جواره ، وأعان أعوانه ونصر أنصاره . ولا زالت
الأنفس لقربه مسروره ، ورايات مجده فى الملا الأعلى وأحزاب الإسلام بهيته على
اعداء الدين منصوره .

الملوك يقبل الباسطة العالية بسط الله ظلها ، وشكر على الأولياء فضلها . وينهى أنه
أتصل به طيب أخباره ؛ وقرب مزاره ؛ فتضاعف شوقه ، وتزايد توفقه ؛ وهيجت
صبايته لاجعه ، وسهلت إلى نيل المسرة طرقة ومناهجه :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً * إذا دنت الديار من الديار !

فالله يقرب من أمد التلاقى بعيدا ، ويجعل رداء الاجتماع بخدمته قشيبا جديدا .

الضرب العاشر

(التهنئة بنزول المنازل المستجدة)

فمن ذلك [من إنشاء] علي بن خلف :

أشرف المنازل رُفَعه ، وأترفها بُقعه ، وأرفعها رفعه ، ما آتخذهُ مولانا لنفسه
 موطنًا ، وجعله بنزوله فيه حرماً آمناً ، وصيره بخصب مكارمه للعفاة مراداً ومقصدًا ،
 ومُعَدبِ نوافله للظُعاة مشرعا ومورداً ، وللشؤدد مجده مَعقِلا ، وللرياسة بشرفه
 منزِلا ، والله تعالى يجعل هذه الدار التي تديرها وحلها ، وحط بها رحله ونزلها ، مأهولةً
 ببقائه ، آسنةً بسبوغ نعمائه ، عامرةً بسعادته ، مشيدةً بتناصر عزه وزيادته ، لا تُخطئها
 حوائم الآمال ، ولا تخطأها ديم الإقبال ، ويعرفه من بركتها ، ويمين عتبتها ، ما يقضى
 بامتداد الاجل ، وأنفساح الأمل ، وبلوغ الأمانى ، وأتصال التهانى ، بمنه وكرمه ،
 إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنهى أنه قد اتصل بالملوك تحوُّل مولانا إلى المنزل المنشأ الحديد ، ذى الطالع
 السعيد ، والطائر الحميد ، فسألتُ الله تعالى أن يُبَوِّئَهُ منه المَبْوَأَ الكَرِيمَ ، ويمتعه فيه
 بالدعة والتعميم ، والتماء والمزيد ، والعيش الرغيد ، ويجعله واصلاً لحبله ، مأهولاً
 بأهله ، ويعرفه بركة عتبه ، ويمليه بيئاته ونضارته ، وحصل للملوك السرور بأن بلغه
 الله الوطر ، فى سُكنى ماعمر ، وأناله الأمل والألتذاذ بخدمته ، والسرور بانفِضاض
 عُدْرته ، إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

مولانا - أمتع الله بوجوده - غنى عن الهناء بمنزل ينزله ومحل يحلُّه ، إذ الله
 سبحانه وتعالى قد كثّر أوطانه وأدره ، وبلغه فى تمام عمارتها وأنفساحها وطره ،

وخصه بأفضلها معانا ، وأشرفها مكانا ؛ والمستوجب في الحقيقة للهناء هو الموضوع الذي اختاره دارا ، وأرتضاه مستقرا ؛ وعرف المملوك أنتقاله - لازلال يتنقل في بروج السعد ، ويأوى إلى ظل ظليل من المجد - إلى الدار الفلانية لازالت جامعة لشمله ، مانوسة بأهله ؛ فعدل عن خدمته بالهناء ، إلى إخلاص الدعاء ، بأن يعرفه الله تعالى يمنها وبركتها ، ويريه إقبالها وسعادتها ؛ ويقرن تحوله إليها بأمن طائر ، وأبرك طالع ؛ فإن للحركات أوقاتا محمودة ومدمومة : فإذا أعنى الله تعالى بعبد من عبيده ، وفرض له نصيبا من تأييده ؛ وفقه للحركة في الزمن السعيد ، والوقت الحميد ؛ لتكون مصايه مشابهة لمبادئه ، وأعجازه مشابهة لهواديده ؛ والله تعالى يجعل بأهنا محطاً للقصد ، ومناحا للوفاد ؛ ومزارا للعفاء ، وملاذا ^(١) للعناء] ويصل بها حبله ، وينشئ بها طفله ؛ ويضاعف بأسديطانها أنسه ، ويسر بتبويها نفسه ؛ إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البغاء :

أسعد المنازل وأشرف المواطن ما استوطنه أيده الله وتبواه ، وتحيره لنفسه وأرتضاه ؛ فعدا بشخصه وطن الإقبال ، وبفائض كرمه حرم الآمال ؛ وبشرفه للسؤدد معقلا ، وبئبله للرياسة منزلا ؛ فعرفه الله بمن هذه الدار المعمورة محلول البركات ، المحفوفة بتناصر السعادات ؛ وجعلها وكل ربع يقطنه ، ومحل يسكنه ؛ مبشرا بامتداد بقائه ، وأهلا بالزيادة في نعمائه .

وله في مثله :

كل وطن يحله - أيده الله - ويقطنه ، ومحل يتحيره ويسكنه ؛ مقصود بالشكر والثناء ، أهل بالحمد والدعاء ؛ لا يخطئه متوارد الآمال ، ولا تنقطع عنه مواد الإقبال ؛

ولذلك صار هذا المنزل السعيد من فضائل الأرض ومحاسنها، وتجمع الآمال ومعادنها؛ فعرفه الله يمينه وبركته، وإقباله وسعادته؛ وقرن انتقاله إليه بأسبغ نعمه، وأكمل سلامة وأبسط قدره وأعلى رتبته .

وله في مثله :

عرفه الله [من] بركة هذا المنزل المورود، والفناء المقصود، ما يؤبى على سالف ما أولاه من تكامل البركات، وتناصُر السعادات؛ وجعل مستقره فيه مقروناً بمؤو الحال، ونتابع الإقبال؛ في أفسح المدد وأطولها، وأنجح المطالب وأفضلها؛ وعمر أوطان المكارم بإقباله، وعصّد الأمانى بالتساع نعمائه .

أجوبة التهئة بقرب المزار، ونزول المنازل المستجدة

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تُبنى على الاعتداد للمهني بتعهده، والشكر له على تودده؛ والابتهاج بهنائه، والتبرك بدعائه؛ وأن المستجد غير مبين لمنزله، ولا خارج عن أحكام محله؛ وأن تمام بركته، أن يؤنس فيه زيارته؛ وما يشابه هذا .

الضرب الحادى عشر

(نوادير التهانى، وهى خمسة أصناف)

الصنف الأول - تهئة الذمى بإسلامه .

فن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد فى ترسله، وهو :

وما زالت حالك ممثلة لنا جميل ما وهب الله فيك حتى كأنك لم تنزل بالإسلام مؤسوما، وإن كنت على غيره مقبياً؛ وقد كُفُّ مؤمليْن لما صرت إليه، ومُشفقين لك

مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا كَادَ إِشْفَاقُنَا يَسْتَعْلَىٰ عَلَىٰ رَجَائِنَا ، أَتَتِ السَّعَادَةُ فَيْكَ بِمَا لَمْ تَزَلِ
الْأَنْفُسُ تَعُدُّ مِنْكَ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الَّذِي تَوَرَّلَكَ فِي رَأْيِكَ ، وَأَضَاءَ لَكَ سَبِيلَ رُشْدِكَ ،
أَنْ يُوَهِّكَ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ يُؤْتِيكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَيَقِيكَ عَذَابَ النَّارِ .

ومن ذلك ، من كلام أبي العيَّان :

وَلَتَهْنِئَكَ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي أَخْوَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ؛
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَوَّزَ قِدْحَكَ [وَأ] عَلَىٰ كَعْبِكَ ، وَأَنْقَدَ مِنَ النَّارِ شِلْوُوكَ ، وَخَلَصَكَ مِنْ لَبْسِ
الشُّكِّ ، وَحَيْرَةِ الشُّرْكَ ؛ فَأَصْبَحْتَ قَدْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَذْيَارِ الْمَسَاجِدِ ، وَبِالْآحَادِ الْجُمُعِ ؛
وَبِقِبْلَةِ الشَّامِ ، الْبَيْتِ الْحَرَامِ ؛ وَبِتَحْرِيفِ الْإِنْجِيلِ ، صِحَّةَ التَّنْزِيلِ ؛ وَبِأَوْثَانِ
المشركين ، قِبْلَةَ الْمُوحِّدِينَ ؛ وَبِحُكْمِ الْأُسُقْفِ رَأْسِ الْمُلْحِدِينَ [حَكَمَ] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ مَا نَعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَذَكَرَكَ شُكْرَهُ ،
وَزَادَكَ بِالشُّكْرِ مِنْ فَضْلِهِ .

أجوبة التهئة بإسلام ذمي

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع ينبغي أن تكون مبنية على شكر المهتأ
للهنئ ، وأعتارفه بنعمة الله تعالى عنده ، وأتجاهه بما زجته في الدين ، الذي جعل الله
أهله إخواناً متصافين ، وخُلَّاناً متوافين ، ومنَّ عليهم به ، وبإماطة الحسائف من
قلوبهم ، ونحو هذا .

الصنف الثاني — التهئة بالختان ونحروج اللحية .

فمن ذلك تهئة لأمرٍ بختان ولدَيْن له :

فمن خصائص ما حباه الله بعد الذي قدَّم له في نفسه - نفس الله مدتها ؛ ووسع
له مهلتها ، وأفنى الأعداد دُونَ فَنَائِمًا ، والأعمار دُونَ تَصْرُمِهَا وَأَتْمَائِمًا : [من] الفضائل

(١) الحسائف جمع حسيفة وهي الضغينة والسخيمة أنظر اللسان في ج ١٠ مادة ح س ف .

المشهوره، والمحاسن المذكوره، والمناقب الماثوره، وأقسام الفضل الذى يتقضى
دُونَ تصرُّم (?) منازلَه وصفُ الواصف إذا أفرط، ويتهى دون أيسرها أمل الآمل
إذا اشتط - ما وهب الله له من أولادٍ سادية فضلهم فى الأخلاق والصُّور، وأكلهم
فى الأجسام والمرَب؛ وقدمهم فى العُتول والأفهام؛ والقرايح والألباب، ولم يجعل
للعُايب فيهم سيمه، ولا للإناث بينهم شركه؛ حتى يكون مسماً لهم قصب العُلا
والمفانخر، وصدور الأسرّة والمنابر؛ من غير منازع، ولا مقارع، ولا مساهم،
ولا مقاسم، وزادهم من الثماء فى النشء والبركة واليمن بما يؤذِن الحاضر منه بالغابر،
ويدلُّ البادى على الآحر؛ وعداً من الله تعالى ذكره لهم بأوفى السعادات، وأكمل
الخيرات وأعلى الدرجات؛ أرجو أن يجعل الله التُّجج قرينه، والنجاة ذريعته؛
وما أولاه فيهم فى هذه الحال الحادثة التى يعدق الله بها أداء الفريضة، وكإل
الشريعة؛ ويقع التطير بالختان، الذى جعله الله من شروط الإيمان، وفرضه على
جميع الأديان: من السلامة على عظم الخطر، وشدة الغرر؛ فى إمضاء الحديد على
أعضاء ناعمه، وإيصال الألم إلى قلوب وادعة، لم تقارع نصبا، ولم تُعانِ وصبا؛
وآجتماع فيه إلى رقة الصبا، وضعف الأسر والقوى؛ أعتياد الرحمة، ومخالفة الترفه
والتثقل بين الشهوات؛ على أن كل واحد من الأميرين شهيد المعركة أعزل حاسرا،
وباشر الحرب مغترا مخاطرا؛ فثبت لوقع السلاح، وصبر على ألم الجراح؛ وأبلى
بلاء الفارس المدجج، والكبي المتعب؛ ثم خرج خروج شبل الليث، وفرخ العقاب،
كالقذح المعثى والشهاب الساطع، والنجم الناقب؛ وكان فلان أكثرهما تغيراً فى وجه
قرنه، وسطوة على منازلِه؛ وكلُّ قد حصل فوق الحصل، وحوى فضيلة السبق؛
وآستحقَّ اسم البأس والشدة، وخطية البسالة والنجده.

ومن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد في كتابه :

الحمد لله الذي كَسَاكَ بِاللَّحْيَةِ حُلَّةَ الْوَقَارِ ، وَرَدَّكَ رِدَاءَ ذِي السَّمْتِ مِنَ الْأُبْرَارِ
وَالْأَخْيَارِ ؛ وَصَانَكَ عَنِ مَيْسَمِ الصَّبَا ، وَمَطَامَعَ أَهْلِ الْهَوَى ؛ بِمَا جَلَّلَكَ مِنَ اللَّحْيَةِ
الْبَيْهَةِ ، وَأَلْبَسَكَ مِنْ لِبَاسِ ذَوِي الْأَلْبِ وَالرَّوْيَةِ ؛ وَأَلْحَقَكَ فِي مَتَصَرَّفَاتِهِ بِمَنْ يَسْتَقِلُّ
بِنَفْسِهِ سَاعِيَا ، وَيَسْتَفْنِي عَمَّنْ صَحْبِهِ حَافِظًا ؛ وَجَعَلَ مَا جَمَلَ مِنْ صُورَتِكَ ، وَكُلَّ مِنْ
أَدَاتِكَ وَآلَتِكَ ؛ قِرْنًا لِمَنْ جَاذَبَكَ ، وَخَصْمًا لِمَنْ نَازَعَكَ ؛ وَفَنَى عَنْكَ ذِلَّةَ الْإِحْتِقَارِ ، مِنْ
أَهْلِ الْمَرَاتِبِ وَالْأَخْطَارِ ؛ تَسْتَوِي [بِهِمْ] فِي الْمَجَالِسِ الْحَافِلَةِ ، وَتَجْرِي جَرَاحِمَ فِي الْمَشَاهِدِ
الْحَامِعَةِ ؛ مَسْمُوعًا قَوْلُكَ إِذَا قُلْتَ ، وَمُضْنَى إِلَيْكَ إِذَا نَطَقْتَ ؛ أَمْنًا مِنْ أَنْصَرَفِ
الْأَبْصَارِ عَنْكَ لِقُرْبِ وِلَادِكَ ، وَمِنْ [عَدَمِ] الْإِسْتِمَاعِ لِحَدِيثِكَ لِقَلَّةِ الثَّقَةِ بِسَدَادِكَ ؛
وَجَارِيًا مَجْرَى كَلِمَةِ الرِّجَالِ عَلَى الْجُمْلَةِ ، إِلَى أَنْ يَكشِفَ اللَّهُ مَحَابِرَكَ بِالْمِحْنَةِ ؛ وَتَعْطَى
الْمَهَابَةَ مِنَ الدَّاعِرِ الْعَادِي ، وَمِنْ السَّبْعِ الضَّارِي ؛ وَلَوْ كَانَ عَارِيًا مِنْ هَذِهِ الْكُسُوفِ
الشَّرِيفَةِ ، وَالْحَلِيَّةِ الْمَلْحُوظَةِ ؛ لَسَيَقَتْ إِلَى الْإِزْدِرَاءِ بِالْأَعْيُنِ ، وَالْإِسْتِصْغَارِ بِالْقُلُوبِ
وَالْإِنْسَانِ ؛ أَصْنَافُ الْحَيَوَانِ : مِنَ الْبَهِيمَةِ وَالْإِنْسَانِ ؛ ثُمَّ لَا يُحْسِنُ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً عَلَى
الدَّفْعِ عَنْهَا ، وَلَا مِنْ صَرَغَتِهِ ثَبَاتًا (؟) عَلَى يَدِهَا فِيهِ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ حَبَّكَ
بِمَرْتَبَتِهَا فِي جَمَالِ عَشَاكَ ، وَكِبَالِ أَمَّاكَ ؛ فَلْيُصَدِّقْ بِهَا اعْتِرَافَكَ وَشُكْرَكَ ، وَلِيُحَسِّنْ ثَنَاؤَكَ
وَتَشْرُكَ ؛ قِضَاءً لِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَاسْتِذْرَارًا فِي الْمَزِيدِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ .

الصفحة الثالث - التهنئة بالمرض .

أبو الفرج البغواء :

فِي ذِكْرِ اللَّهِ سَيِّدِي بِهَذَا الْعَارِضِ - أَمَاطَهُ اللَّهُ وَصَرَفَهُ ، وَجَعَلَ صِحَّةَ الْأَبَدِ خَلْفَهُ -
مَادَّلَ عَلَى مَلَاظَمَتِهِ إِيَّاهُ بِالْعَنَاءِ ، إِيقَظًا لَهُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ ؛ إِذْ كَانَ تَعَالَى لَا يُدَكَّرُ

بطُروق الآلام ، وتبنيه العِظَات ، غير الصَّفوة من عباده ، الحِيرة من أوليائه ؛ فهنأه
الله الفوزَ بأجرِ مأيعانيه ، وحملَ عنه بالطافه نِقلَ ما هو فيه ؛ وأعقبَ ما أخصَّصه
من دَحَائِرِ المُنوبةِ والأجرِ بعافيةٍ تَقْتَضِيهِ ؛ ولا سلبَ الدنيا جمالَ بقائه ، ولا نقلَ ظِلَّهُ
عن كافَّةِ خَدَمِهِ وأوليائه .

الصنف الرابع — التهنئة بالصَّرف عن الولاية .

أبو الفرج البيهقي :

مَنْ حَلَّ مَحَلَّهُ — أيدَهُ اللهُ تَعَالَى — مِنْ رُتَبِ الرِّياسَةِ والنُّبُلِ ، كانَ مَعْظَمًا فِي حَالِيهِ
الولايةِ والعِزْلِ ؛ لا يقدَحُ فِي قَدْرِهِ تَغْيِيرُ الأحوالِ ، ولا يَنْقُلُهُ عَنِ مَوْضِعِهِ مِنَ الفَضْلِ
تَنْقُلُ الأعمالِ ؛ إِذْ كانَ اسْتِحْياشُها لِلْفائِتِ مِنْ بَرَكاتِ نَظَرِهِ ، بِحَسَبِ أَنسَبِها كانَ
بِما أَفادَتْهُ مِنْ مُجودِ آثِرِهِ . فهنأه اللهُ نعمةَ الكِفايةِ ، وأوزَعَهُ شُكْرَ ما أَحْتازَهُ مِنَ
النِّزاهَةِ والصِّيانَةِ ؛ ولا أخلاه مِنَ التَّوفيقِ فِي سائِرِ مَتَصَرِّفاتِهِ ، وَالْحِيرةِ الضامِنَةِ
لِعَواقِبِ إراداتِهِ .

وله في مثله :

لو كانَ لِمُسْتَحْدَثِ الأعمالِ ومَسْتَجِدِّ الولاياتِ زيادةٌ على ما أخصَّصَكَ بِهِ
مِنَ كِمالِ الفَضْلِ ، وما تُؤثِرُ النُّبُلِ ، لحاذرنا أنْتقالَ ذلكَ بِأَنْتقالِ ما كُنْتَ نَتولاهُ بِمُجودِ
كِفايتِكَ ، وتحوطُهُ بِنِواظِرِ نِزاهَتِكَ وصِيانَتِكَ ؛ غيرَ أَنَّ اللهُ تَعَالَى جَعَلَكَ بِالفَضْلِ
مَتَمِّصًا ، وبِالمُحامِدِ مَتَخَصِّصًا ؛ فَالأسْفُ فِما تَنْظُرُ فِيهِ عَلَيْكَ لِامِنِكَ ، وَالْفائِئَةُ فِما
نَتَقَلِّدُهُ بِكَ لِالِاكِ ؛ وَلِذلكَ كُنْتَ بِالصَّرفِ مَهتًا مُسرورًا ، كما كُنْتَ فِي الولايةِ مُجودًا
مُشكورًا ؛ فلا أخلاك اللهُ مِنَ تَواصُلِ آلائِهِ ، وتَظاهِرِ نِعَمائِهِ ؛ فِي سائِرِ ما تُبْرِمُهُ
وُجُضِيهِ ، وتَعَمِّدُهُ وَتَرْتَبِيهِ .

أبو الحسين بن سعد - عمن تولى عملاً إلى من صرف عنه :
 قد قُلتُ العملَ بناحيك ، فهناك الله تجديد ولايتك ، وأنفذتُ خليفتي لخلافك ؛
 فلا تُحله من تبصيرك وهدايتك ، إلى أن يمن الله بزيارتك .

تهنئة بصرف عن ولاية :

لو كانت رياسة سيدي مجيبة من عروش الولايات ، وسيادته خارجه عن سادج
 التصرفات ، لأشفق أولياؤه من زوالها بمزايلتها ، وحذرُوا من انتقالها بنقلها ؛ لكن
 مأوسم به من الكمال ، وعلا به من رتب الجلال ؛ موجود في غيرته وجود الفرد
 في السيف المأثور ، والألاء في النور ؛ وإذا تصرف ، أورد الله الرعية من مشارعا
 نطافا ، وأسبغ عليهم من ظلها عطافا ؛ وإذا أنصرف بخير مسبل تقلص ، وعيش
 رائع تنصص ؛ والأسف على العمل السليب من حلل سياسته الفاضله ، العاطل
 من حلي سيرته العادله ؛ ولهذا أصبح - أيده الله - بالعزل مبتهجا مسرورا ، كما كان
 في الولاية محمودا مشكورا ؛ وأنطلقت السنة أولياؤه ، في هنائه ، بما وهبه الله من الرفاهية
 والدعة ، وحطه عنه من الأثقال المقلقة ؛ ولا سيما وقد علم الخاص والعام أن الأعمال
 إذا ردت إليه ، وعول فيها عليه ؛ تسلم المودع وديعته ، والناشد ضالته ؛ وإذا عدل
 فيها إلى غيره تناولها الغاصب ، وأستولى عليها أستيلاء السالب ؛ فلا تزال نازعة
 إلى ربها ، متطاعة إلى خطبها ؛ حتى تعود إلى محلها ، وترجع إلى نصيها ؛ والله تعالى
 أسأل أن يقضى لمولانا ببلوغ الأوطار ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهنئة بالصرف عن الولاية والخدمة

قال في "مواد البيان" : يجب أن تكون أجوبتها مبنية على شكر الأهتمام والاعتداد
 بالمشاركة في الأحوال ، مع وقوع ما ورد من الخطاب الموقع اللطيف ، وما ينتظم
 في هذا السلك .

جواب مَنْ ورد عليه كَتَابٌ من وِلِيِّ مكانه في معنى ذلك .

فمن ذلك :

ما أنصرفت عني نعمة أُهديت إليك ، ولا خلوتُ من كرامةٍ أشتمت عليك ؛ وإني لأجدُ صرْفِي بكَ ولايةً ثانيه ، وحلّةً من الوزر واقبه ؛ لما أمله بمكانك من حميد العاقبة وحسن الخاتمه .

الصفحة الخامسة — تهنئة من تزوجت أمه بزواجها .

قد تقدم في أول المقالة الأولى في حكاية حائك الكلام مع عمرو بن مسعدة وزير المأمون^(١) ، أنه قال يكتب إليه :

أما بعد ، فإن الأمور تجري على خلاف محابِّ المخلوقين [والله يختار لعباده]^(٢) ، فخار الله لك في قبضها [إليه ، فإن القبور أكرم الأكفاء]^(٢) والسلام .

أبو الفرج البغاء : وقد أمره سيف الدولة ابن حمدان بالكتابة في معنى ذلك امتحاناً له :

مَنْ سَلَكَ إِلَيْكَ - أعزك الله - سبيلَ الأتيساط ، لم يستوعر مسلكاً من المخاطبة فيما يحسن الأقباض عن ذكر مثله . وأتصل بي ما كان من خبر الواجبة الحق عليك ، المنسوبة بعد نسبتيك إليها إليك - وفر الله صياتها - في اختيارها ما لولا أن الأنفس تتناكره ، وشرع المروءة يحظره ؛ لكننت في مثله بالرضا أولى ، وبالأعتداد بما جدده الله في صياتها أخرى ؛ فلا يسخطك من ذلك مارضية وجوب الشرع ، وحسنه أدب الديانة ؛ ومباح الله أحق أن يتبع ، وإياك أن تكون من لمّا عدم اختياره تسخط اختيار القدر له ، والسلام .

(١) تقدم في ج ١ ص ١٤٢ "وزير المنعم"

(٢) الزيادة مما تقدم في ج ١ ص ١٤٥ .

النوع الثاني

(من مقاصد المكاتبات التعازي)

قال في "موادّ البيان" : المكاتبَةُ في التعزية بالأحداث العارضة في هذه الدنيا واسعة المجال : لما تتضمنه من الإرشاد إلى الصبر، والتسليم إلى الله جلّت قدرته، وتسليّة المعزى عما يُسلبه بمشاركة السابقين فيه، ووعدِهِ بِجُسن العوض في الجزاء عنه؛ إلى غير ذلك مما ينتظم في هذا المعنى . قال : والكاتبُ إذا كان جيدَ الغريزة حسنَ التأني فيها، بلغ المراد . ثم قال : وحكمها حكم التّهاني من الرئيس إلى المرعوس ومن المرعوس إلى الرئيس ومن النظر إلى النظر .

ثم التعزية على أضرب :

الضرب الأول

(التعزية بالآبين)

أبلغ ما كتبت به في ذلك ما كتب به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، معزياً له بابن له مات ، فيما ذكره أبو الحسين بن سعد في ترسله ، وأبو جعفر النحاس في صناعة الكُتّاب ، وهو :

« من محمد رسول الله إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ :

« سلامٌ عليك ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ »

« أما بعد ، فعظم اللهُ لك الأجر ، وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك »

« الشكر . ثم إنَّ أنفسنا وأهلينا ومواليئنا من مواهبِ اللهُ السنية ، وعوارِفهِ »^(١)

(١) في أصولنا بالفناء ورواية المسنطوف (وعواريه) أى بالياء جمع عارية .

«المستودعة ، تمتع بها إلى أجلٍ معدود ، وتقبض لوقتٍ معلوم ؛
 «ثم أقرض علينا الشكر إذا أعطى ، والصبر إذا ابتلى ؛ وكان أبنيك من
 «مواهب الله الهنيئة ، وعوارفه المستودعة ؛ متعك به في غبطة وسرور ،
 «وقبضه منك بأجرٍ كبير : الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت
 «وأحتسبت ؛ فلا تمنجنَّ عليك يامعاذُ خصلتين إن يحبط جزعك
 «صبرك فتندم على ما فاتك ؛ فلو قدمت على ثوابِ مصيبتك قد أطعت
 «ربك وتجزت موعوده ، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه . وأعلم
 «أن الجزع لا يردُّ ميتا ، ولا يدفع حزنا ؛ فأحسن الجزاء وتجز الموعود ؛
 «وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكأن قد . »

من كلام المتأخرين :

تعزية بولد . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهي بعد الألقاب .

وأحسن عزاءه بأعزَّ فقيد ، وأحبَّ حبيبٍ ووليدٍ ؛ وعوضَ بجميلِ الصبرِ جوانحه
 التي سُئلت عن الأسى فقالت : ثابتٌ ويزيد . صدرت هذه المفاوضة تُهدى إليه
 سلاما يعزُّ عليه أن يُتبع بالتعزية ، وثناءً يُسقى عليه أن يطارحَ حمائمَ سجمه المطربة
 بحمامِ الشجو المبكية المنكية ؛ وتوضِّحَ لعلمه ورودَ مكاتبته المؤلمة ، فوقفنا عليها إلا أن
 الدمعة ماوقفت ، وخواطرُ الإشفاق عليه وعلى من عنده طفت حرقها وما أنطفت ؛

(١) في أصولنا بالفاء ورواية المستطرف (وعواريه) أي بالياء جمع عارية .

(٢) أي فقد الثواب وفقد الولد . وإليه يشير من عزى عمر بن عبد العزيز بأنه فقال :

وعوضت أجرا من فقيد فلا يكن * فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

وعلمنا ما شرحه ولم يشرح الصدر على العادة - من وفاة الولد فلان، سقى الله عهدَه
 وحلته، ونضر وجهه وتغمّد بالرّضوان خاله وحده، وما بقى إلاّ التمسكُ بأسباب
 الصبر، والتفويضُ إلى من له الأمر؛ والدنيا طريقٌ والآخرة دارٌ ودهليزها القبر؛
 وللرء من تثبته وازع، والاجتماعُ بالأحبة الراحلين واقع؛ إن لم يصبروا إلينا صرنا
 إليهم، وإن لم يقدموا في الدار الفانية علينا قدمنا في الدار الباقية عليهم؛ نسأل الله
 تعالى أن يجمعنا في مستقر رحمة، ويحضرننا مع الأطفال أومع المتطفلين ولائم جنته؛
 والله تعالى يدارك بالصبر الجميل قلبه، ولا يجمع عليه فقد الثواب وفقد الأحبه .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

رزقه الله تعالى ثباتا على رزقته وصبرا، وجعل له مع كلِّ عسرٍ يسرا؛ وأبقاه
 مفدىً بالأنفس والنفاس، وكان له أعظمَ حافظٍ من نوب الدهر وأجلَّ حارس .
 المملوك يُنهي علمه بهذه النازلة التي فتت القلوب والأكباد، وكادت أن تفرق
 بين الأرواح والأجساد؛ وأذات ذخائر العيون، وأبتدلت من المدايع كلَّ مصون؛
 وأذابت المهج تحرقاً وتلهباً، وجعلت كلَّ قلب في نارِ الأسيء والأسف متقلبا؛
 وهى وفاة ولده الذى صغر سنه، وتزايد لفقده هم المملوك وحرته :

ونجلك لا يبكي على قدر سنه * ولكن على قدر المخيلة والأصل!

وكان الأمل يحدث بأنه يشد للولى أزره، ويشرح بره صدره؛ ويؤثل مجده،
 ويبقى الذكّر الجميل بعده؛ ففقد من بين أترابه، وذوى عند ما أنع غصن شبايه؛
 وغيب منظره الوسيم في لحده وترايه؛ وسيدنا يعلم أن الموت مهل لا بد من ورده،
 وابن آدم زرع لا بد من حصده؛ وأن المنية تشمل الصغير والكبير، والجليل والحقير،

(١) هو مصدر كالورود عن ابن سيدة أنظر اللسان (ج ٤ ص ٤٧١) .

والغنى والفقير؛ فينبغي له استعمال صبره ، والاستبشار بمضاعفة أجره ؛ والله يمتعه
بأهله وطول عمره .

وله :

لَهْفِي وَمَا لَهْفِي عَلَيْكَ بِنَافِعِ ! * كَلًّا وَلَا وَجَدِي وَلَا حُرْقَاتِي !
يَا مَنْ قَضَى قَفْضِي سُرُورِي بَعْدَهُ * وَتَحَدَّرْتَ أَسْفًا لَهُ عِبْرَاتِي !
عُقْدُ التَّجَلُّدِ حَلَّهَا فَرَطُ الْأَسَى * وَالْقَلْبُ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحَسَرَاتِ !
لَوْ كُنْتَ مَنْ يُشْتَرَى أَوْ يُقْتَدَى * لُقَيْدِيَتِ بِالْأُرُوحِ وَالْمُهْجَاتِ !
كُنْتَ الْمُدَّ لِنُصْرَتِي فِي شِدَّتِي * فَقَضَى الْجِمَامُ بِفُرْقَةٍ وَشَتَاتِ !
وَاللَّهِ لَا أُسَيْتُ نَدْبَكَ وَالْبُكََا * أَبَدًا مَدَى الْأَنْفَاسِ وَاللَّحْظَاتِ !
وَيَسُوءُنِي أَنْ عَشِيتُ بَعْدَكَ سَاعَةً * أَسْفًا لِفَقْدِكَ مَيِّتًا وَحَيَاتِي .

أعظم الله أجر مولانا ومنحه صبراً جميلاً ، وأجراً جزيلاً ، وثناءً عريضاً الشُّقَّة
لثباته على هذه الفادحة طويلاً ؛ وجعل هذه الرزية خاتمة الرزانيا ، ومحصنةً لجميع
الذنوب والخطايا ؛ ولا جفَعه بعدها في قرة عين ، ولا أورد محبوباً شغف به قلبه الكريم
منهل الجمام ولا سقاه كأس الحين .

المملوك يقبل البساط الذي ماقى لنشر المعدلة مبسوطاً ، وكل أمل بيده منوطاً .
وينهى إلى العلم الشريف علمه بهذه المصيبة التي أصابت فؤاد كل محب فأصمته ،
وطرقت سمع كل ولي فأصمته ؛ وولجت كل قلب فأحرقته صبابه وحزنا ، ومررت
على الصلِّد فصدَّعته ولو كان حزنا ؛ وهي وفاة فلان سقى الله عهدَه ، وأسكن الرحمة
ثره ولحده ؛ فشق أسفاً على المفقود جيب كل جنان وطوى الأجداد على جراحها ،
وحسّر الأجساد على أرواحها :

وَمَا هِيَ إِلَّا نَكْبَةٌ أَى نَكْبَةٌ * أَهَاجَتْ سَعِيرًا فِي الْحَشَا يَتَلَهَّبُ !
 فَلَا جِسْمَ إِلَّا بِالتَّحْرِقِ ذَائِبٌ * وَلَا قَلْبَ إِلَّا فِي الْأَسَى يَتَقَلَّبُ !
 بَكَى كُلَّ جَفْنٍ مَضْرَعِ السِّيفِ فَأَغْتَدَّتْ * عَيُونَ عَلَيْهِ فِي الْأَبَاطِحِ تَسْكُبُ !
 لَقَدْ هَالُ عُدَّالِي بُكَائِي تَعْجِبًا * وَإِنَّ بُكَائِي بَعْدَ فَقْدِهِ أَعْجَبُ !
 فَلَوْرَامَ قُسٍّ وَصَفَ حُزْنِي وَلَوْعَتِي * لَقَصَّرَ فِي أَوْصَافِهِ حِينَ يُسْهِبُ !
 فَوَاللَّهِ لَا جَفَّتْ جُفُونِي مِنَ الْبُكَاءِ * وَإِنْ زَادَ عُدَّالِي الْعِتَابَ وَأَطْنَبُوا !

ولهذا أصدر المملوك هذه المطالعة يدعو لمولانا فيها ويعزيه، ويندب فقيدته بالسنة
 الأرقام ويبيكه، ويشره بما وعد الله الصابرين على مثل هذه الرزية ويسليه،
 فيالها نازلةً فجمعت بغضن رطيب، وقير يرفل من الشيبية في ثوب قشيب، وصدعت
 القلوب بفقده حبيب وأى حبيب :

والموت تقاد على كفه * جواهر يختار منها الحياد!

وبعد، فللمملوك في هذه الرزية مشاركة كادت تبين بين روجه والحسد،
 وهو المصيب لهذه المصيبة ما تجده الوالهة على فقد الولد؛ لا يستقر به قرار، ولا يُخيه
 من يد الحزن فرار؛ دأبه البكاء والعويل، وحزنه العريض الطويل؛ فواضعفاه
 عن حمل هذا المصاب، وواأسفاه على مسافر لا ينتظر له قدوم ولا إياب؛ وواعجباه
 لضدين اجتماعا لوالده الكريم الجناب !

تخون المنايا عهدَه في سلبه * وتصره بين الفوارس والرجل !

وعلى كل حال فهو أجدر من استعان على هذه الحادثة بصبره، وشرح لما قد قدر
 فسبح صدره، وشكر الله على حلو القضاء ومره؛ فإكان إلا أحد العمرين فقد
 خلفه عمر، وثاني القمرين أقل فقام مقامه هلال قدم من سفر؛ وفي بقاء المولى

ما يُوجب التسليم للقدَر والقضاء ، والشكر لله تعالى في حالتى الشدة والرخاء ؛ جعله الله في حُرز لا يزال حُرِيزاً مَكِيناً ، وَحِصْنٌ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ حَصِيناً .
وله : أعظمَ الله أجره ، وأطال عُمره ؛ وشرح صدره ، وأجزل صبره ، وسخر له دهره .

المملوك يُنبئ أنه أتصل به خبرٌ صدع قلبه ، وسرق رقادَه ولبَّه ، وضاعف أسفه وكرهه ؛ وهو [موت] فلان تغمده الله برحمته ، وأهمل عليه سحائب مغفرته ؛ وعامله بلطفه ، وجعل الخيرة له في حتفه ؛ فشق ذلك قلبه وعظم عليه ، وقارب لشديد حُرْزِه أن يصل إلى ما وصل المرحومُ إليه ؛ لكنَّهُ ثَبَّتَ نَفْسَه وَثَبَّتْهَا ، ورفع يده بالدعاء للولى وبسطها ؛ وسأل الله أن يطيل بقاءه ، ويحسن عزاءه ، ويحرسه من أزمات الزمان ، فإنه إذا سلم كان الناس في السلامة والأمان ؛ ويجعله عن كل فائت عَوْضاً ، كما أصاره جَوْهراً وجعل غيره من الأنام عَرَضاً ؛ ولقد جلت هذه الرزية على كل جناب ، ودخل حُرْزُها إلى كل قلب من كل باب ؛ جعل الله أجره للولى من أعظم الدخائر ، ومنحه الحياة الأبدية التي لا تنتهي إلى أمدٍ ولا آخر ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(التعزية بالبنات)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال المغربي :

الشيخ فلان عزاه الله على احتسابه ، وجعل الثواب المرتقب أفضل أقتنائه وأكتسابه . معزيه عن فليذة كبده ، ومساهمه في أرقه وسهده ، والفات في عضد صبره الجميل وجلده ؛ فلان . فإني كتبتُه - كتب الله لكم خيراً يذهب جزعكم ،

وَحَسَنَ مَنجَاكُمْ بِالتَّفْدَى الْجَمِيلِ وَمَنَزَعَكُمْ - عِنْدَ مَا وَصَلَنِي وَفَاةُ أَبْتِكُمْ الْمَرْحُومَةِ نَفْعَهَا اللَّهُ بِإِيْمَانِهَا، وَتَلَقَّاهَا بِرُوحِ الْجَنَّةِ وَرِيحَانِهَا؛ وَهِيَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - وَإِنْ أَلَمَّ فَقَدْهَا، وَأَوْجَعَكَ أَنْ أَسْتَأْثِرَ بِهَا لِحَدُّهَا؛ فَلْيَعَزَّكَ عَنْهَا مُصَابِنَا بِنِينَا عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَعَلِمَكَ بِأَنَّا جَمِيعًا بِمَدْرَجَةِ الْحِمَامِ؛ أَتَجِدُ عَلَى الْأَرْضِ خَالِدًا، وَقَدِيمًا نَكَلُنَا وَلِيدًا نَجِيبًا وَوَالِدًا، فَمَنْ خُلِقَ لِلْفَنَاءِ، وَأَخْتَلَسَ بِمَرِّ السَّاعَاتِ وَالْآثَاءِ، جَدِيرٌ أَنْ يَتَّعِظَ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْزَنَ لَذَهَابِ مَنْ ذَهَبَ مِنْ ذَوِي أُنْسِهِ؛ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ رَجَحْتَ مِيزَانَكَ، وَضَمِنْتَ لَكَ يَوْمَ الْمَعَادِ جَنَانَكَ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا أَحْتِسَابًا جَمِيلًا وَصَبْرًا، وَيُوْنِسُكَ وَقَدْ آخْتَارَكَ الصَّهْرَ قَبْرًا، وَيَعْظُمُ لَكَ ثَوَابًا جَزِيلًا عَلَى مُصَابِكَ وَأَجْرًا؛ وَيُعِمْ فِقِيدَتَكَ بِالرَّحْمَى، وَيَسْكُبُ عَلَى جَدَّتْهَا مَزْنَهَا الْأَوْكُفَ الْأَهْمَى، وَيُؤْوِيكَ إِلَى كَنَفِهِ الْأَعْظَمِ الْأَهْمَى، بِمَنَّةِ وَرَحْمَتِهِ، لَا رَبَّ غَيْرَهُ؛ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .

الضرب الثالث

(التعزية بالأب)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال معزيا بوزير :

يَا سَيِّدِي وَوَاحِدِي، وَحَمَلِ الْإِبْنَ الْمَبْرُورِ، وَالْأَخِ الْمَشْكُورِ، عِنْدِي؛ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى، وَرَضَّاكَ بِمَا قَضَى، وَأَمَدَّكَ بِالتَّعْمَى، وَشَمَلَكَ بِالحُسْنَى؛ كَتَبْتَهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكَ الْكَرِيمَ بِمَا نَفَذَ بِهِ الْقَدْرَ الَّذِي هُوَ فِي الْعِبَادِ حَتْمٌ، وَلَهُ فِي كُلِّ عُنُقٍ حَتْمٌ؛ فِي الْوَزِيرِ الْفَقِيهِ الشَّهِيدِ أَبِيكَ كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَنَوَاهُ، وَجَعَلَ الْحُسْنَى الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ مَقَرَّهُ وَمَأْوَاهُ؛ فَاسْفُتْ كُلَّ الْأَسْفِ لِإِفْقَادَانِهِ، وَقَدْ كَانَ عَيْنَ زَمَانِهِ،

وعُمدة إخوانه ؛ تغمده الله بغفرانه ، ونقله إلى رضوانه ؛ وتلك - أعزك الله -
 غاية الأحياء ، وسبيل الأعداء والأحباب ؛ كان على ربنا - جلّ وعلا - حتماً مقضياً ،
 ووعداً مأتياً ؛ والأسوة - أعزك الله - في عمره الفَضْفَاض ، وربه الفَيَاض ، وأنه حُخِمَ له
 بالخير والأَنْبَاض ؛ وكان آخر ذلك [الحسب] القديم ، والجيل الكريم ؛ وقد أمرَكَ الخير
 فافعل ما أمرت به وكن كما ظنك وقدرك وترتك ؛ وإنك بفضل الله تُسَدُّ مسدّه ،
 وتبلغ في كل فضيلة حُضْرَه السابق وشده ، وتعدُّ لأيام من الحدِّ والإِعْتِزَام ما أعدّه ؛
 وإخوتك - أعزك الله - لك أظهر وأعضاء ، وفيهم غزومُضَاد ؛ فأشتمَلْ
 عليهم ، وأرفق بهم ؛ فإنهم يُزَلُّونك منزلةً أيّهم ، وتجد أخلاقه وعونه فيهم ؛ وأما
 ما اعتقده من تكريمك ، وأراه من تفضيلك وتقديمك ؛ فشئء تشهد به نفسك ،
 ويذكره يقينك وحدسك ؛ أشد به اعتناء ، وأجمل له استواء ، وأوفى عنك رداء
 وغناء ؛ جعلنا الله من المتحايين في خلاله ، والمتقلبين في ظلاله ، وأمّنا من الزمان
 واختلاف أحواله ؛ بمنّه والسلام .

الضرب الرابع

(التعزية بالأم)

أبو محمد بن عبد البر المغربي :

مَامَاتَ مَنْ أَنْتَ بَعْدَهُ خَلْفٌ * وَالْكُلُّ فِي الْبَعْضِ غَيْرُ مُتَمَتِّعٍ !

كتب عبده القنّ ، من الأسى لأجله بعض ما يُجِنُّ ؛ المُنْطَوِي على قلبٍ تَطْمئن
 القلوبُ سُلوّاً ولا يطمئن ؛ فلان : بعد وصول كتابه الكريم بصدعٍ يُصمِي القلوب ،
 ويقدُّ أقباء الجيوب ، ويترك الأحباب مصرعين على الجُئوب ، فوقف العبدُ عليه
 متفرّق المدامع ، متحرّق الأضالع ، رائياً سامعاً سبجاً الأبصارِ وأسى المسامع ؛ فيأسفي

لَخَطْبٍ ضَعُفِ رُكْنِ الْجِدِّ وَكَانَ وَثِيقًا ، وَصَوَّحَ رَوْضَ الْفَضْلِ وَكَانَ وَرِيقًا ؛
وَنَقَّصَ حَسَنَ الصَّبْرِ وَلَمْ يَزَلْ صَدِيقًا ، وَتَرَكَ الْعَبْدَ خَلِيقًا بِهَذَا الْقَوْلِ وَمِثْلِهِ مَعَهُ حَقِيقًا ؛
فَأَهَّ لِدَيْنٍ وَمَرُوءَةٍ فَقَدَا فِي قَرْنٍ ، وَعَلَى صَوْنٍ وَعَقَافٍ أُدْرِجَا فِي كَفْنٍ ، وَحَصَانٍ رَزَانٍ
لَا تُعْرَفُ بِوَضْمَةٍ وَلَا تُزَنُّ ؛ لَقَدْ أَصَمَّ بِهَا النَّاسِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَ ، وَأَرَقَّ مَا شَاءَ الْفُؤَادَ
وَأَرَأَى الْمُدْمَعِ ؛ وَلَمْ يُبْقِ قَلْبًا لِلصَّبْرِ إِلَّا صَدَعَهُ ، وَلَا أَنْفًا لِلسُّلُوكِ إِلَّا جَدَعَهُ ؛ وَلَا بَابًا لِلتَّعَزُّيِ
إِلَّا أَرْتَجَهُ ، وَلَا عَقِيمًا لِلتَّأْسُفِ إِلَّا أَنْتَجَهُ ؛ وَلَوْ قُبِلَ فِي الْمَوْتِ فِدَاءً وَصَحَّ أَنْ يُؤْخَذَ
فِيهِ فِدَاءً لَمَا خَلَّصَ إِلَيْكُمْ وَلَا أَلَمَّ ، وَلَا عَدَاكُمْ فِي صُرُوفِ الْمَنَائِبِ الْخَائِفَةِ سَلَمَ ؛
لَكِنْ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَعَمَّ الْحُرْقَةَ ، وَتَسْتَوِي عَلَى الْوَقْتِ الْفُرْقَةَ .

الضرب الخامس

(التعزية بالأخ)

أبو محمد بن عبد البر :

وَكَتَبْتُ وَالْأَنْفُسَ مَرْتَمِضَهُ ، وَالْعَيْنَ غَيْرُ مَعْتَمِضَهُ ؛ وَالْأَنْفَاسَ تَتَّصَعِدُ ، وَالْأَحْزَانَ
تَتَأَكَّدُ ؛ أَسْفًا لِلصَّبَابِ الَّذِي عَمَّ وَعَمَّ ، وَأَسْمَعَ نَعِيَهُ فَاصَمَّ ؛ وَقَالَ لِلفَرَحِ : كُفَّ مِنْ
عِنَانِكَ ، وَلِلتَّرْحِ أَنْتَظِرُ لِأَوَانِكَ ؛ بِوَفَاةِ [الفرد] الَّذِي فِي رَأْسِهِ نُورٌ ، وَسَدَادِ الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ
وَسَدَادِ الثُّغُورِ ؛ وَالْفِدِّ الَّذِي شَهِدَ الرِّجَالَ بِفَضْلِهِ ؛ وَعَقِمَ النِّسَاءُ فَمَا تَبَجَّى بِمِثْلِهِ ؛
أَبِي فَلَانَ صِنُوكُمْ ، السَّابِقِ الَّذِي لَا يُجَارَى ، وَالشَّارِقِ الَّذِي لَا يُسَارَى ؛ وَالغَيْثِ الَّذِي
عَمَّ الْمُنَيْلَ وَالْمُسْتَنْبِلَ ، وَاللَّبِثِ الَّذِي وَرَدَ الْفُرَاتَ زَمِيرُهُ وَالنَّبِيلَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ! تَسْلِيمًا لِلْقَدَرِ وَإِنْ سَاءَ ، وَشِمْلًا لِلرُّؤُسَيْنِ وَالرُّؤُسَاءِ ؛ فَيَا لِهَ الْمُصَابَا تَرَكَ كُلَّ رَأْسٍ
أَمِيًّا ، وَأَوْدَعَ صَهِيمَ كُلِّ فُؤَادٍ بُكْلًا صَيِّمًا ؛ لَقَدْ أَنْصَلَ السُّمَرَ اللَّهَّادِمَ ، وَأَعْمَدَ الْبَيْضَ
الصَّوَارِمَ ؛ وَعَطَّلَ الْكُتَّابَ وَالْمَقَاتِبَ ، وَأَوْحَشَ الْمَفَاوِزَ وَالسَّبَاسِبَ ؛ وَلَمْ يُبْقِ مَشِيدَةَ

عَلَا إِلَّا هَدَىٰ، وَلَا مَدِيدَ ثَاءٍ إِلَّا صَدَّه؛ وَلَمْ لَا وَهُوَ الشَّخْصُ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بِشَرِّ كَثِيرٍ،
 وَيَبْكِيهِ قَلَمٌ وَحُسَامٌ وَمِنْبَرٌ وَسِرِيرٌ؛ وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَهُ بِهِ جَمِيعًا، وَنُوسِعُهُ بِمَجْزِ الصَّفَاءِ
 وَصَفْوِ الثَّاءِ تَوْبَعًا وَتَشْيِيعًا؛ وَفَرَاقَهُ فِرَاقَ الصَّدْرِ خَلْدُهُ، وَالْمُصَابِ جَلْدُهُ؛ فَوَاسْفِي
 لِرُزْنِهِ مَا أَفْظَعَهُ مَوْقِعًا! وَوَارِحًا لِيَوْمِهِ مَا أَظْلَمَهُ مَطْلَعًا! وَوَاخِرْنَا لِنَعِيهِ مَا أَشْنَعَهُ
 مَرَأَى وَمَسْمَعًا!!! فَلَئِنْ جَرَّتِ الدَّمُوعُ لَهُ دِمَا، وَأَضْمَرْتَ الضُّلُوعُ بِهِ مُضْطَرَمًا؛
 لِمَا أَدَّتْ حَقَّهُ وَلَا كَرَبَتْ، وَلَا دَانَتْ بَعْضَ الْوَاجِبِ فِيهِ وَلَا أَقْرَبَتْ؛ وَلَوْلَا أَنَّ
 الْمِينَةَ مَنَهْلٌ لَا يَجْلَأُ وَارِدُهُ، وَمَعْلَمٌ يَهْدِي إِلَيْهِ عَلَىٰ أَهْدَىٰ سَمْتٍ مُبَاعِدُهُ؛ لَمْ يَبْقَ
 فِي أَنْسِ مَطْمَعٌ، وَلَا لِحْزَنِ مَسْتَدْفَعٌ، وَلَكَانَ الثَّاكُلُ غَيْرَ مَا تَرَىٰ وَتَسْمَعُ؛ وَمَا أْتَمَّ
 أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمَكْرَمُ مِمَّنْ يُبَيِّنُهُ عَلَىٰ ذُنُوحِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، يَكْتَسِبُهُ، وَصَبْرٍ فِي الرُّزْءِ
 الْفَادِحِ، يَحْتَسِبُهُ، فَصَبْرًا فَالْمُنُونُ غَايَةُ الْمُسِينِ وَالْمُصْبِحِينَ، وَالنَّبَأُ الَّذِي يُعْلَمُ ذَوْقًا
 وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ؛ وَهُوَ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَرْقِعَ بِمَكَانِكُمْ هَذَا الْخَرْقَ الْمَتْسِعَ، وَيَصِلَ
 بِجَنَابِكُمْ ذَلِكَ الشَّمْلَ الْمُنْصَدِعَ .

ابن أبي الخصال :

الشَّيْخُ فَلَانَ أَبْقَاهُ اللَّهُ يَتَلَقَّى الْأَرْزَاءَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ، وَجَمِيلِ الْإِحْتِسَابِ، وَيَتَقَاضَى
 بِالْتَعَزَى مَرْتَقِبَ الْأَجْرِ، وَمُنْتَظَرَ الثَّوَابِ، مُعْزِيَهُ فِي أَخِيهِ الْكَرِيمِ عَلَيْنَا، الْعَظِيمِ مُصَابَهُ
 الْفَادِحَ لَدَيْنَا؛ فَلَانَ : فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ صَبْرًا تَجِدُونَ ذُنُوحَهُ، وَأَوْجِبَ
 لَكُمْ عَزَاءَ تَجِدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَانَهُ وَأَمْرَهُ - عِنْدَ مَا وَصَلَ مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَبِي فَلَانَ
 أَخِيكُمْ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَدَّرَ الْعَيْشَ وَنَغَّصَهُ، وَجَشَّمَ جُرْعَ الْحِمَامِ الْمَقْطُوعَةَ وَغُصَّصَهُ؛
 فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!! أَسْتَسْلِمًا لِقَدْرِهِ وَقَضَائِهِ، وَأَخْذًا فِيمَا يُدِينِي وَيَقْرُبُ
 مِنْ إِرْضَائِهِ؛ وَمَا نَحْنُ إِلَّا بَنُو الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ دَرَجُوا، وَسَخَّرَجُ مِنْ الدُّنْيَا كَمَا
 قَبَلْنَا نَجْرَجُوا؛ جَعَلَنَا اللَّهُ جَمِيعًا مِمَّنْ يَنْظُرُ لِمَعَادِهِ، وَيَجْعَلُ التَّقْوَىٰ خَيْرًا مَأْوَعَاهُ بِجَدَادِهِ؛

وسلك بنا نهج هدايته وطريق رشاده . وهو جلّ وعلا يُجزل لكم على مصابكم نوابا
عميما موفورا، ويجعل قعيدكم بين أيديكم في يوم القيامة نورا؛ ويلقيّه في دار الفردوس
ملكا كبيرا وحبورا؛ ولولا كذا لسرت إليكم لأعزّيكم شفاها ، وأحدنكم عن ضلوع
أحرق هذا المصاب حشاها؛ لكن أمتثال أمره المطاع، حمل على البدار إلى ما أمر به
والإسراع؛ والله عزّ وجلّ يُديم لنا بكم الإمتاع، بمنه وكرمه، والسلام .

الضرب السادس

(التعزية بالزوجة)

من كلام المتقدمين :

أبو محمد بن عبد البر :

وقد تقرّر عند ذوى الألباب، وثبت ثبوتا لا يعلل بالآرتياب، أن الدنيا قنطرة
دائره، ومعبرة إلى الآخرة، وأن ساكنها وإن طال عمره، وطار في الخافقين أمره،
لديغ سمها؛ وصريع سمها، فما تضحك إلا لتبكي، ولا تؤنس إلا لتنتكي؛ وقد نفذ
القدر الذى ماله ردّ، ولا منه بدّ؛ بوفاة فلانة ألحقها الله رضوانه، وأسكنها بفضله
المرجوّ جنانه؛ فإنّا لله وإنا إليه راجعون!! تأسيا بالسلف الصالح، وتسليا عن ماء
الدّمع السّاخ، وزند القلب القادح . وعند الله نحسبها عقيلة معدومة المئيل، مفقودة
الدين والعفة في هذا الجيل؛ متحلية من دعاء الفقراء، وثناء الصّالحاء، بالغرّة الشاذخة
والنّحجيل؛ لقد ذهب لذهابها الرّفق والحنان، وعدم لعدمها الشّم البرّة والأخلاق
الحسان؛ وإنّ فقدّها نحرق لا يرفع، وغلّة لا تتقع؛ وخطب لا يزال الدهر يتدكّر
فيصدع، ولولا العلم بأن اللّحاق بها أمر كائن، وأن الخلف في الدنيا لا محالة عنها

بائِن ؛ وَأَنْ التَّنْقَلُ لِلآخِرَةِ لِأَنَّكَ نَسِمُهُ وَنَعَايِن ، لَمَّا بَقِيَتْ صُبَابُهُ دَمْعٌ
إِلَّا أَرْفَضْتُ ، وَلَا دِعَامَةٌ صَبْرٌ إِلَّا أَنْقَضْتُ ؛ وَلَكَانَ الْحُزْنَ غَيْرَ مَا تَسْمَعُ وَتَرَى ، وَالوَجْدُ
فَوْقَ مَا يَجْرِي وَجَرَى ، لَكِنْ لَامَعْنَى الْحُزْنَ لَمَّا يَقَعُ فِيهِ الْأَشْتِرَاكُ ، وَلَا وَجْهَ لِأَسْفَافِ
عَلَى مَا لَا يَصِحُّ فِيهِ الْأَسْتِدْرَاكُ . وَمَا أَنْتُمْ بِمَجْدِ اللَّهِ مِنْ يَدِّكَرٍ بِمَا هُوَ فِيهِ أَذْكَرُ ،
وَلَا مِنْ يُنَبِّهَ عَلَى مَا هُوَ بِالتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ أَخْلَقُ وَأَجْدَرُ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ التَّعَازِيَّ بِمَا أَطْرَدَ بِهِ
الْعَمَلُ ، وَسَنَّهُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ ، لَمَّا سَلِكِ سَبِيلَهُ مَعَكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ قَدَرِ الْأُمُورِ
قَدَرَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ لَوْ طَالَتْ فَالْمَوْتُ أَثَرَهَا ؛ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بَدٌّ ، وَلَمْ يَمْنَعْ
مِنْهُ صَدٌّ وَلَا سَدٌّ ؛ فَالصَّبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْجَزَعِ ، وَأَدْلُّ عَلَى كَرَمِ الْمَنْحَى وَالْمَتَرَعِ ، وَأَحْرَى
بِأَنْ يَكُونَ الثَّوَابُ جَزِيلًا ، وَالْجِزَاءُ حَسَنًا جَمِيلًا ؛ وَاللَّهُ بِبِقِيَّتِكُمْ أَمُّ الْبَقَاءِ ، وَيَرْقِيكُمْ
أَمُّ الْأَرْتِقَاءِ .

ابن أبي الخصال :

الشيخ الأجلُّ فلان - أنسَ اللهُ وَحَشَتَهُ ، وَجَدَّدَ عَلَى فَقِيدَتِهِ رَحْمَتَهُ . مَعَزِيَّتِهِ عَنِ
أَهْلِهِ الْهَالِكَةِ وَسَكَنَتِهِ ؛ وَمَسَاهِمُهُ بِأَوْجِبِ حُزْنٍ فِي الْقُلُوبِ وَأَسْكَنَتِهِ . فَلَانَ :
فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ عَنِ دُمُوعِ تَصُوبٍ وَتَسْرِبِ ، وَضُلُوعِ تَحْفَقٍ مِنْ وَجِيهٍهَا وَتَضْطَرَبِ ،
وَأَنْسَ يُشْرِدُ مِنَّا وَيَحْتَجِبُ ، بِمَوْتِ فَلَانَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ الَّتِي أودَعَتْ فِي جَوَانِحِنَا مِنَ الثُّكُلِ
مَا أودَعَتْ ، وَرَضَتْ أَكْبَادَنَا بِمُصَابِهَا وَصَدَعَتْ ، عَزَّأَنَا اللَّهُ جَمِيعًا فِيهَا ، وَأَوْلَاهَا نَعِيمًا
فِي الْفِرْدُوسِ الْأَعْلَى وَتَرْفِيهَا ، وَأَعْقَبَنَا مِنَ الْوَحْشَةِ أَنْسَا ، وَعَمَّرَ بِالرُّحْمَى جَدْنَا مَبَارَكًا
وَرَمْسًا ؛ وَجَعَلْنَا كَلًّا مِنْ يَرْدَعِ عَنِ الْأَنْحِطَاطِ إِلَى الدُّنْيَا نَفْسًا ، بِمَنَّةِ وَكْرَمِهِ .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

لَمَّا علم مملوك المجلس السامى أطلال الله بقاءه ، وأعظم أجره وأحسن عزاءه ، وفاة
السيدة المرحومة سقى الله عهدا عهدا يبلى الثرى ، وجعل الرحمة لمن نزلت به لها
القرى ؛ تألم لفقدها غاية الألم ، ووجد حُرقة كسسته ثوبى ضنى وسقم ؛ وحرنا لا يعبر عنه
بعبارة بيانه ، ولا يستوعب وصفه بلسان قلبه وبنانه :

ولو كان النساء كمن فقدنا * لفضلت النساء على الرجال !

والمولى أولى من عزى نفسه ، وأستحسن رداء الصبر ولبسه ؛ وعلم أن الموت
غريم لا ينجى منه كثرة المطال ، ولا يدافع بالأطلاب والأبطال ؛ وأنه إذا طالب
بذمة كان ألد الخصام ، وإذا حارب فعل بيده ما لا تفعله الكفاة بجد الحسام .

الضرب السابع

(التعازى المطلقة مما يصلح إيراده فى كل صنف)

من ذلك ، من ترسل أبى الحسين بن سعد :

من صحب الأيام وتقلب فى آنائها ، أعتورته أحداتها ، وأختلفت عليه أحكامها ؛
بين مسرة ومساءة يعقبان ، وفرحة وترحة يتناوبان [وكان] فيما تأتبه من محبوبها على
غير ثقة من دوامه وأتصاله ، ولا أمن من تغيره وانتقاله ؛ حتى تعقب السلامة حسرة ،
وتستحيل النعمة محنة ؛ والسعيد من وفق فى كل حال لحظه ، وأعين على ما فيه
سلامة دينه : من الشكر على الموهبة ، والصبر على النازلة ، وتقديم حق الله تعالى

في حال العِبْطَةِ وَالرِّزِيَّةِ . ولم تكن بِالْفَجِيعَةِ به مُفْرَدًا عَنِّي وَإِنْ كَانَ النَّسَبُ يَقْرَبُهُ مِنْكَ ، وَالرَّحِمُ تَصَلُّهُ بِكَ : لَمَا كُنْتُ أَوْجِبُهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَأَرْعَاهُ مِنْ مَوَدَّتِهِ ، وَأَخْتَصَّهُ بِالْأَعْتَادِ فِيهِ دُونَ أَدَانِي أَهْلِي وَالثَّقَةِ مِنْ إِخْوَانِي ، فَمَضَى رَحْمَهُ اللَّهُ أَقْوَى مَا كَانَ الْأَمَلُ فِيهِ ، وَأَكَلْ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي لُبِّهِ وَأَدَبِهِ ، وَاجْتَمَعَ فَهْمُهُ وَكَمَالَ هَدْيِهِ ، وَانْتِظَامُ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَأَدَوَاتِ الْفَضْلِ فِيهِ .

ومنه : لَا يُنْكَرُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَنَاوَلَ مَوْلَاهُ عِنْدَ وَقُوعِ الْحِنَةِ فِي أَهْلِ خَاصَّتِهِ ، وَتَحَوُّنَ رَبِّبِ الْمُنُونِ مِنْ حَاشِيَتِهِ ، بِالْتَعَزُّيَةِ عَنْ مُصِيبَتِهِ ، وَالْإِخْبَارِ عَمَّا يُحْصُهُ مِنْ أَلَمِ جِيعَتِهِ وَعُظْمِ رَزِيَّتِهِ ، لِأَسْمِيًا إِذَا كَانَ بَحِيثٌ لَا يُرَى شَخْصُهُ فِي الْبَاكِينَ ، وَلَا تُسْمَعُ صَرَخَتُهُ بَيْنَ الْمُتَفَجِّعِينَ ، وَلَوْ سَعَيْتَ عَلَيَّ حَدَقَتِي .

ومن ذلك :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ أَهْلَ طَاعَتِهِ ، بِتَنْزِيلِ هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَتِهَا مِنْ إِهَانَتِهِ ، وَسَوَى بَيْنَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ فِي رِغَابِهَا وَمَصَابِئِهَا ، وَلَمْ يَجْعَلِ الْعَطِيَّةَ دَلِيلًا عَلَى رِضَاهُ ، وَلَا الرِّزِيَّةَ دَلِيلًا عَلَى سُنْطِهِ ، وَلَكِنَّهُ أَلْزَمَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الرِّضَا وَالسُّخْطِ مِنْ نَعْمِهَا بِنَصِيبٍ ، وَسَقَاهُمْ مِنْ حَوَادِثِهَا بِذُنُوبٍ : لِيَتَبَلَّى أَهْلَ رِضَاهُ فِي أَهْوَنِ الدَّارَيْنِ عَلَيْهِ ، وَيُحْسِنَ لَهُمُ الْجَزَاءَ فِي أَكْرَمِهِمَا لَدَيْهِ ، وَلِذَلِكَ حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الزَّهَادَةَ فِي زَهِيدِ فَائِدَتِهَا ، وَمُنَّوْحَ زَهْرَتِهَا ، وَسَمَّاهَا لَعِبًا وَلَهْوًا : لِثَلَا يَعْتَقُوا بِحُطَامِهَا ، وَيَنْعَمِسُوا فِي آثَامِهَا ، وَخَمَمَهَا بِالْمَوْتِ الَّذِي كَتَبَهُ عَلَى خَلْقَتِهِ ، وَسَوَى بَيْنَهُمْ فِي سَكَرَتِهِ : ﴿ لِيَجْزِيَ الْبَدِينِ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ . وَيُقَرَّبُهُمْ بِدَارِ يَفْنَى الْمَوْتِ وَيَقْوُونَ فِيهَا بَعْدَهُ ، كَمَا فَنُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَيَقِي الْمَوْتُ بَعْدَهُمْ ، فَإِنْ تَأَخَّرَ الْأَجَلُ فَلِئْلِ غَايِهِ ، وَإِنْ تَطَاوَلَ الْأَمَدُ فَلِئْلِ نَيْهَايِهِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَلْتَقِيَ التَّالِي الْمَاضِي ، وَالْآتِي بِالسَّالِفِ ، وَهَذِهِ حَالُ نُصَبِ الْأَفْكَارِ ، وَتِلْقَاءِ الْأَبْصَارِ ، لِاتِّحْتَاجِ أَنْ يَرْتَضِيَ الصَّبْرُ عَلَى آلَمِهَا ،

والتحمل لمُعِضَلَاتِ سِهَامِهَا ، وَالجَزَعُ عِنْدَ وَقُوعِهَا قَادِحٌ فِي البصائرِ وَالأفهامِ ، دَالٌّ عَلَى الجَهْلِ بِاللَّيَالِيِ وَالْأَيَّامِ ؛ وَقَدْ طَرَقَ المَمْلُوكَ نَاعِي فلانَ فَهَدَّ جَلَدِي ، وَقَتَّتْ كَيْدِي ، لَا أَرْتِيعَا لِلمُحَادَثَةِ : لِأَنَّهَا لَوْ لَمْ تُكُنْ فِيهِ لَكَانَتْ فِي المَمْلُوكِ ، وَلَوْ لَمْ تُتَطَرَّقْ إِلَيْهِ لَتَطَرَّقَتْ إِلَى المَدْرِكِ (؟) وَلَكِنِ الأَسْفُ عَلَى عَطَلِ الزمانِ مِنْ حِلْيَةِ فَضْلِهِ ؛ وَتَعَزِيهِ مِنْ حُلَّةِ نُبْلِهِ ، وَخُلُوِّ عِرَاصِهِ مِنَ الأُنْسِ بِمَثَلِهِ ، وَمَانَالِ سَيِّدِي لِقَدَمِهِ ، وَتَجَمُّلِهِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَإِلَى اللهِ تَعَالَى يُرَغَّبُ المَمْلُوكُ أَنْ يَرِيطَ عَلَى قَلْبِهِ بِالصَّبْرِ ، وَيُوقِّعَهُ لِتَنْجِزِ ما وَعَدَ بِهِ الصَّابِرِينَ مِنَ الأَجْرِ ؛ إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

علي بن خلف :

رُقْعَةٌ : لَيْسَ عِنْدَ المُصِيبَةِ - أَطالَ اللهُ بقاءَ سَيِّدِي - خَيْرٌ مِنَ التَّسْلِيمِ إِلَى اللهِ وَالرِّضَا بِقَضائِهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى بَلائِهِ ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى مَدَحَ الصَّابِرِينَ فِي كِتابِهِ ، وَوَعَدَهُمْ بِصَلواتِهِ . فَقَالَ جَلِ قَائِلًا : ﴿ أَيُّدِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ ﴾ . وَقَالَ جَلِ قَائِلًا : ﴿ وَبَشِّرِ المُخْتَبِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى ما أَصَابَهُمْ ﴾ . وَلَمْ تَرَلِ الأُولِياءُ مِنَ القَدَماءِ يُحْضِنُونَ عَلَى الصَّبْرِ وَهُمْ لا يَرْجُونَ عَلَيْهِ ثوابًا ؛ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الجَزَعِ وَلا يَخافُونَ عَلَيْهِ عِقابًا ؛ وَمَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ وَتَدَاوُلَها ، وَالأَحْوالَ وَتَحَوُّلَها ، وَسَعَّ صَدْرَهُ لِلنَّوائِبِ ، وَصَبَرَ عَلَى تَجَرُّعِ المِصائبِ ، وَمَنْ أَغْتَرَبَطُولَ السَّلامَةِ ، وَطَمِعَ فِي الأَسْتِمْرارِ وَالإِقامَةِ .

رُقْعَةٌ : وَقَدْ اتَّصَلَ بِالمَمْلُوكِ خَبَرُ الفَجِيعَةِ بِفلانَ ، فَأُفِضَتِ المَدامِعُ ، وَتَضَعَّضَتِ الأَضالِعُ ؛ وَزَفَرَتِ الأَنْفاسُ ، وَهَمَدَتِ الحِوَّاسُ ؛ وَأَذابَ الطَّرْفُ

(١) لم يذكر في الاصل لهذا الشرط جوابا ويميلن أخذه من المقام أى «فقد حاول محالا، وضل في سعيه

سَوَادُهُ عَلَى الْوَجَنَاتِ بَدَلًا مِنَ الْأَنْقَاسِ ، وَخَلَعَتِ الْقُلُوبُ سُودَاءَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ ،
 عَوْضًا عَنْ جَلَائِبِ الْحِدَادِ ؛ وَعُضَّتِ الْأَنَامِلُ جَزَعًا ، وَمَزَّقَتِ الشِّبَابُ تَفْجَعًا
 وَتَوَجُّعًا ؛ وَكُلُّ هَذَا وَإِنْ فَارَقَ حَمِيدَ التَّمَّاسِكِ ، وَوَافَقَ ذَمِيمَ التَّهَالُكِ ، غَيْرُ مُؤَيِّدٍ بِحَقِّ
 ذَلِكَ الدَّارِجِ الَّذِي بَلَغَ الْمَعَالِي وَهُوَ فِي مَهْدِهِ ، وَشَدَّ دَعَائِمَ الْفَضْلِ وَلَمْ يَبْلُغْ أَوْانَ
 رُشْدِهِ ؛ وَعَلِمَ سَيِّدِي أَنَّ غَايَةَ الْجَزَاعِ وَإِنْ صَدَعَتِ الْمُصِيبَةُ قَلْبَهُ ، وَأَطَاشَتِ
 الْفَجِيعَةُ لَبَّهُ ، الصَّبْرُ وَالسُّلُوبُ ؛ وَأَنَّ نِهَايَةَ الْقَلْبِ وَإِنْ هَجَمَتْ عَلَيْهِ الْحُرْقَةُ بِمَا لَانْتَوَفَّرَ عَلَيْهِ
 الْأَضَالِيعُ ، وَلَا نَتَمَّاسِكُ مَعَهُ الْمَدَامِيعُ ، الْقَرَارُ وَالْهُدُودُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيهِ بَعْدَ هَذَا
 الرُّزْءِ رُزْءًا يَفْنَانُهُ ، وَيَنْقُلُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَى حَاسِدِيهِ وَأَعْدَائِهِ .

رقعة : مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْأَقْضِيَّةَ لَا تُحْطَى سَهْمُهَا ، وَالْأَقْدَارَ لَا تُرَدُّ أَحْكَامُهَا ، سَلَّمَ
 الْأَمْرَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَرَضِيَ بِمَا مَنَاهُ فِي الْبَلَاءِ وَالْإِتِّبَاءِ ؛ وَلَا سِيَّامًا فِي مُصِيبَةِ
 الْمَوْتِ الَّتِي سَوَى بَيْنَ الْخَلِيقَةِ فِي تَجْرِيعِ صَاحِبِهَا ، وَأَقْتِحَامِ عِقَابِهَا ؛ وَقَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ
 خَيْرُ الْحَادِثِ الْقَاصِمِ لِعُرَى الْجِلْدِ ، الْبَارِحِ فِي الْجِلْدِ . فَاسْتَحَالَتْ فِي عَيْنِ الْمَمْلُوكِ
 الْأَحْوَالُ ، وَمَالَتْ عَنْهُ الْأَمَالُ ، وَرَأَى السَّمَاءَ وَقَدْ تَكَدَّرَ جَوْهَا ، وَالشَّمْسَ وَقَدْ تَعَكَّرَ
 ضَوْهَا ، وَالسَّحَابَ وَقَدْ أَخْلَفَ نُوْهَا ، وَالنَّهَارَ وَقَدْ أَظْلَمَ ، وَاللَّيْلَ وَقَدْ أَدْلَهَمَ ، وَالنَّسِيمَ
 وَقَدْ رَكَدَ ، وَالْمَعِينَ وَقَدْ جَمَدَ ، وَالزَّمَانَ وَقَدْ سُهَمَتْ وَجْتَهُ ، وَسُلِّبَتْ حَلِيَّتُهُ ،
 وَأَفْرَجَتْ قَبْضَتُهُ عَنِ التَّمَّاسِكِ ، وَقَبِضَتْ عَلَى التَّهَالُكِ ، وَعَدَلَتْ عَنِ التَّجَلُّدِ ، إِلَى
 التَّبَلُّدِ ؛ ثُمَّ أَفَاقَ مِنْ عَمْرَةٍ فِجَاعِيَّتِهِ ، وَهَيِّبَ سِنَةَ رُوَيْتِهِ ، فَسَلَّمَ لِلَّهِ رَاضِيًا بِأَقْضِيَّتِهِ ،
 رَاغِبًا فِي مَثْوِيَّتِهِ .

أبو الفرج البيهقي :

إذا كان أيده الله أهدى في النعم إلى سبيل الشكر، وأعرف في المحن بطرق الصبر؛ فكيف يُحاذرُ عليه من المصائب، ونذكره التسليم لمحتوم النوائب؛ والمصيبةُ بفلانٍ أعظمُ من أن نهتدي فيها إلى سلوةٍ غير مستفاديةٍ منه، أو نقتدي في العزاء بغير مانأخذه عنه؛ إذ كانت قلوبنا تبع قلبه - سره الله - في طروق السراء والضراء، وحالاتي الشدة والرخاء. وأحسن [الله] عن الفجعة عزاءه، وأجزل من المثوبة عطاءه؛ ولا شغله عن حلاوة شكر النعم بمرارة الصبر على ورود المحن، وجعل مانقل الماضي إليه، أنفع له وليسدي من الجزع عليه.

وله في مثله :

أتصل بي خبر المصيبة فجدد الحسره، وسكب العبره، وأضرم الحرقه، وضاعف اللوعة، وكان الأسف عليه، بقدر تشوف الآمال كانت إليه : فإننا لله وإننا إليه راجعون!! أخذنا بأمره، وتسلياً لحكمه، ورضاً بمواقع أفضيته، وأحسن الله في العزاء هدايته، وحرص من فتن المصائب بصيرته، وحمل عن قلبه ما أظله من ثقل المصيبة وعظم الرزية.

ولا أزال على جملة من القلق إلى أن يرد على كتابه - أيده الله - بما أكون فيه بأديه مقتدياً، وهداياته إلى سبيل العزاء والصبر مهتدياً؛ فإن رأى إجرأى من تشريفه بذلك على مشكور العادة، فعل، إن شاء الله تعالى.

وله في مثله :

أشترك القلوب فيما ألم بقلب سيدي بحسب تساويها في المسرة بما سره، إذ كان لا يختص دون أوليائه بنعمه، ولا ينفرد دون مؤمليه بحلول موهبه، والمصيبة بفلان

- وإن جَلَّ موقعها وعُظمت الفَجِيعَة [بها] - جَلَلٌ مع سُقُوطِ الأَقْدَارِ دُونَهُ ،
وتجاوُزِها عنه ، ومُساخِمتِها به ، فلا شَغَلَ اللهُ قلبه بَعْدَها بَمَرارةِ الصَّبْرِ عَمَّا تُوجِبُه النِّعم
من حَلَاوَةِ الشُّكْرِ ، ولا جاوَرَه برِزِيَّة في حِمم ولا نَعْمه .

وله في مثله :

بصيرتُكَ إلى العِزاءِ تَهْدِيكَ ، وأَعْتباطُكَ بِثَوَابِ اللهِ يُسَلِّيكُ ، وعائِمُكَ بِقِلَّةِ الغِناءِ
عن الجِرْعِ يَنْثِيكَ ، وجمَعنا بِكَ في الصَّبْرِ مَقْتَدُونَ ، ولرَأْيِكَ في الرِّضَا بما آخَرَهُ اللهُ
تعالى مَتَّبِعُونَ ؛ فحَمَلَ اللهُ عن قلبِكَ ثِقَلَ المِصِيبَةِ ، وحرَسَ يَقِينِكَ من أَعْتراضِ
الشَّبهَةِ ، وأَحْسَنَ إلى جَميلِ الصَّبْرِ هِدايَتِكَ ، وتَوَلَّى من قِينِ المِحْنِ رِعايَتِكَ ، وجعل
ماتَقَلَ المَاضِي إليه ، أنْفَعَ لَكَ وله من الأَسْفِ عليه .

وله في مثله :

(٢)
اتَّصَلْ بِى خَبْرُ المِصِيبَةِ فَأَضْرَمَ الحِمْرَه ، وَسَكَبَ العَبْرَه ، وَقَدَحَ اللُّوعَه ، وَأَمْتَرَى
الدَّمْعَه ، وَكانتْ مُشارِكْتِي إِيّاكَ في المِصِيبَةِ به ، وَالْفَجِيعَةِ لِفَقْدِهِ ، بِحَسَبِ اِختِصاصِي
بِما هَبَ اللهُ عِنْدَكَ ، وَأَعْتباطِي بِمِنَحِهِ لَدَيْكَ ؛ فَإنا اللهُ وَإنا إِلَيْهِ راجِعُونَ !! تَسْلِيًّا
لأَمْرِهِ ، وَأَنْقِبادًا لِحُكْمِهِ ، وَرِضًا بِمواقِعِ أَقْدارِهِ ، وَأَحْسَنَ اللهُ عَلى العِزاءِ تَوفيقَكَ ،
وَإلى السَّلْوةِ إرْشادَكَ ، وَلا أَخْلاكَ فيما تَطْرُقُكَ به مِصِيبَةٌ من مِصاحِبَةِ الصَّبْرِ ،
وَفيما تَقْدُ به عَلَيْكَ نَعْمَةٌ من الأَسْتِرادَةِ بالشُّكْرِ ؛ وَحَرَسَكَ في نَفْسِكَ وَأَحْيَتِكَ ، وَذَوَى
عِنايَتِكَ وَنِعْمَتِكَ .

(١) أى يسير هين على حد قول امرئ القيس لما قتل أبوه :

بقتل بنى أسد ربههم * ألاكلى شئ سواه جل

(٢) فى القاموس « ومرى الشئ أستخرجه كما تراه » .

وله في مثله :

قدرك أكبر ، وبصيرتك أنور ، ونفقت بالله تعالى أعظم من اعتراض الشُّكوك
عليك فيما يطرُقك من عِظاته بالحوادث وإن عظمت ، والمحن وإن جلت ؛ اختياراً
بالمصائب لصبرك ، وبما يُظَاهِرُهُ عليك من النعم لشُكرك ، ومثلك أيدك الله من قابل
الفتيعة بفلان - إذ كانت من الواجب المحتوم - بأحسن عزاءٍ وأفضل تسليم ، غير
مرتاتب بما آختره الله له ولك فيه ، فعظم الله به أجرك وحرّسك وحرّس فيك .

الأجوبة عن التعازي

قال في "موادّ البيان" : أجوبة التعازي يجب أن تُبنى على وقوف المعزّي على
كتاب المعزّي ، وأن إرشاده نفع غلته ، ووعظه نفع علته ، وتبصيره سكن أواره ،
وتذكيره أحمد ناره ، وتنبهه أيقظ منه بحسن العزاء غافلاً ، وهدى إلى الصبر ذاهلاً ،
وحسن عنده الرزية بعد جهامتها ، ودمت نفسه للمصيبة بعد فدّامتها ، فسلم الله تعالى
متادّباً بأدبه ، وعمل بالحكم مقتدياً بمذهبه ، وغالب الرزء بالعزم ، وأخذ فيه بالحزم ،
وسأل الله تعالى أن يُحسن له العوض في رده ، ويجعله له خلفاً ممن أُصيب بفقده ؛
ونحو هذا مما ينخرط في سلكه .

جواب عن تعزية : من زهر الربيع :

أعز الله سيدنا وأسعدّه ، وسهل له طريق المسرة ومهدّه ، وصان عن حوادث
الأيام حجابّه ، وعن طوارق الحدّثان جنابّه ؛ وجعله في حمى عن عوارض الغير
والغمر ، وأصار أيامه محسنةً لوجوه الأيام كالغمر .

ورد الكتابُ الذي أنعمَ بإرساله ، بل المشرفُ الذي كَسَتْهُ اليدُ العالِيَةُ حُلَّةً من حَلَلِ جَمالِهِ ، فوقفَ عليه وفهمَهُ وتذكَّرَ به إحسانَهُ الذي لا يَنسَاهُ ، وتفضَّلَهُ الذي لا يَعْرِفُ سِوَاهُ ؛ فأما التعزِيَةُ بفلانٍ ، فإنه ردَّ بعَدْبٍ لفظها قُوَّتَهُ ، وبَلَّ بماءِ حُسْنِهَا غُلَّتَهُ ؛ وضربَهُ على حادثته بفلانٍ بعد أن عَزَّ عليه العَزَاءُ وأعوذَهُ ، وطلبَ وعدَهُ من صَبْرِهِ فما أنجزَهُ : لأنه كانَ وجدَ لموتِ المذكورِ حُرْنًا ما استَطَاعَ له تَرَكَأ ، وقدَ لموته حِلًّا مثله يُنَاحُ عليه وَيُكِي ؛ وفي بقاءِ مولانا مسرَّةً تطرَّدَ كلُّ حَزَنٍ ، وفي بهاءِ طَلْعَتِهِ عَوْضٌ عن كلِّ منظرٍ حَسَنٍ ، جعله اللهُ سامِيًّا على أترابه ، مقدِّمًا على أضرابه ؛ ما سَمَتِ الأسماءُ على الأفعالِ ، وتقدِّمُ الحَالُ على الإِسْتِقْبَالِ .

آخر : ضاعَفَ اللهُ بقاءَهُ وأطالَ عُمرَهُ ، وشرحَ لإسداءِ المكارِمِ صدرَهُ ؛ وأنقَذَ نِيَّةَ وأمرَهُ ، ولا زالَ إلى أوليائِهِ مُحْسِنًا ، وفضلَهُ يحصِّلُ لمحبيهِ غايةَ السُّؤلِ والمنى ؛ وردَ مشرفُهُ المعزِّي بوفاةِ فلانٍ سقى اللهُ عهدَهُ عهدًا رِضوانَهُ ، وأسكنَهُ في عُرفِ عُقرانِهِ ؛ فبخرَ مِصْابًا ، وفتحَ إلى الصَّبْرِ أبوابًا ؛ وهدى إلى طريقِ الخيرِ وقال صَوَابًا ؛ وسكَّنَ نَفْسَهُ ، وذكَّرَهُ إحسانَهُ الذي لم يَنسَهُ ، وأزالَ الوحْشَةَ وزادَ أُنْسَهُ ، بعد أن كانَ فقدُ المذكورِ قد هدَّ رُكْنَهُ وفَتَّ عَضُدَهُ ، وأوصلَهُ إلى أمدِ الحُزَنِ وضاعَفَ على الأيامِ أمدَهُ ؛ وألبسه رِداءَ الأَكْتابِ ، على تَرَبُّهِ الذي أصبحَ تحتَ التُّرابِ ، وصديقه الموصوفِ بالصدقِ ، الذي فاقَ سناءَ ذلكَ الأُفقِ ؛ جعله اللهُ أصلًا في تحصيلِ المسرَّةِ إذا ذوتِ الفُرُوعُ ، وسيقًا يقهرُ به وليُّهُ الحوادثِ التي تَرُوعُ ؛ إن شاء اللهُ تعالى .

آخر : جعل اللهُ أجرَهُ عظيمًا كقدْرَهُ ، والقلوبَ مجمعةً على حبه كاجتماعِ الألسنةِ على شُكْرِهِ .

المملوك يُعلمه بُرُود كتابه الكريم المعزى بفلان - قدس الله رُوحه، وأمطر سحابَ
الرحمة ضريحه - عليه، وعنده من شديد الحزن، ما أعدمه لذيذ الوسن؛ ومن زائد
الآكتئاب، ما كاد يحرمه التقمص بثوب الثواب؛ بحيث إنه عوض بالزمن الأسود
عن العيش الأخضر، وذاق من موجب لبس الأبيض طعم الموت الأبحر، وأنه ضمّه
إليه ضمّ المحبوب، وأبتهج به أبتهج من ظفر بغاية السؤل والمطلوب؛ فأعمدت
الكتابة خوفاً من قلمه سيفها، وأزالت الدنيا الدنية عنه حيفها؛ وعزى نفسه
وسلاها، وشغله إحسانه عن محاسن محا الموت سناها؛ فرفض من توجهه ما فرضته
حادثته، وسلك منهاج غير المنهج الذي فتتت فيه حشاها ومهجته؛ فالله تعالى يكفينا
مانحاذره في المجلس ويجرس سناها، ويديم سعده وعلاه.

النوع الثالث

(من مقاصد المكاتبات التهادى والملاطفة)

قال في "موادّ البيان": رِقَاعُ التَّهَادَى يجب أن تُودَع من الألفاظ المستحسنة
ما يهدد لقبول الملاطفة والمبرة التي تميز في المودة. قال: وينبغي أن يُطَرِّف الكاتبُ
إذا كان مُهْدِياً أو مُسْتَهْدِياً؛ وقد جرت العادة أن تُودَع هذه الرقاع من أوصاف
الشيء المُهْدَى ما يحسّنه في نفس المُهْدَى إليه. قال: وينبغي لمن ذهب هذا
المذهب أن لا يعتمد تفخيم هديته، ولا الإشارة إلى جلاله خطرهما، فإن ذلك يُجِلُّ
بشروط المروعة ويتحاماها الكرماء.

ثم هي على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول

(ما يُكْتَبُ مع التَّقَادِمِ إلى المُلُوكِ من أهل مملكتهم

إلى القَائِمِينَ بإيصال التَّقَدِيمَةِ إلى المَلِكِ وكتابِ السَّرِّ ونحوهما)

الشيخ جمال الدين بن نباتة : إلى كاتبِ السَّرِّ بالأبواب السلطانية صحبةً تَقَدِّمَةُ
من نائب الشام إلى السلطان :

لا زالت أعلامها لتتأجج الفضل مُقدِّمه ، ولمرأ كض الكرم والبأس جيداً مُسوِّمه ؛
ولكاتبِ الملك من كُتِبَ أعلاماً بشعارها العباسيِّ مُعلمه ، وفي يد صاحِبها من أصحاب
الميمنة ، والذين كفروا بآياتِ الله ونعمِها من أصحاب المشأمة ؛ تقبيلٌ مُحبٌّ لا تُفسخُ
عقودُ ولائه المحكمه ، ولا تُنسخُ إلا في الكُتُبِ عقودُ شئائه المنظمه ، ولا تطوفُ
الأشواقُ بيتِ قلبه إلا وهى من ملابس السلوان المحرمِ مُحرمه .

ويُنهى أنه قد اختار من عناية مولانا بمقاصده أحسن الخبير ، وبورك له
في قصدها (ومن بورك له في شئٍ فليزمه) كما جاء الخبر ؛ وقد جهَّز فلانا إلى الأبواب
الشريفة خلد الله سلطانها بتقدمته على العادة في كلِّ سنة ، وأتبع سفارة مولانا بين
يدي المواقفِ الشريفة فاتبع من القول أحسنه ؛ وسأل حُسنَ نظر مولانا الذى إذا
لاحظ قصداً أعلنه وسعدا عينه ، وقد جهَّز المملوك برسم مولانا ماهو بمقتضى الورقة
المجهَّزة عطفها ، المؤمَّلة وإن كانت ورقةً قُطِّفها ، وسأل مقابلتها بالخبر الذى يحسب
الأمل حساباً ، ويستفتحُ ببنانِ القلم بابه ، والإصغاء لما يُعْمَلُ من رسائلِ الشوقِ
فإنها من رسائلِ إخوان الصفا المستطابه ، لا يبرح القاصدون مَرِحِينَ بأيام مولانا
وحقَّ لهم أن يَمْرَحُوا ، تالين نسبة بيته ورُحمى الله على يده : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ .

وله إليه أيضا مع الجهّاز الشريف السلطاني :

أمتعها الله من خيرى الدنيا والآخرة بكرم الأمرين ، وبشرف الدّكرين ، وسرها
بما يجهز في الثناء والثواب من الوفرين ، وأعلى منارها المحقق إلى السماء على وكر
النّسرين . ولا زالت الآمال لا تبرح حتى تبلغ من تلك اليدين بجمع البحرين ؛ بتقبل
مخلص في الولاء والدعاء ، مستشهد بالخواطر الكريمة على ثبوت الأدعاء ، واردة لموارد
النعم قبل صدور بل قبل ورود الرّعاء .

وينهى أنه ليس للملوك فيما يومئه ويتأمله ، ويفصله من عقود المطالب ويجهله ؛
غير إحسان مولانا الذى لا يملّ على طول الإيناس والإلباس ، وعوارف بيته
المستجدة تالية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ . وقد جهّز الملوك الولد فلانا
بالجهّاز المبارك إلى الأبواب الشريفة خلد الله سلطانها ، وملا به جواهر حبات
القلوب ورينجانها ، وهو على قدر الملوك ومقداره ، لا على قدر مراده واختياره ؛ ولو أن
المراد مما يجهله العبد إلى سيده ، ويقدمه من سبد الحلال ولبده ، على قدر المحمول
إليه ، والمقدم بين يديه ، لضعفت قوى أكثر العبيد عن ذلك ، ويئس من الرضوان
جهدهم المالك ؛ وإنما على العبيد أن تنصب على قدرتها الحلال ، وعلى السادى
أن تصرف بعوامل الخبر مستقبل الأفعال . وعلم مولانا الكريم محيط بتنقل الملوك
في هذه السنين من بلد إلى بلد ، ومن أمد كلفه إلى أمد ، وبما حصل في ذلك من
التمحق في إقطاعات كاد أن ينجني عليها الذى أخنى على لبد . وكان الملوك يود لو كان
هذا المحمول من الجهّاز من جواهر النجوم المنشورة ، وأخبية السعود الماثورة ،
وجميع ما زين للناس من الشّهوات المذكورة ، أضعاف أضعافه الآن ، بل أضعاف
أضعاف ما حمل الأولون من فلان وفلان ؛ كالحسن بن سهل مع الجهة المأمونية التي
حالا ذكرها ، وابن طولون مع المعتضدية التي كثر هذا الغيث قطرها ، والساماني

وما أدراك، والسَّاجُوقِ وما أسراك، وجميع ما تضمَّنته التواريخ التي لو عاينت تاريخ هذه الدولة الشريفة عنت في الحال لمجدّه، وكان كلُّ مجلّد منها يموت للهية في جلده : لما خلّده أيامها الشريفة من أخبار حكمها وخيرها، وكرمها وبرّها، وعظفها على ممالك بيتها الشريف : تتقبل ميسورهم، وتكفل سرورهم ؛ وعلماً بجيوش الأئسراح صدورهم ، وتبلغهم من همم مطلوبهم ؛ وتُقيل على زاهرات نجايهم ورياحين قلوبهم :

ولو لم تُطعهُ نِيَاتُ الْقُلُوبِ * لَمَا قَبِلَ اللهُ أَعْمَالَهَا .

والمملوك يسأل من إحسان مولانا الذي ألفه، ومعروفه الذي عرفه، ملاحظة الولد فلان بين يدي المواقف الشريفة خلّد الله سلطانها، وإقامة عذر المملوك بعبارته التي أحلّ الله بحرها وبياتها ؛ فإلى المملوك في مقاصده مثل مودة مولانا الوايفة المتوافية ، ومقدمة عبارته الكافية الشافية ؛ والله تعالى يعين على شكر منته، والقيام بفرائض حمده وسننه ؛ والنهوض بأوصاف أياديه التي يغزّد بها قلم الكُتّاب كما يغزّد القمرى على فننه .

الضرب الثاني

(ما يكتب مع الهدية عند بعثها)

وهو على عشرة أصناف :

الصنف الأول — ما يكتب مع إهداء الخيل .

على بن خلف : في إهداء جوادٍ أدهمٍ أغرٍّ محجلٍ .

وقد خدم المملوك ركابه الأكرم ، بجوادٍ أدهمٍ مطهّمٍ ، قد سلب الليل غياهبه

وكواكبه ، فأشتمل بأديمه ، وتحلّى بجُجومه ، وأطلع من غرته الساذجة قرماً متصلاً

بالحجره ، وتحلى من رُمته بالثرى^(١) أو النثره ، صافى القميص ، محوض الفصوص ،
 حديد الناظر ، صليب الحافر ، وثيق القصب ، نقي العصب ، قصير المطاء ، جعد
 النسا ، كأنما أنتعلت بالرياح الأربع أربعه ، وأصغى لأستراق السمع مسمعه ،
 إن ترك سار ، وإن غمز طار ، وإن ثنى أنحرف ، وإن أستوقف وقف ، أديب
 نجيب ، متين صليب ، صبور شكور ، والله تعالى يجعل السعادة مطلع غرته ، والإقبال
 معقد ناصيته .

من كلام المتأخرين :

كتاب عن نائب الشام إلى الملك الصالح : شمس الدين صاحب ماردين قرين خيل
 منعم بها إليه ، عن السلطان الملك الصالح : عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد
 ابن قلاوون - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الألقاب .

وأجرى بالنصر جياده ، وبالظفر مراده ، وعلى عوائد السعد مطالع شمسه التي
 يُسميها عرف الملكة بلادَه ، ولا زالت منيرة بسعادة شمسه الأحلاك ، نظيمة بدر
 محامده الأسلاك ، مائلة خيول سعدة حتى حمر السوابق من البروق والشهب السواخ
 في الأفلاك .

المملوك يقبل اليد التي إذا بسطت فلأن تجود وتسلم ، وإذا قبضت فعلى سيف
 أوقلم .

ويُنهى بعدولاءٍ وثناءٍ للإخلاص شارحين ، وفي الضمائر والآفاق سائحين ، وأشتياقٍ
 وعهدٍ كانا أحق بالانتماء لاسمه ونعته وكان أبواهما صالحين ، أن المرسوم الشريف
 زاده الله تعالى شرفاً ، ورد يتضمن تشريف مولانا على العادة وإعظامه ، وأستقرار
 مكانته من الخواطر الشريفة في دار مقامه ، وأستمرار كرامته من الآراء المعظمة

(١) هي بالضم بياض في طرف أنف الفرس . تاموس .

ولا يُتكرين الصالح والصالح استمرار الكرامة ، وأنَّ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةَ أَنْعَمَتْ عَلَى
 مَوْلَانَا بِثَلَاثَةِ أَرْوَسٍ مِنَ الْخَيْلِ كَثَلَاثَةِ الرِّاحِ ، إِلَّا أَنَّ حَبَابَهَا عَرَقُ سَبْقِهَا ، وَثَلَاثَةَ
 الشَّجَرِ (؟) كَمَا قَالَ الطَّائِي تَسَاوَى شَرَفَ ثَمَرِهَا وَزَهْرَهَا وَعَرَفَهَا بِمَا مَنِهَا إِلَّا مَنْ تَقْصُرُ^(١)
 الرِّيحُ أَنْ تَسْلُكَ بَجْهَ ، وَالْبُرُوقُ أَنْ تَتَّبِعَ نَهْجَهُ . وَمَنْ تَوَدُّ الثَّرِيًّا أَنْ تَكُونَ لِجَامِهِ
 وَالْهَالِلُ أَنْ يَكُونَ سَرَجَهُ . وَمَنْ يَتَمَطَّرُ كَالْغَمَامِ وَيَرْكُضُ كَالسَّيْلِ . وَمَنْ كَلَّمَتْ حِلَاهُ
 وَلَيْسَ حُلَّةُ الْفَخَّارِ فَشَى عَلَى الْخَالَتَيْنِ فِي الْخَلَّتَيْنِ مُسْبِلَ الدَّيْلِ . وَمَنْ عُقِدَ بِنَاصِيَتِهِ كُلُّ
 الْخَيْرِ وَعُقِدَ لَهُ لَوَاءُ الْفَخَّارِ عَلَى كُلِّ الْخَيْلِ : مِنْ كُلِّ خَضْرَاءٍ مُعْجِبَةٍ فِيهِ عَلَى الْمَجَازِ
 حَدِيقِهِ ، وَكُلِّ أَحْمَرَ سَابِقٍ فِيهِ الْبُرْقُ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَكُلِّ أَصْفَرَ شَفَقٍ إِلَّا أَنَّ الرِّيحَ
 مِنْ مَجَارَاتِهِ عَلَى نَفْسِهَا شَفِيقَهُ . وَكَيْفَ لَا يُشَبَّهُ بِالشَّفَقِ وَهُوَ مِنَ الْأَصَائِلِ ، وَكَيْفَ
 لَا يَفْتَخِرُ الْعَسْكَرِيُّ بِهَذِهِ الْخَيْلِ وَخَنَاصِرُ عَدَدِهَا فِي الْحُسْنِ وَأَوَائِلِ ، قَدْ صُرِفَتْ وَجُوهُهَا
 الْمَقْبَلَةَ ، لِأَبِ مَوْلَانَا أَحْسَنَ الْمَصَارِفِ ، وَكُتِبَتْ عَوَارِفُ الْفَضْلِ فِي مَعَارِفِهِ الْمُسَبَّلَةَ ،
 فَنَاهِيكَ مِنْهَا بِكَلْبِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ ، وَوَصَلَ لِمَوْلَانَا بِذَلِكَ مِثَالُ شَرِيفٍ ؛ وَرَسَمَ
 لِلْمَمْلُوكِ بِتَجْهِيزِهَا مَع مَنْ يَرَاهُ ؛ وَقَدْ جَهَّزَ الْمَمْلُوكُ لخدمَةِ مَوْلَانَا الْخَيْلَ الْمَذْكُورَةَ مَعَ الْمِثَالِ
 الشَّرِيفِ صَحْبَةَ فَلَانِ ، وَمَوْلَانَا أَدْرَى بِنَفَحَاتِ رِيَاضِ الْحَمْدِ بِهَذِهِ الدَّيْمِ الْمُطْلَبَةَ ؛
 وَبِالتَّقْيِيلِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ سَمَاءُ حَوَافِرِ هَذِهِ الْخَيْلِ الَّتِي هِيَ أَهْلُهُ ؛ وَأَوْلَى أَنْ
 يَشْرَفَ الْمَمْلُوكُ بِمُهَمَّاتِهِ ، وَيُوَسِّسَ لِحَظِهِ بِطَيْفِ الْيَقْظَةِ مِنْ مَشْرِفَاتِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
 يَجِدُّ لِمَعَالِيهِ فِي كُلِّ قَصْدٍ مُجْحَا ، وَيَعْلَى لِمَجْدِهِ فِي كُلِّ حَالٍ قِدْحَا ؛ وَيُرْوِعُ الْأَعْدَاءَ^(٣)

(١) كذا في الأصل باستعمال من في غير العاقل .

(٢) في الأصل يخطر كالغمام ولعله مضحف عما أثنناه يقال تمطرت الخيل إذا جاءت مسرعة يسبق

بعضها بعضا تأمل .

(٣) في الاصل وجاد مجده تأمل .

من خَطَوَات خَيْلِهِ فِي بِلَادِهِم بِالْمَغِيرَاتِ صُبْحًا ، وَمِنْ خَطَرَاتِ ذِكْرِهِ فِي قُلُوبِهِم بِالْمُورِيَاتِ قَدْحًا .

وفي معناه :

يَقْبَلُ الْبَاسِطَةَ الشَّرِيفَةَ أَعْلَى اللَّهِ شَانَهَا ، وَجَمَّلَ بَقَائَهَا زَمَانَهَا ، وَضَاعَفَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ بِرَّهَا وَإِحْسَانَهَا .

ويُنَبِّئُ : أَنَّهُ آتِبَاعُ جَوَادًا أَعْجَبَهُ ، وَطَرَفًا آتَنْجَبَهُ ، وَقَدْ قَدَّمَهُ لَوْلَى نِعْمَتِهِ ، وَمَالِكُ عَهْدَتِهِ : لِأَنَّ الْكِرَامَ لَا تَكُونُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِ الْكِرَامِ ، وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلْوَلِيِّ عَلَى الْعَبْدِ حَرَامٌ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ التَّوْفِيقَ ضِيَاءَ غُرَّتِهِ ، وَالْيَمْنَ مَعْقِدَ نَاصِيَتِهِ ، وَالْإِقْبَالَ تَحْجِيلَ أَوْظَفَتِهِ ، وَالسَّعَادَةَ مَوْضِعَ الْجُلُوسِ مِنْ صَهْوَتِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يُسَالُ الْإِنْعَامَ بِقَبُولِهِ ، وَ[أَنْ] يَلْتَفِعَ مِنْ ذَلِكَ [غَايَةَ] مَأْمُولِهِ ؛ مُضَافًا إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ سَابِقُ إِحْسَانِهِ الْعَمِيمِ ، وَفَضْلِهِ الْجَسِيمِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ بَعِينُهُ الَّتِي لَا تَنَامُ ، آمِينَ .

الأجوبة بوصول الخيل

جوابٌ عن نائب الشام إلى أميرأخوَر بالأبواب الشريفة ، عن وصول خيلٍ إليه من الإنعام الشريف - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الألقاب :

لَا زَالَتْ مَبْشَرَةً بِأَعْظَمِ الْخَيْرِ وَكِرَامِ الْخَيْلِ ، مَيَّسَرَةَ النِّعَاءِ بِسَوَابِقِ السَّيْرِ كَدَوَافِقِ السَّيْلِ ؛ مُسْفِرَةً عَنِ إِيجَادِ سَوَابِحِ إِلَّا أَنَهَا فِي الْفَخَّارِ وَالشَّيَةِ ضَافِيَةٌ الذَّيْلِ ، سَفِيرَةٌ فِي الْجَوَادِ بِكُلِّ جَوَادٍ تَبَسَّمُ غُرَّتُهُ آبَتَسَامَ النَّهَارِ وَيُدْرِكُ طَلَبَهُ إِدْرَاكَ اللَّيْلِ ؛ تَقْيِيلًا يَسْتَبِقُ اسْتِبَاقَ الْجِيَادِ ؛ وَيَتَسَّقُ عَلَى الدَّرَجِ أَسْقَاقَ الْعُقُودِ عَلَى الْأَجْيَادِ .

(١) النعم والنعمة والنعمى والنعماء ما ينعم به ففعل الصواب الانعام .

وَيُنْهَى بَعْدَ ثَنَاءٍ وَوَلَاءٍ : هَذَا يَهِيمٌ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَهَذَا يَهِيمٌ بِمَثَلِهِ كُلُّ وَادٍ ؛ وَرُودٌ
 مُشْرِفَةٌ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةِ بِمَا مَلَأَ الْقَلْبَ مَسْرَهُ ، وَالْعَيْنَ قُرَّهُ ، وَدَرَجَ عَامَ الْفَيْلِ مِنْ نُجُبِ
 الْخَيْلِ السَّيَارَةِ مُسْتَهْلٍ وَغُرَّهْ ؛ فَقَابَلَهَا الْمَمْلُوكُ بِتَقْيِيلِهِ ، وَقَامَ لَهَا عَلَى قَدَمِ تَجْيِيلِهِ ؛
 ثُمَّ قَامَ إِلَى الْخَيْلِ الشَّرِيفَةِ الْمُنْعَمِ بِهَا عَلَيْهِ فَقَبَّلَ مِنْ حَوَافِرِهَا أَهْلَةً ثُمَّ مِنْ غُرَرِهَا
 نُجُومًا ، وَتَأَمَّلَ شَيْئَاتِهَا الْبَرَقِيَّةَ وَاسْتَمَطَرَ مِنَ السُّعُودِ غُيُومًا ؛ فَأَدْنَتْ لَهُ مِنَ الْإِقْبَالِ أَمَدَ
 قَاصِيهَا ، وَظَلَّ بِمَنْزِلِهِ الْخَيْرُ الْمَعْقُودُ بِنَوَاصِيهَا ؛ وَتَضَاعَفَتْ أَدْعِيَتُهُ الصَّالِحَةُ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ
 الْقَاهِرَةِ الصَّالِحِيَّةِ زَادَهَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالْوَقْتِ الَّذِي مَلَأَ الدُّنْيَا بِسَحَابِ جُودِهِ
 وَرِيَاحِ جِيَادِهِ وَرِيَاضِ عَدْلِهِ ؛ وَالْمَلِكِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَوْلَا شُهُودُ
 الْعَهْدِ الشَّهِيدِيِّ لَقَالَ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَأَعَدَّ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مِنَ الْخَيْلِ لِيُفْنِيَ
 عَلَيْهَا بِالْقِتَالِ أَهْلَ التَّعْطِيلِ وَالثَّلَاثِ ، وَيَسْتَخَفَّ بِهَا أَجَالَ الْأَعْدَاءِ بَيْنَ يَدَيْ
 مَالِكِهِ : فَإِنَّمَا مِنْ ذَوَاتِ الْعِزِّ وَالْعِزْمِ الْحَيْثُ ؛ وَمَا هِيَ إِلَّا كَوَاكِبُ سَعْدٍ تَمُدُّهَا أَسْتَبَّهَا
 الْوَقَّادُ ، وَزَهْرَاتُ حَسَنِ حَيْثُ بِهَا عَلَى الْبُعْدِ سَفَارَتُهُ الْمَعْتَادُ ؛ لِأَبْرَحَ مَوْلَانَا يَقْلُدُ
 بَعْنَايَتِهِ وَإِعَاتِهِ الْمِنْنَ الْحَسَامَ ، وَيَنْصُرُ بَعْرَائِمَهُ الْقَاطِعَةَ ، وَكَيْفَ لَا يَنْصُرُ وَيَقْطَعُ
 وَهُوَ الْحَسَامُ ؟ .

وله في جواب وُصُولِ أَكْدِيشِ وَبَازٍ [وَكُوْهِيَّةِ] :

لَا زَالَ جَزِيلاً سَمَّاحُهُ ، جَمِيلاً مِنَ الْحَمْدِ رَبَّاحُهُ ، جَلِيلاً بِرُهُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ طَائِرُ
 الْخَيْرِ وَيَمْنُهُ وَطَائِلُ الْخَيْلِ وَنَجَّاحُهُ . هَذِهِ الْمَفَاوِضَةُ تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا يَنْجِفُ جَنَاحُهُ ،
 وَثَنَاءً تُشْرِقُ غُرَّهُ وَأَوْضَاحُهُ ؛ وَتَوْصِّحُ لِعَلْمِهِ الْكَرِيمِ وَرُودَ مَكَاتِبَتِهِ سَرِيعَةَ الْإِحْتِثَاتِ ،
 طَائِرَةٌ يَمُنُّ طَرْسُهَا وَهَدِيَّتُهَا بِأَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثَلَاثَ ؛ فَخَصَلَ الْوَقُوفُ عَلَيْهَا ، وَتَجَدَّدَ
 عَهْدُ الْأَرْتِيَاكِ لَدَيْهَا ؛ وَفَهَمْنَا مَا لَمْ نَزَلْ نَفْهَمُهُ مِنْ وَدِّ الْحَنَابِ الْعَالِي ، وَرِهِ الْمُتَعَالِي ؛

ووفاء عهده الذي تتلقاه المحامد بأمالى المحب لا بأمالى القالى؛ ووصل الأكدش الايكر
 ظاهراً حسنه، سافراً عن وفق المراد يمنه؛ نتجمل به الموائب، وشماسيه الرياح
 وبعضها من خلفه جنائب؛ وكذلك وصل البازى والكوهية، وكلاهما بديع
 الأوصاف، سريع الأقطاف لأزاهير الطير والأخطاف، يسبق الطرف بجناحه
 اللموح، ويستعجل من الأفق واردة الرزق المنوح؛ ويواصل الخير والمير إلى المطبخ،
 فكأن حوامج كاش تغدو إليه وتروح؛ لابرح إحسان الجناح العالى وإصلا، وذكره
 فى ضمير الإعتداد إصلا؛ وحكم سماحته وشجاعته باستحقاق الثناء إصلا .

جواب بوصول جوارح :

كتب به عن نائب الشام، جواباً لمطالعة وردت على نائب الشام من الصالح
 صاحب ماردین من بقايا بنى أرتق، صحبة سناقر، هدية للصالح إسماعيل بن الناصر
 محمد بن قلاوون : صاحب الديار المصرية . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نبأته :

وأيد هيمه السوايح ، ونعمه السواخ ، وشيمه التى تنتظم منها عليه دُرر المحامد
 والممداح ؛ وشكر هداياه التى منها جوارح طير تحفُّ لفرط أسخسانها الجوارح .
 ولا زال من أجنحة نصره حتى السماك الراح ؛ ومن جنود سعده للأولياء سعده
 السعود، وفى الأعداء سعده الذامح ؛ ومن جياذ ركابه الشهب إلا أنها شهب الأفلاك
 السوايح ؛ ولا برح سلطان البسيطة مكافئاً عمل قلبه الوفي ، ولا ينكر العمل بالقلوب
 بين الصالح والصالح .

المملوك يقبل الأرض التى تستمد السحب من سمائها، وتستعد منازل الأبحم للتعلم
 من أنواعها؛ تقيلاً يودع ورق الرسائل أزاهره، ويطلع فى ليلى السطور زواهره،
 ويندجر فى أيدى الحروف إلى أن تصل إلى أجياد المنابر جواهره .

ويُهيى - بعد دعاءٍ صالح، إذا جُدِّدَ تجدِّد، وولاءٍ نأجج، إذا آنعطف تأكَّد، وثناءٍ سانج، إذا سرى لا يتوقَّف إلا أن نسيمة في الآفاق يتردد، وأرتياج لما يرد من أخبار دياره السائة إذا شافه سروره سمع الوليَّ شهيد وسمع الحاسدِ تشهد، حيث يتلقى ببلاده النجج والمقاصد، وصلات البرِّ والعوائد، ووفود الآمال من كل أوب:

فديار بكر ديار زيد وعمرو وخالد - ورود المشرف الكريم، بل الغيث السائر يخضب المقيم، على يد فلان ونعم اليد العائلة لأبأدى البرِّ العميم، ونعم المشرف الوارد عن مقر: هذا للأمل كهف وهذا للتأمل رقيم؛ ففضه المملوك عن علامة أسم لحسنا وسوم، ولها رسوم، وأستجلى مواقع تلك الأناجيل المضية وأقسم على فضلها بمواقع النجوم؛ وأنتهى إلى الإشارات العالیه، وعلم ما كان القلب يعلمه من ضمائر الودِّ الحالية لا الخالية، وقابل كل أمرٍ حسنٍ بما يجب من مذاهب الودِّ المتواليه، ووصلت السناقر المنير سنا فضلها، المير في معارك الصيد شبا نصلها، القائمة في كواسر الطير مقام الملوک الأکاسرة إلا في حُكمها وعدلها؛ لاجرم أنها إذا دخلت آفاق طيرٍ أفسدتها وجعلت أعزّة أهلها أذله؛ وإذا آنقضت على سربٍ وحشٍ جذبته من دم الأوردة بأرسانٍ حيث كستها من قوادم الأجنحة أجله؛ لأيسأل كاسرها في الطيور بأى ذنب قنلت، ولا يجلها جانب الطير والوحش إذا عاندته فيأعجبا لها على أيدي البشر كيف حملت؛ يُظلل الصيد فلا يحجب أن يفزع بها من ظله، وتكتبُ علائم الثين والظفر بما في لونها من شبه الخط وشكله، نعم الجالبة للخير والمير، والسائرة بما يُخيف المتصيدات وكيف لا؟ وعلى زوسها الطير، أزاهرُ حسنٍ لا يدع أن يكون لها كآئم، وبوارق العزم لاجرم أن أجنحتها نغمائم؛ ونواقل البأس والكرم عن مُرسلها فهما جمعه الشجاعة فرقه المكارم. أستجلاها المملوك بعد أنفاظ المشرف الكريم فقال: (تلك الرياض وهذه السحب،

وتلك الأنوار الهداية وهذه في أفق مطارها الشهب) ؛ وجهز المملوك المطالعة المحضرة
للأبواب الشريفة أعلاها الله وشرفها على يد فلان المذكور فقوبل بالإكرام والكرم ،
ومثل بالموافق الشريفة مثولاً رقى بهيمته إلى الكواكب لا جرم ؛ وذَكَرَ بصالح
بيت الأرتقاء صالح بيت أرتق حتى أنشد :

فَهَلْ دَرَى الْبَيْتِ أُنَى بَعْدَ فُرْقَتِهِ * مَا سِرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ !

وقد عاد معلماً من البشر بما يراه مولانا عليه ، معلماً بما تقدم من نجوى الإنعام
بين يديه ؛ حاملاً من كريم وجه يعدان للأولياء في يوم نزل وللأعداء في يوم نزال ، قائلاً
برجاء سعيه المؤمن : (يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا) ولن نزال ؛ والله تعالى
يُجْرِي كَرَمَ مولانا على عوائد إسعاده ، ويحرس بعينه وملائكته نفاسة نفسه وبلاده ؛
ويُدْخِلُهُ بِأَسْمِهِ وَمُسَمَّاهُ لَدَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ .

وله جوابٌ بوصولِ بازِيَيْنِ :

ولا زالت بُزاةُ كرمه على الحمد مُطْلَءً ، وسحائبُه مُسْتَهْلَةً ، وهيمه مُسْتَقِلَّةٌ بأعباء
المكارم وإن كانت لكثير ما يهديه مستقلة . هذه المفاوضة تُهْدِي إليه من السلام
أجله ، وتوضِّح لعلمه الكريم وُصُولَ مكاتبته العالية فوقنا عليها ، وعودناها بكلمات
الثناء التامة من خلقها ومن بين يديها ؛ وعلمنا ما لم نزل نعلمه من مولاته وآلاته
المُسْتَنَدِ فِي الشُّكْرِ عِنْدَهَا وَالْمُسْتَنَدِ فِي الْوَلَاءِ إِلَيْهَا ؛ وَوَصَلَ كَلَا الْبَازِيَيْنِ الْحَسَنَيْنِ الْمُحْسِنَيْنِ
كَأَنَّهُمَا فِرْقَدَا سَمَاءٍ قَدْ اجْتَمَعَا ، وَقَرَأَ حُسْنٍ طَلْعًا ، وَعَلَى مَحَاسِنِ الصَّيْدِ أَطْلَعًا ؛ يَسْرَانِ
الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ ، وَيُحْمَلُ كُلُّهُمَا عَلَى الْيَمِينِ فَيُحْصَلُ بِهِ الْيَسَارُ ؛ وَمَا هُمَا بِأَوَّلِ
إِحْسَانِهِ الْأَسْنَى ، وَبِرِّهِ الْأَهْنَى ؛ وَأَبَايِهِ الَّتِي أَبِي الْكُرْمِ إِلَّا أَنْ تَرِدَ مَثْنَى مَثْنَى . وَعُلِمَ
أَعْتِدَارُهُ عَنِ الْكُوْهِبَةِ الَّتِي كَانَ أَدْنَحَهَا فَبَقَّتْ ، وَلَوْ أُقِيمَتْ بِهَا أَسْوَاقُ الصَّيْدِ

فَفَقَّتْ ، وأرسل بروايتها تحقيقاً لدَعْوَى المكارم التي من زمانٍ تحَقَّقَتْ ، واللهُ تعالى
يُشْكِرُ بِهِ ، ويملاً بِذِكْرِهِ بحرَ الشَّاءِ وبرِّهِ .

وله جوابٌ بوصولِ كُوهِيتَيْنِ على يدِ شخصٍ أسْمُهُ باسِقٌ :

لازالَتِ المحامدُ من مَصَائِدِ إنعامه ، وفوائدِ أيامه ؛ وثمراتِ البأسِ والكرَمِ من
قُضِبِ سُوْفِهِ وأقلامِهِ ؛ بتقبيلِ معترفٍ بإحسانها ، مغترفٍ من مَواردِ أَمْتِنانها ؛ متحفٍ
منها بعاليِ تَحْفِيفِ تَدُلُّ على مَكَانِها في الفضلِ وإمكانِها .

ويُنمى ورُودَ مشرفِ مولانا الكَرِيمِ على يدِ الولدِ « باسِقٌ » فياله باسِقٌ جاء
بِكُوهِيتَيْنِ جميلَتَيْنِ ، وطارَ للسرعةِ وهو حاملٌ مِثْنَيْنِ جليلَتَيْنِ ؛ وقد وصلتَا و [كُننا] هما
حسنةُ الخُبْرِ والخَبْرِ ، حميدةُ الوَرْدِ والصَدْرِ ، يُحسِنُ مَسْرَى كُلِّ منهما وَسَيْرُهُ ؛ وَيَتَجَمَّلُ بهما
بابُ الشُّكْرِ خاناهُ وصَدْرُها وَيَكْتُرُ خَيْرُ المَطْبِخِ ومِيرُهُ ، فمَدَّ المملوكُ إِلَيْهما اليَدَ المَتَحَمِّلةَ
الحامِلَةَ ، وإلى المشرفِ الكَرِيمِ اليَدَ المَتَوَلِّيةَ المُتَنَاوِلَةَ ؛ وعلم ماتضمنته من الحُسْنِ
والإحسانِ ، وذاكَ الموالاةِ التي يحكُمُ بها القلبُ العالمُ قبلَ شهادَةِ اللِّسانِ ؛ وأعتدَارِ
مولانا عن تَعَدُّرِ وُجُودِ الشاهينِ ؛ وكلِّ إحسانِ مولانا شَهِى كافي ، وكلِّ مَواردِ
نِعْمِهِ هَنى صافي ؛ ومافاتِ مَقْصِدِ وإِنعامِ مولانا وراءَ طَلَبِهِ وإن طال الأمدُ ، ولا فَرَّ
مطلوبٌ حتَّى يَأْتِيَ به سَعْدُ مولانا مَقْرُونًا في صَفَدِ ؛ واللهُ تعالى يُشْكِرُ عوائدِ فضله ،
ولا يُضْحِي الأمالِ الملتجئةِ [إليه] من ظِلِّهِ .

جواب بوصولِ طيورِ ، من إنشاءِ الشيخِ جمالِ الدينِ بنِ نباتةِ :

وشكَّرَ هداياهُ المُتَقَبِّلهُ ، وسجَّايَها التي هي بأفواهِ المحامدِ مُقَبَّلَةٌ ، ولا زال بدرَ سعادتهِ
المأمولةِ وطائرَ هِدْيَتِهِ المَتأمِّلَةَ .

صدرت هذه المكتبةُ إلى الجنابِ العالى تُهدى إليه من السلامِ أُمَّه، ومن الشناءِ أُمَّه؛ وتوضَّحَ لعلمه الكريمِ وُرودَ مكاتبتِه الكريمه، ومكارمِه العَميمه؛ وطُيورِ هديتِه التى كُلُّ منها فى الحُسْنِ بدرُتِم، وظهرتْ ظُهورَ البدرِ لِتَمَمِه فأبتِ محاسِنُها أنْ تنكُتِم، حُسْنِ وُرودِها، ورُعى بفضلِ التلُطفِ والتودُدِ مقصودُها؛ وأقبلتِ تلكَ الطيورُ التَميَّةَ تامَّةَ الإِنعام، دالَّةٌ يَمُنُّ طائرُها على بركةِ عامَّةٍ وكيفِ لا؟ وقد جاءتْ بيضاءَ عددَ شهورِ العام؛ واللهُ تعالى يزيده من فضله، ويُجِرى الأقدارَ بالسُّعودِ الشاملةِ لجمعه الجامعةِ لشمْلِه؛ إن شاء اللهُ تعالى .

جواب فى المعنى، من إنشاءِ الشيخِ جمالِ الدينِ بنِ نُباتةِ أيضا :

لازالَتِ الجوارِحُ شاهدةً بِيَرِّه، والجوانِحُ حائمةً الجناحِ على شَرِيفِ ذِكْرِه؛ والمحامدُ من مَصايدِ أَقلامِه ورماحِه فى السَّلْمِ والحَرْبِ : فإِما بقوادِمِ سُمْرِه، وإِما بَمَناسِرِ سُمْرِه؛ تَقبيلًا يبعثُه على أجنحةِ أوراِقِ الرِّسائلِ، ويتصَيِّدُ به على البُعْدِ مشافهةً تلكَ الأناملِ الجَلالِ .

ويُنهى بعدَ دعاءٍ، تُحَلِّقُ إلى السماءِ كلماتُه الحَسَنه، وولاءٍ وثناءٍ : هذا تَحْفِيقٌ بتشوقِه أجنحةَ القلوبِ، وهذا تَحْفِيقٌ بِذِكْرِه أجنحةَ الألسِنه - أنْ كَتَبَ مولانا وِرْدَ على المملوكِ فأوردَ عليه المسارِبَ؛ و[ملا] يده بالمبار، ومصايدِه بالمير، ومنازلَه بالخير؛ وآمالِه بأمالِ الكرمِ لذي السرحاتِ المنشرحِ بِأَيَةِ (وعَلِمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ) فقابله المملوكُ بتقبيلِه؛ وواصلَ فضلَ الاعتِدادِ بتفضيلِه، وحصلَ من هداياها وهداها على جملةِ الإحسانِ وتفصيلِه؛ وأتمنى إلى الإشاراتِ العالِيةِ التى زَكَّتْ على العِيانِ وتأملُه وأرَبتْ على الجنانِ وتأميلُه .

فَأَمَّا الإِنْعَامُ بِالْكُوهِتَيْنِ اللَّتَيْنِ مَا قَذَفَ الْبَحْرُ إِلَى السَّاحِلِ أَهْبَى مِنْ دُرِّهِمَا
 الْمَكُونَةِ ، وَأَزْهَرَ مِنْ جُوهِهِمَا الْمُبَارَكَةِ الْمِيمُونَةِ ، فَقَدْ وَصَلَ كِلَا الطَّائِرَيْنِ يُمْنَهُ ،
 وَالسَّابِقِينَ بِمَنَّةٍ ؛ وَالغَائِبِينَ فِي جَوْ السَّمَاءِ الْآتِيَيْنِ مِنَ الصُّيُودِ بِأَوْفَى مِنْ قَطْرَاتِ مَوْنِهِ ،
 وَأَسْتَقْبَلَ الْمَمْلُوكُ مِنْهُمَا وُجُوهَ الْمَسَارِ ، وَحَمَلَتْ يَمِينُهُ الثَّرْوَةَ وَحَمَلَتْ عَلَى الْيَسَارِ ؛
 وَتَنَاوَلَتْ يَدَهُ يَدَى إِحْسَانٍ يَسُرُّ النَّاطِرِينَ وَالسَّامِعِينَ ؛ وَأَسْتَعْدَمَا لِلشُّكْرِ خَانَاهُ وَلِحِفْظِ
 مَطْبَعِ بِلَاءِ عِيُونَ الْمُشْبَعِينَ وَالْجَائِعِينَ ؛ وَقَالَ صَنَعَ اللَّهُ لِصِنَاعَتِهِمَا : اثْنَابًا بِصُيُودِ السَّمَاءِ
 طَوْعًا أَوْ كَرْهًا (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) . قَدْ كَتَبْتُ بِالْيَمْنِ فِي مَطَاوِي رِيشِهَا أَشْبَاهَ الْحُرُوفِ ؛
 وَقَضَى الْجُودُ لِمَلِكِ الْأَحْرَفِ أَنْ تَقْرَى مَا تَقْتَرِي عَوَاصِي الطَّيْرِ لَهُ بِطَاقَةِ تَقْيِيدِ السَّابِحِ
 فِي طَلْقِهِ ، وَيَعُودُ مُطْلِقُهَا وَقَدْ أَلْزَمَ نَجَاحَ الطَّيْرِ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ إِحْسَانَ
 مَوْلَانَا الَّذِي أَلْخَفَ الْأَمَلَ جَنَاحَهُ ، وَالْقَصْدَ نَجَاحَهُ ؛ وَبَرَّ الَّذِي أَحْمَدُ فِي سَوَاحِجِ
 الطَّيْرِ وَبَوَارِحِهِ مَسَاءَهُ وَصَبَاحَهُ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ مَوْلَانَا إِلَيْهِ فِي أَمْرِ فُلَانٍ وَأَمْرُهُ عِلْمُ
 اللَّهِ تَعَالَى فِي الْخَاطِرِ حَاضِرٍ ، وَمَا يُؤَخَّرُ شُغْلَهُ عَنِ إِهْمَالِ وَعَائِبِ الإِمْهَالِ غَادِرٍ ؛
 وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ فُلَانٍ أَمِيرِ شُكْرِهِ وَأَمِيرِ شُكْرِ الْمَمْلُوكِ ، وَتَقَدَّمَ بِخَلَّاصِ حَقِّهِ ،
 وَأَسْتَنْزَلَ بِهَدِيَّتِهِ قَضَاءَ الشُّغْلِ مِنْ أَفْقِهِ ؛ لِأَبْرَحِ مَوْلَانَا مِمْتَلِّ الأَوَامِرِ ، هَامِي سُبْحِ
 الْبِرِّ الْهُوَامِرِ ، مُجَدِّدَا فِي كُلِّ وَقْتٍ نِعْمِي ، مَا لَتَأْ بَهْدَايَاهُ قُلُوبَ مُحِبِّيهِ وَبُيُوتَهُمْ شَجْمًا وَلِحْمًا ؛
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله جواب في وُصُولِ طُيُورِ الْعَقَقِ :

لَا زَلَّتْ مَتَّصِلَةٌ مِنْ إِرْفَاقِهَا وَإِرْفَاقِهَا ، نَازِلَةٌ عَلَى حُكْمِهَا [الْأَشْيَاءُ] حَتَّى
 الطَّيْرِ الْعَاقَّةِ مِنْ آفَاقِهَا ؛ خَافِقَةٌ أَعْلَامُ نَصْرِهَا بِالْأَجْنَحَةِ مُؤَمَّنَةٌ لظُنُونِ الْقَاصِدِينَ مِنْ

إخفاقها، تقبيل مُطِيقِ لسانِ الحمدِ على عوائدِ إطلاقِها، مُجْتَنِّ لِمَرَاتِ الإِحْسَانِ مِنْ
عُضُونِ أَقْلَامِهَا وَعُضُونِ أَوْرَاقِهَا .

وَيُنْهَى وَرُودَ مَشْرِفِ مَوْلَانَا الْعَالِي عَلَى يَدِ الْوَلَدِ فَلَانٍ فَوْقَ الْمَمْلُوكِ عَلَيْهِ، وَعِلْمِ
مِنْ جَمِيلِ الْإِحْتِفَالِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ مَوْقِعٌ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ طُيُورِ الْعَقَقِ فَأَوْقِعَهَا
مِنْ مَطَارِهَا، وَأَسْتَنْزَهَا مِنْ أَوْكَارِ أَفْقِهَا وَأَفُقِ أَوْكَارِهَا، وَأَرْسَلَهَا قَرِينَ مَشْرِفِهِ
الْكَرِيمِ، وَقَدْ عُنِقَ الْأَمَلَ بِعَقْدِهَا النَّظِيمِ؛ وَوَصَلَتْ سَبْعَةَ كَعْدَدِ أَيَّامِ الْجُمُعَةِ الْكَامِلَةِ،
وَالْكَوَاكِبِ الْمَائِلَةِ؛ وَالسَّمَوَاتِ لِاجْرَمِ أَنْ تُسْحَبَ يَمْنَهَا هَامِلَةً، حَسَنَةَ الشَّكْلِ
الْمُوصُوفِ وَالْوَصْفِ وَإِنْ كَانَ مَعَ عُقُوقِهِ الْمَأْلُوفِ، طَائِعَةً لِأَوَامِرِ تَوْقِيعِهِ فَاعْتَقَ
مِنْهَا شَيْءٌ غَيْرَ تَضَعْفِ أَسْمِهَا الْمَعْرُوفِ، لِابْرَاحِ إِحْسَانِ مَوْلَانَا مَتَنَوْنَا، وَبِرِّهِ الْحَزِيلِ
مَتَبَّرْنَا، وَعُغْضُنُ قَلَمِهِ بِأَنْوَاعِ الْمَكَارِمِ مَتَفَرَّعًا .

وله جواب بوصول تيمت، وإوز صيني، وطلب إمرة عشرة :

حَمْدُ اللَّهِ تِلْكَ النَّعْمَةَ مِنَ الْغَيْرِ، وَأَطْلَعَهَا عَلَيْهِ بِأَيْمَنِ الْغُرْرِ، وَلَا بَرِحَ طَائِرُ مَنَّهُ
كُوصِفَهُ أَيْضَ الْخَبْرِ وَالْخَبَرِ . هَذِهِ الْمَفَاوِضَةُ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا
يَشُوقُ الصَّبَاحَ، وَتَنَاءَ خَفَاقِ الْجَنَاحِ؛ وَتَوْضَعُ لِعَلْمِهِ الْكَرِيمِ وَرُودَ مَكَاتِبِهِ الْكَرِيمَةِ
جَمِيلَةَ الْفَوَائِدِ، جَلِيلَةَ الْمَصَائِدِ، تَمِيَّةَ الْبُدُورِ الْمَتَنَاوَلَةِ مِنْ مَنَالِ الْفَرَاقِدِ، فَوْقُنَا بِالْأَشْوَاقِ
عَلَيْهَا، وَعَطَفْنَا عَلَى الْعَادَةِ بِتَأْكِيدِ الْوَلَاءِ إِلَيْهَا؛ وَوَصَلَتْ تِلْكَ التَّمَاتُ وَاصْحَةَ الْأَنْوَارِ،
لَا تُحْمَةُ كِبْيَاضِ الثَّوَارِ، تَامَّةٌ تَمَامَ مِيقَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا أَنَّهَا لِيَاضِهَا كَارِبِينَ
نَهَارٍ؛ وَكَذَلِكَ الْبَطُّ الصِّينِيُّ كَأَيَّامِ الْحَجِّ عَشْرَةَ كَامِلَةً، مَقْتَرَضًا عَلَى عَشْرَتِهَا وِلَاءُ الْقُلُوبِ
الْمَتَأَمِّلَةِ الْآمَلِهِ؛ صَيِّبَةً مَمْلُوءَةً بِحَاسِنِ الْأَلْوَانِ الَّتِي هِيَ بَغِيرُ مَثَلِ مَائِلِهِ؛ وَحَصَلَ
الْإِعْتِدَادُ بِرِّهِ، وَالْإِزْدِيَادُ لِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، وَفَهَمْنَا مَا ذَكَرَهُ مِنْ إِمْرَةِ الْعَشْرَةِ الَّتِي أَنْحَلَّتْ

عن فلان، وقد طالعنا بأمرها، وعجلنا بذكريها، وزجوا أن يعجل بأمانيتها المنتظرة، وأن يقابل بخوافق أعلامها خوافق بطه فتقابل عشرة بعشره، والله تعالى يعجل لمعاله الصعود، ويؤكد لمساعيه السُّعود؛ إن شاء الله تعالى .

الأجوبة عن وصول الصيود ولحومها

جواب عن نائب الشام إلى نائب حلب بوصول [لحم] طير صيد قديد وصحبتة بطيخ أخضر، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة . وهو بعد الألقاب :

لازالت تُقتنص الحامد بغطاياه المكره، وأوايد الصيد برماياه المقتورة، ورقاب الإنس والوحش : إما بسهام نعمة المتواترة، وإما بسهام قسيه الموترة؛ ولا برحت نفعات مكارمه، تشهد أن المسك بعض دم الغزال، وسرحات عزائمه، تمتد في صيد الوحش لقرى نزيل أوفى صيد الأعداء لتقريب نزال؛ تقيلاً تعطف أجياد الأطباء لمحاولة عقوده، وتزدحم أفواه الأولياء على مشافهة وروده .

ويُنهى بعد ولأء تقوم الخواطر الكريمة في دَعواه مقام شهوده، وشوق لا تزال النَّسَمَاتُ الشَّمَالِيَّةُ قاضيةً باستمرار وفوده - أن مشرف مولانا الكريم ورد على المملوك على يد فلان وصحبتة الإنعام المتجدد، وإن كان قديماً في المعنى، واللحم القديد، وإن كان أطرى من الروض النَّضِيرُ حُسناً، والسَّمِينُ المحبوب وإن كان كحال عده الذين تُقدد جسومهم في الحياة قبل الممات حُزناً، فقابل المملوك المشرف الكريم، بتقيل أحرفه، والإنعام العميم، بقبول مُسَعِدِهِ ومُسَعِفِهِ؛ وعاقتهما بجوانح آماله، وأخذ الكتاب والبركما يقال يمينه وشماله، فيألفها من ظباء تُعَشِّقُ وإن بليت محاسنها، وغزلا ن تغازل وإن بادت عيونها إلا أنه ما باد حب من يعاينها، وصيود تُوصف وإن قصدها قصد السهام بطعن، ويتق بقرونها القتال والقسي نالية :

(كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) . سَلَكْتَ خِيُولَ مَوْلَانَا لِقَنْصِهَا الْمَصَاعِبَ
وَأَتَّخَذَهَا الْآكِلُونَ سَهْلًا ، وَتَصَيَّدَهَا مِنَ الْفَلَاةِ وَأَصْطَادَهَا الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمِقْلَى ؛
ووصل معه البَطِيخُ الْأَخْضَرُ فَشَبَّهَهُ بِثَمَارِ الْجَنَّةِ الْمَشْبُوهُونَ ؛ وَقِيلَ : هَكَذَا تَرْتِيبُ مَا كُلَّ
الْجَنَّةِ لَمْ فِيهَا فَافَاكُهُهُ وَالْحَمُّ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَهَوْنَ ؛ لَا زَالَتْ مِنْ مَوْلَانَا مَشْرُوحَةً
مَشْرُوعَةً ، وَثَمَرَاتُ نِعَمِهِ مِنَ الدُّنْيَا كَثِمَرَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ غَيْرَ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مُمْنُوعَةٍ ؛
بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أَجْوِبَةٌ هَدَايَا الْقَوَاكِهِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

جَوَابُ وَصُولِ مَشْمِشِ لَوْلُؤِيٍّ وَدَعْمِيشِيٍّ مِنْ حَمَاةٍ .

بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهَا وَنَدَاهَا ، وَأَطَّلَعَ بِالْيَمَنِ نُجُومَ هَدْيَتِهَا وَهَدَاهَا ؛ وَلَا زَالَتْ مَوَاهِبُ
بِحَرِّهَا لَوْلُؤِيَّةٍ ، وَشَوَاهِدُ يَمِينِهَا كَوَكِيئَةٍ ، وَثَمَرَاتُ جُودِهَا فَضِيَّةَ الْأَعْيَانِ ذَهَبِيَّةً ، تَقْبِيلًا
حَلَّتْ مَوَاقِعَهُ ، وَجَلَّتْ مَطَالِعُهُ .

ويُنهِى بَعْدَ وِلَاةٍ وَحَمْدٍ : هَذَا قَدْ ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ شَرِيعَتُهُ وَهَذَا قَدْ عُدَّتْ
فِي السَّمْعِ مِشَارِعَهُ ، أَنَّ مَشْرُفَةَ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةَ وَرَدَّتْ عَلَى الْمَمْلُوكِ نَتَضَمَّنِ الْحُسْنَ
وَالْإِحْسَانَ ، وَيَمِينِ الْبِرِّ الشَّامِلِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ ؛ وَعَهْدَ الْحُبَّةِ الَّتِي حَكَمَتْ فِيهِ بَعْلَمُهَا
الْقُلُوبَ فَمَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ لِسَانٍ ؛ فَقَابَلَهَا الْمَمْلُوكُ مَقْبَلًا ، وَأَسْتَجَلَى وَجَهَ الْوُدِّ وَالْإِحْسَانِ
مُقْبِلًا ؛ وَوَصَلَ الْمِشْمِشُ الَّذِي شَفَى لَوْلُؤِيَّةَ نَظَرَ النَّاطِرِينَ ، وَنَوْعَهُ الْآخِرُ الدَّعْمِيشِيَّ
الَّذِي هُوَ الشَّهْدُ بِحَسَنِهِ وَلَا يُدَعَّمُشُ بِاسْمِهِ عَلَى الْحَاضِرِينَ ، فَتَنَاوَلَ الْمَمْلُوكُ عَوَارِفَ
بِرِّهِ الْمَعْرُوفِ وَالْمُبْتَكِرِ ، وَأَسْتَضَاءَ نُجُومَهُ الْمَتَرَدَّةَ مُنْشِدًا قَوْلَ الْمَعْرَى : (كَمْ دُرٌّ ،
وَكَمْ يُرُّنَ هَذِهِ الْأَكْرُ) ، وَقَالَ : شَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْمِنَّةَ الْحُلُوءَةَ الثَّمَرَاتِ ، الْمَتَّصِلَةَ

الخطرات ؛ وهذه المجاني التي طابت أوصولها وفروعها فلا أبعدهن الله من شجرات ،
 وحيًا حماة وما جلبت ، وجنبايات ذلك الوادي وما أنجبت ؛ وحدائق ذلك العاصي
 الذي أطاع ببركة مولانا فأنبئت أحلى وأحل ما نبت ؛ وقد جهز المملوك هذه الخدمة
 منطوية على وظائف الحمد المستجاده ، ولطائف الحب المستفاده ؛ وحمد المن التي
 لا تزال من مولانا عادة ومن المحبين شهاده . لا برحت يد مولانا الكريمة إن بسطت
 فيعوائد إنعامها ، وإن قبضت فعلى سيوفها لمصالح الدول وأقلامها ، وإن زهت^(١)
 فروع المكارم ، تساقطت ثمرات برها من زهرات أكرامها .

جواب بوصول مِشمِش وِبَطِيخِ حَلِيٍّ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة .

وِينِي بعد ولاء وثناء : لهذا في الأسماع أزهى وأزهر ثمرة ، ولهذا في القلوب
 أرسى وأرسخ شجره وروود المشرف الكريم على يد فلان بما ملأ السمع من أخبار
 مولانا المرتبة سرورا ، والعين من آثار يده الكريمة نورا ؛ والفم من هدايا المشمش
 الحموي كئوس لذة كان مزاجها كأفورا ؛ فقبل المملوك أسطره مستحليا مواقع
 رشفاته ، وقابله بعوائد المحامد مستجليا عوائد أفقاداته وصلاته ؛ ومد يده وفكره
 فالتقط النجوم المشرفة من هداياه وكلماته ، وتقلد جواهر المبررات الحسنة المحسنة ،
 والثمرات التي جاءت بدرية القدوم وإن كانت نجومية الهيئات المكونة ؛ وأستصوب
 نتائج الغيث فقال : لعل هذه بنادق قوس السماء الملوثة ، وصفا وطاب ظاهرها
 وقلبها وكذا تكون صفات ذوى القلوب المؤمنة ؛ والمؤمن حلوى لاجرم ، والحموي
 على عجمه الخراساني أولى بفصاحة الفخار والكرم ؛ لزالفت فعلات من مولانا
 مستجاده ، ونعمه لاسيما المشمشية مستترده ؛ وأفقاداته المشهورة لدى مماليكه

(١) لعل الصواب وان هزت ، كما لا يخفى .

ومجيبه منه عادةً ومنهم شهاده؛ وجاءت فاكهة البَطِيخِ الحَلِيّ وقد رَضَعَ حَلَبَ النَّعَامِ
فَأُنْجِبَ ، وَأَسْتَوَىٰ بَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ فِي الْحُسْنِ فَأَعْجَبَ مِنْ حِينَ أُعْشِبَ ؛ وَأَسْتَطَابَ
الذُّوقُ وَالشَّمُّ مَطْعَمَهُ وَأَنْفَاسَهُ ، وَوُصِفَ بِالرُّءُوسِ فَضَمَّهُ كُلُّ مَتَلَقٍّ وَقَبِلَ رَأْسَهُ ؛
وقال : نِعْمَ الْهَدِيَّةُ السَّرِيَّةُ ، وَالْفَاكِهَةُ الَّتِي طَاعَتُ حُرَزَ [ها] هَلَالِيَّةٌ وَثَمَرَتَا بَدْرِيَّةٌ .

جوابٌ عن وصولِ بَطِيخِ حَلِيّ ، من إنشائه أيضاً ، [وهو] بعد الألقاب :

وشكر سجاياها التي تلت ، وهداياها التي تكررت خلّت ، وافتقاداته التي طاب ظاهرها
وباطنها فكانتها من أخلاقه الجميلة نُقِلَتْ ؛ أصدرناها تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا يَتَقَدَّمُ
كهديته نَسِيمُهُ الْعَاطِرُ ، وَشَاءَ يُنْتِجَ أَطْيَبَ الثَّمَرِ مَقْدَمَاتُ غَيْثِهِ الْمَاطِرُ ، وَتُوَضِّحُ لَعَلَمِهِ
الكَرِيمِ أَنَّ مَكَاتِبَتَهُ الْكَرِيمَةَ وَوَرَدَتْ فَحَسَنْتُ بِالْوُدِّ مَشَافَهَتَهَا ، وَأَقْرَبْتُ فِي الْأَسْمَاعِ فَكَيْهَتَهَا
وَمُفَاكَيْهَتَهَا ؛ وَوَصَلَ الْبَطِيخُ فَلَهُ دُرٌّ حَلَبِهِ وَدُرٌّ جَلَبِهِ ، لَقَدْ حَسَنْتُ فِي مَلَاذِّ الْمَطَاعِمِ
طَرِيقَتَهُ الْمَرِضِيِّ ، وَلَقَدْ أَشْبَهَ الْقَنَادِيلَ بِتَكْوِينِهِ وَفَيْسَلَةَ عَمْرِقِهِ فَلَا جَرَمَ أَنَّ قَنَادِيلَهُ
عِنْدَ الشُّكْرِ مُضِيَّةٌ ، وَلَقَدْ مَلَأَ خَبْرَهُ وَخَبْرَهُ عَيْنَ الْبَصْرِ وَأَذْنَ الْمِصْبِخِ ، وَلَقَدْ خَلَقَ دَوَاءً
لِلْأَجْسَامِ حَتَّى صَحَّ قَوْلُ الْحَلِيِّينَ لِلْأَرْمَدِ : دَوَاؤُكَ الْبَطِيخُ ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ إِحْسَانَ الْجَنَابِ
الْعَالِي ، وَرَبَّهُ الْمُتَوَالِي ؛ وَعَلَى الْوَالِدِ وَالْوَالِدِ وَمَنْ عِنْدَهُمَا سَلَامٌ الْمَحَبِّ الْمُتَعَالِي ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا وَهَبَ ، وَيَرْزُقُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَرْزُقُ الظَّنَّ فِيهِمْ
مَا حَسِبَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله أيضاً جواب بوصولِ بَطِيخِ حَلِيّ ، وهو بعد الألقاب :

وشكر إحسانه الذي حلا مذاقه ، وزكت أعرافه ، وحيأ على البعد تحيةً طيبةً
ففتح بها أزهار الكتاب وأثمرت أوراقه ؛ هذه المفاوضة تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا طَيِّبًا
كهديته ، وَشَاءَ زَانِيًا كَطَوِيَّتِهِ ، وَتُوَضِّحُ لَعَلَمِهِ الْكَرِيمِ وَرُودَ مَكَاتِبَتِهِ الْجَامِعَةِ حَسَنٍ

الأقوال والأفعال، المطلعة بوريد غمامها أطيب الثمر في الحال؛ فأحيت ولأء حاشي
 لوجوده من العدم، وجددت عهد البشر - وما بالعهد من قدم - ووصل البطيخ
 الحلبي أصله، الحموي فصله، الدمشقي ضمه وشمه وأكله، الفلكي ولا سيما من الأهلة
 المجتمعة شكله؛ فكرم مطلعاً، وحسن من الأفواه موقعا؛ وعم الحاضرين نوالاً،
 وأشتملهم بعطف الإحسان آشتيلاً، وأخذ الغلام السكين :

فقطّع بالبرق شمس الضحى * وناول كلاً هلال هلالاً

لابل أهلة كثر تعداها، وكرر ترداها، ورصد قربها ولا نقول كما يقول أصحاب
 الهيئة أبعادها؛ فشكر الله إحسان الجنب العالی حاضراً وغائباً، وبره الذي يطلع
 كل وقت من هداياه وكتبه أهلة وكواكب، ومرباه الذي نقل عن ملوك كانت
 منازلهم للحامد روضاً وكانت أيديهم للكرم سخائباً؛ إن شاء الله تعالى .
 وله جواب بوصول قصب سكر وأترج وقلقاس :

لا زالت أوصاف شيمها، تطرب كما يطرب القصب، وأطاف كرمها، مما يغدى
 الجسد وينعش الروح ويشفي الوصب، وأصناف نعمها من الحلو إلى الحامض
 مما يغدى الأيدي المتناولة فهي على الأعداء تنصب؛ تقبيل محب حلت له المن
 فتناولها، ومواقع اللثم فعاج إليها وعاجلها .

وينهى ورود مشرف مولانا الكريم، على يد فلان يتضمن الحسنى والإحسان،
 والبر المأنور بكل فم المشكور بكل لسان، فقابله المملوك بما يجب من الخدمة لمثله،
 ولاقاه بعوائد تمد عوائد فضله، ووصل قرينه الإنعام الذي تنوع فنونا وأفنانا،
 وملا فم الشراب خاناه سكرًا ويد المطبخ إحساناً؛ وذكر نباته الطرابلسي عهد الديار
 المصرية، وأوقات الأتس بخدمة مولانا السنية؛ سقياً لها من أوقات وعهود، وشكراً

لجود مولانا الذى هو فى كلِّ وادٍ موجودٌ ، ولتديره الشمسى الذى أحيا الله به على عباده عناصرَ هذا الوجودِ ، ولا برحمتِ مكارمِهِ متنوعه ، ونعم أياديه متفرعه : فمنها ما حلَّ فرعُه فأصبح لكلِّ حلوا أصلا ؛ ومنها ما طاب رِيحه وطعمُه فكان للمؤمن مثلا ؛ ومنها ما لَدَّ طعامُه الشهيءُ فما هو مما يُهجر وإن كان مما يُقلى .

وله جواب بوصولِ بأكورةِ خيارٍ ومُلُوخِيَّةٍ :

لا زالت تُشْرَحُ بمكارمها الصُّدورُ ، وتفتحُ بركاتِ الأعوامِ والشهورِ ؛ وتمنحُ من لطائفِ مِنها كلَّ جماعةٍ السُّرورِ ، وتمحُ في هداياها المستبقةِ إلى الأولياءِ خيارِ الأمورِ ؛ تقييلُ محبِّ لا تُغيِّرُ ولاءَه الدهورِ ، ماشٍ من طريقِ المُصافاةِ والمُوافاةِ فى نُورٍ على نُورٍ .

ويُنهى وُرودَ مشرفةِ مولانا على يدِ فلانٍ تتضمنُ المعهودَ من وِلائِهِ وآلائِهِ ؛ والمشهودَ المشهورَ من إحسانِ نِداه قَبْلَ نِداه ؛ فقابله المملوكُ مقابلةَ الشَّقِّ إلى قُربِ الديارِ ، المُضَى فى الحِجَّةِ قَلْبَه لمولاه قَبْلَ شَرطِ الخِيارِ ، ووصلتْ لطائفُ هديتِه الخِصرةَ النَّضْرَه ، وطرائفُ الفضلِ الباكِرُ كعانيِ اللفظِ المبتكرِ ؛ فتنجِّزُ المملوكُ الفاكهةَ قَبْلَ أوانِها البديعِ ، ورصدَ من أفلاكِ العُلبِ فى ذى الحِجَّةِ غُرَّةَ ربيعِ ؛ وتفاعلَ بالهديةِ المَجْمعةِ الأحبابِ فى أن يعودَ الشَّمْلُ وهو جَميعٌ ؛ وقد عادَ فلانٌ حاملاً من رسائلِ الشوقِ والشُّكرِ ما يُؤدِّيه بينِ أيديِ مولانا الكريمةِ ، ويحدِّدُ بذكره عهودَ الأُسِّ القديمه ؛ لا بَرَحَ مولانا سابقِ الكَرَمِ ، مُحضِرَ المِراعِ بييضِ النِّعمِ .

قلت : وكتبت جواباً لبعض الأصحاب وقد أهدى لي سَمَكًا :

أهدى لنا سَمَكًا قَدْ طابَ مَطْعَمُه * أَكْرِمَ به سَمَكًا لم يَسْكُنِ الرِّبَا !
لا شَكَّ أنَّهُ له بالبحرِ شاكِلَةٌ * والبحرُ عادتهُ أن يهدى السَمَكًا !

الضرب الثاني

(من كتب التهادى الأستهداء)

وأعلم أن كل ما يكتب مع إهدائه قد يكتب مع أستهدائه ، إلا أن الغالب مما جرت به عادة الكتاب في الأستهداء طلب الأشياء المستظرفة الخفيفة المنة دون ما يعظم خطره ، اللهم إلا أن يكون الأستهداء من الملوك ونحوهم فيطلب فيه ماجلًا وعظم .

والذى جرت عادة الكتاب بالكتابة فى أستهدائه على أصناف :

الصنف الأول - آلات الكتابة : من الأدوية^(١) والمداد والأقلام :

ما تقدم ذكره فى الإهداء .

أبو الفرج البغاء فى أستهداء دواة :

أنفس الذخائر وأشرف الآمال ما كان للفضل نسبا ، وللصناعة والحظوة سببا ؛ وبالذوى تجنى ثمره الصناعة ، ويحتلب در الكتاب ، وقد أوحش المملوك الدهر مما كنت أقتنيه من نفائسها ، وضايقه فى وجود الرضى على الحقيقة منها ، فإن رأى مولانا أن يميظ ببعض ما استخدمه من حالها أو عاطلها سمة عطلة المملوك ، ويسمح بإهدائها إلى أهل تصريفه ويقابل بالشجج والتقبل رغبته ، فعل ؛ إن شاء الله تعالى .

وله فى أستهداء مداد :

التنافس - أيدك الله - فى أدوات الكتابة وآلات الصناعة بحسب التفاحر فى ظهور النعمة ، والتخير لبيان الإمكان والقدرة ، وإلا فسائر الذوى سواء فيما تصديره

(١) لعل الصواب من الذوى انظر القاموس .

الأقلام عنها ، وتستمده بطون الكتب منها ؛ وأولى آياتها بأن نتوفر العناية عليه ،
وينصرف التخير بالضرورة إليه ؛ المداد الذي هو ينبوع الآداب ، وعتاد الكُتَّاب ،
ومادة الأفهام ، وشرب الأقلام ؛ فجعلها الله بواجب القضية والحكم ، في حيز وصفه
من الحمد والذم ؛ ومازلت لنفاس الأخلاق موطنًا ، ولنجع الإخوان في الحِلِّ معدنًا ؛
ولا معدل بي عن استماحة خزائنك عمرها الله الممكّن من جيده ، فإن رأيت أن تستنقذ
دواتي من نحول العطلّة ، وتزّه قلبي عن ظمإ الغلّة ، وتكشّف عنها سمة النقّصان
والخلّة ، ففعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

على بن خلف ، في مثله :

أولى ما أنبسط في استهدائه ، وتسمح [نفسى] في استماحتِهِ وأستجدائه ، ما كان
ناقعًا لغلّة الأقلام ، مقيّدًا لشوارد الأفهام ، محبّرًا لبرود البيان ، حاليًا في معارض
الحسن والإحسان ، وكتبت هذه الشكوى أطال الله بقاء سيدي :

الصنف الثاني - الشراب .

في استهداء مشروب .

أبو الفرج البغاء :

أنا - أيد الله سيدي - ومن ساعني الدهر بزيارته من إخواني وأوليائه ، عضد الله
جمعنا ببقائه ، وقوف بحيث يقف بنا اختياره : من القبول والإنبساط ، ويرتضيه لنا
إيثاره : من الهمّ والسرور ، لأنّ الأمر في ذلك مما يؤلينا من المساعدة بالمكن من
المشروب إليه ، والاعتقاد دون كلّ أحد في اجتماع شمل المسرة لنا به عليه ، فإن رأى
أن يكلني إلى أولى الظنين به وأحقهما بما نُور قوتّه ، فعل .

وله في مثله :

الطَّفُ الْمَنِّ مَوْضِعًا ، وَأَجْلُهَا مِنَ الْأَنْفُسِ مَوْقِعًا ، مَا عَمَّرَ أَوْطَانَ الْمَسْرَةِ ، وَطَرَدَ
عَوَارِضَ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ ؛ وَجَمَعَ شَمْلَ الْمَوَدَّةِ وَالْأُلْفَةِ ، وَأَدَّى إِلَى اجْتِنَاءِ ثَمَرَةِ اللَّذَّةِ ؛
وَبَدَخَائِرِكَ مِنَ الْمَشْرُوبِ مَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ [مَا] يَسْتَرْقُّ حُرَّ الشُّكْرِ ، وَيُحْرِزُ قَصَبَ
السَّبْقِ إِلَى النَّبَاءِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُنْحَدَ بِالْمَمِّكَ مِنْهُ مُرُوتِي ، عَلَى قَضَاءِ
حَقِّ مَنْ أَوْجَبَ الْمَنَّةَ عَلَى زِيَارَتِي ؛ فَعَلْتَ .

وله في مثله :

مَنْ كَانَ لِلْفَضْلِ نَسَبًا ، وَلِفَلَكَ الْفِتْوَةَ قُطْبًا ، لَمْ تَفْرَحِ الْقُلُوبُ مِنَ الْهَمِّ إِلَّا إِلَيْهِ ،
وَلَمْ تُعَوِّلِ الْأَنْفُسُ فِي اسْتِمَاحَةِ الْمَسَارِ إِلَّا عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ طَرَفَنِي مِنْ إِخْوَانِي مَنْ كَانَ
الدَّهْرُ يُمَاطِنِي زِيَارَتِهِ ، وَيَنْفَسُ عَلَيَّ بِقُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ ؛ فَصَادَفَنِي مِنَ الْمَشْرُوبِ
مُعْسِرًا ، وَوَجَدْتُ الْإِنْسَاطَ فِي آتِمَاسِهِ مِنْ غَيْرِكَ عَلَيَّ مُتَعَدِّرًا ، وَإِلَى تَفَضُّكَ
تَفَرَّعَ مُرُوتِي فِي الْإِسْعَافِ مِنْهُ بِمَا يَلْمُ شَعْتَ الْأُلْفَةِ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَ الْمَسْرَةِ ؛ وَيَجْعَلُنَا
لَكَ فِي رِقِّ الْأَعْتِدَادِ بِالْمَنَّةِ ، وَيَقْضِي عَنِّي بِتَفَضُّكَ حَقُوقَ الْمَوَدَّةِ .

على بن خلف :

قَدْ آتَنْظَمَ لَنَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - مَجْلَسٌ وَأَقَفَ بَيْنَ النَّشَاطِ وَالْفِتْوَرِ ، وَالكَابَةِ
وَالسُّرُورِ : لُغْرُوبِ نُجُومِ الْخَمْرِ عَنِ سَمَائِهِ ، وَعَظْمِهِ مِنْ حُلِيِّ نُورِهِ وَلَا لَأَنَّهُ ؛ وَقَدْ عَوَّلْنَا
فِي إِطْلَاقِهِ إِلَى إِحْدَى الْجَهْتَيْنِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَا زِمَامَهُ بِيَدَيْهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُرْوَحَ أَفْكَارُنَا
بَشْيءٍ مِنْ رَاحِهِ الْمُشَابِهَةِ عَمِّقًا وَعِثْقًا لِأَخْلَاقِهِ وَأَعْرَاقِهِ ؛ فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

أفضل ما أهدى سيدي ما أهدى السرور إلى أحبته ، ونظم شمل المتحققين بخدمته ؛
وحسم عنهم هواجس الفكر ، وأعداهم على الدهر ؛ وقد جمعنا مجلس وهبناه للشاء
عليه ، وزقت عرائس الخمر إليه ، فإن رأى إيثارنا بما يكمل نشاطنا ، ونتم
أنيساطنا ، فليعقر هومنا بشيء من عقاره ، وينظم [جمعنا] في سلك أياديه ومبارة ؛
إن شاء الله تعالى .

النوع الرابع

(الشفاعات والعنايات)

قال في "مواد البيان" : وهذه الكتب إنما تصدر عن ذوى الرتب والأخطار ،
والمنازل والأقدار ، الذين يتوسل بجاههم إلى نيل المطلوب ودرك الرغائب .

قال : والمتمس فيها ممن تنفذ إليه أحد ثلاثة أنواع : إما بذل ماله ولا يبذل
ماله إلا ذو مروءة يفرض على نفسه حقا فيه لفاصديه ؛ وإما بذل جاهه وفي بذل
الجاه إراقة ماء الوجه والتعرض لموقف الرد ؛ وإما الاستئزال عن سخيمة وموجدة
في النزول عنهما كف حد الغضب وغض طرف الحق ، وهما صعبان إلا على من
فضل حلمه ، ولطف فهمه .

ثم قال : والكتب يحتاج إلى التلطف فيهما وإيداعهما من الخطاب ما يخرج به
الشافع عن صورة المثقل على المشفوع إليه بما كلفه إياه ، ويؤدى إلى بلوغ غرض
المشفوع له ونجاح مطلبه ؛ ثم أتبع ذلك أن قال : وسبيل ما كان في آسماحة المسأل ،
أن يبنى على الإبانة عن موقع الإفضال ، وفضيلة النوال ؛ وأعتنا فرص الإقتدار ،

في معونة الأحرار، وما جرى هذا - وسبيل ما كان منهما في طلب الانتفاع بالجاه أن يُبني على هزّ الأريحية لأصطناع الصنائع، وتجلّ المشاقّ في تقليد المنن، وأدخار الفعل الحسن، وأغتنام الأجر والشكر - وسبيل ما كان منهما في الاستئزال عن السخائم أن يُبني على الملاطفة، والإشارة إلى فضيلة الحلم والصفح عن الخاطيء، وما في ذلك من حسن السمعة في العاجله، ومتوقر المثوبة في الآجله، ونحو ذلك.

وذكر أن أحسن ما قصد في هذا الفن مسلك الإيجاز والاختصار، وأن يسلك به مسلك الرقاع القصار الجملة؛ لالكثب الطوال المفصلة؛ وأن يرجع فيما يودعه إلى قدر الشافع والمشفوع فيه، والكتاب إذا كان مرآضا ماهرًا لم يضلّ عن تنزيل كل شيء [في] منزلته، وترتيبه في مرتبه.

قلت: ومن أحسن ما يطابق هذا النوع ما رأيت في بعض المصنّفات: أن عمرو ابن مسعدة وزير المأمون كتب إلى المأمون في رُقعة:

أما بعد، فإن فلانا سألني أن أشفع له إلى أمير المؤمنين، فأخبرته أني لم أبلغ عند أمير المؤمنين مبلغ الشفاعة - فلمّا وصلت الرُقعة إلى المأمون وقّع عليها بخطه: قد فهمنا تصريحك به وتعريضك بنفسك، وأجبتك إليهما وأتحفناك بهما.

من كلام المتقدمين:

الحسن بن سهل:

كاتبني إليك كتاب معتن بمن كتب له واثق بمن كتب إليه، ولن يضع حامله بين عناية وثقة، والسلام.

أبو الحسين بن سعد :

وقد توجه إليك فلان بقصدٍ فيه مستجمع ، وأملٍ فيما قبلك مُنبسط ، وليس بعد إصابتك عنده مَوْضِعًا وعندنا متحملاً للبد الحسنَة إلا آقراض ذلك منه ومِنَّا في أمره على يُسر في حاجته ، وتخفيفٍ من مَعُونته ؛ فإن رأيت أن تأتي في ذلك بما يشبه أمله وظنّه ، وتوجب عليه الحقّ به ، ونشكر لك منه ما يبقى عندنا ، بأنك بحيث تأتي الفضل وتوحي الصلّة ؛ [فعلت] إن شاء الله تعالى .

آخر : معرفتي بأنك لا تنجاوز في العقوبة سبيلها من مواقع الأدب ، تتحملي على مُساءلتك ما أنت موجب له والذكرى تنفع المؤمنين ، ولولا ذلك لأستغنى صاحب كتابي عنه ؛ فإن كان دَنَبُه صغيراً فالصغير يُخرجه من حبسه ، وإن كان كبيراً فالعفو يسعه . وكتابي متفاض لك تقديم العفو على العقوبة ، والحسنة على السيئة ، والأستصلاح على القوّة في التأديب .

طفال بن شَبَّه :

وأحق من يعطف على أهل البيوتات ، ويؤود لهم بما يبقى ذكره ، ويحسن به ذُخْرُه ، مثلك ؛ وقد وجهت إليك فلانا ، وهو من ذوى قراباتي ، وذوى الهيئة من أُسْرقي ، وعرضته لمعرفك ، وأحببت أن تلبسه نعمتك وتصرفه إلى وقد أودعني وإيأاه ماتجده باقياً على البشر الجميل في الغيب والخضر .^(١)

ولغيره :

وقد جعلك الله غيائاً ، وجعل عندك لمؤمليك وراجي رفدك ، أبلغ ذريعة من كرمك وفضلك ؛ وقد أصبحت مفزع كل ذي هم ، وملجأ كل ذي أرب ، وموضع كل أمل ، وأصبحت ملتقى السبل ، ومجمع الأصناف المختلفة ، والطوائف المتصرفة .

(١) لعله على نشر الجميل الخ .

أبو مسلم محمد بن بحر :

قد شَهَّرَتْنِي بِاصْطِنَاعِكَ [حَتَّى] تَكَافَأَ فِي مَعْرِفَةِ خَبَرِهَا أَهْلُ بُلْدَانِ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . وَالَّذِينَ عَرَفُونِي فَصَدِيقٍ مِنْهُمْ مَغْتَبِطٌ بِذَلِكَ لِي ، وَشَرِيكَ فِي النِّعْمَةِ بِهِ
عَلَى ، وَقَوَى الظَّهْرَ بِمَا مَنَحَنِيهِ اللَّهُ مِنْ رَأْيِكَ ؛ وَإِذَا نَابَتْ بَعْضُهُمْ نَائِبَةٌ يَرْجُوكَ
لِكَشْفِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَيْكَ طَرِيقٌ يُدْنِيهِ وَلَا حَرَمَةٌ تُقْرَبُهُ وَتَعْطِفُكَ عَلَيْهِ ، سَأَلَنِي
الشَّفَاعَةَ لَهُ إِلَيْكَ ؛ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مُدَلًّا بِمَا أَعْتَقَدُهُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَتِكَ عِنْدِي ،
وَالِإِحْلَاصِ فِي طَاعَتِكَ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيَّ ؛ وَاتِّمَامًا بِتَسْوِيفِكَ إِيَّائِي مَارُقِيَّتُ إِلَيْهِ مِنْ دَرَجَةِ
الشَّفَاعِ لغيرِهِ ، وَالسَّائِلِ (؟) فِي طَرِيقِهِ وَذَوِي الْحَقِّ عَلَيْهِ : لَتَكُونَ قَدْ أَكْمَلْتَ
عَلَيَّ النِّعْمَةَ ، وَوَكَّدْتَ لَدَيَّ الْعَارِفَةَ ، وَأَسْتَمَمْتَ عِنْدِي الصَّنِيعَةَ .

أبو الخطَّاب بن الصَّابِي :

أَبْسَطُ الشَّفَاعَةَ وَجْهًا ، وَأَقْرَبُهَا نَجْحًا ، وَأَوْقَعُهَا فِي الْقُلُوبِ ، وَأَسْرَعُهَا إِلَى التَّجْبُولِ ،
مَبُوقَةً مِنْ أَقْسَامِ ثَلَاثَةِ : مِنْ إِدْلَالِ السَّائِلِ بِحُسْنِ الظَّنِّ ، وَارْتِيحِ الْمَسْئُولِ إِلَى فِعْلِ
الْخَيْرِ ، وَأَسْتِحْقَاقِ الْمَسْئُولِ فِيهِ لِقَضَاءِ الْحَقِّ ؛ فَإِذَا اجْتَمَعَ لَهَا ذَلِكَ كَانَتْ الثَّقَّةُ بِهَا
زَائِدَةً ، وَالْقُوَّةُ لَهَا زَائِدَةً ، وَالْفَضْلُ عَلَيْهَا قَائِمًا ، وَالتَّجَنُّعُ بِهَا قَائِمًا ؛ وَكَانَ الشُّكْرُ
مِنْ أَقَلِّ مَوْجُودَاتِهَا ، وَالْمِنَّةُ مِنْ أَجَلِّ مَذْخُورَاتِهَا .

وله : إِنْ دَلَّ الْمَمْلُوكُ فِيصِدْقِ الْمَوَدَّةِ ، أَوْ عَوَّلَ فِعْلِي حُسْنَ النِّيَّةِ ، أَوْ اسْتَظْهَرَ
فِيقْدِيمِ الْحَرَمَةِ ، أَوْ اسْتَنْصَرَ بِفِكْرِي الرِّعَايَةَ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ هَمَّةٌ مِنْ مَوْلَانَا بَعِيدَةُ الْمَرَامِيِّ ،
طَوِيلَةُ الْمَسَاعِي ، شَاخِئَةُ الْأَنْفِ ، سَابِقَةُ الطَّرْفِ ، تُوجِدُ الْأَمَالَ سِرَاحًا ، وَتُوسِعُهَا
نَجَاحًا ، وَتَأْخُذُهَا نَحَاصًا ، وَتُرْدُّهَا بِطَانًا ، وَتُورِدُّهَا هَزًّا لَا وَتُصْدِرُهَا سَمَانًا ؛ وَثِقَّةٌ مَنِيٌّ
(١)

(١) لم يرد هذا الجمع في كتب اللغة التي بأيدينا والقياس على بطان وسمان لا ياباه .

قد أحكم عقدها الزمان، وأوثق شدتها الإمتحان، فصارت لأعراض المملوك رائده، وفي قوة نفسه زائده؛ فالمملوك من آتباع هذه الأقسام، ووجوب ما تقتضيه من الأحكام، بين ظن جميل لا مجال للشك عليه، ويقين صحيح لأوصول للارتياح إليه .

آخر : ولئن كان المملوك أسرف في مجارى التثقيل على مولانا، فإن المملوك لم يردّ بعضا من دواعي الأمل فيه، فإن المظنون من فتوة مولانا رائد الثقة بجميل نيته، ولن يعدم النجاح من اعتماد على الفتوة والثقة .

آخر : وينهى أن المملوك إن أدلّ، فبحقّ لدى مولانا أكده، أو استرسل، فبفضل منه عوده، وبين الدالة من المملوك والعادة من مولانا موضع لنجاح الحاجة، وبلوغ الإفادة، وقد فعل المملوك ما تعلق به واثقا بالكرم من مولانا؛ فليفعل مولانا ما تعلق به محققا للأمل فيه .

آخر : وينهى أن المملوك إن أنسى، فبدل بالحرمة الوكيدة، ومعوّل على النية الكريمة، أو أنقبض، فلهيئة الإقدام على مولانا ومراعاة التخفيف عنه، ولفضله فيما بين ذلك مسلك وغلبة تسلط يدعوان إلى حسن الظن بمولانا، ويوثقان من وجود النجاح لديه .

آخر : بدل الجاه في إعانة الضعيف، وإغاثة المهفوف، والترويح عن المضغوط، والتفريح عن المكروب المكدود؛ كبذل المال في إسعاف المعسر، وإسعاد المقتر، ومواساة المحروم، والتعطف على المرحوم، وما في الحالتين إلا ما للديانة له ضامن، والمروءة له قائمة؛ والحق به مستوجب، والأجر به مكتسب، والصنعة به معتقده، والمثوبة به مدخره .

آخر : وينهى أن حرمة الحوار من أوجب الحرمات حقاً ، وأحكمتها عقداً ، وأخصها بالناية ، وأحقها بالرعاية ، وما رعاها إلا ذو قدر عظيم ، وحُلو كريم ، وأصل عريق ، وعهد وثيق . وفلان ممن يضرب بدألتها ، ويمت بوسيلتها ، ويخفف بذمتها ، ويتعلق بعصمتها ، ويعتدها وزراً مانعاً ، وذخراً نافعاً ، وعدة موجودة عند الحاجة ؛ وله أمرٌ يذكره مشافهةً ، فإن رأى مولانا أن يحقق من ظنه ما كان جميلاً ، ويصدق من أمله ما كان فضلاً مولانا إليه سبيلاً ، فهو المعهود من إحسانه ، والمؤمل من فضله .

آخر : من سافر إلى سيدي بأمله ورغبته ، ومَتَّ إلى حضرته بوفادته وهجرته ، فقد استغنى عن الشافع ، وكفى أمر الوسائل والذرائع ؛ وحامل كتابي هذا قد تجشم القدوم إليه ، وتمسك بدمام الوفاة^(١) عليه ؛ مع ما يتحقق به من حق المشاركة في الصناعة ، ويستوجبه بفضيلة الكفاية والأمانة ؛ وإتماً أصدر المملوك هذه الخدمة على يده مهيأة لأئسه ، ومقويةً لنفسه ؛ وإذا مثل بحضرته ، ونظره بعين نبأته ؛ فقد غني عن الشفاعة وبلغ الإرادة .

آخر : وينهى أن ما يفرضه مولانا لمن أمه بالرجاء ، ومَتَّ له بإخلاص الحمد والثناء ؛ من إدرار أخلاف الإفضال ، وتحقيق الرغبات والآمال ، يُغني قاصديه عن الشفاعات والوسائل ، ويكفي آمليه تحمل الذرائع والمسائل ؛ والواصل إليه بهذه الرقعة فلان ؛ ومولانا يعرف حقه على المملوك وماله من الموات لديه ؛ وقد توجه إلى حضرته ، راجياً أن يلحفه من ظل سعادته ما يتكفل بمصلحته ، ويقضي على الزمن بإعدائه ومعونته ؛ ومولانا أحق من تولاه بحسن خلافته فيه ، والتفضل على المملوك بتحقيق ما يرجيه .

(١) الدمام بالذال المعجمة الحق والحرمة .

آخر في معتقل : عِلْمُ المملوكِ بأنَّ مولانا لا يتعدى في العقاب موضع الإصلاح والتأديب ، ولا يتجاوز في الغضب موقع التثويم والتهديب ؛ عملاً بالعدل ، وتمسكاً بالفضل ؛ يبعثه على تنبيهه لما أغفله ، وأتقياده لما أصّله ؛ وفلان قد تطاولَ اعتقاله : فإن كان جُرمه صغيراً فقد ظلم في القصاص ، وإن كان كبيراً فقد استحقَّ الخِلاص ؛ والمسئول من إحسانه أن يُعاودَ جميل عادته ، ويُراجعَ كريمِ شيمته ؛ فيعملَ في أمره بالعدل ، إذا لم يره أهلاً للفضل ؛ وإن كانت حقوقه متأكّده ، وحرمة مؤكّده ؛ فلا يحسن أن يُضاعَ ويُخفّر ، ولا ينبغي أن يُجحدَ ويُنكرَ ؛ وهو حريٌّ أن يحقّق الظنَّ فيه ، ويقابل هذا السؤال بما يقتضيه .

آخر : على حسب أخطار الودائع يكونُ الإشفاقُ عليها ، والشكر من صرف رعايته إليها ؛ وقد كان المملوكُ أودعَ كنفَ مُرّيته ، وفناءَ همّته ، فلان ؛ وهو دُرّةُ المحاسن الفريده ، ونادِرَةُ الدهر الشريده ؛ والجامعُ لأسبابِ المحامدِ بفضائله ومناقبه ، والناظمُ لثأرِ المآثرِ بحُلُقهِ وأدبه ؛ مع ماخصَّ به من المعرفة بقدر الصنعة ، والتعويض بالشكر عن قليل العارفة ؛ والمملوكُ يرجو أن يكونَ مولانا قد أحسنَ خلاقته فيه ، ونزله من حياطته وتوليّه ، بما يوجبُه مكانه من المملوكِ ويقتضيه ؛ متعوضاً من شكر المملوكِ وشكره بما هو خليقٌ أن يطوقَ أجيادَ معاليه ، وينظّمَ في سلكِ مساعيه .

رقعة - وينهى أن الأيام ، إذا قعدتْ بالإكرام ، فأنزلتهم بعد السعة ضيقاً ، أوجدتهم إلى التثقل على من يمتنون إليه بسالف الخدمة طريفاً ؛ ومن تحدّاه الزمن بنكده ، وعوضه ببوسه من رَغده ، فلان ؛ وكان قد فرّج إلى جماعة من الخُلّان ، واثقاً منهم بالأمتنان والإحسان ، فألفى وعداً جميلاً ، ومطلاً طويلاً ؛ فعدّل عنهم

إلى سيدى وعزل عنهم إليه، وتوجه إليه معتمداً بعد الله فى مقصده عليه؛ ثقةً
بفضل غيره، وحسن أثره؛ وتحمل عبودية المملوك هذه ذريعةً تبسط له من مولانا
حياه، وتوصله إلى ما يرجوه من معرفته ونداه. وما أولى مولانا بأن يحقق ظن
المملوك وظنه، ويموز شكره وشكره؛ إن شاء الله تعالى.

رقعة - وينهى أن رغبة سيدى فى إسداء المعروف، وغوث الملهوف،
تبعث على السفر إليه، والتقدم بالرغبات عليه؛ والله تعالى يواصل المنح لديه،
كما وصلها من يديه؛ وقد سبقت له عوارف لا ينساها المملوك، ولا يؤمل جزاءها
إلا برفوع الدعاء، وكريم الثناء؛ حتى تقتضى ضرائرها، وتستدعى نظائرها، وحامل
عبوديتى هذه، فلان؛ والمملوك يرضى لمولانا لسان شكره، كما يرضاه لتحمل يره؛
وقد ركض ظهر الأمل إلى حضرتة، ووثق ببلوغ الوطر من جهته؛ وأن ينظم
فى سلك من أسبغت عليه عوارفه، وعمته لطائفه؛ وعزز ذلك بأستصحاب كتاب
المملوك إلى بايه، وتقديمه ذريعةً فى التزام حقه وإيجابه.

رقعة - من كان سيدى شافعه أنبسط فى المنى، ولم يرض بغير العلاء؛ وقد علم
مولانا أن للشفاعة أحوالاً ثلاثاً؛ حالاً تحض الشافع، وحالاً تحض المستشفع؛
وحالاً تحض [المشفوع إليه] ولكل حد يجب الاتهاء إليه، ولا يجوز التقصير فيه؛
فعلى المستشفع آرتياد أخصب جناب، وأسكب سحاب، وقصد الجهة التى لا تصد
عن البغية سائلاً، ولا ترد عن الأمل آملاً، وأن ينهض بالشكر على العارفة، ويحدث
بالنعم عنه فى الأحوال الطارفة؛ وعلى الشافع أن يهريق ماء وجهه فى السؤال،

(١) غار الرجل يغوره ويفيره نفعه فالمراد بفضل نفعه تأمل.

(٢) فى الاصل الشفيع وهو غير مناسب.

ويجرد رغبته في تسهيل المنال ، ويعتقد أن ذلك من الدين المقترض ، والدين المقترض ، ويتكفل بالقيام بما يستدعى منه من المكافاه ، ويبتمس من العوض والمجازاه . وعلى المشفوع إليه أن يعلم أن الشافع والمستشفع ما قصدها إلا بعد الثقة بأحديته ، ولا أعتماه إلا بعد السكون إلى أريحته ، وأنه لا ينبغي أن يحسر متجرهما ، ولا يضيع سفرهما ، وقد آجتمعت هذه الأحوال الثلاث للرئيس المشفوع إليه ، وليسدى الشافع ، وخدامه المستشفع به ؛ ولم يبق إلا عزيمة منه تهز أفتان الإقبال فتساقط أثمارها ، وتنشئ عوارض الآمال فيتهافت قطارها .

أبو الفرج البغاء :

وموصل كتابي هذا غني عن شفاعتي له بما يمت من حرمت الرغبة إليك ، والوقوف دون كل مقصد عليك ، وبما يشفع ذلك من التقدم في الصناعة ، والتوصل بوجيه الكفاية ؛ وإنما زودته هذه الأحرف لأفتح له باب الأتسة ، وأسهل السبل إلى التعلق بالخلّة ؛ وأدل بها على ما تكشف منه المطاولة والخيرة ؛ وأنت أيدك الله ولي التطول بالتقدم في إيناسه وبسطه في الخدمة بما يستريد له محمود الأثر فيها من حسن النظر وجميل الرأي .

وله في مثله :

وموصل كتابي فيما يؤمله منك ويبلغه بك متمسك من رجائك بأوكد ذمه ، ومن شفاعتي بأوجب حرمه ، ومهما مت به بعد ذلك من ظهور كفاية أو تقدم في صناعة كان غير ضائع عند رعائتك ، ولا مجهول مع تيقظ عنايتك ؛ وأرجو أن يحل من تقبلك ، بحيث أحله حسن النظر تطولك .

وله في مثله :

وفي عليك ما أخذ به نفسى ، وأروض به أخلاقى : من الإقباض عن التسرع إلى مسألة ، والاحتشام من الانبساط في حاجة ، مادلك على موضع فلان ومكانه من إيثارى بواجبات حقوقه ، وسالف موآته ؛ ولذلك سمحت بالكتاب له إليك ؛ وفارقت رسمى بالثقل في قضاء حقه عليك ؛ وقد قصد نحوك بأمله ، وأختارك لرجائه ؛ وقدّر بك بلوغ البغية ، وأختصر بشفاعتى إلى تفضلك السبيل إلى إدراك المحبة^(١) ؛ فإن رأيت أن تأتى فى بابه ما يشبه فضلك ، ويُناسب وكيد ثقته بك ؛ وأنى أشركه فى الشكر وأسأله فى الاعتداد ، فعلت .

آخر :

رَأَيْتُ الْمَسَاكِينَ قَدْ أَجْمَعُوا * عَلَى أَنْكَ الْوَزْرُ الْمُعْتَمَدِ !
فَأَنْتَ لِطِفْلِهِمْ وَالِدٌ * وَأَنْتَ لِشَيْخِهِمْ كَالْوَالِدِ !

السلام العَمِيمُ ورحمةُ الله وبركاته على مَنْ جعله الله للمسكينِ ظلاً يقيمهم ، وطلاً يسقيهم ، ونعمةً تعمهم ، ورحمةً تضمهم ؛ أبوفلان ، أبقاء الله فى عزرة تالدة طارفة ، وسعادة لاتزال طارقة بكل عارفه .

مَنْ أقامه الله مقامك أيها الشيخ المبرور بالترقى بالفقراء ، والإحسان إلى الضعفاء ، لم يعدم مريضا يقصده فى الشفاء ، ولا يعدم فيضا يعتمده للاكتفاء ، لاسيما إذا توسل وحده ، وتسقّع بمن لا يضيع عمل عامل عنده ، ومتحملها فلان قصّ الفقر جناحه ، وأخنى عليه الدهر وأجتاحه ؛ ولما رأى الفقراء ببركم مرفقين ، وعلى

(١) لعله الطلّيه .

شكركم متففين ؛ أممك حسن الظن بالمن ، ولم يقدم شفيحاً دنيوياً ، ولا طريقاً واضحاً
سويّاً ؛ وأنتم أيها الشيخ الموقر تزلونونه منزلة سواه ، ممن توى متواه ؛ وتوى فيكم
من الأجر والشكر ما تواه ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام الكريم العميم ، يخص جنابكم
ورحمة الله وبركاته :

فالله سبحانه يُبقيك في دعة * وحسن حالٍ وتيسيرٍ وإقبالٍ !

مقدم المجد في عزٍّ وفي كرم * مؤمل النفع من جاهٍ ومن مالٍ !

الشفاعات من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

شفاعة في آستخدام كاتب درج :

جعل الله تعالى دوره رجة العراض ، وسعادته في الأزياد وأعاديه في الأنتقاص ؛
والدعاء لإحسانه مقروناً بصدق النية والإخلاص :

وهذا دعاء لو سكت كفيته * فإني سألت الله فيك وقد فعل !

صدرت هذه الخدمة تستمطر سحاب كرمه ، وهامى ديمه ، وتساءل جميل شيمه ،
في معنى مملوك المولى وداعيه ، والشاكر لأيديه ، والملازم على رواية أخبار فضائله
وبثها ؛ ونشر تفضلاته وثبها ؛ فإنه من بيت كريم التجار ، زائد الفخار ؛ وله على
مولانا حق خدمة ؛ وهويتمت بسالف معرفة ؛ ومحبة المملوك له شديده ، والصحبة
بينهما قديمة وشقة المودة جديدة ؛ ولولا ذلك ما نقل على خدمته ، وتهجم على المولى
بمكاتبته ، وقد توجه إلى بابه العالى مهاجراً ، وناداه لسان جوده فلباه وأجابه مبادراً ،
وغرضه أن يكون كاتباً بين يديه ، ومملوكاً تقع عين العناية عليه ؛ وهو من الكرام

الكتابين، والراغبين في الانتظام في سلك خدَمِه والمؤثرين، وصفاته بالجميل موصوفه،
وفصاحته معروفة، وقلبه الذي يَقلِّمُ ظُفْرَ المِهْمَاتِ وَيُكْفِ كَفَّ الحَدَثَانِ، ولسانه
الذي يُغْنِي بِشَبَابِهِ عن حَدِّ السَّنَانِ؛ ورأيه المَقْدَّمُ في الهِجَاءِ على شِجَاعَةِ الشُّجْعَانِ؛
فإذا أَنْعَمَ المولى بِاسْتِخْدَامِهِ، وتحقيقِ مَرَامِهِ، كَانَ قد وَضَعَ الشَّيْءَ في مَحَلِّهِ، وصنَعَ
المعروفَ مع أَهْلِهِ؛ وبَيَّضَ وَجْهَ المملوكِ وشفاعته، وصدقَ الأملَ في إِحْسَانِهِ
ومُرُوءَتِهِ، ورأيه العَالِي؛ إن شاء اللهُ تَعَالَى.

وله شفاعَةٌ في أَسْتِخْدَامِ جُنْدِيٍّ :

لَا زَالَ بِرُهُ مَطْلُوبًا، وَجُودُهُ مَخْطُوبًا؛ وَذِكْرُ إِحْسَانِهِ فِي المَلَا الأَعْلَى مَكْتُوبًا؛ وَلَا
بَرِحَتْ رِيَاضُ جُودِهِ أَزْهَرَ وَأَنْصَرَ من رَوْضِ الرُّبَا، وَيَدُهُ البِيضَاءُ تُرْقِمُ لَهُ فِي سَوَادِ
القُلُوبِ سُطُورَ حَمْدِ أَحْسَنَ من نَوْرِ تَفْتِيحِ الصَّبَا. هَذِهِ الخِدْمَةُ صَدَرَتْ عَلَى يَدِ فُلَانٍ
تَهْدِي إِلَى المولى سَلَامَ المملوكِ وَتَحِيَّتِهِ، وَدُعَاةَ الصَّالِحِ الذِي أَخْلَصَ فِيهِ نِيَّتَهُ؛ وَتَشْفَعُ
إِلَيْهِ فِي تَنْزِيلِهِ فِي الخَلْقَةِ المَنْصُورَةِ وَأَسْتِخْدَامِهِ، وَتَرْتِيبِهِ فِي سَلْكِ جَيْشِهِ المُوَيَّدِ
وَأَنْتِظَامِهِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الأَجْنَادِ الحَيَادِ، وَذَوِي الجِلْدِ عَلَى الجِلَادِ؛ وَهُوَ الغَشْمَشَمُ الذِي
لَا يُرْدُ، وَالشَّمَمُ الذِي لَا يُصَدِّ؛ وَالبَاسِلُ الذِي لَا تُحْصَرُ بِسَاتَتِهِ بَوْصَفٍ وَلَا تُحَدَّدُ،
وَالنَّقِيبُ المِيمُونُ الفُرَّةَ وَالنَّقِيبِيَّةَ، الموصُوفُ فِي الهِجَاءِ بِحَزْمِ الكُهُولِ وَجَهْلِ ذَوِي
الشَّيْبِيَّةِ. وَالمولى وَإِنْ كَانَ بِحَمْدِ اللهِ غَيْرَ مَحْتِاجٍ إِلَى مُسَاعَدَةٍ، وَلَا مَفْتَقِرٍ إِلَى مَعَاوِدٍ؛
فَإِنَّ أَسِنَّةَ لَا تَحْتَجِبُ عَنِ رُوحٍ مَحْتَجِبٍ، وَنَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ تَقُومُ وَحْدَهَا يَوْمَ الكِفَاحِ
مَقَامَ عَسْكَرٍ لِحَبِّ؛ وَقَلْبَهُ يَغْنِيهِ عَنِ الأَطْلَابِ وَالأَبْطَالِ، وَجِيُوشِ سَطُوتِهِ لَا تَكْتَلِفُهُ
المَقَامَ فِي مَنَازِلِ التَّرَالِ؛ فَإِنَّ المملوكَ يَعْلَمُ أَنَّ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ تَهْوِي تَرِيدَ عَسْكَرِهِ وَجُنْدِهِ،
وَتَرْعَى حَرْمَةَ قَاصِدِهِ وَقَصْدَهُ، فَلهَذَا تَوَسَّلَ بِشَفْعِ وَتَر الشَّفَاعَةِ؛ وَتَوَصَّلَ إِلَى إِزَالَةِ

ضَرَعَ حَالِهِ بِكَثْرَةِ الضَّرَاعِ ؛ فَإِذَا أَنْعَمَ الْمَوْلَى بِقَبُولِ شَفَاعَةِ الْمَمْلُوكِ فِيهِ ، وَحَقَّقَ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ مَا يُؤَمِّلُهُ وَيَرْجِيهِ ؛ كَانَ قَدْ شَدَّ لِلشَّارِ إِلَيْهِ مَا أضعَفَتْهُ العُطْلَةُ مِنْ مُتَّهِ ، وَقَدَّ الْمَمْلُوكَ لِلْمَوْلَى جَمِيلَ مِتِّهِ .

شفاعة في ردِّ معزول إلى ولايته :

يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ لِأَزَالَتِ مَقْبَلِهِ ، وَإِسْدَاءِ الْخَيْرِ إِلَى أَهْلِهِ مُؤَهَّلِهِ ، وَبِأَيَادِيهَا عَلَى الْكَافَّةِ مُتَفَضَّلِهِ .

وَيَنْهَى مَلَازِمَتَهُ عَلَى شُكْرِ مَوَاهِبِهِ ، وَنَشْرِ فُضَائِلِهِ الْجَسِيمَةِ وَمَنَاقِبِهِ ؛ وَحَمْدِهِ كَرِيمِ شَيْمِهِ ، وَالْإِعْتِذَارِ مِنْ تَثْقِيلِهِ عَلَى خِدْمَةِ الْمَوْلَى بِخِدْمِهِ ، وَسُؤَالِ إِعْنَاعِهِ بِوَجْهِهِ مَكَاتِبَتِهِ وَلِسَانِ قَلَمِهِ ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا يَتَحَقَّقُهُ مِنْ كَرِيمِ نِجَارِهِ ، وَشِدَّةِ تَطَلُّبِهِ لِإِسْدَاءِ الْعَوَارِفِ وَإِثَارِهِ ؛ وَالْمَوْجِبُ لِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ وَسُؤَالِ مَكَارِمِهِ ، وَأَسْتِمْتَارِ سَخَائِبِ مَرَاحِمِهِ ، مَا بَلَّغَهُ مِنْ عَزْلِ مَمْلُوكِ الْمَوْلَى وَعَبْدِهِ ، وَوَصْفِ جَمِيلِ أَوْصَافِهِ بِلِسَانِ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ ، فَلَانِ ؛ أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِحْسَانَ الْمَوْلَى وَإِعْنَاعَهُ ، وَخَلَدَ لَنَا وَلَهُ دَوْلَتَهُ وَأَيَّامَهُ ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ الْمَمْلُوكِ وَصَدِيقُهُ ، وَشَرِيكُهُ فِي الدُّعَاءِ لِمَوْلَانَا وَرَفِيقُهُ ؛ وَهُوَ مِنَ الْعُدُولِ الْأَمْنَاءِ ، وَالنِّقَاتِ الْأَتْقِيَاءِ ؛ وَهُوَ قَلِيلُ الْجِدَّةِ كَثِيرُ الْعِيَالِ ، لَا يَجِدُ حِيلَةً إِذَا بَطَلَ بِخِلَافِ مَا يُحْكِي عَنْ الْبَطَالِ ؛ وَقَدْ تَشَفَّعَ بِالْمَمْلُوكِ وَمَكَاتِبَتِهِ فِي مَلاحِظَةِ الْمَوْلَى لَهُ بَعِينَ عِنَايَتِهِ ، وَالتَّقَدُّمِ بِرَدِّهِ إِلَى جِهَةِ وِلَايَتِهِ ؛ فَلهَذَا كَتَبَ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ فِي مَعْنَاهِ السُّؤَالَ ، وَعَلَّقَ بِتَحْصِيلِ أَمَلِهِ الْآمَالَ ؛ يَعْلَمُ ذَلِكَ مَوْفَّقًا .

شفاعة في خلاص مسجون :

فَسَّحَ اللَّهُ فِي مُدَّتِهِ ، وَسَهَّلَ أَدَاءَ مَا يَجِبُ مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِهِ ؛ وَأَلْزَمَ الْأَلْسِنَةَ بِمُجْدِهِ وَالْقُلُوبَ بِمُحَبَّتِهِ ؛ وَجَعَلَهُ مَفْرَجًا كُلِّ كَرْبٍ ، وَمَسْهَلًا مِنَ الْمَقَاصِدِ كُلِّ صَعْبٍ .

وبعد، فإن كافة الأمة قد تحققت رحمة قلب المولى ورأفته، وتيقنت إحسانه ومروءته، وأنه يؤثر إغاثة كل عان وإغاثة كل ملهوف، وأنه لا يمسك إلا بالإحسان ولا يسرح إلا بالمعروف، بحيث سارت بحسن سيرته الركب عوضاً عن الرُجبان، ودرأت مكارمه عن الأولياء نوب الزمان؛ وعلا على حاتم فلو تشبه بكرمه لقننا له :
 (مرعى ولا كالسعدان) . وللملوك من إحسانه أوفر نصيب، وهو يرسل من جوده في نوب قشيب؛ وقد أشتهر ما يعامل به من الإكرام، وأن قسمه من العناية أوفر الأقسام؛ وكان يعد من جملة العبيد فأصبح مضافاً إلى الأئام؛ وهذا مما يوجب على الملوك أن يتبهل إلى الله في تخليد دولته ويتضرع، وعلى حلم مولانا أنه إذا شفع إليه في مُذنب أن يسفح؛ وهو يسفح إليه في مملوكه وعبيده، والملازم على رفع رايات مجده وتلاوة آيات حمده، فلان؛ رزقه الله رضا الخواطر الشريفة، وأسبل عليه حلة عفوه المنيقة على الحلل بظلالها الكثيفة؛ فإنه قد طالت مدة حبسه، وأعترف بأنه الجاني على نفسه؛ والمعترف بذنبه كمن لا أذنب، والمغترف من بحر جوده يروى دون أن يشرب؛ والطالب ليره ينال سؤله والمطلب؛ فإن حسن في رأيه العالى زاده الله علاء، وضاعف له سناء، المشى على منار جوده ومنهجه، وبروز أمره المطاع بإطلاقه وإخراجه، أغتم أجره، وجبر كسره، وريح في هذا الشهر المبارك دعاءه الصالح وشكره؛ وكان قد أنعم على الملوك بقبول شفاعته إليه، وفعل ما يوجب على كل مسلم الثناء عليه؛ والله الموفق .

شفاعة بسبب خلاص حق :

يخدم المجلس السامى لاقبى بالتحيات محذوما، وحبل سعه مبروما، ودر المدائح
 لجيد جوده منظوما، وعدله بين الأخصام قاضيا فما يترك ظالما ولا مظلوما .

(١) فى الأصلين «ودارت مكارمه على الأولياء» ويظهر أنه تصحيف من النسخ .

ولا زالت الآمال متعلقة بهيمته ، منوطة بسعيد عزمته ؛ راجية خلاص كل حق من هو في جهته . وتوضح لعلمه أن فلانا أدام الله سعادته ، وخد سيادته ، ذكر أن له ديناً في جهة غريم ماطل مدافع ، وخصم ممانع ؛ وقد جعل هذه الخدمة ذريعة إلى خلاص حقه ، وخالفاً إلى الوصول إلى عناية المولى أقرب طرقه ؛ وهو جدير بالتقدم بإحضار غريمه ومحاققته ، وأخذ المملوك في ذمته ، وأن لا يسح له في تأخيره ؛ ولا يسح بقليل الصبر ولا كثيره ؛ فإنه يعلم أن المولى المشار إليه واجب الخدمة ، وافر الحرمة ؛ وقد تعلق أمله في خلاص حقه بالمولى ، ولا يجوب عن هذه الخدمة بلو ولولا ، بل يبذل جهده ، ويطلق في تحصيل الغرض لسان الاجتهاد ويده ؛ ويعتمد من الإهتمام ما يليق بأمثاله ، ويبيض وجه الشافع وسؤاله ، موقفاً . شعر :

ولو كان [لى] في حاجتي ألف شافع * لما كان فيهم مثل جودك شافع

شفاة فيمن اسمه سراج الدين إلى من اسمه جمال الدين :

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وينهى بعد ولاء يحكم على القلوب شافع جماله ، وثناء يجر على أكام الزهر فضل أذيله : أن العلوم الكريمة محيطة بإيجاب حق من هاجر إلى بابها ، وشكا غلة الفاقة إلى منهل منهل سخاها ؛ وأن المائل بهذه الخدمة ، فلان ؛ ذكر احتياجه إلى عاطفة من عواطف مولانا التي شملت ، وعارفة من عوارفه التي لو آستمدت من غيرها الليالي لما أظلمت ولا ظلمت ؛ وأن بيده وظيفة شهادة بيت لحم بتواضع شريفة نظرت في حاله ، ونشرت حال عياله وأطفاله ، وأن ثم من ينارعه في جهته المعتاده ،

(١) وَيَقْصِدُ نَزْعَهُ وَالنَّزْعَ عَنْ تِلْكَ الشَّهَادَةِ الْمَسْطُورَةِ أَحْفَافًا مِنْ نَزْعِ الشَّهَادَةِ ، وَمَوْلَانَا أَوْلَى مِنْ رَحِمِ مَنْبِهِ ضَعْفًا ، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهِ عَطْفًا ؛ وَدَارَكَ بَكْرَهُ هَذَا السَّرَاجَ قَبْلَ أَنْ يُطْفِئَهُ ؛ وَرَعَى سِيرَةَ مَبَاشِرَتِهِ الْحَسَنَةَ الْآثَارَ ، وَأَعْتَمَّ أَدْعِيَتَهُ وَأَدْعِيَةَ أَوْلَادِهِ الَّذِينَ هُمْ كَقِطْعِ الشُّطْرَنْجِ صِغَارٌ وَبِجَارٍ ؛ وَكَفَّ يَدَ التَّعْرُضِ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ عَدْلِهِ فَإِنَّمَا أَيَّامٌ لِأَضْرَرٍ فِيهَا وَلَا ضَرَارٍ ؛ وَعَلَى الْجَمَلَةِ فَقَدَ تَرَكْتَهُ الْإَيَّامُ قِطْعَةً لَحْمٍ ، فَبِأَشْرَةِ بَيْتِ لَحْمِ أَوْلَى بِهِ ، وَرِجَالُهُ فِرْجَانِيَّةٌ وَأَخْوَانُهَا أَحَقُّ أَنْ يَتَعَلَّقَ سَبَبُهَا بِأَسْبَابِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْبُرُ بِمَنْ مَوْلَانَا أَحْوَالِ الْمَضْرُورِينَ فَإِنَّمَا ظَلَامٌ ، وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى حَرْبِ الْإَيَّامِ بِسُيُوفِهِ الَّتِي هِيَ أَقْلَامٌ ، وَيَمْتَعُ بِأَيَّامِ عَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ الَّتِي تُتَنَافَسُ فِيهَا أَعْمَارُ الرِّعَايَا فَإِنَّهُمْ يُتَّبِعُونَ أَيَّامًا بِأَعْوَامٍ .
وله إلى شخص اسمه شمس الدين :

وَيُنْهِى بَعْدَ قِيَامِ بُوْظَائِفِ شَاءٍ يَمْسُكُ بِنَفْحَاتِهِ [التَّوَالِيهِ] ، وَوَلَاءٍ يَتَسَكَّ بِجِبَالِهِ الْمَتِينَةِ وَمَا كُلُّ شَمْسٍ حِبَالُهَا وَاهِيَةٌ : أَنَّهُ يَرْتَادُ الْأَوْقَاتَ لِحَطَابِ مَوْلَانَا بِالْأَقْلَامِ ، حَيْثُ حَبَسَ الْبَعْدُ خِطَابَ الْكَلَامِ ، وَيَتَخَيَّرُ حَمَلَةَ رِسَائِلِ الشُّوقِ ، وَإِنْ أَضْعَفَ عَطْفُ النَّسِيمِ رِسَائِلَ السَّلَامِ . وَلَمَّا حَضَرَ مِنْ مَكَانٍ كَذَا ، عَارِضٌ هَذِهِ الْخِدْمَةَ فَلَانَ ، وَذَكَرَ تَوَجُّهَهُ إِلَى حِمَى حِمَاةِ الْحُرُوسَةِ ، وَقَصِدَ كِتَابًا يَكُونُ فِي وَحْشَةِ الْإِغْتِرَابِ أَيْبَسَهُ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ غَرَضَ الْمَمْلُوكِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَ مُرَادِهِ وَلَا يُتَكَّرُ مِنْ جِهَةِ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ السُّلُوكِ ، فَأَعْلَمْتَهُ أَنَّ الْمَكَارِمَ الْحَمَادِيَّةَ لِاتِّحْتَاجِ غَيْرِ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ شَافِعًا إِلَيْهَا ، وَالْمَنَازِلَ الشَّمْسِيَّةَ لِاتَّفَتُّقِرَ إِلَى دَلِيلٍ يَنْبَهُ عَلَيْهَا ، وَطَلَمَّا جَمَعْتُ لِقَاصِدِهَا الْفِعْلَ وَالْقَوْلَ السَّخِيَّ ، وَطَلَمَّا قَالَ يَوْسُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَخُو مَوْلَانَا أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْقَاصِدِ :
أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أُنْحَى ، وَلَكِنِ الْمَمْلُوكُ يَذَكِّرُ الْخَاطِرَ الْكَرِيمَ بِهَذَا الْقَادِمِ فَإِنَّهُ مِنْ

أهله ، ويلقاه قبل ذلك بالبشر المنشد * أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ *
فإنه من أصحاب ولي الله طالما فاض ولي معروفه ، واستفاضت نسبته المرشدية
فكان ولياً مرشداً قامت صفته مقام موصوفه ؛ وإن آثار هذه البركات على هذا
القادم لأخيه ، وإن على يده تجارة ذكر وأجروهي في سوق هم مولانا تجارة رابحة ،
والله تعالى يجعل له في كلِّ شاءٍ وثواب نصيباً ، ويديم قلبه الكريم مقصد رفد وجاه
(فطوراً رشاءً وطوراً قليلاً) .

وله : عن نائب الشام إلى نائب حماة شفاعاً في شخص اسمه شهاب الدين ، وهو
بعد الألقاب :

لا زالت الأقدار تُسعدُه ، والملائكة تُبجده ، ومواطن النصر تجردُ حدَّ بأسه ومواطن
الحلم تُغمده ، والحناة تلوذُ بظله : فأى جاني ذنب ما يعفو عنه ، وأى جاني بر ما يرق
عليه ويرفده ، تقيلاً يترادف مدده ، ولا تنتهي في القرب والبعد مدده .

وينهى بعد ولاءٍ وثناء : هذا لا يبيلُ جديده وهذا لا تخفى جده ؛ وشوق
وأرياح كلاهما يروى عن ابن شهاب توقده ، ويجمل على يد شهاب سنده : أن
العلوم الكريمة محيطة بمقدار الحلم وفضله ، والعفو ومحلّه ، والتجاوز عن هفوات
المخطئين من القوم ، وطلب العفو من الله غداً بالعفو عن عباده اليوم ، قال الله تعالى :
﴿وَلِعَفْوًا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا نُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ . ولما سمع الصديق رضي الله
عنه هذه الآية ، قال : (بلى والله إنني لأحبُّ أن يغفر الله لي) ثم عفا عن نزلت
بسببه ، ومملوك مولانا أعزَّ الله أنصاره فلان ، قد أترف بهفوة بدت منه ، وزلة
نقلت عنه ؛ ما يسعها إلا عفو مولانا ومرامحه ؛ وقدم على المملوك فكأنه ما خرج عن
ظلِّ مولانا ولا فارقتُه معالهُ ؛ وسأل سؤال مولانا أن يسلمه بالعفو ، ويتجاوز له

عن السهو؛ ويرحم كبر سنه وكبيرة جهله؛ ويرعى قديم هجرته لخدمة هذا الباب الذي نسا عمرًا طويلا في ظله، أهلا لأن تشمله عواطف أهله؛ وهو - كما عرف المملوك وأطلع عليه حيث كان في نيابة حماة - مشكور السيرة بالأعتراف، ناهض الخدمة بالأختبار؛ ملازم لثرى الباب بعزم ماعليه غبار؛ وله على المملوك بالأمنس حق خدمة وباليوم حق سؤال يشفع بهما في القلوب وهي كجار؛ والمسئول من صدقات مولانا تجاوزه عن هفوته، وردّه إلى أمنه ووظيفته؛ وإجراؤه على عادة إقطاعه، وحاشاه في أيام مولانا أن يقطع، بل حاشى المذكور أن لا يستخبر وأن لا يقطع؛ وأستقرأره في مكان خدمته، وإجابته سؤال المملوك في كل ما يتعلق بنجاح هجرته وعزيمته؛ لأبرح مولانا مأمول المن الغائبة والحاضرة، والمقيمة والسائرة؛ مأهول الخواطر برقع ذكره وقدره في الدنيا والآخرة.

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

لا زالت المحامد يذكرها متوجهة، ومقدمات الفضل والفضائل من تلقاء شيمها منتهجة؛ ومطالع الكرم والإكرام هادية إلى حرمة من أئجه؛ تقبيل مواظب على الدعاء يرفعه، والولاء يجمعه؛ والشاء يقول بضاع أرجه لا مما نضيعه بل مما نضوعه؛ [وينهى] أن عارض هذه الخدمة على عارض كرم مولانا المظطر، وبابه الذى هو لكيد الحاسد وقم الوارد مظطر، فلان؛ لقضاء تعلقات له أولها التعلق بجبل رجائه المخصد، وأتمائه المرصد، والتجمل بقصد باب مولانا الذى هو المهم المقدم على كل مقصد؛ وهو من الفضلاء الذين يعرفهم آنتقاد مولانا معرفة الخبير، وله اتصال بالأكابر الذين سلم منهم زمام المفاخر كل كبير؛ وقصد من المملوك هذه الخدمة لمولانا تؤسس أعترايه، وتنشد المقر الذى ماقرع سن الندامة من قرع بابه :

يَا غَرِيبَ الصِّفَاتِ حَقٌّ لِمَنْ كَا * نَ غَرِيبًا أَنْ يَرْحَمَ الْغَرِيبَاءُ!
 والمملوكُ يسأل من إحسان مولانا ملاحظة المذكور بعين عناية التي ما أغفّت
 عن القاصدين ولا غفلت ، وعواطفه التي طالما فتحت أبوابها فأنتت عليها الركايبُ
 التي قفلت ؛ والله تعالى يُديم تقليد الأعناق بكلمه وبِرّه ، ويمتّع الممالك الساحلية
 بما قذف لها من دُرر بحره .

النوع الخامس

(التشوق)

قال في "مواد البيان" : وينبغي للكاتب أن يجمع لها فكره ، ويُظهر فيها صناعته ،
 ويأخذ في نظمها مأخذاً من اللطافة والرفقة يدل على تمازج الأرواح ، وأتلاف
 القلوب ، وما يجري هذا الجري ؛ وأن يستخدم لها أَدَبَ لفظٍ وألطف معني ؛
 ويذهب فيها مذهب الإيجاز والإختصار ، ويعدل عن سبُل الإطناب والإكثار ؛
 لئلا يستغرق جزءاً كبيراً من الكتاب فيمِلُّ ويضجر ، وينتظم في سلك الملق والتكلف
 اللذين لا يعتادهما المتصافون من الأصدقاء .

وهذه نسخ من ذلك :

أبو الفرج البغاء :

شوقُ المملوكِ إلى مولانا بحسب مكانه من تفضله ، وحظّه من جميل نظره ،
 وأختصاصه بإنعامه ، وأغترباطه بشرف خدمته ، ومكانه من إيثاره ؛ والله يجمع للمملوك
 شَمْلَ السعادة بمشاهدة حضرته ، وبنائه من الدهر بالنظر إلى عُمرته ، على الحال
 السارة فيه وبه .

(١) كذا في الأصلين بإهمال القسط والمراد أنه يتمتع بالنظر الخ تأمل .

وله : شَوْقُ المَمْلُوكِ إِلَيْهِ شَوْقُ الظَّمآنِ إِلَى القَطْرِ، وَالسَّارِي إِلَى غُرَّةِ الفَجْرِ .

وله : شَوْقِي إِلَيْهِ شَوْقٌ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَعِ بَعْدِهِ عَوْضًا مِنْهُ ، فَتَقَوَّدَهُ الزِّيَادَةُ إِلَى الأَنْصِرَافِ بِالرَّغْبَةِ عَنْهُ .

وله : شَوْقِي إِلَيْهِ شَوْقٌ مَنْ فَقَدَ بِالكَرْهِ سَكَنَهُ ، وَفَارَقَ بِالضَّرُورَةِ وَطَنَهُ .

وله : لَوْ كَانَ مَا يُصْدِرُهُ مِنْ خِطَابٍ ، وَيُنَاجِيهِ بِهِ مِنْ مَتَمِّمِنَ كِتَابٍ ؛ بِقَدْرِ مَا أَعَانِيهِ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ إِلَى غُرَّتِهِ ، وَمَضَّضِ الفَائِتِ مِنْ مَشَاهِدَتِهِ ، لَمَا أَحَاطَتْ بِذِكْرِهِ بَسْطَةُ لِسَانٍ ، وَلَا نَابَ فِي إِثْبَاتِهِ أَسْتِخْدَامُ بَنَانٍ .

وله : أَمَّا الدهرُ فَمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ إِبْعَادِ المَمْلُوكِ عَنْهُ عَتْبًا ، وَلَا يُعَدُّ مَا جَنَاهُ مِنْ ذَلِكَ ذَنْبًا ؛ إِذْ كَانَ إِذَا تَقَلَّ مِنْ حِشْمَةِ المَخَاطِبَةِ ، إِلَى أَنْبِسَاطِ المُكَاتِبَةِ .

وله : وَقَدْرُهُ - أَبْقَاهُ اللهُ تَعَالَى - يَرْتَفِعُ عَنْ ذِكْرِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ ، فَالْمَمْلُوكُ يَعْبرُ عَنْهُ بِذِكْرِ الشَّوْقِ إِلَى مَا فَارَقَهُ مِنْ تَفَضُّلِهِ ؛ وَبَعْدَ عَنْهُ مِنْ أَوْطَانِ تَطَوُّلِهِ .

وله : وَلَوْلَا أَنَّ المَمْلُوكَ يُجْمَدُ نَارَ الأَشْتِيَاقِ ، وَيَبْرَدُ أَوَارِ الفِرَاقِ ، بِالتَّخْيِيلِ المِثْلِ لَمَنْ نَأَتْ مَحَلَّتُهُ ، وَالتَّفَكُّرِ المِصْوَرِ لَمَنْ بَعُدَتْ شُقَّتُهُ ، لِأَلْهَبَتْ أَنْفَاسَهُ ، وَأَسْعَرَتْ حَوَاسِيَهُ ، وَهَمَّتْ دُمُوعَهُ ، وَأَنْقَضَتْ ضُلُوعَهُ ؛ وَاللهُ المَحْمُودُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنْ تَمَازُجِ الأَرْوَاحِ ، عِنْدَ تَبَايُنِ الأَشْبَاحِ .

وله : وَلَا بُدَّ أَنْ يُكْفَّ بِالمَكَاتِبَاتِ ، مِنْ غَرْبِ الإِشْتِيَاقِ ، وَيَسْتَعِينَ بِأَنْسِ المُرَاسَلَاتِ ، عَلَى وَحْشَةِ الفِرَاقِ ؛ فَإِنَّمَا أَلْسُنُ نَاطِقِهِ ، وَعُيُونُ عَلَى البُعْدِ رَامِقِهِ .

وله : عِنْدَ المَمْلُوكِ لِمَوْلَانَا خَيَالٌ مُقِيمٌ ، لَا يَبْرَحُ وَلَا يَرِيمُ ؛ يَجْلُو عَلَيْهِ صُورَتَهُ ، وَيُطْلِعُ عَلَى عَيْنِ فِكْرَتِهِ طَلْعَتَهُ ، إِنْ سَهَرَ المَمْلُوكُ سَامِرًا مُعِينًا عَلَى السَّهَادِ ، أَوْ رَقَدَ

تصوّر مُعذِّباً طَعَمَ الرُّقَادَ، لَا يَمِطُّهُ زِيَارَتُهُ، وَلَا يُوحِشُهُ بَغِيْبَتُهُ، كَأَمَّا تَصَوَّرَ بِصُوْرَتِهِ فِي الْوَفَاءِ، وَتَحَلَّقَ بِحُلُقِهِ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْإِيْخَاءِ .

وله : إِنْ تَزَايَلَتِ الْأَشْبَاحُ، فَقَدْ تَوَاصَلَتِ الْأَرْوَاحُ؛ وَإِنْ نَزَحَتِ الْأَشْخَاصُ وَبُعِدَتْ، فَقَدْ دَنَّتِ الْأَنْفُسُ وَتَقَارَبَتْ؛ فَلَا تُمِصُّ الْفُرْقَةُ وَتُوْلِمُ، وَتُسْعِصُ النَّوَى وَتَكَلِّمُ؛ وَقَدْ يُنَالُ بِنَجَاحِ الضَّمَائِرِ، وَتَحَاوُرِ السَّرَائِرِ، مَا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ، وَلَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْعِبَارَةُ؛ إِذَا الْأَنْفُسُ الْبَسِيْطَةُ أَرَقَتْ مَسْرِيًّا، وَأَبْعَدُ مِنَ الْأَلْسِنَةِ مَرْمِيًّا .

التشوق من كلام المتأخرين :

نسخة كتاب من ذلك، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة؛ وهو بعد الصدر:

لَا زَالَ الدَّهْرُ يَقْضِي خِدْمَةَ، وَيُمِضِي رَأْيَهُ وَسَيْفَهُ وَقَلَمَهُ، وَيُرِضِي الدُّوْلَ الشَّاكِرَةَ تَقْدِيمَهُ فِيهَا وَقَدَمَهُ؛ وَلَا بَرِحَتْ الْأَقْدَارُ الْمُعْرَبَةُ تُجْزِمُ أَمْرَهُ وَتَكْسِرُ ضِدَّهُ وَتَرْفَعُ عِلْمَهُ؛ تَقْبِيلاً إِذَا لَمْ تُتْرَبِ التَّمَمَةَ، وَإِذَا أُودِعَ الْقَلْبُ فِي ذَلِكَ التُّرْبِ خَتَمَهُ .

وَيُنِي مَوَاطِبَتَهُ عَلَى وِلَاءٍ لَا يَنْسَخُ الْبُعْدُ مُحْكَمَهُ، وَدُعَاءٍ يَقَابِلُ الشُّجُومَ وَلَا تَقْطِعُ مِنَ الْقَبُولِ إِدْرَارَاتَهُ الْمَنْجَمَةَ .

وَيُنِي أَنَّهُ سَطَّرَهَا عَنْ شَوْقٍ يَعْزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُنُوبَ فِيهِ سَعَى الْقَلَمِ، عَنْ سَعَى الْقَدَمِ، وَأُرْتِيَاجِ إِلَى الْقُرْبِ الَّذِي بَأْسُهُ يُؤَسِّسُهُ أَنْوَارًا عَلَى أَعْلَى عِلْمٍ؛ وَتَطَّلِعُ لِمَعَاوِدَةِ الْأَخْبَارِ أَوْفَى مِنْ تَطَّلِعُ الْعَامِرَى إِلَى مُعَاوِدَةِ أَيَّامِ ذِي سَلَمٍ؛ وَتَعْلَلُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

بَعَثْتُ لَكُمْ سَوَادًا فِي بَيَاضٍ * لِأَنْظُرَ كَمْ بَشِيءٍ مِثْلِ عَيْنِي!

وهيأت! أين نظرات الحروف المرقومة من نظرات العيون الراقمة، وأين منال

السُّلُوْمِ مِنْ شَجْوِيْقِي قَوْلٍ : * أَعْيَدُهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً *

ما يحسبُ المملوكُ من النظرِ إلَّا ما يملأُ العينَ من ذلك الوجهِ الكريمِ ، ولا يلبسُ من خلعِ الأيامِ إلَّا ما تحيطُ الأهدابُ على شَبَابِ ذلك القُربِ الرِّقيمِ ؛ وعلى ذلك فقد جهَّزها المملوكُ على يدِ فلانٍ ، وحمله من رسائلِ الشُّوقِ ما يرجو أن ينهضَ فيه بأعباءِ الرِّساله ، ويسألُ الإصغَاءَ والمُلاحظةَ فيما توجهَ فيه وإن أدتِ الأمالي إلى الملاله ؛ واللهُ تعالى المسئولُ أن يبلغَ في أمتهادها مولانا الأُمْنِيَّةَ ، ويتمتعَ الدُّولُ منه بهذه البقيةِ النقيَّةِ ، إن شاء الله تعالى .

نسخة كتاب في المعنى عن نائب الشام، إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله ؛ كاتب السَّرِّ بالأبواب السلطانية، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا ؛ وهو بعد الألقاب .

لا زال قلبها مفتاح الرِّزقِ لطالبيهِ ، وإلجاءِ لكاسيهِ ، والظفرِ لمستنبيبِ كُتُبِها عن كُتُبِها ، والنُّججِ لرائدِ مُطالبيهِ الدَّهرِ بعد المطالِ به ، ولا برحِ البأسِ والكرَمِ يتحدنانِ عن بجرها ولا حرجَ عن تجائبِها ؛ تقيلاً تغيُّطُها في مرابعِها ، تُغورُ الأزاهرَ ، لا بل تحسدهُ في مطالعِها ، تُغورُ الزواهرِ .

وينهى بعد دعاء أحسنت فيه الألسنة وأخلصت الضمائر ؛ وولاءٍ وثناءٍ لهما مصاعدُ التَّجْمِينِ إلَّا أن هذا في القلوبِ واقعٌ وهذا في الآفاقِ طائرٌ - أنه جهز هذه الخِدْمَةَ مُرَبَّةً عن شوقٍ يتجددُ ، وأرتياحٍ لا يتعدى ولا يتعمدُ ، ساعيةً عنه بخطواتِ الأفلامِ ، أن منع الوقتِ خطواتِ الأقدامِ ، نائبةً في تقييلِ الأناملِ التي تُستسقى ديمها على القُربِ والبُعدِ ولا كيدَ ولا كرامةَ للغامِ ؛ وجهزها على يدِ فلانٍ بعد أن حمَّله من رسائلِ الشُّوقِ ما إن حمَّنا من إحسانه لينضي عقود الأبيحيم لو تعددت ، ومفاتيحِ أبوابه لتنوءُ بالهضبةِ أولى القوةِ لو تجسدتُ ؛ وهو بين يديه يقدمُ بجواها ، ويستشهد

بالخاطر الكريم قبل حضور دَعْوَاهَا ، والمسئول إصغاء السَّمع الكريم إليه ،
 والملاحظة فيما توجه فيه متكللاً على الله وعليه ؛ وإذا عاد مشمولاً بعناية مولانا
 المعهوده ، مكفولاً برعايته المقصورة على نجح الآمال الممدوده ، فليُنعم على المملوك من
 المشرفاتِ الكريمة بما يسكن على جور البعد خواطره الدهشه ، ويُعينه على الوحشة
 التي حركها نحوه البعاد فهي الوحشه ، والله تعالى يشكرهم مولانا غائباً وحاضراً ؛
 وشافِعاً لرسائل خدَمه وناظرًا ؛ ويخصُّ بابه العلوَّى بسلام كسلام سقيط الطل عن
 ورق الغصن ناضراً .

آخر من كلامه : كتب به إلى بعض رؤساء مصر .

ويُنهى أنه سَطَرها مُعربَةً عن شوقٍ مُقيم ، وعهدٍ لا يُبرح على صراطه المستقيم ؛
 وأرتياحٍ لجنايه ، أو لكتابه ، ليتلو لإنصات تجوّه : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
 وَالرَّقِيمِ ﴾ . متطلِّعاً لما يرد من أخبار مولانا السارة البازه ، مرتقباً لأبنائه أرتقاب
 الزهيرة الفاغرة إلى ضرع الغمام الدارّه ، ولو أن كل ما يمتنى المرء يدركه ، وكل ما يفترح
 على الدهر يملكه ، لغنى بقرب مخاطبه ، عن بُعد المكاتبه ، وأستجلى كوكب الجمال
 المُشرق وأقصر في ليلى الانتظار عن المراقبه . وقد جهّزها على يد فلان ، وحمله من
 رسائل الشوق أوفى وأوفر من رسائل الصفا ، وسأل الإصغاء والملاحظة من مولى
 بكاره النيل معروف المنافع والوفا ؛ ولآمال المملوك بمشرفاته وأوامره جمال حين يريج
 وحين يسرح ، وحين يقتصر على مقترحات الأيام حين يشرح ؛ فينعم مولانا بمواصلتها
 على هذه المقدمه ، ويجعل ذلك من إدرارات صلاته المنجمه ؛ والله تعالى لا يُعدم
 المملوك في حال كرمه : إما أن يُقيض في القرب بحره وإما أن يبعث على البعد ديمه .

وله إلى كاتب السر :

أعلى الله أمرَ قلمها على الأقلام، وأدام بفيض أنامله عليه بسط كلمة الإسلام،
وراع بكتائب كتبه العدا إذا آتبهوا، فإذا أغفوا «سَلَّتْ عليهم سيوفها الأحلام» .

ولا زالت تلك الأقلامُ العالية في تلك اليدِ الكريمة إن لم تكن من المنشآت
فإنها من المنشآت في البحر كالأعلام ؛ تقبيل مواظب على دعاء يطلع طلوع طرة
الصبح تحت ذلك الظلام ، وولاء إذا اعتبر الخاطر الكريم مسعاه وخدمته :
(قال يابشرى هذا غلام) .

وينهى أنه جهز هذه الخدمة مقصورة على وصف الأشواق الممدودة ، وجوانح
الشَّجو المعهودة ؛ وأنفاسِ التذَكُّر التي لولا شرف مذكورها لم تكن عنده من
الأنفاسِ المَعْدُودِ ؛ فيالها مقصورة على شوقٍ ما فيها غير طيور الجوانح خفاقة الجناح ،
سبَّاقَةُ الإرياح ؛ ويالها أنفاسِ ذكْرٍ أغنت منادمتها عن كَيْسِ كأسٍ وأقتراح
وقتِ راح ؛ ويالها ورقةً فازت بمشافهة لثم اليد الشريفة فكرمت وصفا ، ونأت
عن نخارِ الروضِ عطفاً ؛ وأستطابت بشفاه السُّطورِ على تلك البنانِ رَشفا :

وسَطَّرْتُهَا وإِحْسَمُ أَنحُلُ ما يُرى * فياليتني أصبحتُ في طيها حرفاً

واصلةً إلى البابِ الكريمِ بسلام وصل عبقه قبل ماوصلت ، واردةً على يدِ فلان
وقد حمل من رسائلِ الصِّفاءِ والودِّ مثل ما حملت ، وحصَّلت على القربِ وياأسفى
على ماحصل وحصَّلت . والمملوكُ يسألُ الإصغاءَ إليها وإليه بفضلِ النظرِ والسَّمْعِ ،
والإنعامَ على الحُبِّ المفارقِ بمشرفاتٍ تجلوعه أيامَ جمع ؛ وتُعينه على أوقاتِ وحشةٍ
إذا وصفها المشتاقون وأقلامهم ولَّوا وأعينهم تفيض من الدَّمعِ ؛ لا يرح ذكْرُ مولانا
علياً ، ويره بملء الآمالِ ملياً ، ووصفه بالتقى وسحاب الجودِ على الحالين ولياً :



يَأْمِينَةَ النَّفْسِ وَيَا مَالِكِي * مُدْغِبَتَ عَنِّي لَمْ تَنْمِ مَقْلِي!

إِنْ نَبْتَ عَنْ عَيْنِي بِرَعْمِي فَقَدْ * سَكَنْتَ فِي قَلْبِي وَفِي مُهَجَّتِي!

لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْ طَلْعَتِهِ ، وَلَا أَخْلَى مِنْ كَرِيمِ مَسَاعِدَتِهِ ، وَجَمَعَ شَمْلَ الْأَنْسِ

بِحُدْمَتِهِ .

المملوك يشكو من المولى فِرَاقًا أَوْجِبَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِرَاقًا ، وَجِيشَ صُدُودِ مَنْحِهِ

مِنَ الْعَزَائِمِ طَوَائِفَ وَفِرَاقًا ؛ وَدَاءَ صَبَابَةٍ كَلَّمَا تَرَجَّى الْإِفْرَاقَ مِنْهُ أَزْدَادَ تَلْهَبًا وَحِرَاقًا ،

وَوَجُوبَ قَلْبٍ تَحْتَمُّ لَغَيْبَتِهِ وَوَجَبَ ، وَدَمَعَ عَيْنٍ يَجْوِ مَهْمَا عَبَّرَ عَنْهُ لِسَانُ قَلَمِهِ

أَوْ كَتَبَ ، وَقَدْ أَطَالَ الْمَهْجُرُ تَأَلَّمَهُ وَعَتَبَهُ ، وَأَطَارَ سِتْنَتَهُ وَوَلَّهَ ؛ مُدَّ وَصَلَ الْمَوْلَى غَيْرَهُ

وَقَطَعَ عَنْهُ كُتْبَهُ ، وَالْمَوْلَى يَعْلَمُ أَنَّ الْمَمْلُوكَ لَفْظًا وَالْمَوْلَى مَعْنَاهُ ، وَسَعَدَهُ شَخْصٌ وَأَنْتَ

وَجْهَهُ الْمَيْمُونُ وَيُمْنَاهُ ؛ فَيُؤَاتِرُ إِسْرَالَ مَكَاتِبَاتِهِ ، وَيُخَيِّفُ بِمَا تُؤِيرُهُ وَوَلِيَانَاتِهِ ؛ وَيُعَطِّرُ

بِذِكْرِهِ الْجَمِيلِ الْأَمَّا كُنَّ وَيُسَنِّفُ الْمَسَامِعَ ، كَمَا شَرَّفَ بِجُلُولِهِ فِيهَا الْأَضَالِعَ ؛ وَاللَّهُ

يُدِيهِ وَيُمِدُّهُ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ وَالْحُسَّادِ :



أُقَاسِي مِنْ يَدَاكَ مَا أُقَاسِي * وَقَلْبُكَ رَاحِمٌ وَعَلَى قَاسِي!

وَأَحْمِلُ مِنْ نَوَاكٍ بَضْعِ نَفْسِي * عَنَاءً يُعْجِزُ الشَّمَّ الرَّوَاسِي!

وَتُبْعُدُنِي وَأَمْرُكَ إِنْ أَتَانِي * جَعَلْتُ مَحَلَّهُ عَيْنِي وَرَاسِي!

(١) أى البره مصدر أفرق العليل إفرافا إذا برأ من علته . انظر اللسان ج ١٢ مادة ف رق .

قَرَّبَ اللهُ أُوْبَتَهُ، وَجَمَّلَ رُؤْيَتَهُ؛ وَحَرَسَ نَفْسَهُ مِنَ الْغَيْرِ وَالْحَادِثَاتِ، وَصَانَ حِجَابَهُ
الْمَنِيعَ عَنِ الْمَلَمَّاتِ الْمُؤَلِمَاتِ؛ وَجَمَّلَ الْأَيَّامَ بِوُجُودِهِ، وَالْأَنْامَ بِوُجُودِهِ. وَلَا زَالَتِ
الدُّنْيَا بِهِ جَمَلَهُ، وَأَعْنَاقُ أُنْبَاءِهَا لِمَنْتَهُ مَتَحَمَّلَهُ .

صدرت هذه الخدمة إلى خدمته متضمنة إهداء سلامه، وشاكية لغيبته جور
أيامه؛ ومنهية شدة أسواقه التي أفنت بالصباية قلبه، وأذهبت حشاشته ولبه؛ وهي
في ذلك نائبة مناب سائر الخدم، ومعبرة عن ألسنة الأقاليم بلسان القلم؛ فإن الأعين
متطلعة إلى رؤيته، والقلوب متعطشة إلى قُضُولِهِ وَرَجْعَتِهِ؛ كما نتطلع إلى السماء عيون
الترجس، وتتعطش الرياض إلى الواابل القدق بعد اليوم المحر المشمس؛ فالمولى
يجعل مواصلته بأخباره فرضاً لازماً، ويمتنع من إغفاله كما يمتنع من لذة الطعام إذا
كان صائماً؛ فإن المولى هو صورة الجود ومعناه، وبيته الكريم فناء الخير ومعناه؛
والناس مالم يروك أشباه، حرسه الله وتولاه، وضاعف علاه، والسلام .



يَا أَجْمَلَ النَّاسِ سَنَاءً وَسَنًا * جَفَتْ جُفُونِي لِحَفَاكَ الْوَسَنًا!

ثَمَارَ آيَمِ الْإِلَامِ أَجْتَنِي؟ * يَا لَيْتَنِي أَعْلَمُ خَطِي مَا جَنَّا؟

وَأَنْتُمْ يَا أَهْلَ بَابِ لَعْلِعٍ * مُدُّ يَدَيْكُمْ لَمْ أَرِ شَيْئًا حَسَنًا!

أَقْمُوا بِمُنْحَنِ الْأَضَالِعِي * وَسِرْتُمْ يَا أَهْلَ وَادِي الْمُتَحَنَّا!

فِي بُعْدِكُمْ مَنِّي لَا تَتَّبِعُوا * وَقُرْبِكُمْ غَايَةُ سُؤْلِ وَالْمُنَا!

خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ إِرَادَتَهُ؛ وَأَثَلَتْ مَجْدَهُ، وَأَدَامَ سَعْدَهُ؛ وَأَعَذَّبَ

مَنْهَلَهُ وَرَدَهُ .

المملوك يَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَيَتَشَوَّفُ إِلَى أَنْبَاءِهِ، وَيُصِفُ شَدِيدَ اشْوَاقِهِ وَصَبَابَتِهِ، وَحَيْنَهُ إِلَى مَشَاهِدَةِ الْمَوْلَى وَمَشَافَهَتِهِ، وَمَا يَجِدُهُ لَذًاكَ مِنْ أَلَمٍ فِي جَوَارِحِهِ الْجَرِيحَةِ، وَسَقَمٍ فِي جَوَانِحِهِ الصَّحِيحَةِ؛ وَيَلْتَمِسُ مَوَاصِلَتَهُ بِكُتْبِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَأَخْبَارِهِ السَّازَةِ لِتَضَاعُفِ لَهُ مَزِيدُ الْإِسْتِشَارَةِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ بِنَارِ الصَّبَابَةِ قَدْ وَقَدَّ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَلَى [بُعْدِهِ] فَقَدْ وَقَدَّ؛ وَمَتَى وَرَدَ كِتَابُ الْمَوْلَى شُفِيَّ الْغَلِيلِ، وَأَبْلَّ الْغَلِيلِ، وَنَجَّحَ طَعْمَ الْحَيَاةِ وَنَجَّحَ التَّأْمِيلَ؛ فَلْيَصْبِرْ وَتَرْمِكَاتِهِ شَفْعًا، وَلَا يَجْعَلْ لَوْصِلِهِنَّ قَطْعًا؛ وَاللَّهِ يَمْنَحُ عَيْشَهُ خَفْضًا وَمَكَانَهُ رَفْعًا، وَالسَّلَامَ .



شعر في معنى التشوق :

قد كَانَ لِي شَرْفٌ يَصْفُو بِرُؤْيَيْكُمْ * فَكَدَّرْتَهُ يَدُ الْأَيَّامِ حِينَ صَفَا

غيره :

كَتَبْتُ ^(١) لِلْكِتَابِ مَجَلْدٌ * عَلَى أَنَّهُ قَبْلِي بَلْقِيَاكَ يَسْعَدُ

النوع السادس

(في الاستتارة)

(٢) قال في "مواد البيان" : رِقَاعُ الْإِسْتِرَارَةِ إِنَّمَا تَسْتَمِلُ عَلَى وَصْفِ حَالَاتِ الْأَنْسِ وَمَجَالِسِ اللَّذَّاتِ، وَمَشَاهِدِ الْمَسَرَّاتِ . قال : وَيَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يُودِعَهَا حُلُوَ الْأَلْفَاظِ، وَمُؤْتَقِ الْمَعَانِي وَبَارِعَ التَّشْبِيهَاتِ، وَيُبَالِغَ فِي تَشْوِيقِ الْمَسْتَرَّارِ إِلَى الْحُضُورِ، وَيَتَلَطَّفُ فِيهِ أَحْسَنَ تَلَطُّفٍ .

(١) بياض في الاصل ولعله "وشوق للكتاب الخ" .

(٢) لعله مجالات كما لا يخفى .

وهذه نسخ من ذلك :

على بن خلف :

رُفِعْتِي - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - وَمَجْلِسِي بِنَ حَلِّهِ مِنْ خَدَمِهِ ، وَنَزَلَهُ مِنْ صَنَائِعِ كَرَمِهِ ؛ فَكَأَنَّ مَزِينَ بِأَنْجَمِهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُطْلَعَ فِيهِ بَدْرًا بَطْلُوعِهِ وَيَنْقَلَ قَدَمَهُ إِلَيْهِمْ ، وَيُكَلِّمُ نَقْصَهُمْ بِتَمَامِهِ ؛ وَيُضَيِّفُ ذَلِكَ إِلَى تَلِيدِ إِنْعَامِهِ ، فَعَلَّ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .
وله في مثله :

قَدْ أَنْتَضَمَ لَنَا - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - مَجْلِسٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ ، وَتَبَسَّمتُ رَاحَهُ عَنْ حَبَبٍ ، كَلَّالِيَّ عَلَى ذَهَبٍ ، وَقَامَتْ فِيهِ سُوقُ السُّرُورِ ، لَا يُكْسِدُهَا إِلَّا تَخْلُفُهُ عَنْ الْحُضُورِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يُكَلِّمَ جَدَلَنَا بِإِطْلَاعِ طَلْعَتِهِ عَلَيْنَا ، وَيَصَدِّقَ ظَنَّنَا بِنَقْلِ قَدَمِهِ إِلَيْنَا ؛ سَرَّ وَأَبْهَجَ ، وَتَمَّ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا أَخْدَجَ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وله : هذا - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَانَا - يَوْمَ صَفِيحِ الظِّلِّ ، رَقِيقُ غِلَاةِ الطَّلِّ ؛ قَدْ تَرَقَّتْ شَمْسُهُ بِرُجْ أُنْسِهِ ، وَأَقْتَرَّ جَدَلًا عَنْ مَضَاحِكِ بَرْقِهِ ، وَتَرَمَّ طَرَبًا بِزَجْمَرَةٍ رَعْدِهِ ؛ وَوَشَّتْ مَدَارِجُ نَسِيمِهِ ، بِأَرْجِ شَيْمِهِ ، وَقَامَ عَلَى مَنَابِرِ السُّرُورِ يُخْطَبُ ابْنَةَ الْكَرَمِ لِأَبْنَاءِ الْكِرَامِ ، وَيُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : حَيَّ عَلَى الْمُدَامِ ؛ فَقَدْ وَجَبَ عَلَى كُلِّ مُوَفِّقٍ لِاجْتِنَاءِ ثَمَارِ السُّرُورِ ، وَالنَّحَافِ عِطَافِ الْحُبُورِ ؛ أَنْ يَلْبِي دَعْوَتَهُ ، وَيَنْتَهِزَ فُرْصَتَهُ ؛ وَيَعُوضَهُ مِنْ شَمْسِهِ الْآفِلِهِ ، بِرَاحِ لِإِظْهَارِ مَا أَخْفَى مِنْ شُعَاعِهَا كَافِلِهِ ؛ وَيَقِفَهُ عَلَى التَّمَلُّيِّ بِالْكَاسِ وَالنُّدْمَانِ ، وَيَجْعَلَهُ سِلْكَا يَنْتَظِمُ فِيهِ الْإِخْوَانَ . وَرُفِعْتِي هَذِهِ صَادِرَةٌ إِلَى مَوْلَايَ وَقَدْ تَهَيَّأْنَا لَنَا مَجْلِسٌ مِنْ مَجَالِسِ الْأُنْسِ ، يَسُطُّ تَجَعُّدَ النَّفْسِ

(١) فيه بغم ونغم ، ومزهر وزهر ، وحلان قد تراضعوا لبان العُقار ، وتساهموا تقبل الوقار ، وشجعوا في معارك الخمار ، وأدمنوا على المُساسة والأيتكار ؛ إلا أن هذا المجلس مع تمامه مُحدج ، وعلى كماله محتجج ؛ لبعد مولاي الحال منه محلّ الواسطة من النظام ، والأرواح من الأجسام ؛ فإن رأى أن يُكجّل منه مانقص ، ويُميط عنه [مانقص] فليجملنا بالمصير إلينا ، والطلوع علينا ؛ وإعفائنا من إجحار الانتظار ، معتدًا بذلك في كريم الأيادي والمبار ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

هذا اليوم - أطل الله بقاء سيدي - يوم أعرس فيه انجؤ بالجارية البيضاء فقدرها ، وحجبها بسجف الغام وسترها ؛ واختال آختيال المعرس في معرسه ، بمصنّده وممسكه ومورسه ؛ واتخذ من ذهب البوارق نثارا ، وأستنطق من زنار الرواعد أوتارا ؛ ودعا إلى حضور وليته ، والشور بمسرتة ؛ فإن رأى أن يلي طلب هذا اليوم الصفيق ، ويتمتع بعيشه الرافع الرفيق ؛ فليطلع علينا طلّعه التي تبهر القمر المزهر ، وتصدع الليل المعتكر : لئنهض غرة الإصباح ، بغرة الراح ، ويقطف ثمار الأئس والمحاضر ، ويتملئ بالسماع والمدّاكره ؛ ويأخذ بحظّ من لذّاعة الفيحة الشبيهة بشمائله ، ويعدّ ذلك من مباره وفواضله ؛ [فعل] إن شاء الله تعالى .

وله في الأستارة في بُستان :

كتبت - أطل الله بقاء سيدي - وقد غدوت في هذا اليوم [إلى] بُستاني والطير في الأوكار ، والأنداء تهيط كالتيار ؛ والليل مشتمل على الصباح ، أشتمال الأدهم

(١) هو بالفتح وبالضم وبالتحريك ما يتناقل به على الشراب . أنظر اللسان ج ١٤ .

(٢) في الأصل « أبطل » ولعله من تصحيف الناح .

على الأوضح؛ عازماً على مشاركته ومُشارفة ما استمددت من عمارته، لا للخلوة فيه
بمعاطة المدام، ومؤانسة الندام؛ فحين سرحت الطرف في ميادينه وجدأوله، وأقبلت
على تصفح حلاه وحلله؛ رأيت مناظره تتعلق القلوب أعتلاق الأشرار، وتعتاق
المستوفز عن الحرار؛ وتقيم قاعد المزاج والنشاط، وتوقظ هاجد الفرح والإنبساط:
فمن أشجار كالأوانس، في ريحاني الملابس؛ حالية من موشع الزهر والتمر، بأنصع
من الياقوت والجوهر؛ كأنما تحفلت لاجتلاء عروس، أو معاطة كئوس؛ ما بين
تحليل قد نشرت عذب السندس على ذراها، وأطلعت طلعا كأنها جرح غشيبا صدها؛
ونارنج يجمل أكبر العقيان، أو وجنات القيان؛ وأترج قد استعار ثمرة أشواق العشاق،
إذا صالت عليهم يد الفراق. ومن ريسان زاهية بنشرها، وقصبتها مختالة في ملابس
زهرها؛ ونرجسها كعين محب حدق إلى الحبيب؛ وثنى جيده خوف الرقيب، إذا
عبث به النسيم جمع بين كل قضيبي وإلفه، وسعى بالاعتناق من شوقه وكلفه؛
ووردتها كبداهن ياقوت فيها نضار، وشقيقها كمدامات عقيق فيها صوار؛ وبنفسجها
نقد تمضي فيه من القرص آثار؛ أو جام لجين عليه من الندى نثار. ومن أنهار قدت
حافاتها قد الأديم، وحدثت على صراط مستقيم؛ ببحرة مسجوره، كالسيوف المشهورة
أو المهارق المنشورة؛ إذا نحمشها الهوى خلع عليها متون المبارد، أو سلوخ الأسود؛
يتخرق ذلك كله نسيم رقيق الغلائل، حلو الشائل؛ يسعى بالنسيم، في المعاطس
والشميم؛ انصبت إلى مجلس فسيح البناء، ضيق الأثناء؛ موشى الجدران والسماء،
في صدره شاذر وان يرعى بكسر البلور، وفي وسطه نهر نساب مأوه أنسياب

(١) الريضان والرياض جمع الروضة .

(٢) الصوار والصوار « أي بالضم والكسر » الرائحة الطيبة والقليل من المسك أترج ٦ - ص ١٤٧

الشُّجَاعُ الْمَدَّسُورُ ، وَتَوَسَّطُهُ بِرُكَّةٍ مَمْنَمَةٍ يَنْصَبُ الْمَاءَ إِلَيْهَا بِالذَّوَالِي إِلَى أَرْبَعِ شَاذِرَوَانَاتٍ ، وَيُخْرَجُ عَنْهَا مِنْ أَرْبَعِ فَطِيمَاتٍ ؛ يَحْتَفُّهَا كُلُّ شَجَرٍ مُثْمَرٍ ، وَرَوْضٍ مُزْهِرٍ .
 فقلت : هَذَا الْمَرَادُ الَّذِي يُحِطُّ بِهِ الرَّائِدُ رَحْلَهُ ، وَيُوفِدُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ ؛ وَيَدْعُو إِلَى
 اخْتِيَارِ مَنْ يَهْبُ إِلَى الشُّرُورِ ، وَيُسَاعِدُ عَلَى الْحُضُورِ ، لِلشَّارِكَةِ فِي التَّمَلُّقِ بِبَهْجَتِهِ ،
 وَالتَّمَتُّعِ بِبَضْرَتِهِ ؛ فَكَانَ مَوْلَايَ أَوَّلَ مَنْ جَرَى إِلَيْهِ ذِكْرِي ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ طَرْفُ فِكْرِي :
 لِأَنَّهُ السَّاكِنُ فِي فُؤَادِي ، الْحَالُ فِي مَحَلِّ رُقَادِي ؛ فَإِنْ رَأَى أَرَاهُ اللَّهُ مَا يُقِرُّ الْعَيْنَ أَنْ
 يُجَلِّ مَسْرَّتِي بِنَقْلِ قَدَمِهِ إِلَيَّ ، وَإِطْلَاعِ سَعْدِ طَلْعَتِهِ عَلَيَّ : لِيَتِمَّ مُحَاسِنَ مَا وَصَفْتَهُ ،
 وَيَكْمُلَ الْإِلْتِنَازَ بِمَا شَرَحْتَهُ ؛ فَعَلَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَجْوِبَةُ رِقَاعِ الْأَسْتِزَارَةِ

قال في "موادِّ البيان" : لا يخلو المسترار من الإجابة إلى الحضور أو التناقل عنه ،
 فإن حضر على الفور ، فلا جواب لما نفذ إليه ، وإن وعد الحضور وتوأم ليقضى
 شغلاً ويحضر ، فينبغي أن يبنى الجواب على سروره بما دُعي إليه ، وحسن موقعه
 منه ؛ وأن تلومه للعائق الذي قطعته عن أن يكون جواباً عما ورد عليه ، وأن حضوره
 يشفع رُفَعَتَهُ . وإن آيس من الحضور ، وجب أن يبنى الجواب على ما يمهد عُذْرَهُ ،
 ويقرر في نفس مستريره أنه لم يتأخر عن المساعدة على الأئس إلا لتواطع صدت
 عنه ، يعلم المعتذر إليه صحتها لينحرس ما بينهما من المودة ، فإن كثيراً ما تتفاسد الخلال
 من مثل هذه الأحوال .

النوع السابع

(في أختطاب المودّة وأفتتاح المكاتبّة)

قال في " موادّ البيان " : الرّفاق الدائرة بين الإخوان في أختطاب المعاشرة ، وآتناء المكاتره ، وطلب الخلطة والمؤانسة ، يجب أن يقدر الخطاب فيها على أن يصل المرغوب في عشرته إلى الانخراط في سلك أجبائه ، والانهياز إلى أهل ولآئه ، وبيعته على قصده ، في الالتحاق بؤده ، ويدل على المحاصه ، والصّفاء والمخالصه ، وما جرى هذا الجرى مما يتعامل به أخلاء الصّدق ، ويجعلونه مهراً لما يتمسّونه من الممازجه ، ويرومونه من الاختلاط والمواشجه .

قال : وينبغي أن يذهب الكاتب في هذه الرّفاق مذهبا لطيفا ، ويحسن التوصل إلى الإفصاح عن أغراضها : ليأخذ بمجامع القلوب ، ويعين على نيل المطلوب .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة : وينهى أنّ المملوك لم يزل مُدّ وقع طرفه على صورته ، ووجّ سمعه بعد شيمته ؛ يناجى نفسه بافتتاح مكاتبته ومراسلته ؛ وأختطاب ممازجته ومواصلته ؛ رغبة في الاعتقاد بإخائه ، والإارتشاف من مشارع صفائه ؛ والمقادير تطوى الطوية على ما فيها ، والعوائق تمطل النيّة بنجّاز ماثويه وتلويها ، إلى أن أذن الله تعالى بإعراض الأعراض ، وأتقباض أسباب الاتقباض ؛ فأظهر المملوك ما في القوه ، واثقا من مولانا بحسن المروه ؛ وأنه يوجب القبول بإجابته ، ويوجب إلى مساعدته ؛ ويرضى المملوك أهلا لأصطفائه ، ومحلا لإخائه ؛ علما بإيجابه للحق ، والمعرفة بالسبق ؛ وأن تلقى هذه الرغبة بالقبول ، ويسلم إليها مفتاح المأمول .

رقعة : لو كانت المودّة لا تحُصّل إلّا عن ألفة تالدة ، ومُواصلةٍ سالفة ؛ لم يستطِرِف المرءُ صفيّاً ، ولم يستحدِث وِليّاً . وما زال البُعداءُ يتقارَبون ، والمتناكُرون يتعارَفون ؛ ولما نُمّيَ إلى المملوك من أنباء مولانا ما تَصَوَّعَ عِطْرُه ، وظاب نَشْرُه ؛ سافرَ بالأَميلِ إليه ، وقَدِمَ بالرَّغبةِ عليه ؛ طالباً الانخراطَ في سلكِ أوليائه ، والأختلاطَ بخاصّته وخُصّصائه ؛ ومثُلُ مولانا من أجاب السُّؤلَ ، وصَدَّقَ المأمولَ ؛ والمملوكُ يرجو أن تكشف الأيامُ لمولانا منه عن خُلةٍ صادقة ، ومودّةٍ صحيحة ، لا تَضِيعُ معها إجابته ، ولا تَحَسِرُ صَفْقَتُهُ .

رقعة : ويُنهى أن المملوكَ ما زال مُدُّ وقعِ طَرْفِهِ على صُورته البُدريّة ، وأحاطَ علماً بجلالته المرصّيّة ؛ راغباً في مُواشجته ، باعثاً نَفْسَهُ على آخِطابِ مودّته ، وإكبارهِ يُعِدّه ، وإعظامه يُبِعده ؛ فلمّا تطاولَ يراعُ همتِه ، شجعت على إنفاذِ عزمِ مِتِه ؛ فقدم مكاتبته أَمامَ مشافهته ؛ فإن حَظِيَ بالإجابة وتتويلِ الطّلبة ؛ فقد فاز قَدْحُه ، وتبلّج صُبْحُه ؛ ونال مُناه ، وبلغ رِضاه ، وصادفَ هناه ، وديداً موثوقاً بوَدّه ، مسكوناً إلى عَقْدِه وعَهْدِه ؛ يمجّده عند الإخْتِبارِ ، ويعرِفُ به صحّةَ رأيه عند الإخْتِيارِ ؛ والمملوكُ يرجو أن يَصِحَّ ما سألَه وكَفَلَه ؛ إن شاء اللهُ تعالى .

رقعة : ويُنهى أن من عمّر اللهُ تعالى بِنائِه الحَافِلَ ، وعَطَّرَ بِأَنْبائِه الفَضائلَ ؛ وأقام من مَساعِيهِ الكِرامِ خطيباً يَخُطُّ بِسُوددِه وفضلِه ، ويُعَرِّبُ عن شرفِ مَحْتَدِه وأصلِه ؛ تطلّعتِ الأمالُ لِلانْتِظامِ في سِلْكِ أَجْبائِه ، وتشوّفتِ الهِممُ إلى الأمتِراجِ بِجُلُصائِه وأوليائِه : لما يَصْفُو على المَعْتَصِمِ بعُرى مُصافاته من لباسِ جَمالِه ، ويَحِلُّ المَعْتَبِيّ إلى وِلائِه من حِلِّي جلالِه ؛ وأحقُّ من أسعَفَه مولانا بالمودّة إذا خَطَبَها ،

وأجابه إلى المصافاة إذا طلبها ، من بدأ بالرغبة ، ومَتَّ إليه بالحبه ، لا لمُرْغَب ولا مُرْهَب ، وأختره لنفسه على علم بكاله ، ومعرفة بشرفِ خلاله .

وما زال المملوكُ مُدُّ أطلعه الله على ماخَصَّ به مولانا من المحاسن المتعدِّرة إلا لَدَيْهِ ، والفضائل المتَّعة إلا عليه ؛ يُحومُ على مشاريع مَمارَجَتِهِ ولا يَرُدُّها ، ويرومُ مواقع مُوَسَّجَتِهِ ولا يعتمِدُها ، إكبارا لِقدره ، وإعظاماً لِحَظْره ، وخوفاً من تصَفِّحه ونَقْده ، وإبقاءً على ماءٍ وَجِهِهِ من رَدِّه ، والمملوكُ وإن كان عالماً بأن كرم مولانا يَرِيقُ الخلل ، وفضله يُصَدِّقُ الأمل ؛ فإنه لا يَعدَمُ مَذْ رَغِبَ في قُرْب مولانا مالعه يَجِدُه فيه ، مما يُخالِفُ مَذْبه ويُنافِيهِ ؛ إذ كان لا يبلِغُ تَضاهِيهِ في التَّمامِ وتوافيهِ ، إلى أن أذن الله تعالى بأن أبلغ نفسه الأُمْنِيهِ ، وأظهر ما طُوِيَتْ عليه الطَّوِيهِ ؛ فكتب هذه الرُّقعة وجعلها فيما رامهُ من الاعتِلاقِ بِجبلِ مودتِهِ سَفيْرا ، وعلى ما آلتَسَّه من الأنضمامِ إلى جُمْلتِهِ ظَهِيرا ؛ وقَدِمَ بها عليه وظنُّهُ يترجَّحُ من الإعراضِ إلى القَبولِ ، ثقةً بقُرْب نَيْلِ المأمولِ ؛ فإن رأى أن يُجيبه إلى ما سأله ، ويسرَّهُ بتنويلِ ما اقترَحَه ، فعل ؛ إن شاء الله تعالى .

اختطاب المودَّة ومفاتحة المكاتبة من كلام المتأخرين :

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وضاعف للمالك ببقائه الاتِّفاع ، وأرتقائه الإرتِفاع ؛ وسرَّ محاسن نظره وخبره العيان والسَّماع .

ولا زال للحيين من وُدِّه عَطْفُ المتلطفِّ ولالأعداء من بأسِه خَطْفُ الشُّجاع .
أصدرها المملوكُ منطويةً على ما عهد من صِدْقِ الحبه ، ووفاءِ العهودِ المستتبِّه ؛ ودَّرَرَ

الحامد التي لا تسوى لديها دُررُ العقود حبه ، مُبديةً لعلمه الكريم أنَّ المودات إذا صفت ، والقلوب إذا تجنّدت وتعارفت ؛ حثت المحبين في العباد على المفاتحة بكتبهم ورسائلهم ، والمخاطبة في ظلال الأوراق بالسنة أقلامهم من لهوات أناملهم ؛ إثارة لتجديد الأُتس وإن صحَّ الميثاق ، وتدكاراً لخواطِر الود ، وإن رسمت منه الأصول ونمت الأعراق ؛ ولذلك فاتح بها مخاطبا ، وأرتقب لمُناديتها بالأخبار السارة مجاوبا ؛ نائبةً عنه في مشاهدة الوجه الكريم ، ومصاحفة اليد في حديث رُها القديم ؛ تستطلع أخباره ، وتستعرض أوطاره ؛ وتُحيي بالسلام وجهه وعهده ودياره ، على يد فلان ، وقد حمل من المودات والمشافهات ما يُعيدُه على السَّمع الكريم المنعم بإصغائه ، المُصنعي بنعائه ؛ المتحف بالمهمات التي يحصل فوزُ القيام بها ، والمشرفات التي كلُّ أسباب الشُرور متصلٌ بسببها ، والله تعالى يُبهِج من تلقائه سَمعا ونظرا ، ويُبقِي عيش حاسده هَشِيما وعيش حبيبه نَضرا ؛ ويُديم رياض ذكره تاليةً على المسامع : ﴿ فأخرجنا مِنْهُ خَضرا ﴾ .

أجوبة أختطاب المودّة

قال في " مواد البيان " : لا يخلو من يُرام ذلك منه من أن يُجيب أو يعتل ، فإن اجاب بنى الجواب على وقوع رغبة المختطب أحسن مواقعها ، وأبتهاج المختطب بها ، ومعرفته بقدر ما رآه أهلا له ومسارعتيه إليه ؛ وإن اعتل بنى الجواب على أنه قد عرّض له ما يقصر عنه ، ولا ترضى نفسه به ، وأن العذر [ليس] بعادة له في المزيلة ، وطريقة في الانفراد والمجانبة .

(١) أي لا تساوى يقال سوى درهما يسوى من باب تعب ومنعها أبو زيد . أنظر المصباح .

النوع الثامن (في خطبة النساء)

قال في "مواد البيان": الرقاع في التماس الصهر والمواصللة يجب أن تكون مبنية على وصف المخطوب إليه بما يقتضى الرغبة، ويدل الخاطب عن نفسه بما يؤدى إلى الكفاية والإسعاف بالطلبة.

قال: وينبغي للكاتب أن يودعها من ألفاظ المعاني المنتظمة في هذا الباب أوقعها في النفوس، وأعودها بتقريب المرآم، وأدملها على صدق القول فيما تكفله من حسن معاشرته، ولين معاملته؛ وأن يذهب بها إلى الاختصار والإيجاز.

وهذه نسخ من ذلك:

ما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله.

وأفضل تلك المواهب موقعا وألطفها وأحمدها عاقبة، وأرهنها يدا، ما يؤلف الله به القربات، ويؤكد به الحرمات، ويوجب به الصلات، ويحدد به المكرمات، ويحدث به الأنساب، ويقوى به الأسباب، ويكثر به من القللة، ويجمع به من الفرقة، ويونس به من الوحشة، ويزاد به في الحقوق وجوبا، وفي المودات ثبوتا، ثم لا مثل لما كان لله طاعة ورضاء، وبأمره أخذًا واقتداء، وبكتابه قُدوة واخذاء؛
(١)
فإنه نساء الخيرة في قضائه، والبركة فيما يقوم بناؤك عليه.

ومنه : تِصِلْ رَحِمًا ، وَتَعْقِدْ سَبِيًّا ، وَتُحَدِّثْ نَسَبًا ، وَتُجَدِّدْ وُصْلَةً ، وَتُؤَكِّدْ أُلْفَةً .

رقعة : مَنْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا خَصَّ بِهِ سَيِّدِي : مِنْ طَهَارَةِ الْأَعْرَاقِ وَالْأَنْسَابِ ، وَشَرَفِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ ؛ وَأَفْرَدَهُ بِاجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي الْأَنَامِ ، وَعَطَّرَ بِنَائِهِ مَلَابِسَ الْأَيَّامِ ؛ رَغِبَ الْأَحْرَارُ فِي مُوَاصَلَتِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ بَدْلُ الْوَجْهِ فِي أَخْتِطَابِ مِمَّا رَجَحَتْهُ ، وَآلَمَسَ مُوَاشَجَتَهُ وَمُنَاسَبَتَهُ ؛ وَجَدِيرٌ مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ ، وَطَلَبَ مَالِدِيهِ ؛ وَأَخْتِيرَ لِلشَّابِكَةِ فِي الْوَلَدِ وَالْحُمَمِ ، وَالْمِشَارِكَةِ فِي الْمَالِ وَالنِّعْمَةِ - أَنْ يَجِيبَ وَلَا يَمْنَعُ ، وَيَصِلَ وَلَا يَقْطَعُ ؛ مُصَدِّقًا لِأَمَلٍ مِنْ أَفْرَدِهِ بِأَرْتِيَادِهِ ، وَتَوْحُّدِهِ بِاعْتِمَادِهِ ؛ عَارِفًا لَهُ حَقَّ آبْتِدَائِهِ بِالثَّقَّةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّ مِنْ أَعْتَقَدَهَا ، وَلَا صَدُّ مِنْ حَسَنِ ظَنِّهَا ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى أَنْ [مضى] لِلْمَلُوكِ مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ [وهو يبحث] مُتَطَلِّبًا مَرَبَعًا لِلتَّأَهُلِ ، مُؤَثِّرًا لِعِمَارَةِ الْمَنْزِلِ ، رَاغِبًا فِي سَكَنِ تَطْمِئِنُّ النَّفْسُ إِلَيْهِ ، وَتَعْتَمِدُ فِي الْفَوَائِحِ وَالْمَصَابِرِ عَلَيْهِ ؛ وَكَلَّمَا عُرِضَ لِلْمَلُوكِ بَيْتُ أَبِيهِ ، أَوْ ذُكِرَ لَهُ جَنَابٌ قَطَعَ عَنْهُ رَجَاهُ : لِعَدَمِ بَعْضِ الشَّرُوطِ الَّتِي يُرِيدُهَا فِيهِ ، وَتَعَدُّرِهَا عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا قَرَعَ سَمْعَهُ ذَكَرُ سَيِّدِي ، عَلِمَ أَنَّهُ الْغَايَةُ الَّتِي لَامْرُقُ بِعَدَاهَا ، وَالنَّهْيَةُ الَّتِي لَا مَطْمَحَ وَرَاءَهَا ، وَأَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ بِالثَّقَّةِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْأَمْنِيَّةِ ، وَوَجَدَ مِنْ يَجْمَعُ الْخِلَالَ الْمُرِضِيَّةَ وَيَزِيدُ ؛ وَيُجُوزُ مِنَ الْفَضْلِ الشَّأَوِ الْبَعِيدِ ، وَكَتَبَ الْمَلُوكُ هَذِهِ الرَّقْعَةَ خَاطِبًا كَرِيْمَتَهُ فَلَانَةَ [ليكون لها] كَالنِّعْمِ الضَّامِنِ لِلنَّهْدِ ، وَالْحِلْدِ الْحَافِظِ لِلجِلْدِ ؛ وَيَكُونُ لِمَوْلَانَا كَالْوَلَدِ الْبَرِّ أَبِيهِ ، وَلَاخِيهَا كَالصَّنْوَ الشَّفِيقِ عَلَى أَخِيهِ ؛ فَإِنْ رَأَى سَيِّدِي أَنْ يَتَدَبَّرَ مَا كَتَبَهُ الْمَلُوكُ وَيَتَسَمَّعَ مِنْ تَوْكِيدِ رُقْعَتِهِ مَا حَمَلَتْهُ ، وَيَجِيبَهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ فَلَهُ عُلُوُّ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ ؛

إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رُفْعَةٌ : وَيُنْبِئُ أَنَّ مَوْلَانَا بِمَا تَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَحَاسِنِهِ وَمَنَاقِبِهِ ، جَدِيرٌ أَنْ يَلْقَى مِنْ خَطَبِ الْأَعْتَصَامِ بَعْرِيٍّ مِمَّا زَجَّتْهُ ، وَسَعَى فِي نَيْلِ عُلُقِهِ مِنْ مُوَاشِحَتِهِ ، بِالتَّبَوُّلِ ، الْقَاضِي بِنَيْلِ الْمَأْمُولِ ، وَدَرَكِ الرَّغْبِ وَالسُّوْلِ ؛ وَلَا سِيَّأَ إِذَا كَانَ عَارِقًا مِنْ سُمُوِّ خَطَرِهِ ، وَأَعْتَلَاءِ قَدْرِهِ ، مَا يَقْضَى عَلَيْهِ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ فِي مَعَاشِرَتِهِ ، وَغَضِّ الطَّرْفِ فِي مَعَامَلَتِهِ ؛ وَالْوُقُوفِ دُونَ دَرَجَةِ الْمَسَاوَاةِ وَالْمِثَالَةِ ، وَالتَّرْخُوحِ عَنْ رُتْبَةِ الْمُبَارَاةِ وَالْمُطَاوَلَةِ ؛ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ الْأَتْبَاعِ وَالْحَاشِيَةِ ، وَالْحُدَامِ وَالغَاشِيَةِ ؛ وَكَثِيرًا مَا وَجَدَ الْمَمْلُوكُ الْبَرَكَةَ فِي مِشَارَكَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَوْفَرَمْنَاهَا فِي مِشَارَكَةِ النَّظَرَاءِ ، وَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ فِي مِشَابَكَةِ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ أَجْمَلَ مِنْهَا فِي مِشَابَكَةِ الْأَكْفَاءِ ؛ الَّذِينَ يُصَادِفُونَ فِي الْحُقُوقِ شَطَطًا ، وَلَا يُغْضُونَ عَنْ يَسِيرِ الْوَأَجِبَاتِ تَبَسُّطًا : لِأَنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّ الْوَصْلَةَ مِمَّنْ دَانَاهُمْ فِي الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ لَيْسَتْ عَائِدَةً عَلَيْهِمْ بِشَرَفٍ ، وَلَا مُظْهِرَةً لَهُمْ مِنْ حُمُولٍ .

وَلِأَنَّ يَسْتَخْلِصَ مِثْلَ سَيِّدِي مِنَ الرُّوْسَاءِ ، مِثْلَ الْمَمْلُوكِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَيَخْتَصِمَ بِأَثَرَةِ الْإِجْتِبَاءِ وَالْإِصْطِفَاءِ ؛ فَيَكُونُ مَفْخَرُهُ إِلَيْهِ مَنْسُوبًا ، وَمَا يَرْقِيهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بِبَرَكَتِهِ مِنْ دَرَجِ الْفَضْلِ فِي نَفْسِهِ مُحْسُوبًا ؛ أَوْلَى مِنْ طَلَبِ مُمَائِلِ يَنَاقِضُ بَقْدَرَهُ وَيُطَاوِلُ .

عَلَى أَنَّهُ لَوْ طَلَبَ ذَلِكَ لَطَلَبَ مُعْوِزًا ، وَرَامَ مُعْجِزًا : لِمَا أَوْفَرَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ السِّيَادَةِ الَّتِي لَا يُتْرَاقُ إِلَى مَنْزِلَتِهَا ، وَلَا يُتَسَامَى إِلَى مُطَاوَلَتِهَا ؛ وَإِذَا كَانَ النَّظِيرُ مَعْدُومًا ، وَالْكُفُوُّ مَفْقُودًا ؛ وَلَوْ وَجِدَ لِمَالٍ مَتَسَلِّطًا ، وَوَقَعَ سَوْمُهُ مَنبَسِطًا ؛ وَمَوْلَانَا يُطَلَّبُ إِلَيْهِ وَلَا يُطَلَّبُ ، وَيُرْغَبُ فِيمَا عِنْدَهُ وَلَا يَرْغَبُ ، فَقَدْ سَهَلَتِ السَّبِيلُ إِلَى مَا يَرُومُهُ الْمَمْلُوكُ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَيُؤْتَرُهُ مِنْ مُوَاصَلَتِهِ ؛ وَأَتَّسَعَ الْحَجَالُ فِيمَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي تَقْلِيدِهِ شَرَفِ مُصَاهَرَتِهِ ، وَإِضَافَتِهِ بِذَلِكَ إِلَى بِيْطَانَتِهِ وَأَهْلِ حَاصَّتِهِ ؛ وَيُخْرِجُهُ عَلَى مَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ الْوَالِدُ وَلَدَهُ ، وَالسَيِّدُ عَبْدَهُ ؛ وَقَدْ حَمَلَ الْمَمْلُوكُ مَوْصَلَ

(١) لعله يشير إلى المثل العربي «عرض عليه سوم عالة» يضرب لمن يمرض عليك ما أنت عنه غنى تأمل .

مطالعتة هذه مالم تسع إيداعه المكاتبه، فإن رأى مولانا أن يصغى إليه ويحبب عبده بما يعتمدُه المملوكُ في ذلك فله الفضل؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : ويُنهى أن لذوى المناجِبِ الطيبةِ الأنسابِ ، والمناحِتِ الزكيةِ الأحسابِ ؛ والأخلاقِ الكريمةِ والآدابِ ، بين الأنامِ لسانَ صدقٍ يخطب لهم بالمحاسنِ والمحامدِ ، ويعطرُ بثنائهمِ الصادِرِ والواردِ ؛ ويدعو القلوبَ إلى نيلِ علقه من مآزجَتهم ، وأتمسكِ بطرفِ من مواصلتهم ؛ وقد جمعَ اللهُ لمولانا من كريمِ المُتَلَدِ^(١) والمُطَرَفِ ، وقديمِ وحديثِ الفضلِ والشرفِ ، ما تفرَّقَ في السياداتِ ، وتوزَّعَ على أهلِ الرياساتِ ؛ وجعله في طَهارةِ المولدِ ، وطيبةِ المحتدِ ؛ وأستكمالِ المآثرِ ، وأستتمامِ المفاخرِ ، عامًا ظاهرًا ، ونجما زاهرا ؛ فما منَ رئيسِ سوى مولانا تُعجزه خلةٌ من خلالِ الرياسةِ إلا وجدها لديه ، ولا نفيسِ تُعوِّزه خصلةٌ من خصالِ النفاسةِ إلا أستباحها من يديه ؛ ولذلك أمتدتِ الأعناقُ إلى أتمسكِ بجبله ، وتطلعتِ الهممُ إلى مُواشجتهِ في كريمِ أصله ؛ وصار مرغوبا إليه لارغبا ، ومطلوبا لديه لاطالبا ؛ وهو جديرٌ بما وهبه اللهُ من هذا الفضلِ الذائعِ ، والنبلِ الشائعِ ، أن يُجيبَ سائله ، ويصدقَ أمله ؛ ولا يتجهَّمُ في وجهِ قاصده ، ولا يرده عن مقصده ؛ ولا سميما إذا كان قد أسلفه الظنَّ الجميلِ ، وبدأه بالثقةِ والتأميلِ ؛ وتعدَّرَ عليه قدرُ العارفِ بقدره ، العالمِ بمخطره ؛ المرتضى بشرائطه ، النازلِ على حكمه ، المتدبِّرُ برأيه ؛ وقد علم اللهُ تعالى أنَّ المملوكَ مُدُنشأٌ وصالحٌ للتأهلِ مرغوبٌ فيه ، مخطوبٌ إليه ؛ من عِدَّةِ جهاتٍ جليلةٍ ، وجناباتٍ رئيسةٍ ؛ والمملوكُ صائدٌ عن الإجابةِ ، صارفٌ عن المطاوعةِ : لشُدُوذِ بعضِ الشُّروطِ التي يرومُ أن تكونَ مجتمعةً في النسبِ ، الذى أعده شريكا في الولدِ والنسبِ ؛

(١) المتلد (أى ككرم) ما ولد عندك من مالك أو نتج وما لم يتلد قديم .

ومفاوضًا في الحال والسبب؛ مرتادٌ من يقنع بالموافقه، ويرتض، بالعشرة والمراققه؛ حتى أفضى في الانتقاد إلى مولانا فوجد المراد على اشتراط، وألقى المقصود على اشتطاط؛ فدعاه ذلك إلى التهجم بعد الإجماع، وحمله على التجاسر والإقدام؛ والتوسل إلى مولانا بما يتوسل به الأحرار، إلى الأخيار، وأمه بصادق الرغبة وصميم المحبة والانبساط، في خطبة كريمته فلانة؛ على أن يعاشرها بغاية الأئس، ويصحبها صحبة الجسد للنفس؛ ويعرف لها من قدر أوتها وأمومتها ماتستحق برياستها، وقد أصدر هذه الرقة نائبة عنه في ذلك؛ فإن رأى مولانا أن يخففه بالقبول، ويجعله أهلا لإجابة السؤل، فله الفضل في ذلك؛ إن شاء الله تعالى.

ومن النادر الغريب ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل" في الكتابة إلى شخص في تزويج أمه، وهو:

هذه المكاتبه إلى فلان - جعله الله ممن يؤثريه على الهوى، وينوي بأفعاله الوقوف مع أحكام الله تعالى فإنما لكل أمرئ ما نوى؛ ويعلم أن الخير والخيرة فيما يسره الله من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن الشر والمكروه فيما طوى؛ نعرض له بأمرٍ لا حرج عليه في الإجابة إليه؛ ولا خلل يلحقه به في المروءة وهل أخل بالمروءة من فعل ما حصر الشرع المطهر عليه؟ وأظهر الناس مروءة من أبلغ النفس في مصالح حرمه عذرها، ووثق من حقوق أخصن بيه كل ما علم أن فيه ربا؛ وإذا كانت المرأة عورة، فإن كمال صوتها فيما جعل الله فيه سترها، وصالح حالها فيما أصلح الله به في الحياة أمرها، وإذا كانت النساء شقائق الرجال في باطن أمر البشرية وظاهره، وكان الأولى تعجيل أسباب العصمة فلا فرق بين أوب [وقت] الاحتياج [إلى ذلك]

وآخره ؛ وما جَدَعَ الحلالَ أَنفَ الغيرةِ إِلَّا لِيُزَوَّلَ شِمُّ الحِمِيَّةِ ، وَتَنزَلَ عَلَى حَكْمِ اللَّهِ فِيما شَرَعَ لِعِبَادِهِ النَّفُوسَ الْأَيِّيةَ ؛ وَيُعَلِّمُ أَنَّ الْفَضْلَ فِي الْأَنْقِيادِ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى بِعَضَلِ الْوَالِيَّةِ ؛ وَإِذَا كَانَ رِ الْوَالِدَةَ أُمَّمَ ، وَحَقَّهَا أَعْمَ ؛ وَالنَّظْرُ فِي صَلَاحِ حَالِهَا أَهْمَ ؛ تَعَيَّنَتِ الْإِجَابَةُ إِلَى ما يَصْلُحُ بِهِ حَالُهَا ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ بِالْهَأْ ، وَيَتَوَفَّرُ بِهِ مَالُهَا ، وَيَعْمُرُ بِهِ فِئَاوَهَا ؛ وَيَحْصُلُ بِهِ عَن تَقْلُدِ الْمَنِّ اسْتِغْنَاؤُهَا ، وَتُحْمَلُ بِهِ كُفْلَةُ خَدَمِهَا عِنَّا ، وَتُدْفَعُ بِهِ ضَرُورَاتُ الْأَبْدِ لَدَوَاتِ الْحِجَابِ وَالْحِجَالِ مِنْهَا ، وَيَضْفُو بِهِ سِترَ الْإِحْصَانِ وَالْحِصَانَةِ عَلَيْهَا ، وَيُظْهَرُ بِهِ سِرُّ ما أَوْجِبَهُ اللَّهُ لَهَا مِنْ تَتَبُّعِ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهَا .

وقد تقدم من سادات السلف من تولى ذلك لوالدته بنفسه، وأعتده من أسباب ريوحه الذي قابل به ما أسلفته إليه في أمسه ؛ علمنا منهم أن استكمال البر مما يعلى قدر المرء ويعلى ؛ وقد أجاب زيد بن زين العابدين هشاماً لما سأله : لم زوجت أمك بعد أبيك ؟ فقال : لتبشر بأخرمثلى ، لاسيما والراغب [إلى المولى] في ذلك من يرغب في قربه ، ويعبظ على مآلديه من نعم ربه ؛ ويعظم لإجتاج دنياه ودينه ، ويكرم لئمن نقيته وجود يمينه ؛ ويعلم أن العقيلة تحل منه في أمنع حرم ، وتستظل من ذراه بأضفى ستور الكرم ، مع ارتفاع حسبه ، وأشتهار نسبه ، وعلو قدره في منصبه وحاله وسببه ، وأنه ممن يحسن أن يحل من المولى محل والده ، وأن يتجمل من ذريته بمن يكون في الملمات بناتاً ليده وعصدا لساعده ؛ فإن المرء كثير بأخيه ، وإذا أطلق عليه بحكم المجاز لفظ العمومة ، فإن عم الرجل صنو أبيه ؛ وأنا أتوقع من المولى الجواب بما يجمع شمل التقى ، ويعلم به أنه تخير من البرأفضل ما يتقى ؛ ويتحقق بفعله أن مثله لا يهمل وإجباً ؛ ولأمر ما قال الأحنف وقد وُصف بالأناة : لكنني أتعجل أن لا أردد كُفُوا خاطباً .

النوع التاسع

(في الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار)

قال في "موادّ البيان" : المكاتبة في استعطاف الرؤساء ، وملاطفة الكبراء ، تحتاج إلى حُسن تأت : لما تشتمل عليه من إيجاب حقوق الخدمة ، وما أسلفوه من مرعى الخدم ، وما يتبع هذا من التنصل والاعتذار الذي يسأل السخائم من القلوب ، ويستنزّل الأوغار من الصدور ، ويُطلع الأتس وقد غرب ، ولها موقع في تأليف الكلام .

قال : وينبغي للكاتب أن يستعمل فيها فكره ، ويوفّيها حقها من جودة الترتيب ، وأستيفاء المعاني ، وأن يذهب إلى استعمال الألفاظ الجامعة لمعاني العذر ، الملوحة بالبراءة مما قُرف به ؛ ولا يُخرج لفظه مُحرج من يقيم الحجّة على براءة الساحة مما رُمي به ، فإنّ ذلك مما يكرهه الرؤساء : لأنّ عادتهم جارية بإيثار أعراف الخدام لهم بالتقصير والتفريط والإخلال بالفروض : ليكون لهم في العفو عند الإقرار عارفةً توجبُ شكرا مستأنفاً ، فأما إذا أقام التابع الحجّة على براءته وسلامته مما رُفع عنه ، فلا يوضع الإحسان إلا إليه في إقراره على منزلته ، والرّضا عنه والاستعطاف ، بل ذلك واجبٌ له ، في منعه منه ظلم .

(١) في الاصلين «مما قرب منه» وهو تصحيف من النسخ .

(٢) المراد أن إقراره والرضا عنه ليس من الاحسان بل من الواجب تأمل .

وهذه نسخ من ذلك :

لأبي الحسين بن سعد :

فإن رأيت أن تنظر في أمرى نظراً يُشبه أخلاقك المرضية ويكون لحسن ظنى بك مصدقاً، ولعظيم أملى [فيك] محققاً، ولما لم تزل تعدنيه منجزاً، ولحق حرمى بك وقديم اتصالى بأسبابك قاضياً، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

ومنه : لسليمان بن وهب .

من أنصرف في الاحتجاج إلى الإقرار بما يلزمه وإن لم يكن لازماً، فقد لطف الاستعفاف، وأستوجب المسامحة والإنصاف .

ومنه : وقد نالني من جفوة الأمير بعد الذي كنت أتعرف من به وألطفه أمرٌ أحلني محل المذنب في نفسى مع البراءة من الذنب ، وأزمنى الإساءة مع الخروج من التقصير، وزاده عندى عظاماً وشدة أنى حاولت الخروج منه بالأعذار، فلم أجذلى إلى الأمير ذنباً أعتذر منه ، ولا على فيما أزمى من معتبته حجة أحاول دفعها والتخلص منها ؛ فأصبحت أعالج من ذلك داءً قد خفى دواؤه، وأحاول صلاح أمرى لم أجني فساده ؛ فإن رأيت أن تفعل كذا وكذا فتصل قديم ما أصبح عندى من معروفك بحديثه ، فليس عندى في مطالبة حجة أنجح من التوجه إلى الأمير بنفسه ، والثقة عنده بفضله ، فإن كنت مُذنباً عفاً، وإن كنت بريئاً راجع .

ومنه : لأبي علي البصير .

وأنا أحد من أسكته ظلك، وأعلقتك حبلك ، وحبوته بلطف برك ، وخاص عياتك، وانتصف بك من الزمان، وأستغنى بإخائك عن الإخوان ؛ فهو لا يرغب

إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا يَتَمَدُّ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا يَسْتَجِجُ طَلْبَهُ إِلَّا بِكَ ، وَقَدْ كَانَ فَرَطَ مَنْ
 قَوْلٌ : إِنْ تَأَوَّلْتَهُ لِي ، أَرَاكَ أَوْجَهَ عُذْرِي ، وَقَامَ عِنْدَكَ بِحُجَّتِي ، فَأَغْنَانِي عَنْ تَوْكِيدِ
 الْإِيمَانِ عَلَى حُسْنِ نَيْتِي ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَيَّ ، أَحَاقَ بِي لِأَمْتِكَ وَحَبْسِنِي عَلَى [أَسْوَأِ]
 حَالِ عِنْدِكَ ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ مَعْتَرِفًا بِالزَّلَّةِ ، مُسْتَكِينًا لِلْوَجْدَةِ ، عَائِدًا بِالصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ ،
 فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُفَرِّعِنَا قَرَّتْ بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي ، وَلَا تُسَلِّبْنِي مِنْهَا مَا أَلْبَسْتَنِي ، وَأَنْ تَقْتَصِرَ
 مِنْ عَقُوبَتِي عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي نَالَنِي بِسَبَبِ عَثْبِكَ عَلَيَّ ، وَتَأْمُرَ بِتَعْرِيفِي رَأْيِكَ بِمَا
 يُطَافِئُ هَلْعِي ، وَتَسْكُنَ إِلَيْهِ نَفْسِي ، وَيَأْمَنَ بِهِ رُوعِي ، فَعَلْتَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لابي الحسين بن أبي البغل .

نُبُو الطَّرْفِ مِنَ الْوَزِيرِ دَلِيلٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْحَالِ عِنْدَهُ ، وَالْجَفَاءُ مِنْ عَوْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْهُ
 شَدِيدٌ ، وَقَدْ أَسْتَدَلَّتْ بِإِزَالَةِ الْوَزِيرِ إِيَّايَ النَّحْلَ الَّذِي كَانَ نَحْلَانِيهِ بِتَطَوُّلِهِ ، عَلَى مَا
 سَوَّاهُ لَهُ ظَنًّا بِنَفْسِي ، وَمَا أَخَافُ عَثْبًا : لِأَنِّي لَمْ أَجْنِ دَنْبًا ؛ فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرُ أَنَّ
 يَقُومَنِي لِنَفْسِي ، وَيُدَلِّئِي عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنِّي ، فَعَلَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لأبي الربيع .

أَصْدَقُ الْمَقَالِ ، مَا حَقَّقَهُ الْفَعَالُ ، وَأَفْضَلُ الْخَبَرِ ، مَا صَدَّقَهُ الْأَثَرُ .

ومنه : لِمَوْلَانَا سِيرَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا أَمَلْنَا أَمَلِ إِلَّا جَادَتْ وَسَخَّتْ
 وَمَتَحَّتْ ، وَعَوَائِدُ فِي الْعَفْوِ مَارَجَاهَا رَاجٍ إِلَّا صَفَحَتْ وَسَمَّحَتْ ؛ وَأَحَقُّ مَنْ تَلَقَّاهُ
 عِنْدَ الْعِتَارِ ، بِالْإِقَالَةِ وَالْإِغْتِفَارِ ، وَوَقَفَ بِهِ عِنْدَ حَدِّ التَّقْوِيمِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَلَمْ يُعْرِضْهُ

لنقيصة الإقضاء والأطراح، من شفع الهفوة بالاعتذار، وخطب التعمد بلسان الإقرار؛ ودلت التجارب منه على حسم الأضرار؛ وكان له من سالف الخدم وسائل وذرائع، ومن صحيح الإخلاص ممدد وشافع؛ فلا عجب أن المملوك يهفو فيعفو، ويظلم فيكظم، ويجهل فيعلم، ويخطئ فيصيب، ويدعو متنصلاً فيجيب؛ وقد جعل الله سهمه المعلى، ويده الطولى، وألهمه التفضل بالإنعام، والتغميض عن زلات الكرام؛ وقد حصل للملوك في هذه النبوة من إزارائه على عقله، وتقبيحه لفعله؛ أعظم تجرّبه، وأكبر مادّبه؛ والمملوك يسأل إحسان سيّدى أن يعيده إلى رضاه ولطفه، ويؤنس منه مستوحش إقباله وعطفه؛ ويصدق رجاءه فيه، ويجزل ثواب وفادته عليه؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : المملوك يحطب صَفَحَ سيّده وإقالته بلسان الاعتذار، ويستعيد ما عرف من رضاه وعاطفته بوسائل الاعتذار: ليكون المتفضل في كل الحالات، والمنعم من كل الجهات؛ وقد عرف السهو والنسيان، المعترضين للإنسان؛ وأنهما يحولان بينه وبين قلبه، ويؤروران عليه خطاه في صورة صوابه؛ فيتورط في السقط غير عاقد، ويتهور في الغلط غير قاصد، وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ . وما أولى مولانا بأن يحفظ على المملوك جميل آرائه، ولا يسلبه ما شمله من ظلّ آلائه؛ ولا يسيمه بميسم العقوق فإنه يجد نفسه بخلاف ذلك في طاعته، ومرتبها بغير هذه الرتبة في خدمته .

فصل : وقد آوى سيدي المملوك من ظله، وأعلقه من حبله، وأسنع عليه من فضله، ما أنصفه به من الزمان، وأغناه عن الإخوان، ووقف رغبته عليه، وصرف أماله إليه، ونزله منزلة من لا يشك في اعتقاده، ولا يستريب بوداده؛ وكان

المملوك أرسل لفظاً على سبيل الإشفاق ذهب به الحاسد إلى غير معناه ، وخالف في تفسيره حقيقة مغزاه ، وأحاله عن نيته ، وعرضه عليه على غير صورته : ليوحش محل المملوك المانوس من رعايته ، وينقر سر به المطمئن بملاحظته وعنايته ، وقد أرسل المملوك هذه العبودية سائلاً في نحو إظلام موجدته ، وأن يعيد المملوك إلى مكانه من حضرته ؛ إن شاء الله تعالى .



لا أتوسل إليك إلا بك ، ولا آتيك إلا من بابك ؛ ولا أستشفعُ إليك بسواك ، ولا أكل رجعة هোক إلا إلى هোক ؛ ولا أنتظرُ إلا عطفك التي لا تقودها زحارف الأموال ، ولا تُعيدُها شفاعات الرجال :

إذا أنت لم تعطفك إلاشفاة * فلا خير في ود يكون بشافع

شعر في معنى ذلك :

هبنى تحطيت إلى زلة * ولم أكن اذنبت فيما مضى !

أليس لي من قبلها خدمة * توجب لي منك سبيل الرضى !

غيره :

وحقك ما هجرتك من ملال * ولا أعرضت إلا خوف مقت !

لأن طبائع الإنسان ليست * على وفق الإرادة ككل وقت !

اعتذار عن التأخر ، من ترسل أبي الحسين بن سعد .

إن لم يكن في تأخرى عنك عذر تقبله ، فاجعله ذنباً تغفره .

علي بن خلف :

الأعداءُ - أطل الله بقاء سيدي - تنأى على الامتناع ، ونضيق على الاتساع ؛
وذلك بحسب ما تصادفه من قبول ورد ، ومساحة ونقد ؛ وأنا أحمد الله على أن
جعل عذري إلى من يتمحل العذر للعذر ، ويصفح صفح المالك المقتدر ، كما
اتم بقول الشاعر :

إذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالاً لزيتته عذرا

ولم يجعله إلى من يغلب هاجس الظنون ، على واضح الحجّة ، ومعتل الشكّ على
صحيح اليقين . ومي إلى أن غابط المكنى من حضرته ، حسدني على محلي من
مودته ، وزور ما ينكشف عن الإفك والبهتان ، ودلس الكذب في صورة البرهان ؛
فما جلّاه في معارض زخارفه أظهر لسيدى عواره ، وأبدى لطرفه شواره ؛ فسل^(١)
سمعه عن وعيه ، وطرف طرفه عن رعيه ؛ وأستمّ علاميم شيمته ، في حسن الظنّ
بأحبته ؛ فقدمت من الاعتذار ما يقدمه المذنب نزولاً على طاعته ، وتأدباً في خدمته ،
وشفاعة من الشكر بما يقتضيه إحسانه ويوجهه .

أبو الفرج البيهقي :

أحقّ المعاذير بالتقبل وأولها بسعة القلوب ما صدر عن استكانة الأقدار ، ودلّ
على حسم مواد الأضرار ، وصفاً من كدر الاحتجاجات ، وتنزه عن تمحل الشبهات ؛
ليخلص به ملك العفو ، وتكامل نعمة التجاوز . ولست أكره شرف تأديبه ، ونبل
تثقيفه وتهذيبه ؛ ما لم يتجاوز في العقوبة والتقويم إلى مؤلم الإعراض ، ومضيق

(١) أي عيبه وشل سمعه أي طرده والمراد أنه لم يصغ إليه .

التشكر والالتزام؛ ولا أخطبُ الإقالة من تفضله إلا بلسان الثقة وشايع الخدمة ،
 هارباً إلى سعة كرمه مما دفعني المحبة إليه، وأسفى بي عدم التوفيق عليه؛ فإن رأى أن
 يكون عند أحسن ظني به في الصّفح، كما هو عند أصدق أملى فيه بالإنعام، فعَل .
 وله في مثله :

ليس يخلو الإغراق في التنصّل والمبالغة في الاعتذار من إقامة الحجّة، أو تمسك
 باعتراض شبهة، وأنا أجل ما أخطبه من عظيم عفوه، وأكبر ما أحاوله من نعمة
 تجاوزه؛ عن المقابلة بعين الاعتراف بالزلل وبعد الإستحقاق من الصّفح، ما لم يوجب
 لي بسعة تأوله، ويعدّ علىّ فيه بعبادات تفضله: لتصفو منه الأعضاء، وتزمني
 واجبات الشكر والثناء، غير ممتنع مع ذلك من التبرّي إليه مما أنكره من تجاوز السهو
 إلى العمل، والتوجه إلى ما فرط بالأختيار والقصد اللذين يغفر بتجنّبهما مذموم
 الأفعال، ويتعمد سيّئ الأعمال؛ فإن رأى أن يجهل أمرى فيما قصدتني الأيام بتوجه
 الظنون فيه على غير النية لظاهر الفعل، إذ كانت صفات الإنسان بالأشهر من
 أخلاقه والأكثر من أفعاله، ولا صفة لي أعرف بها وأنسب إليها غير الاعتراف
 بإنعامه، والتطاول من اصطناعه، أخذاً من كلّ حال بالفضل، ومشفقاً بسطة
 الرياسة والتبّل .

وله في مثله :

لست أخلو في المدة التي تجاوز الدهر لي عنها في خدمته من توصل بفرط
 الاجتهاد، إلى ما وصل من رأيه إلى رتبة التقبل والإحماد؛ وليس يحبط ما أتيت به من
 مرضى الخدمة بالنية والعمد بما لعله فرط من غير مُراد؛ إذ كان - أيده الله بفائض

طَوَّلَهُ ، وَمَأْتُورٌ فَضْلُهُ - أَخْذًا مِنْ آدَابِ اللَّهِ بِمَا أَحَاكَمَهُ مِنْهُ : (١) « إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ » . و [لو] لا يَثَارِي مَفْتَرَضَ الطَّاعَةِ وَأَسْتِكَانَةَ الْأَعْتِدَادِ ؛ وَأَنْ لَا أُخْطَبَ
رِضَاهُ بِلِسَانِ الْأَحْتِجَاجِ ، وَلَا أَلْتَمَسَ عَقْوَهُ بِوَجُوبِ الْأَسْتِحْقَاقِ : لَتَسَلَّمَ لَهُ صِفَاتُ
التَّفَضُّلِ ، وَوَلَى مَوَاتُ الْأِعْتِرَافِ بِسَالِفِ التَّطَوُّلِ ؛ لِبَرَهْنَتِهِ عَلَى سَلَامَتِي مِمَّا قُصِرَ عَلَيَّ
بِتَوَجُّهِ الظُّنُونِ وَأَعْتَرَاضِ الْأَوْهَامِ ؛ وَلَا أَقُولُ بِشَعَثِ النَّيْسَةِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ ؛ فَإِنْ رَأَى
أَنْ يَحْفَظَ مَا آبْتَدَأَهُ مُخْتَارًا مِنْ أَصْطِنَاعِي بِمَا يَصُوبُهُ عَنِ التَّنَكُّرِ ، وَيَصُوبَ عَادَتِي
فِي شُكْرِ ذَلِكَ وَالْأَعْتِدَادِ بِهِ عَنِ الْفُتُورِ وَالتَّغْيِيرِ ، فَعَل .

أجوبة الأسترضاء والأستعطف

قال في "مواد البيان" : لا يخلو المعتذر إليه من أمرين : أحدهما أن يقبل
العذر، والآخر أن يستمر على الموجدة ويرفض ما يأتي به من حجة ؛ فإن كان قد قبل
العذر، وجب أن يبنى الجواب على وُصول الكتاب، والوقوف عليه، والتقبل لما
تضمنه ، وتبرئة المعتذر عن الحاجة إلى الاعتذار، والالتقياد إلى الاعتراف بالجرم
والإقرار، إكرامًا لخُلُقته عن التهمة، وللوادة عن الظنة : فإن الأمر الذي أوجب
العذر لو صدر منه ، لاقتضى ودأده التأول له بأنه ما صدر إلا عن باطن سليم
ومصلحة أوجبته . قال : وليس هذا المعنى هو الذي يُجاب به مَنْ قِيلَ عُذْرُهُ
فقط : لأنه يجوز أن يجيب بأنه قد قبل العذر، وصفح عن الجرم، على أن لا يعود
إلى مثله . وإن استمر على القصد ، بنى الجواب على إبطال العذر ومعارضته بما

(١) كذا في الاصل ولعله « إليه » .

(٢) في الأصول « ولا يثارى على مفترض ألا أخطب الخ » .

(٣) أى قصد الصدق ونفى على هجره ولم يقبل الاعتذار .

يقتضيه ؛ والدلالة على خطأ المعتدِر ، وأنه مما لا يسوغُ الصّفْحُ عنه ، ولا يليق بالْحَزْمِ إقالتُه .

قال : وهذان معنيان يَجْمَلان من العبارة مالا يكادُ يُحصِرُ في قول مشروح مبسوط ؛ فضلا عن قولٍ مجملٍ مُوجزٍ ، إلا أن المتدرب بالصناعة إذا مرّت به هذه الأصول أمكنه التفرّيعُ عليها .

النوع العاشر

(في الشكوى - أعاذنا الله تعالى منها)

قال في " موادّ البيان " : رِقَاعُ الشَّكْوَى - عَصَمَنَا اللهُ مِنْ مُوجِبَاتِهَا - يجبُ أن تكون مبنيةً من صِفَةِ الحَالِ المُشْكِيَةِ ، على ما يوجب المشاركة فيها ويقضى بالمساعدة إن استُديعتَ عليها ، من غير إغراقٍ يُفْضَى إلى تَطْلِيمِ الأقدار وإحباط الأجر ، وشكوى المبتلي بالخير والشرِّ سبحانه وتعالى ، ويدلُّ على التهلك بالجزع ، وضعف التماسك وقُوَّةِ الهَلَعِ ؛ بأسْتِيلاءِ القُنُوطِ والإيَّاسِ ، وأن يشفع الشكوى بذكر الثقة بالله سبحانه ، والتسليم إليه ، والرِّضَا بأحكامه ، وتوقُّعِ الفَرَجِ من عنده ، وتلقّي آخِبارِهِ بالصبر ، كما تتلقّى نعمه بالشكر ؛ ونحو هذا مما يليق به ويجرى مجراه . قال : وقد يكتبُ الأتباعُ للرؤساءِ رِقَاعاً بِشكَايةِ الأحوال ومساءلةِ النظر ؛ ثم ذكر أن سبيل هذه الرِّقَاعِ أن يُعدَّلَ بها عن التصريح بالشكوى إلى لَفْظِ الشُّكْرِ ومعناه ، وطلب الزيادة والإلحاق بالنظر في الإحسان : لما في إطلاق الشكَاية ، والتصريح بها من التعريض بإخلال الرئيس بما يلزمه النظر فيه من أحوال خاصتهم وتعهد مرافقهم من الكفاية .

وهذه نسخٌ من ذلك :

رُقعة شكوى هُموم :

كتب المملوكُ هذا الكتابَ وهو رهينٌ فِكْرٍ وغمٍّ ، وفلَقٍ وهمٍّ ، وحليفِ جَوَى
قد سَكَنَ القلبَ ، وخوفٍ قد أطار اللبَّ ؛ وبالله العيادُ ، وهو المَلَّاذُ ؛ وييده نُحْلُ
العُقْدَةُ ، وبأمره تَزولُ الشَّدَةُ ؛ وقد أَلَمَ اللهُ سبحانه المملوكَ صَبْرًا يَسْرُ أمره ، وأملاً
في الفَرَجِ خَفَّفَ ضُرَّهُ ؛ وليس بأئسٍ من عَطْفَتِهِ ، ولا قَانِطٍ من نِعْمَتِهِ .

رُقعة في معنى ذلك :

كتب المملوكُ وهو شاكٍ لتجاهلِ الأيامِ ، وَقِيدٌ من مواقعِ سَهَامِهَا الرَغِيبةِ الكَلَامِ ؛
مَنهُومٌ بهُمومٍ تُضَعِفُ الجَلِيدَ ، وتَسْوِءُ الوَدِيدَ ، وتَسْرُ الحُسُودَ ، لاقٍ من قَسْوَةِ الدهرِ
وَقَطَّاطِتهُ ، ونبوةِ العَيْشِ ونُفْرَتِهِ ؛ ما يردُّ الجفونَ عن المَجُوعِ ، ويُغْرِقُ العيونَ
بِالدُّمُوعِ ، والله تعالى في عبادِهِ أَقْضِيَةٌ يَقْضِيهَا ، وأقدارٌ يُمِضِيهَا ؛ والله أسألُ حَسَنَ
العاقبةِ وَالْحَتَامِ ، وتمحيصِ الأوزارِ وَالْآثَامِ .

رُقعة : كتب المملوكُ وِجْسَمَهُ صَحِيحًا ، وَقَلْبُهُ قَرِيحًا ، وَجَنَانُهُ سَلِيمًا ، وَجَنَابَهُ
سَقِيمًا : لما يَتَبَادَرُ إليه من نِكَايَاتِ تَفَدِّحٍ وَتَفَرِّحٍ ، وحادثاتِ تَكَلِّمٍ وَتَجَرِّحٍ ؛ وَنُوبِ
تَهَضُّبٍ ، وَتَهْدِيمٍ وَتَرَضُّبٍ ، وخطوبِ تُحَاطِبِ شِفَاهَا ، وَتُوصِلُ مِنَ اليَدِ إِلَى اليَدِ أَذَاهَا ؛
إِلَّا أَنَّ اللهَ يُهَيِّبُ رِيحَ المِنَحِ ، وقد تَدَاكَتِ الحِنُّ فَيَنْشِفُهَا ، وَيَشُقُّ عَمُودَ الفَرَجِ ؛ وقد
أَدْهَمَّتْ فَيَكْشِفُهَا ؛ وَظَنَّ المملوكُ باللهِ تعالى جَمِيلًا ، وله في صُنْعِهِ وَلُطْفِهِ تَأْمِيلٌ .

رُقعة : وَيُنْهَى أَنَّهُ قد كتب هذه العِبُودِيَّةَ بِيَدِ قد أَرعَشَتْهَا الآلامُ ، يُمَلِي عليها
قَلْبٌ قد قَلَبَتْهُ الأَسْقَامُ ؛ لِجِسْمِهِ نَاحِلٌ ، وَجَسَدِهِ بعد النُّصْرَةِ قَاحِلٌ ؛ وَقُوَاهُ قد

وَهَنَتْ ، وَجَلَادُتُهُ قَدْ وَهَتْ ؛ وَصَبْرُهُ قَدْ تَحَلَّى وَأَضْطَرَبَ ، وَتَحْمَلُهُ قَدْ نَأَى وَأَقْتَرَبَ ؛
وَعَادَ شَبَحًا مِنَ الْأَشْبَاحِ ، وَهَبَاءً تَذُرُّهُ الرِّيحُ ؛ فَلَوْ أَعْتَلَقَ بِشَعْرَةٍ لَمْ تَتَصَرِّمَ ، أَوْ وَجَلَ
نَحْرَتْ لِبَرَةِ حَيَاطٍ لَمْ تَتَفَصِّمَ ؛ وَلَوْلَا التَّقَةُ بِاللَّهِ وَأَنَّهُ يُتْبِعُ السُّقْمَ بِالصَّحَّةِ ، وَيَسْفَعُ الْحِمْنَةَ
بِالْمِنْحَةِ ؛ لَذَهَبَ مَا بَقِيَ مِنْ ذِمَائِهِ ، وَأَطْلَّ عَلَى شَفَا شِقَائِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْتَشْرِفُ مِنْهُ
تَعَالَى لَطْفًا يُعِيدُ الْكَلِيلَ حَدِيدًا ، وَالْمُخَلَّقَ جَدِيدًا .

رقعة : وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ هَذِهِ الرَّقْعَةَ ، وَقَدْ سَاءَ أَمْرُ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ ، وَقُبِحَ
صُنْعُهَا لَدَيْهِ ؛ وَأَبْتَلَتْهُ بِمَوْلِمِ الْبَلْوَى ، وَأَنْطَقَتْهُ بِلِسَانِ الشُّكْوَى ؛ فَهُوَ مَحْتَرِّقٌ بِنَارِ الْغَيْظِ ،
يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِالْفَيْظِ ؛ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ يَفْرُجُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ ، وَلُطْفٌ يُرِيحُ مِنْ هَذَا
الْجِهَادِ ؛ وَكُلَّمَا طَلَبَ الْمَزَايِلَةَ عَوَّقَ ، أَوْ طَلَبَ الْفِكَالَكَ أَعْتَلَقَ ؛ فَهُوَ قَاطِنٌ فِي صُورَةِ
الظَّاعِنِ ، وَحَالٌ فِي حَالِ الرَّاحِلِ ، وَاللَّهُ يَمُنُّ بِالْمُخْرَجِ ، وَيَأْتِي بِالْفَرَجِ .

رقعة : وَقَدْ سَطَّرَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةَ ، وَقَدْ أَنْجَلَتْ هَذِهِ النَّبُوَّةَ ، عَنِ الْبَلَاءِ
وَالشُّقْوَةِ ، وَنَفَادِ الْمَالِ ، وَأَسْتِحَالَةِ الْحَالِ ، وَأَسْتِيْلَاءِ الْعُدُوِّ ، وَأَسْتِعْلَاءِ السُّوءِ ، وَكَذَا
الدَّهْرِ خُدُوعِ غُرُورِ ، خُثُونِ غُدُورِ ؛ إِنْ وَهَبَ آرْتَجِعَ ، وَإِنْ أَلْبَسَ آتَرَعَ ؛ وَإِنْ
أَعْطَى أَعْطَى قَلِيلًا وَقَلَعَ ؛ وَإِنْ أَحْلَى أَمَرَ ، وَإِنْ نَفَعَ ضَرَّ ؛ وَإِنْ أَبْرَمَ نَقَضَ ، وَإِنْ
رَفَعَ خَفَضَ ؛ وَإِنْ أَقْبَلَ أَعْرَضَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَمْرَضَ ؛ فَنِعْمَهُ مَقْرُونَةٌ بِالزُّوَالِ ،
وَمِنْهُ مَعْرُضَةٌ لِلإِنْتِقَالِ ؛ وَصِفْوُهُ مَشُوبٌ بِالْكَدْرِ ، وَعَيْشُهُ مَمْرُوحٌ بِالْغَيْرِ ؛ مَا أَجَنَّ
إِلَّا أَوْجَدَ خَلَلًا ، وَلَا أَمَّنَ إِلَّا أَتْبَعَ الْأَمْنَ جَلَلًا ؛ وَالْمَمْلُوكُ يُجْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَوْسَعَهُ
فِي حَالِ الْبَلَاءِ سُكْرًا ، وَفِي حَالِ الْإِبْتِلَاءِ صَبْرًا .

أجوبة رِقَاعِ الشُّكُوفِ

قال في "موادّ البيان" : يجب أن تبنى أجوبة هذه الرِّقَاعِ على الأرتماض في الحال المُشْكِيَةِ ، والتوجُّع منها ، وبذَلِ الوُسْعِ في المُعُونَةِ عليها ، والمشاركة فيها ، وما يجري هذا التجري مما يليق به .

النوع الحادي عشر

(في أَسْتِمَاحَةِ الحَوَائِجِ)

قال في "موادّ البيان" : ورقاعُ الأَسْتِمَاحَةِ يُختارُ أن تكونَ مُودَعَةً من الألفاظ ما يُحرِّكُ قُوَى السَّامِحِ ، ويبعثُ دَوَاعِيَ الأَرْتِيَاكِ ؛ ويُوجِبُ حُرْمَةَ الفَضْلِ المُسَهَّلَةِ بذَلِ المَالِ الصَّعْبِ بذَلْهُ ، إلَّا على من وَفَّرَ اللهُ مُرُوءَتَهُ ، وأرخصَ عليه أَمَانِ المَحَامِدِ وإن غَلَّتْ .

قال : وينبغي للكاتب أن يتلطف فيها التلطف الذي يعود بنجاح المرآم ، ويؤمن من الحصول على إراقة [ماء] الوجه ، والخيبة بالرد عن البغية ، ويعدل عن التثقل والإلحاف المضجرين ولا يضيق العذر على السامح إلا أن يتمكن للثقة به ، ويعلم المشاركة في الحال .

وهذه نسخ من ذلك :

من كتاب [أبي] الحسين بن سعد .

أفضل القول أصدقّه ، وأهني المعروف أعجّلّه ، وأبلغُ الشكرَ أظهره .

ومنه : إن حضرتك نية في قضاء حاجة فعجلها ، فإن أهني المعروف ما عجل ،
وأنكده ماتازعته العليل ، وأعرضته كثرة الإقتضاء .

ومنه : أنت أعزك الله واجد السبيل إلى أصطناع المعروف واكتساب
الثواب ، وأنت أعرف بما في استنقاذ أسير من أسرى المسلمين ، من وارد الأسر ،
وعرصة الكفر ، وأنتياشه من الذلة والفاقة ، والبلاء والمشقة ، من جزيل ثواب الله
وكريم جزائه [وأجل] من أن تحاطب في ذلك مخاطبة من يحتاج إلى زيادة
في بصيرته ، وتقوية لئنه ، وبالله توفيقك وعونك .

على بن خلف :

قد تمسك أملي بضانك ، وتطلع رجائي إلى إحسانك ، وكفل لي النجاح مشهور
كريمك ، ورغبتك في رب نعيمك ، ولي من فضلك نسيب أعتري إليه ، ومن شكري
شفيع أعتمد عليه .

وله : المواعيد - أطال الله بقاء مولاى - غروس ، حلو ثمرها الإنجاز والتعجيل ،
ومره المطل والتطويل ؛ وقد شام أملى من سحائب فضله ، حقيقاً بأن ينهر
ويهمي ، وأرتاد من روض نبله ؛ جديراً بأن يزيد وينمي ، فإن كانت هذه الخيلة
صادقه ، فلتكن منه همة للرجاء محققه ، إن شاء الله تعالى .

وله : هممت أن أستصحب إلى مولاى ذريعة تحجب مطلقى ، وتكون حجاباً
على وجهي في المطالعة بأربي ، فلاح لي من أساريه برق أوضع مقصدي ، ومن
أخلاقه أنبساط أمال تجعدي ، ولست مع معرفته بحق نعمة الله تعالى وحق مؤمله ،
محتاجاً عنده إلى ذريعة ولا مفتقراً إلى وسيلة .

(١) وله : ولا يَجْنِي مَوْلَايَ عَلَى ظَاهِرِ تَجْمَلِي ، وَجَمِيلِ تَوَكُّلِي ، عَلَى حَالٍ قَدْ أَحَالَتَهَا الْعُطْلَةُ ، وَتَحَلَّلَتْهَا الْخَلَّةُ ؛ وَإِنَّمَا أُنْبِي بِالتَّجْمَلِ عَلَى دِيبَاجَةِ هَمِّي ، وَأَصُونُ بِالتَّخْفِيفِ عَنِ الصَّدِيقِ مُرَوَّتِي ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الشُّكُورَ تَحْفَفُ مَتَحَمَّلَ الْبَلْوَى ، لَأَضْرَبْتُ عَنْ مُسَاءَلَتِهِ ، وَأَمْسَكْتُ عَنْ تَذْكِيرِهِ ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ لِلْوَصِيبِ الشَّاكِي ، مِنْ ذِكْرِ حَالِهِ لِلطَّيِّبِ الشَّافِي ؛ وَقَدْ كَانَ بَرَقَ لِي مِنْ سَحَابٍ وَعَدَهُ مَا هُوَ جَدِيرٌ بِالْإِنْمَارِ ، وَأُورِقَ مِنْ نَمَاتِهِ مَا هُوَ حَقِيقٌ بِالْإِنْمَارِ ؛ فَإِنِ رَأَى أَنْ يَسِمَ وَجْهَ التَّامِيلِ ، بَعْدَ الْإِنجَازِ وَالتَّعْجِيلِ ، فَعَل .

وله : مَا حَامَتْ أَمَالِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - إِلَّا وَقَعْتُ بِحَضْرَتِهِ ، وَلَا صَعِبْتُ عَلَى جَوَانِبِ الرَّجَاءِ إِلَّا سَهَلْتُ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَلَا كَذَّبْتَنِي الظُّنُونُ إِلَّا صَدَقَهَا بَعْلُو هَمَّتِي ؛ فَلذَلِكَ أَعْتَلِقُ فِي الْمُهَمِّ بِجَبَلِهِ ، وَأَعْتَصِمُ فِي الْمَلَمِّ بِظِلِّهِ ؛ وَقَدْ عَرَّضَ لِي كَذَا وَعَلَيْهِ فِيهِ الْمُعَوْلُ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمُؤْمَلُ ؛ وَمَا أَوْلَاهُ بِالْجُرْيِ عَلَى عَادَتِهِ فِي رَيْشِ جَنَاحِي ، وَالْمَعُونَةَ عَلَى صَلَاحِي .

في طلب كسوة، من كلام المتأخرين :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي نَهَرُ جُودِهِ * يَزِيدُ وَعَاصِي أَمْرِهِ الدَّهْرَ يَنْقُصُ !

إِلَيْكَ أَشْتِكَايَ مِنْ دِمَشَقٍ وَبَرْدِهَا * وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أُمُورٍ تُغْصُّ !

وَإِنِّي فِي عُرْسٍ مِنَ الْبَرْدِ دَائِمٍ * تُصَفِّقُ أَسْنَانِي وَقَلْبِي يَرْقُصُ !

الملك يُنْهَى بَعْدَ الْإِبْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِدَامَةِ نِعْمَتِهِ ، وَإِدَالَةِ دَوْلَتِهِ ، أَنَّهُ مَا أَلَّفَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُضَاعِفُ رَسْمَ الْإِنْعَامِ ، وَيُؤَاتِرُ إِرْسَالَهُ عَلَى مَمَرِّ الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ ؛ وَلِلْمَلُوكِ فِي خِرَاتِنِ الشَّرِيفَةِ فِي كُلِّ عَامٍ تَشْرِيفٌ يُفِيضُهُ عَلَى جَسَدِهِ ،

(١) كذا في الأصول والظاهر "بل أنا على" الخ .

وَيَسِّرْ بِهِ قُلُوبَ أَوْلِيَانِهِ وَيُقِثْ أَكْبَادَ حُسَدَاهُ، وَيَتَّقِ بِهِ سَوْرَةَ الشِّتَاءِ وَقَرَّهُ، وَيَجْعَلُهُ قُرَّةً وَيَجْلِبُ بِهِ مِنَ الدَّعَةِ وَقَرَّهُ، وَقَدْ دَرَسَ رَسْمُهُ، وَقَفِدَ مِنَ الدِّيَوَانِ المَعْمُورِ أَسْمُهُ، وَهُوَ يُسْأَلُ بِرُوزِ الأَمْرِ العَالِي بِإِجْرَائِهِ عَلَى عَادَتِهِ المَسْتَمَرَّةِ، وَقَاعِدَتِهِ السَّالِفَةِ المَسْتَقَرَّةِ؛ بِتَشْرِيفِهِ بِأَخْذِ التَّشْرِيفِ وَتُبْسِهِ: لِيُدْفَعَ بِذَلِكَ شِدَّةَ البَرْدِ وَأَلِيمَ مَسِّهِ؛ وَيَتَذَكَّرُ بِهَا فِي يَوْمِهِ مَا يُوجِبُ حَمْدَ المَوْلَى وَذَمَّ أَمْسِهِ، وَرَأْيَهُ العَالِي .

وله في طلب ورق :

يَا أَسْمَحَ النَّاسِ وَيَأْمَنُ غَدًا * جَبِينُهُ يُجْحِلُ ضَوْءَ الشَّفَقِ!
جُودُكَ بِالْوَرَقِ عَمِيمٌ^(١) [فَلِم] * أَخَّرْتَ يَا مَوْلَايَ بَعَثَ الْوَرَقَ؟

وله في طلب رَسْمٍ :

رَسْمِي يَا مَوْلَايَ غَدًا * مُؤَخَّرًا وَلَوْ حَضَرَ!
وَأَسُو أَرَادَ سَيِّدِي * إِحْضَارَهُ، كَانَ أَمْرًا!
فَقَدْ مَضَى مُحَرَّمٌ * وَرَاحَتِي مِنْهُ صَفْرًا!

وكتب كاتبٌ إلى مُحَمَّدِومِهِ، وَقَدْ تَأَخَّرَ صَرْفُ مَعْلُومِهِ :

وَتَعَلَّمُ أَنِّي كَثِيرُ العِيَالِ * قَلِيلُ الحِرَايَةِ وَالوَاجِبِ!
فَلَسْتُ عَلَى ظَمَأٍ قَانِعًا * يورِدُ مِنَ الوَشَلِ النَّاظِبِ!
وَلَا شَنَكٌ فِي أَنْبِي هَارِبٌ * [ف]قَدَّرَ لِنَفْسِكَ فِي كَاتِبِي!

(١) الورق مثلثة وككتف وجبل الدراهم المضروبة اه من القاموس .

قلت : وكتبتُ نظماً لأمر المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس : خليفة العصر؛ أَسْتَمِجِحُه حَاجَةً فِي مَجْلِسِ كَان فِيهِ هُوَ وَوَلَدُهُ يَحْيَى وَأَخَوَاهُ دَاوُدُ وَيَعْقُوبُ مَاصُورَتُهُ :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْطَى بِنَيْلِ مَارِبٍ * فَبَادِرِ لِي الْعَبَّاسِ مِنْ آلِ عِيَّاسِ !
 إِمَامٌ بِهِ تَفَرُّ الْخِلَافَةِ بِاسْمٍ * وَعِزٌّ يَنْبُهَا يَسْمُو عَلَى قِيَّةِ الرَّاسِ !
 أَبِي الْفَضْلُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِأَهْلِهِ * [دَوَامًا] وَأَنْ يُدْعَى أبا الْفَضْلِ فِي النَّاسِ !
 فَالْمُسْتَعِينِ أَقْصِدْ تَجِدْ خَيْرَ مُنْجِدٍ * حَرِيصٌ عَلَى الْمَعْرُوفِ بَرٌّ بِلَيْتِنَا !
 فَيَحْيَا لَهُ يَحْيَى وَدَاوُدُ صَنُوهُ * وَيَعْقُوبُ أَعْضَادًا وَحُصْنَا مِنَ الْبَاسِ !



وكتبت لقاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام
 عمر البلقيني أَسْتَمِجِحُه حَاجَةً أَيْضًا :

أَيَا شَيْخِ إِسْلَامٍ وَقَاضِي قُضَايَتِهِ * وَمَنْ قَد سَمَّا فِي النَّاسِ عِلْمًا وَمَنْصِبًا !
 لَقَدْ عَمَّ نَوْءُ مِنْكَ كُلِّ مُؤْمِلٍ * وَحَاشَى لِبَرَقِ شِمْتٍ يَظْهَرُ خَلْبًا !
 أَحْرَمٌ مَعْرُوفًا لَهُ كُنْتُ أَرْجِي * وَيَجِبُ دُوبُعِدُ مِنَ الْقَوْمِ أَقْرَبًا !
 وَمَا زِلْتُ أَرْجُو فِي زَمَانِكَ رِفْعَةً * وَلَكِنْ جَوَادُ الْحِطِّ بِالْبُعْدِ قَدْ كَبَا !
 وَلَنْ يَسْتَعِيضَ الْخَفِضَ بِالرَّفْعِ مَا جَدُّ * خُصُوصًا وَمَنْ أَخْرَتَ مَا نَالَ مَطْلَبًا !
 وَلَسْتَ تَرَى مِنِّي إِلَيْكَ وَسِيلَةً * سِوَاكَ وَحَسْبِي بِاعْتِلَاكَ تَقَرُّبًا !



وكتبت لقاضى القضاة جمال الدين محمود القيسراني ^(١) ، وهو يومئذ قاضى قضاة الحنفية وناظر الجيوش المنصورة ؛ أذكرُ بطلاةً عرَضتْ لى من وظيفة مباشرة كانت بيدي :

إلى الله أشكوا من زمانى بواره * فأمسيتُ فى الحرمانِ بى يضربُ المثل !
 تماديتُ بطالا وأعوزتُ حيلة * ولم يبرح البطلُ تُعرف له الحيل !
 فلا مُلتجى جاه ولا عزُّ صاحب * ولا مالكٌ يمنو فى قومٍ ما العمل ؟
 وليكن (محمود) العواقب أرتجى * ومن يمدُّ العقبى على القصد قد حصل !



وكتبت للقاضى شمس الدين العمري كاتب الدست الشريف فى حاجة تجزها :
 إن لا أرى عمرا حتى ألىم به * أليت من نسله من كان لى عمرا .
 لم يغف عن حاجتى حتى أنبئه * وكيف يغفو فى المعروف كم سيرا ؟
 جعلته مبتدا فى رفته خبرى * وعادة المبتدا أن يرفع الخبرا !

أجوبة استماعة الحوائج

قال فى "مواد البيان" : لا يخلو المستماح والمكلف حاجة من أن يسعف أو يمنع ، فإن أسعف فقد غنى عن الجواب ، وربما أجاب المُسَعْفُ بجواب مبنى على حُسن موقع أنيساط المستمیع ، والاعتذار عن التقصير فى حقه وإن كان قد بلغ به فوق

(١) نسبة إلى قيسارية على غير قياس .

ما يجبُ له - تكْرماً وتفضُّلاً ، وإن منع فربّما أجب بعُذرٍ في الوقت الحاضرِ أو عُذرٍ في المُستأنفِ ؛ وربما أخلَّ بالحوابِ تغافلاً .



وهذه نسخة جواب بالإسعاف بالمقْصود ، كُتِبَ بها في جوابِ لكَاتبِ السِّرِّ عن نائبِ الشام ، في طَلَبِ إقطاع ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُباتة إجابةً للمطلوب ، وهي :

لا زال قَلْمُها يمدُّ على الإسلامِ ظِلًّا ظليلاً ، ويستجدُّ صنعا جميلاً ، ويأخذُ بأمرِ الله أعداءَ دينه أخذًا وبيلا ، ويقومُ باجتهدِه في مصالحِ المُلكِ النّهارِ كُلِّه والليلِ الأَقيلِ ؛ تقييلُ مواظِبِ على ولاءٍ لا يبيدُ له تبديلا ، وثناءٍ لو سمِعَه المُحبُّ فشافَه الأَحبابَ إذا لا تتخذوه خَليلا .

وينهى ورودَ مشرفة مولانا القديم فضلها ، الكريم وصلها وأصلها ؛ فوقف المملوكُ عليها ، وأصغى بجملة إليها ؛ وعلمَ مارسم به مولانا ، وأشار إليه تيانا ؛ وكذلك بلغه مملوكُه الولدُ فلان المشافهة الكريمة فخبدا من صاحب السِّرِّ أسراراً وإعلاناً ؛ وشكر لها مشرفةً ومشافهةً أوردوا الإحسانَ مني مني ، وسراً سمعه المملوكُ لفظاً وأستهداه معنى ؛ فما مننهما في الإحسان إلا زائده ، ولا في الصّلات إلا عائده ؛ لا جرم أن المملوكَ أقبل على قبيلهما بسمعِه وناظره ، وقلبه وخطيره ، وجمليته وسائرِه ؛ وأمتثل الإشارةَ العالية التي من حقها أن تُقدّم على كلِّ مهمٍّ يردُّ عليه ، وأمرٌ يتوجّه إليه ، ويدُ الزمان مشكورةً يأخذها منه بكلتا يديه ؛ وعين المملوكُ لوقته الإقطاع المطلوب ، وتقدّم بكتابةٍ مرتبته حسبَ مارسم من تجرى السعادة من سطره تحت مكتوب ؛ وجهها قرين هذه الخدمة ومن ذا يُقارنُ سبق ذلك الرّالمديد ، وكيف تُوازي

الرُبْعَةَ كِتَابًا هُوَ بِالْإِحْسَانِ لِلْعُنُقِ تَقْلِيدٌ؛ لَابْرِحَتْ مَرَامِمْ مَوْلَانَا مَعْدُودَةً مِنْ رُسُومِ نِعَمِهِ، وَمَشْرِفَاتِهِ مَحْسُوبَةٌ مِنْ تَشْرِيفَاتِهِ الَّتِي يَحْمَلُهَا عَلَى أبنَاءِ حَبِيْبِهِ وَخَدَمِهِ .

النوع الثاني عشر

(في الشكر)

قال في "مواد البيان" : رِقَاعُ الشُّكْرِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُودَعَةً مِنَ الْإِعْتِرَافِ بِأَقْدَارِ الْمَوَاهِبِ، وَكِفَايَةِ الْإِسْتِقْلَالِ بِمُحَقِّقِ النِّعَمِ، وَالْأَضْطِرَّاعِ بِجَمْلِ الْيَادِي، وَالنُّهُوضِ بِأَعْبَاءِ الصَّنَائِعِ، مَا يَشْحَذُ الْهِمَمَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا، وَيُوَثِّقُ الْمَصْطَلِحَ بِإِفَاضَةِ الصُّنْعِ؛ وَيَعْرُبُ عَنْ كَرِيمِ سَجِيَّةِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ .

قال : وَيَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَفْتَنَ فِيهَا، وَيَقْرَبَ مَعَانِيهَا، وَيَنْتَحِلَ لَهَا مِنْ أَلْفَاظِ الشُّكْرِ أَنْوَطَهَا بِالْقُلُوبِ: تَسْتَيْقِنَ نَفْسُ الْمُنْفَضِّلِ أَنَّهُ قَدْ آجَتْنِي ثَمْرَةٌ تَفْضُلُهُ، وَحَصَلَ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى أَعْضَائِهِ مَا بَدَّلَهُ مِنْ مَالِهِ أَوْ جَاهِهِ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ صَادِرَةً مِنَ الْإِتِّبَاعِ إِلَى رُؤُسَائِهِمْ، وَمَنْ يَرْجِعُ إِلَى آخْتِصَائِهِ وَأَثَرِهِ، أَنْ لَا تَنْبَغِي عَلَى الْإِغْرَاقِ فِي الشُّكْرِ: لِأَنَّ الْإِغْرَاقَ فِي الشُّكْرِ يَجْمَلُ هَذِهِ الطَّبَقَةَ عَلَى التَّمَلُّقِ الَّذِي لَا يَلِيْقُ إِلَّا بِالْأَبَاعِدِ الَّذِينَ يَقْصِدُونَ الدَّلَالََةَ عَلَى اسْتِقْلَالِهِمْ بِمُحَقِّقِ مَا أُسْدِيَ إِلَيْهِمْ؛ فَأَمَّا مَنْ صَفَّأَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ مَا يَدْفَعُ الشُّكَّ فِي اعْتِرَافِهِ بِالذَّلِّ لَدَيْهِ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَنِ الْمَبَالِغَةِ فِي الشُّكْرِ وَالْإِعْتِدَادِ؛ ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَذْهَبَ فِيهَا يَكْتُبُ عَنْ هَوْلَاءِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ مَذْهَبَ الْإِخْتِصَارِ، وَالْإِتْيَانِ بِالْأَلْفَاظِ الْوَجِيزَةِ الْجَامِعَةِ لِمَعَانِي الشُّكْرِ، دُونَ مَذْهَبِ الْغُلُوِّ وَالْإِفْرَاطِ، وَذُو الطَّبَعِ السَّلِيمِ، وَالْفِكْرِ الْمُسْتَقِيمِ؛ يَكْتَفِي بِسِيرِ التَّمَثِيلِ .

وهذه نسخٌ من ذلك :

أبو الفرج البيهقي، في شكر تابع لمتبوع :

أنا في سُكْرِه - أيده الله - مُبْرَهِنٌ عن مَوَاقِعِ إِحْسَانِهِ إِلَيَّ ، وَتَظَاهِرِ إِنْعَامِهِ عَلَيَّ ،
لَا مَقْدَرٌ أُنِيَّ مَعَ الْمُبَالَغَةِ وَالْإِسْهَابِ ، وَالْإِطَالَةِ وَالْإِطْنَابِ ؛ أَجَازِي عَفْوَ تَفَضُّلِهِ ،
وَلَا أَجَامِلُ أَيْسَرَ تَطَوُّلِهِ ؛ وَقَدْ وَسَمِنِي أَيَّدَهُ اللهُ مِنْ شَرَفِ أَصْطِنَاعِهِ ، بِمَا بَوَّأَنِي بِهِ
أَرْفَعُ مَنَازِلَ خَدَمِهِ وَأَتْبَاعِهِ ؛ وَإِلَى اللهِ أَرْغَبُ فِي تَوْفِيقِي مِنْ مَقَابِلَةِ ذَلِكَ بِالْأَجْتِهَادِ
فِي خِدْمَتِهِ ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي طَاعَتِهِ - لِمَا أَكُونُ بِهِ لِلزَّيْدِ مُسْتَوْجِبًا ، وَلِلْحُطَّةِ مُسْتَحِقًّا .

وله في شكر قريب :

فَرُوضُ الشُّكْرِ - أَعَزَّكَ اللهُ - لَا يَسْقُطُ بِقَرْبِ الْأَنْسَابِ ، وَلِذَلِكَ لَا أَسْتَحِيزُ إِغْفَالَ
الْوَاجِبِ عَلَيَّ مِنْهُ ، وَلَا أَجِدُ عُدُولًا فِي التَّسَامُحِ فِيهِ وَالْإِضْرَابِ عَنْهُ ، وَإِنْ كُنْتُ
غَنِيًّا عَنِ الْإِفَاضَةِ فِيمَا أَعْتَقِدُهُ مِنْ ذَلِكَ وَأَضْمِرُهُ ، وَأُبْدِيهِ وَأُظْهِرُهُ ؛ بِالْمُتَعَامَلِ مِنْ خُلُوصِ
النِّيَّةِ وَصِحَّةِ الْأَعْتَادِ ، فَلَا أَخْلَاكَ [اللهُ] مِنْ جَمِيلِ تُسَدِيدِهِ ، وَتَفَضُّلِ تَوْلِيهِ ؛ يَمْتَرِي
لَكَ الْمَزِيدَ مِنْ سِوَابِغِ النِّعَمِ وَفَوَائِدِ الشُّكْرِ .

وله : قَدْ اسْتَنْفَدَ مَادَّةَ شُكْرِي ، وَوَسَّعَ اعْتِدَادِي وَتَشْرِي ؛ نَتَابِعُ تَفَضُّلِكَ ،
وَتَوَالِي تَطَوُّلِكَ ؛ وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى التَّهْوِضِ بِشُكْرٍ مِنْهُ حَتَّى تَطْرُقَنِي مِنْكَ مِنْهُ ،
وَلَا أَحَاطُ بِمَجَازَاةِ نِعْمَةٍ حَتَّى تَفِدَّ عَلَيَّ مِنْكَ نِعْمَةً ؛ فَبِأَيِّ عَوَارِفِكَ أَعْتَرِفُ ، أَمْ بِأَيِّ
أَيَادِيكَ بِالْبِنَاءِ أَنْتَصِفُ ؛ فَقَدْ فَرِغْتُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِالْعَجْزِ عَمَّا يَلِزِمُ مِنْ فُرُوضِكَ ،
وَوَاجِبَاتِ حُقُوقِكَ ؛ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى سُؤَالِ اللهِ جَلَّ أَسْمُهُ بِإِيزَاعِي شُكْرَ مَا وَهَبَ مِنْكَ ،
وَالْتَجَاوَزُ لِلكَارِمِ وَالْفَضْلِ عَنْكَ .

وله : وقد شكرت بِرِّكَ الحليل موقِعَه ، اللطيف موضِعَه ، الخفيف محمَلَه ،
العذب منهلَه ، وشافهتكَ من ذلك بما اتَّسعت له القُدرةُ لا ما تقتضيه حقوقُ
المنَّة .

وله : أنا في الشكر بين نعمةٍ تُتقِنِي ، وعجزٍ عما يجبُ لك يُجِرْسِنِي ؛ ولسْتُ
أفزعُ إلى غير تجاؤزِكَ ، ولا أعتِمِدُ على غير مسامحتِكَ ؛ ولا أتطاولُ إلا بمكائِنِ
منك ، ولا أفأحرُ إلا بموقِعي من إيثارك ؛ فالحمْدُ لله الذي جعلني بولائك مشهوراً ،
وفي شركك مقصوراً .

على بن خلف :

رقعة : وينبى أن الله تعالى لما ألهم مولانا البرِّ ، ألهم المملوك الشكرَ ؛ فهو
لا يزال يُوسِعُ في البرِّ ويَزِيدُ ، والمملوكُ لا يزال يُبْدى في الشكرِ ويُعِيدُ ، ولكنَّ شتانَ بين
فاعلٍ وقائلٍ ، ومُعْطٍ وقابلٍ ، وواهبٍ وسائلٍ ، ورافِدٍ وحامِدٍ ، وشاكرٍ وشاكِدٍ ؛
والمملوكُ يحمَدُ الله تعالى إذ جعل يده الطويلَ ، وحظّه الأعلى .

رقعة : وصل بِرُّ مولانا وقد أحالت الخلةُ من المملوك حاله ، وأمالت آماله ؛
فلامت ماصدعه الدهرُ من مرّوته ، وجددت ما أخلقه من فروته ، فكفَّ المملوك
يديهِ [عن] امتحان الخللان ، وقبض لسانه عن شكاية الزمان ؛ وأقرَّ ماء وجهه
في قرّارته ، وحفظ على جاهه لباسَ وجاهته ؛ فيأله من بروق من الفقر ، موقِعَ
القطر من القفر ؛ ولم يتقدّمه من قدامة الوعد ، ما يتقدّم القطر من جهامة الرعد ؛
وكلُّ معروفٍ وإن فاضت ينابيعه ، وطالت فروعُه ، قاصرُ عن الأمل في كرمه ،
واقعٌ دونَ غاياتِ هممه ؛ كما أنَّ الشكر ولو واكب النجم ، وساكب السَّجْم ؛ قاصرٌ
عن مكافاة تفضُّله ، ومجازاة تطوُّله ؛ والمملوكُ يسأل الله تعالى الذي جعله قُدوةً

الكرام، وحسنة الأيام، وربّ الإنعام، وواحد الأنام؛ أن يُلهم المملوك من حمده، بقدر ما أسبغه عليه من رفده .

رقعة شكر : عند المملوك لسيدى أيدي وصلت سابقةً هَوادِيا ، وظلّت لاحقةً تَوَالِيا ؛ فصارتُ صُدورُها نسبا أعتري إليه ، وأعجازُها [سبباً أَعول في الملمات عليه] .

رقعة : لولا أن الله تعالى جعل الشكر ثمرة البرّ، والحمد جزاء الرّفد، وأراد إقرارهما على أهلِهما من الغابرين ، وأن يجعلَ لهم مِنّا لسانَ صدق في الآخِرين ؛ لكان الذي غمّر به مولانا من الإنعام ، يُتحدّثُ عنه تحدّثَ الرّياحِ بآثارِ الغَمِّ ؛ ويكفَى المملوكُ بالإشارة ، مَثونَةَ العبارة ؛ والمملوكُ وإن رام تَأديَةَ ما يلزمُه من شكره ، قاصرٌ عن غايةِ برّه ؛ ولو استَخدمَ ألسنةَ الأفلام ، واستغرقَ أمدَي النّثارِ والنّظام ؛ ومولانا جديرٌ بقبولِ السّيز ، الذي لا يُمكنُ الزّيادةُ عليه ؛ والصّفحُ عن التّقصير ، الذي تُفوّدُ الضّرورةُ إليه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : لو أنّ هذه العارِفةَ بكَرِ عوارِفه ، وبأكُورةٍ لَطائِفه ؛ لعجزتُ عن شكرها ، وقصّرتُ عن نَشْرِها ؛ فكيفَ وقد سبّقتها قرائنٌ ونظائرٌ ، وتقدّمها أترابٌ وصرائرٌ ؛ [مما] أنقلُ من المملوكِ كاهله ، وبَسَطَ به يَدَي أمله ؛ فما يَعدمُ شيئاً فِرَجِيه ، ولا يَفقِدُه فِرْعَبَ فيه ؛ والذي تُربُّه من المملوكِ جوارِحُه ، وتحوّيه جوائِحُه ؛ علمُه بأنه لا يُجارى أياديه ، ولا يُجازى مَساعِيه ؛ واللهُ تعالى يَحْضُه من الفضائل ، بمثل ما تَبَرَّع به من الفواضِل .

رقعة : ومثل مولانا من [ذوى الشرف] ^(١) والسودد من حسن محضره، وطاب
 محبره، وكرم غيبه ومشهده، وصح على تغاير الأحوال عقده ووده؛ وقد اتصل بالملوك
 ما عاره له مولانا من أوصافه، وجرى فيه على عادة فضله وإنصافه؛ فطفق لفضله
 شاكرًا، ولطوله ناشرًا؛ وأضاف ذلك إلى توالد إحسانه، ونظمه في عقد أمتيناه .

رقعة : قد طوق مولانا [مملوكه] من فضله طوقا كأطواق الحمام لا يُترع ،
 وألبسه بردًا من ربه لا يُخلع ؛ وأولاه من مزیده ما قصرت الهمة عن تمنيه ، ولم تهتد
 القريحة إليه فتستدعيه ؛ ولو وجد الملوك جزاء على عارفته ، وكفاء لمثوبته ، غير
 الموالاة الصريحه ، وعقد الضمائر على المودة الصحيحه ؛ واللّهج بالشكر ، فى السر
 والجهر ، لرمى من وراء عنايته ، ولا استبعد طول شقته ؛ ولكن الملوك عادم
 لما يقابل به يده الغزاة ، عاجز عما يقضى به حق موهبته الزهراء ؛ مالم يُحسن كرمه
 أمره ، ويقبل منه على التقصير شكره ؛ ويضف ذلك إلى لطائفه ، وينظمه فى سلك
 عوارفه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : وأجتهاد الملوك فى نشر أياديه وشكرها ، كأجتهاد مولانا فى كتانها
 وسترها ؛ فكلمأ أبديتها بالثناء أخفاها ، أو نشرتها بالإشادة طواها ؛ وهيات أن يخفى
 عرف كعرف المسك نشرًا ، ومن كالروضة نورًا والغزاة نورًا ؛ ولو كان الملوك
 والعياد بالله ستر هذا العرف بكفر ، وأغتمصه مانعًا لشكر ؛ لنم عليه حسنه بموم
 الصباح ، وتوقد توقد المصباح ؛ فكيف وللملوك مقول لا يسامى ^(٢) [يعجم سواد]
 اللبالي بالإحماد ، ويرقم صفحات النهار بالأعتداد .

(١) بياض فى الاصول والتصحيح من المقام .

(٢) فى الاصول « ولا يسامى اللبالي » الخ وزدنا ما يقتضيه المقام ويتم الكلام تأمل .

الأجوبة عن رقع الشكر

قال في "موادّ البيان" : [ان كانت] هذه الرّقع من المرؤسين إلى الرؤساء فلا جواب لها . وإن كانت من النّظير فالواجب أن يُستعمل في أجوبتها مندوبُ التناصّف والتفاوض .

جواب عن فعل المعروف والشكر عليه من كلام المتأخرين :

من ذلك، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الصدر :

خَلَدَ اللهُ عَلَى الْمَالِكِ نِعْمَهُ ، وَعَلَى الْمَالِكِ دَيْمَهُ ، وَحَرَّمَ بَقَائَهُ ذَمَّ الزَّمَانِ وَأَوْجَبَ ذِمَّهُ ؛ وَلَا بَرِحَ نَحْوُ الْحَمَامِدِ يُنَادِي يَوْمَ الْكَرَمِ مُفْرَدَهُ وَيَوْمَ الْهِجَابِ عَمَّهُ . تَقْبِيلًا يَسْحَبُ فِي الْفَخَّارِ بُرُودَهُ الْمُعْلَمَهُ ، وَيَتَذَكَّرُ بِالْقُرْبِ فَلَا يَزَالُ الشَّوْقُ يُنْتِجُهُ حَيْثُ كَلَّا التَّدْكَارَ وَالْعَهْدَ مُقَدَّمَهُ .

وينهى ورود المثال العالى بما ملاً القلب خيراً واليدِ برآ ، والسمع إشارةً والوجه بشراً ، حتى تنافست الأعضاء على تقبيله ، والجوارح على تأميله ؛ فاليدُ تسابق إلى منته بالامتداد ، والقلب يسابق إلى كرم عهده بالاعتداد ؛ والوجه يقبّل ناظره في سماء مواقع القلم ، والسمع ينعم بما تقص عليه المسار من أخبار جيرة العلم ؛ حتى كاد المملوك يحو بالتقبيل أسطره ، ويستغل بذلك عن استجلاء ما ذكره المنعم لاعدم المملوك في مصر والشام تكررهِ ؛ وفهم ما أشار مولانا إليه من الفضل الذي مولانا أهله ، وكرم العهد الذي لا يُنكر من مثله وأين مثله ؛ وقابل المملوك جميع ذلك بجهده من الأدعية الصالحة ، وبسماحة الحمد المتفاحه ؛ والاعتداد بنعمة مولانا التي لولا [موالئها] ^(١) كلّ وقتٍ لقليل فيها « ما أشبه الليلة بالبارحة » وتضاعف

(١) بياض في الأصل والتصحيح من المقام .

هُوَ الْمَمْلُوكُ عَلَى قَدَمِ الْمَوَالَاةِ الَّتِي [يَسْتَشْهِدُ] فِي دَعْوَاهَا بِشَهَادَةِ الْخَاطِرِ الشَّرِيفِ ، وَيَتَقَدَّمُ بِهَا تَقَدُّمًا تَحْتَ لَوَاءِ الْوَلَاءِ وَتَأْتِي بَقِيَّةَ الْأَوْلِيَاءِ فِي اللَّفِيفِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوزِعُ الْمَمْلُوكَ شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ الْمُتَّصِلِ مَدَّدَهَا ، وَالْمِنَّنِ الَّتِي لَا يَعْدُمُهَا وَلَا يَعْذُّهَا ، وَيَطِيلُ بَقَاءَ مَوْلَانَا لِحَمْدِ يَجْتَلِيهِ وَيَجْتَنِيهِ ، وَشَرَفِ دُنْيَا وَأَجْرَى يَهْدُمُ وَفَرِهِ وَعُمُرِهِ وَيَبْنِيهِ .

النوع الثالث عشر

(العتاب)

قال في "مواد البيان" : المكتبة بالمعابة على التحول عن المودة والاستخفاف بحق الخلة من المكاتب التي يجب أن تستوفي شروطها، وتكمل أقسامها : لأن ترخيص الصديق لصديقه في المقاطعة والمصارمة دال على ضعف الاعتقاد ، وأستحالة الوداد .

من كلام المتقدمين :

إِنِّي مَا أَحْدَثْتُ نَبْوهَ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَحْدَثْتَ جَفْوهَ؛ وَلَا أَبْدَيْتُ هَجْرًا، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَبْدَيْتُ غَدْرًا؛ وَلَا لَوَيْتُ وَجْهًا عَنِ الصَّلَاةِ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ ثَبَيْتَ عِطْفًا إِلَى الْقَطِيعَةِ؛ وَالْأَوَّلُ مَنَّا جَانٌ، وَالثَّانِي حَانٌ؛ وَالْمُتَقَدِّمُ مُؤَثِّرٌ، وَالْمُتَأَخِّرُ مُضْطَّرٌّ؛ وَكَمِ بَيْنَ فِعْلِ الْمُخْتَارِ وَالْمُكْرَهِ، وَالْمُبْتَدِعِ وَالْمُتَّبِعِ .

آخِر : إِنْ أَمْسَكْتُ يَاسِيدِي عَنِ عَيْتَابِكَ ، مُرْخِيَا مِنْ عَيْنَانِكَ ؛ كُنْتُ بَيْنَ قَطْعِ لِحْبِكَ ، وَرِضَا بِفِعْلِكَ ؛ أَوْ اقْتَصَرْتُ فِيهِ عَلَى التَّلَوُّجِ بِهِ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ مَعَ كَثْرَةِ جُوحِكَ ، وَشِدَّةِ جُنُوحِكَ ؛ وَمَا آرْتَكَبْتَهُ مِنْ رَائِكِ ؛ وَأَسْتَخْرَجْتَهُ مِنْ جَفَائِكَ .

رقعة عتاب : لمولانا لدى المملوك عوارف لا يتبدى إلى معرفتها فوفيتها كنه المراد، وأياد لا يبلغ ما تستحقه من الإحاد ؛ ولو عَصَدْتَهُ خُطْبَاءُ أَيَادٍ ، أَجْلُهَا فِي نَفْسِهِ خَطْرًا ، وَأَحْسَنُهَا عَلَيْهِ أَثْرًا ؛ مَا يَفْرِضُهُ لَهُ مِنْ بَرٍّ وَإِكْرَامِهِ ، وَتَعَاهِدِهِ وَأَهْتَامِهِ ؛ وَقَدْ غَيْرَ مَوْلَانَا عَادَتَهُ ، وَتَقَضَّ شِمْتَهُ ؛ وَبَدَّلَ الْمَمْلُوكُ مِنَ الْإِنْعَافِ بِالْإِعْرَاضِ ، وَمِنَ الْإِنْسِاطِ بِالْإِنْقِبَاضِ ؛ وَحَمَلَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَوْهَى قُوَى صَبْرِهِ ، وَأظْلَمَ بَصَائِرَ فِكْرِهِ ؛ فَإِنْ يُكُنْ ذَلِكَ لِحَطِّهِ وَاقَعَهُ الْمَمْلُوكُ سَاهِيًا ، وَجُرْمَ أَجْرَمِهِ لَاهِيًا ؛ فَمَنْ لَمْ يَمَوْلَانَا لَا يُطَالِبُ إِلَّا بِالْقَصْدِ ، وَلَا يُعَاقِبُ إِلَّا عَلَى الْعَمْدِ ؛ إِذْ كَانَ الْمَمْلُوكُ لَا يُعَصِّمُ مِنْ زَلَلٍ ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ حَلَلٍ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَوْلَانَا أَرَادَ مِنَ الْمَمْلُوكِ تَقْوِيمَهُ وَتَأْدِيبَهُ ، وَإِصْلَاحَهُ وَتَهْدِيَةَ : لِيُحْسِنَ أَثْرَهُ فِي خِدْمَتِهِ ، وَيَسْلُكَ السَّبِيلَ الْوَاضِحَ فِي تِبَاعَتِهِ ، فَلَا أَعْدَمَ اللَّهُ الْمَمْلُوكَ تَثْقِيفَهُ ، وَلَا سَلَبَهُ تَبْصِيرَهُ وَتَعْرِيفَهُ ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَشَكِّ عَرَضَ مِنَ الْمَمْلُوكِ فِي وِدَادِهِ ، وَآرْتِيَابِ خَاصَرٍ فِي حُسْنِ اعْتِقَادِهِ ؛ فَأُعِيدُهُ بِاللَّهِ مِنَ الْقَطْعِ بِالشُّبُهَاتِ ، وَالْعَمَلِ بِمَنْغِلِ السَّعَايَاتِ ؛ وَمَوْلَانَا خَلِيقٌ بَانَ يُطْلَعُ مِنْ أُنْسِ الْمَمْلُوكِ مَا غَرَبَ ، وَيُنْبِطُ مِنْ سُورِهِ مَا نَضَبَ ؛ وَيُعِيدُهُ لِرِضَاهُ ، وَيُجْرِيهِ عَلَى مَا أَحَدَهُ مِنْهُ وَأَرْضَاهُ .

رقعة : ليس المملوك يرفع مولانا في إعراضه ، إِلَّا إِلَى فَضْلِهِ ، وَلَا يُجَاكِمُهُ عَلَى انْقِبَاضِهِ ، إِلَّا إِلَى عَدْلِهِ ؛ وَلَا يَسْتَعِينُ عَلَيْهِ إِلَّا بِمَا يَسْتَمْلِيهِ مِنْ آدَابِهِ ، وَلَا يَنْظُرُهُ إِلَّا بِمَا أَخَذَهُ عَنْهُ مِنْ مُحَافَظَتِهِ وَإِيحَايِهِ ؛ إِذْ كَانَ الْمَمْلُوكُ مُدَّ وَصَلَتَهُ السَّعَادَةُ بِجِبَالِهِ ، نَاسِجًا عَلَى مَنَوَالِهِ ؛ مُتَقَبِّلًا شَرَائِفَ خِلَالِهِ . وَمَا عَهْدَتُهُ عَمَّرَ اللَّهُ مَعَاهِدَهُ ، وَكَبَّتْ

(١) لعله للولى .

(٢) يقال أنظلم حديثا سمعه نم إليهم به أنظر اللسان ج ١٤ ص ١٩٤ .

حاسده ، يغضبُ تقليدًا قبل الاختبار ، ويُخوج البريء إلى موقف الاعتذار ، ولا سيمًا إذا كان المظنونُ به عالمًا بشروط الكرم ، عارفًا بمواقع النعم ، لا يتسَخ الشكر ، بالكُفر ، ولا يتعوّض عن الحمد ، بالتحذُّر ، وقد عرفَ مولانا ثناء المملوك على تفضاله ، ووقف على بلائه لأعماله ، وهو وفيٌّ بربِّ عوارفه وصنائعه ، وتتمير مارهن لذيته من ودائعهِ ، وتنزيه سمعه عن الإصغاء إلى ما يختلِّقه حاسد ، ويصوغه كائد ، وقد حكّم المملوك على نفسه نقدَه الذى لا يهرج عليه ولا يدلّس ، وكشفه الذى لا يعطى عليه ولا يلبس ، فليحكّ أفعال المملوك على محكِّ بصيرته ، وليجمل فى تأمل مقاصده طرفَ فكرته ، فإنه ممن لا تُحيله الأحوال ولا تُحوّله ، ولا تُغيّره الغير ولا تُبدله ، إن شاء الله تعالى .

رقعة : أفعالُ شكر المملوكِ فى الحلم والغضب ، والرضا والسخط ، إذا لم يقتض الحزمُ إيقاعها موقعَ الفضل ، واقعةً موقعَ الإنصاف والعدل ، ولا يغلب هواه على رأيه ، ولا بادرتَه على أناته ، وقد جانبَ مع المملوك عادته ، وبأين فيه شيمته ، وناله من إعراضه ، وجفائه وأتقباضه ، وتغيُّر رأيه ، ما وسمَ المملوك فيه بالذنب ولم يُذنبه ، وحمله على الجرم ولم يَحْتَقِبْهُ ، وأوقفه لذيته موقفَ الاعتذار ، وأحوجه إلى الإستقالة والإستغفار ، وليس المملوك يُحاكمه إلا إليه ، ولا يُعول فى الانتصاف إلا عليه ، وما أولاه بأن يعيد المملوك إلى محله من رضاه ، فإنه لم يُواقع فى خدمته إلا ما يرضاه ، وحسبه شاهدًا بذلك ما يعلم من المملوك من سَلَامَةِ غِيْبِهِ ، وطهارة جِيْبِهِ ، وفضلُ وُدِّهِ ، وصحّة معتقده ، إن شاء الله تعالى .

(١) كذا فى غير أصل ولعله "أفعال شيم المولى" ليستقيم الكلام بعد .

(١)

رقعة بمعاتبية على :

كُلُّ مانِعٍ مَالِدِيهِ مَنْ رَغِبَهُ ، دَافِعٍ عَمَّا عِنْدَهُ مَنْ طَلَبَهُ ؛ فَسْتَغْنَى عَنْهُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى
 الْمُبْتَدِيَّ بِالنَّعْمِ ، الْعَوَادُ بِالكَرَمِ ؛ وَلَوْ عَرَفَ مَوْلَانَا بَطْعَمَ شَجَرَةِ الْمَعْرُوفِ ، لِأَسْرَعِ
 إِلَى آحْتِذَائِهَا ، وَلَوْ عَلِمَ مَالَهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ فِي مَالِهِ وَجَاهِهِ ، لَمْ يُقَصِّرْ عَنْ
 أَدَائِهَا ؛ غَيْرَ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الْفَوْزَ بِالْوُجُودِ ، غَايَةُ الْمَجْدِ ، وَأَنَّهُ إِذَا أَحْمَدَ النَّسَبَ غَنَى عَنْ
 الْحَمْدِ ؛ وَأَنَّ النِّعْمَةَ تُرْتَبُطُ بِالرِّبْطِ عَلَيْهَا ، وَتَنْصَرِفُ بِالنَّصْرِ فِيهَا ؛ وَمَا سَاءَ الْمَمْلُوكُ
 أَنْ تَنْزَهُ عَنْ تَقَلُّدِ مِنَّةٍ لَيْمٍ ، وَحُرْمِ مَحْمَدَةٍ مِنْ كَرِيمٍ ؛ وَهَذَا الْحِرْمَانُ أَحْسَنُ وَاللَّهُ
 فِي عَيْنِ الْمَمْلُوكِ مِنَ النَّوَالِ ، وَهَذَا الْإِكْدَاءُ أَوْلَدِيهِ مِنْ بُلُوغِ الْأَمَالِ ؛ وَسَيَنْشُرُ الْمَمْلُوكُ
 مَذْهَبَهُ فِي كُلِّ نَادٍ ، وَيَكْفُفُ عَنْهُ أَمَانِي الْقُصَادِ ؛ وَيَكْفِيهِ مَثُونَةَ الْأَعْتَادِ ، وَيَصُونُهُ
 عَنْ أَنْ تُبَدَّلَ إِلَيْهِ وَجُوهُ الْأَحْرَارِ : لِيَعْلَمَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ عَلَى مَنْعِهِ لَمْ يُقَصِّرْ فِي بُلُوغِ
 أَوْطَارِهِ ، وَالسَّعْيِ فِي إِيْثَارِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رقعة في المعنى : مارد المملوك بر مولانا مستنزرا لقليله ، ولا لايمًا لنفسه على
 تأميله ؛ لِكِنَّهُ آتَجَمَعَهُ أَنْتِجَاعَ مَنْ ظَنَّهُ عَارِفًا بِقُدْرِهِ ، رَاغِبًا فِي شُكْرِهِ ؛ فَلَوْ أَعْضَى
 الْمَمْلُوكُ مِنْهُ عَلَى الْأَطْرَاحِ لِأَمْرِهِ ، لِأَسْتَدَلَّ مِنْهُ عَلَى قِصْرِ الْهِمَّةِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَوْمَهُ
 بَدُونِ الْقِيَمَةِ ؛ لِأَسْمِيًا وَهُوَ يُفْرَضُ لِمَنْ لَا يُجَارِي الْمَمْلُوكَ فِي مِضْهَارِ ، وَلَا يُسَاوِيهِ
 فِي مِقْدَارِ ؛ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ بِتَأْمِيلٍ وَرَجَاءٍ ، وَتَقْدِيمِ ذَرِيعَةٍ مِنْ تَقْرِيطِ وَشَاءٍ ، مَا تَضَيَّقَ
 عَنْهُ الْهَمُّ الْفِسَاحَ ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْإِقْتِرَاحَ .

(١) بياض في الأصل ولعله « على منع عطاء » .

(٢) لعله « نرة المعروف ... الى اجتنانها » تأمل .

رقعة عتاب، على تقصير في خطاب :

حوشى مولاي أن يجرّ الذيل على آثار فضله ، وميبت من غروس إحسانه
 ماهو جدير أن يتعهده بوبله ؛ ويعنى منى رسوم كرمه ، ويصدع بجانبه الإنصاف
 صفاة صفاته وصفائه ، وينطق الألسن بعبابه ؛ ويصلي سيف التائب من قرابه ؛
 بما استحسنة من مستقبح المصارمة في مخاطبه ، وأستوطاه من جاح التريث
 في المكاتبه ؛ ولا سيما وهو يعلم أن موقع الإكرام من الكرام ، أطف من موقع
 الإنعام ؛ وأن محلّ القول ، أفضل من محلّ النوال ، وأن تغير العادة في البر ، مقوض
 لمعاهد الشكر ؛ وسبيح (؟) السنة في الإنصاف ، قاض بالإنصراف بعد الإنعطاف ،
 وقد كان المملوك أزعج أن يتحمل تقصيره به ، وأن يقلّ من غربه ، غير مطاوع
 للحمية ، ولا منقاد لنفس العصبية ، ولا يقرع سمعه بعتاب ، ولا يورد عليه مضم
 خطاب ؛ ثم رأى المملوك أن يرشده إلى الأزين ، ويعتسه على اعتماد الأحسن ؛
 ويخصه على مراجعة الأفضل ، ومعاودة الأجمل : ليتحفظ مع سواه ، ولا يجرى
 مجراه ؛ فليس كل أحد يتحمّله ، ويرضى رضا المملوك بما يفعله ؛ فولانا حبب الله
 إليه الرشد ، ووقفه إلى المنهج الأسد ؛ هل هو من شيء سوى بشر ؛ فما هذا التيه
 والبطر ؟ ولم هذا الأزل والأشهر ؟ وما فعل الرئيس إلى ما يصغر عنه قدر ؛
 ولا ييأس من نيئه عمر ؛ ولا مضت أعلامك في الأقاليم ، ولا أشير إليك بننان
 التعظيم ؛ ولا فوضت إليك الوزارة والردافه ، ولا تأمرت على الكافة ؛ ولا طاولت
 الأكفاء فطلت ، ولا ناضلت القرناء فنضلت ؛ وإنما سرق إليك الحظ من ميماده
 وسلا مضرّدا ، وأدر لك الدهر من أخلافه مجدّدا ، فافتتحت المعاملة بظلم
 الإخوان ، ونسخ شمرايع الإحسان ؛ كذبتك نفسك ، وغرّك حدسك ؛ كيف بك
 غدا إذا استردّ الزمن ما خولك ، وأسترجع ما نولك ؛ وصحوت بالجزل من سكرة

(١) والوَالِيَّه، وتفرقت بعد طلب الغايه ؛ وُعدتَ إلى إخوانك فوجدتَ أوطانَ أَنسهم بك نايه ، ونفوسهم للإقبال عليك آييه ؛ ولو كان الزمنُ أمكنك من رقبتي ، وطرق لك الطريقَ إلى إيداع عُرفك في جهتي ؛ لنبُح بك أن تطول بطولك ، وتدعي الفضلَ بفضلك ، ولم يحسن أن تبدل الإنعام ، وتضمن بالالتزام ؛ فإن كنت تفخر بسلفك وأبوتك ، وتطاول بأوليتك وأسرتك ؛ فلو كان أبوك كسرى ، لما جبر منك كسرا ، ولو كان جدك بُحْت نصر ، لما أنتفعت به في مظاهرة ولا نصر ، فدع أكثر مافات ، ولا تعول على العظام الرفات ؛ فاستند إليها إلا عار من الفضل عاظ من الحلي . على أنك لو فخرت بها لفخرناك ، وتقدمنا وأخرناك ؛ وإن كنت تستند إلى ديانتك ، وتعتمد على نسكك وأمانتك ؛ فهذه خالص حال لا تخلص مرتبتها ولا تتم فضيلتها إلا باستشعار التواضع ، والأخذ بمكارم الأخلاق لدى التنازع ؛ فارجع هديتك إلى الأجل^(٢) ، وأعمل بالأفضل ، وقف بحيث ربتك ؛ ولا تنشوف إلى غير درجتك ؛ وإن أبيت ذلك فأقطع المراسله ، وأعفها من المواصله ، والسلام .

رقعة عتاب على تأخر المكتبة :

من حُكم الوداد - أطل الله بقاء سيدي - الزيارة عند المقاربة ، والمكتبة عند المباعده ؛ وإن كانت المودة الصريحة لا يغيرها اجتناب ، إلا أن الكتب السن العباد ؛ والأعين التي تنظر حقائق الوداد ، ولها في القلوب تأثير ، وموقعها فيها أثير ؛ وحوشي مولانا أن أهنر أريحيته لما يؤكده الثقة بإخائه ؛ ويشهد بوفائه ؛ ولا سيما وهو يفرض ذلك لأحبتة ، وقوله واجب في شرع مودته .

(١) لعله « وتقهرت » . (٢) في الأصل « عديتك » .

رقعة في معناه :

إِنِ ابْتَدَأَ الْمَلُوكُ مَوْلَانَا لَمْ يُجِبْ ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْإِبْتِدَاءَ لَمْ يُوجِبْ ؛ فَلَا حَقَّ
الْإِجَابَةَ تُؤَدِّيهِ ، وَلَا نَاجِرَ الْمَسْأَلَةِ تَقْضِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ إِذَا شَخَّصَ غَابَتْ عَنْ فِكْرِهِ
أَشْخَاصُ أَحَبَّتِهِ ، وَإِذَا بَعُدَ عَامِلُهُمْ بِتَجَافِيهِ وَجَفَوْتِهِ ؛ فَقَدْ كَانَ يَبْنِي أَنْ يَتَكَلَّفَ
وَيَتَجَمَّلَ ، وَيَتَصَنَّعَ وَيَتَعَمَّلَ : فَإِنَّهُ لَوْ عَلَّلَ مَشُوبًا بِالْإِنْتِظَارِ ، أَوْ اعْتَذَرَ مَرْمُضًا
بِالْاعْتِذَارِ ؛ لَأَقَمْتُ ذَلِكَ مَقَامَ الْمُكَاتِبَةِ ، وَصُنَّتَهُ عَنْ مَحْضِ الْمُعَاتَبَةِ ؛ لَكِنَّهُ مَالٌ مَعَ
الْمَلَالِ ، وَرِضَى الْأَطْرَاحِ وَالْإِهْمَالِ ؛ وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَقِيلٌ بِالْإِخْوَانِ ، مُتَنَقِّلٌ مَعَ
الزَّمَانِ ؛ وَأَرْجُو أَنْ تَصُدَّقَ الْمَخِيَلَةَ ، وَيَرْجِعَ إِلَى الْعَادَةِ الْجَمِيلَةِ .

رقعة معاتبية رجل كريم الأصل لثيم الفعل :

قَدْ عَرَفَ مَوْلَانَا وَفَقَهُ اللَّهُ وَوَقَفَهُ عَلَى مَنَهْجِ الرَّشَادِ ، أَنَّ جُنَايَةَ الْغَضَبِ الذَّمِيمِ ،
تَقْدَحُ فِي كَرَمِ الْإِنْسَانِ الْكَرِيمِ ؛ وَأَنَّ قَبِيحَ الصَّلَفِ ، يَنْسَخُ تَلِيدَ الشَّرَفِ ، وَخِيْبَتَ
الذَّرِيَةِ ، يُعْنَى عَلَى طَيْبِ الْمَنَاحِثِ الرَّكِيهِهِ ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ لِمَنْ تَحَلَّى بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ،
وَتَلَبَّسَ بِالنُّكْثِ وَالْعَدْرِ ، وَسَاحَ نَفْسَهُ بِأَطْرَاحِ الْحُقُوقِ ، وَأَسْدَيْطَاءِ الْعُقُوقِ ؛
إِلَّا إِضَاعَةُ الْحَرَمِ ، وَإِخْفَارُ الذَّمِّ .

المعاتبية من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ صَارَ يَرَى قُرْبَهُ أَرْوَارًا ، وَطَوِيلَ سَلَامِهِ أَخْتِصَارًا ؛
وَيُغَالِطُ فِي ذَلِكَ حَتَّى شَاهَدَهُ عِيَانًا مَرَارًا ؛ هَذَا وَيُكْرِ الْوَلَاءَ ، صَقِيلَةُ الْحِلَابِ ،

(١) جنت الانسان أصله . وقع في الأصل "الحديث" وهو تصحيف .

وعروسُ الثناء، جميلةُ البرّةِ حسنةُ الشباب، وهو لا يفتأ من الموالاة في صعدٍ وقدره في صَبَبٍ؛ فكلُّنا مَكْنٌ وتَدَّ الاستِعْطافُ يَرْجُو عَدَمَ تَخْلُضِهِ فُجْصِلَ بِأَيْسَرِ سَبَبٍ؛ بحيثُ أطفأ الإهمالُ نارَ المُسَاعَفَةِ والمُسَاعَدَةِ، وانتقلَ تَوَهُمُ عَدَمِ العِنايةِ إلى تَيَقُّنِ وُجُودِهِ بالمُشاهدَةِ؛ وقد كانَ يُرْفَعُ قدرُهُ نُحْفُضُ، وِعَوْضُ في الحَالِ عَنِ الرَّفْعِ بِالِابْتِدَاءِ، أَنَّهُ مُفْرَدٌ وَيُنْصَبُ كَالنِّكْرَةِ في النِّدَاءِ، وَأَهْمَلُ حَتَّى صَارَ كَالْحُرُوفِ لِأَسْنَدِ وَلَا يُسْنَدُ إِلَيْهَا، وَأُلْفَى حَتَّى شَابَهَ ظَنَنْتُ إِذَا وَقَعَتْ مُتَأَحَّرَةً عَنِ مَفْعُولَيْهَا؛ وَمَتَى يَقْتَلِقُ لِأَمْرٍ، أَسْنَدَ نَفْسَهُ * مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ *

وكانَ يَغْشَى مُجْلِسَهُ الكَرِيمِ خِدْمَةً وَأَدَاءً لِلوَاجِبِ، وَطَلَبًا لِعَادَةٍ أَكْرَمَهَا إِحْسَانُهُ حَتَّى صَارَتْ ضَرْبَةً لِزَبِّ؛ فَلَا يَخْلُو مُجْلِسٌ مِنْ إِظْهَارِ تَغْيِيرِ عَادَةٍ وَطَدِّ الْجُودِ أَسَاسَهَا، وَأَتْتَقِضُ قَاعِدَةَ أَرْبَمِ الكَرَمِ أَمْرَاسَهَا؛ فَيَنْقَطِعُ سُلُوكًا لِلأَدَبِ وَتَخْفِيفًا عَنِ الخَوَاطِرِ، وَيَتَلَقَّى مَا يَصْدُرُ بِقَلْبٍ شَاكٍ وَلِسَانٍ شَاكِرٍ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ عَزَمَ مَوْلَاهُ عَلَى طَرْدِهِ، وَعَوْضَهُ عَنِ مَنَحَةِ الثُّرْبِ المِحْنَةَ بَعْدَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْبَى ذَلِكَ جُودَهُ وَلُطْفَهُ، وَمَعْرِفَهُ يُشْكِرُ وَيَزِيدُ لَا يَمِكنُ صَرْفُهُ؛ وَلَوْ جَازَ الصَّرْفُ لِمَجْتَرِدِ ^(١) بِالْعُبُودِيَةِ لَمَنَعَهُ العَدْلُ مِنْ سَيِّدِهِ، وَالْحِلْمُ الَّذِي عُرِفَ مِنْ كَرِيمٍ مَحْتَدِهِ؛ فَكَانَ المَمْلُوكُ يَسْتَحْسِنُ فِي حَبْرَةٍ وَسَبْرِهِ، وَيَعْوِضُ عَنِ مَقَابَلَتِهِ بِجَبْرِهِ؛ فَقَدْ صَارَ سَمِينُهُ غَنًّا وَشَحْمُهُ رَمًا، وَحَدِيثُهُ رَتًّا وَسَهْلُهُ عَلَمًا:

وَعَيْنَ الرِّضَا عَنِ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ * كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

وَمَا تَمَّ بِمَجْدِ اللَّهِ مَا يُوجِبُ ذَلِكَ وَلَا بَعْضَهُ، وَلَا يُحَدِّثُ ذَمَّ المَمْلُوكِ وَبُغْضَهُ؛ وَلَوْ بَدَأَ مِنْهُ زَلٌّ، أَوْ لَمَحَ مِنْهُ خَطَلٌ؛ فَفَكَارَمُ مَوْلَانَا أَوْسَعُ مِنْ إِبْقَاءِ ذَلِكَ فِي صُدُورِ الصُّدُورِ، وَ[أَحْرَى بِ] مَحْوِ آيَاتِ السِّيئَاتِ فَإِنَّهُ لَمِنَ عَزَمِ الأُمُورِ.

(١) بياض بالأصل ولعله « لمجرد الشك بالعبودية »:



وله : يُخْذَمُ بُدْعَائِهِ ، وَصَادِقٌ وَلَائِهِ ؛ وَيُنْهَى أَنَّهُ أَنْكَسَرَ خَاطِرُهُ ، وَأَرِقَ جَفْنُهُ
وَنَاطِرُهُ ؛ وَتَضَاعَفَ بَلْبَالُهُ ، وَتَزَايَدَتْ فِي النَّقْصِ أَحْوَالُهُ ؛ مِنْذُ تَأَخَّرَتْ الْأَمْثِلَةُ الْكِرَامُ ،
وَأَنْقَطَعَتْ عَنْهُ بَانِقَطَاعِهَا مِنَ الْحِسَامِ ؛ وَهُوَ يَسْأَلُ الْعَفْوَ عَنْ ذَنْبٍ وَقَعَ ، وَتَشْرِيفَهُ
بِمِثَالِ يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ مَا وَضَعَ ؛ وَاسْتِعْمَالَ الصَّفْحِ عَنْهُ كَسَائِرِ عَادَاتِهِ ، وَإِجْرَاءَهُ عَلَى
اللُّطْفِ الَّذِي أَلْفَهُ مِنْ تَفَضُّلَاتِهِ ؛ فَقَدْ ضَعُفَ صَبْرُ الْمَمْلُوكِ وَجَنَانُهُ ، وَتَفَرَّقَ لِلْفِرَاقِ
جَفْنُهُ وَإِنْسَانُهُ ؛ وَصَغُرُ قَدْرُهُ ، وَأَهْمِلَ جَانِبُهُ وَمَنْ أَمَرَ بِإِهَابَتِهِ نَحْرَهُ ، وَلِهَذَا ضَاقَتْ
عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ ، وَكَانَ لِسَانُ حَالِهِ [يَنْشُدُ] فِي ذَلِكَ :

وَأَهْتَبِي فَأَهَنْتِ نَفْسِي عَامِدًا * مَا مِنْ يَهْوٍ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَكْرُمُ !

والمملوك معترف بأنه مازال يجهل ما يجب عليه من الخدم، ومقر بتقصيره عن القيام
بجمل ما يواصل به من النعم؛ لكنه ألف من مولانا أن يقابل إساءته بالإحسان،
وجهله بصفح لا يقوم بشكره اللسان، بل جميع الجثمان؛ فإن كان ذنب من المملوك
هو الذي أوجب أطراحه، وأوجد أسفه وأذهب أفراحه؛ وكان أيسر مما تقدمه
من جهله وإساءته، فلهمك جدير أن يلحقه بإخوته؛ وإن كان قد تزايد مقداره،
فالمولى قد تضاعف على العفو اقتداره؛ وإذا كبرت الخطيئة كثر أجر عفرانها،
وعلت المجاوزة عنها على أقرانها؛ وعلى كلاً الأمرين فقد استحق المملوك المغفرة بكل
طريق، وأن يقابل رجاؤه بالتحقيق، وأمله بالتصديق.



وله : وَيُنْهَى أَنَّهُ مَازَالَ يَشْلُو آيَاتِ مَحَاسِنِهِ وَحَمْدِهِ ، وَيَرْفَعُ رَايَاتِ إِحْسَانِهِ
وَجَمْدِهِ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ وَلَا يَتَوَلَّى عَنْ مَحَبَّتِهِ ، وَيُكْثِرُ الثَّنَاءَ عَلَى الْمَعْنَى فِطْنَتِهِ وَجَزِيلِ

مُرُوتِهِ ؛ وَقَدْ صَارَ يُشَاهِدُ مِنَ الْمَوْلَى مَلَالًا وَصُدُودًا ، وَإِعْرَاضًا يَغِيظُ بِهِ صَدِيقًا
 وَيُسْرِبُهُ حَسُودًا ؛ وَأَطْرَاحًا أَوْهَمَهُ أَنَّهُ أَلْفٌ وَصَلَّ دُرُجَتٌ ، أَوْ لَفْظَةً هُجْرًا لُقِظَتْ ؛
 وَلَا يَعْرِفُ لَهُ ذَنْبًا يُوجِبُ إِعْرَاضَهُ ، وَلَا جُرْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ أَنْ يَنْقُضَ حَبْلَ وَصَلِهِ
 وَيَرْفُضَ وِدَادَهُ ؛ وَلَا يَعْلَمُ سَبَبًا يُوجِبُ سَبَّهُ ، وَلَا شَيْئًا يُحْدِثُ عَنَبَهُ ؛ مَعَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ
 أَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِالْإِعْرَاضِ ، وَيَرْفَلَ مِنْ إِغْفَالِ مَوَدَّتِهِ فِي الثَّوْبِ الْقَضْمَاضِ ؛ فَإِنَّ
 الْمَوْلَى أَلَمَهُ بِالْقَوْلِ مِرَارًا ، وَجَعَلَ سَحَابَةً حَيْفَهُ تَهْمِي عَلَيْهِ مِدْرَارًا ؛ وَهُوَ يَحْتَمِلُ
 الْأَذَى ، وَيُعْضِي عَلَى الْقَذَى ؛ وَلَا يُظْهِرُ إِلَّا مَحَبَّةً ، وَلَا يُبَيِّنُ لَهُ إِلَّا مَوَدَّةً ؛ فَإِنْ
 شَاهَدَ الْمَوْلَى بَعْدَ إِعْرَاضِهِ إِعْرَاضًا فَلَيْلِمُ نَفْسَهُ ، أَوْ أَحْرَقَهُ لَهَبُ نَارِ الْحَفَاءِ فَلَا يَشْكُو
 مَسَّهُ ؛ يُحِيطُ بِذَلِكَ عُلَمَاءُ ، وَرَأْيُهُ الْعَالِي .

شعر في العتاب :

مَوْلَايَ قَدْ طَالَ التَّبَاعُدُ بَيْنَنَا * أَوْ مَا سَمِئَتْ قَطِيعَتِي وَمَالِي !
 إِنْ لَمْ تَرَقَّ لِحَالَتِي يَا هَاجِرِي * مَوْلَايَ قُلْ لِي مَنْ يَرِيقُ لِحَالِي !

غيره :

يُبَاعِدُنِي عَنْ قُرْبِهِ وَلِقَائِهِ * فَلَمَّا أَذَابَ الْحِسْمَ مِنِّي تَعَطَّفْنَا

غيره :

إِنْ كَانَ هِجْرَانُنَا يَطِيبُ لَكُمْ * فَلَيْسَ لِلْوَصْلِ عِنْدَنَا تَمَمُّ

غيره :

سَمَّتْ بِي الْأَعْدَاءَ حِينَ هَجَرْتَنِي * وَالْمَوْتُ دُونَ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءُ !

غيره :

تَسَامُ عَيْنَاكَ وَتَشْكُو الْهَوَى * لَوْ كُنْتَ صَبًّا لَمْ تَكُنْ نَائِمًا !

(١) ول بعضهم : سيدى بادانى بلطف من غير خبره ، وأعقبنى جفأ من غير ذنب ؛ فاطمعتى أوقله فى إخائه ، وآيسنى آجره من وفائه ؛ فسبحان من لو شاء لكشف بإيضاح المبهم عن عزيمة الرأى فيه ؛ والمملوك يقول :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ أَنْقَلَبَ * وَصَفْوٍ وِدَادِكَ أَنْتَى ذَهَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنْتَى * أَرَاكَ بَعَيْنِ الرِّضَا فِي الغَضَبِ

أجوبة رفاع العتاب

قال فى "مواد البيان" : حكم أجوبة هذه الرفاع حكم رفاع أجوبة الاعتذار إلا أنها لا تخلو من الإجابة بالإعتاب أو الإصرار على العتاب . قال : ويجب أن يسلك فيها المذهب المحيب عن رفاع الاعتذار .

زهر الآداب :

فى جواب العتب على تأخر مكاتبة .

وعلم المملوك ما أشار به من العتب بسبب تأخر خدمه عن جنابه ، وما توهمه من اشتغال المملوك بأهله وأصحابه ؛ وحاشاه أن يتوهم فى المملوك غير الولاء ، والملازمة على الحمد والثناء ؛ فهو لا يعتمد ذلك إلا تخفيفاً عن خاطره ، ووئوقاً بما يتحققه المولى من خالص مودته فى باطنه وظاهره ؛ حرسه الله ووفقه ، وفتح له باب السعادة ولا أغلقه ، بمنه وكرمه .

(١) ضمنه جواب عبد الله بن معاوية فى العتاب .

زهر الربيع :

جواب عتاب :

زاد الله جنابه حنانا، وأسبح عليه إنعاماً وإحساناً، وخلد له على كلِّ عدوِّ سلطاناً.
ولا زالت همته سماءً لنا كيب الكواكب، وأياديه تُفيض على الأولياء غرائب
الغائب؛ ولا برحت سبحانه إنعامه هاميه، وقطوف إحسانه دائمة دائيه؛ وشرائع
مياه جوده تُجفف جفونا من الفاقة داميه .

المملوك يحدد خدمته، ويواتر للولي أدعيته؛ ويعترف بمننه التي أقرت بها ألسنة
جوارحه فلا يستطيع أن ينكرها؛ ويعترف بيد تضرعه من بحار جوده التي تتعب
الولي من سحابها إلى كل ولي وتقدف له جواهرها .

وينهى ورود المكاتبه والعلم بمضمونها، والأختواء على سائر معاني فنونها؛
وما أشار إليه من العتب الذي يرجو به بقاء الوداد، وأستصحب حال التواصل
من غير نقاد؛ والمملوك فلا ينكر ذنبه، ولا يتنصل ولا يتوصل بل يعترف بجرمه وقلة
خدمه؛ ويستمسك بالعروة الوثقى من إحسانه وحلمه، ويسأل مكارمه إجراءه
على عادته بالصَّفح عنه ورسمه؛ وهو يرجو أن أم هذه الهفوة لا تلد لها أختاً، وأنه
لا يعتمد إلا ما يزيد إلى المولى مقةً ويزيل مقته؛ فإن معاتبته مولانا قد وعثها أدن
واعيه، ومراضيه لا تخفى على المملوك بعد ذلك منها خافيه؛ إن شاء الله تعالى .

آخر : أسعد الله المجلس وعطف للأولياء قلبه، ونصر آتية وأنفد كتبه؛
وأرَهَف في نُصرة الإسلام سنانهُ وعَضَبه؛ وألم حبة قلب الزمان حبه؛ وأقدره
على الحلم الزائد حتى يغفر به لكلِّ مُذنب ذنبه .

[وينهى] وُرودِ الكُتابِ الذی أُعدَّتْهُ يَدُ مولانا فصارَ كَرِيماً ، وكَسَتْهُ عِبارَتُهُ ثُوبَ
 بَراعَتِهِ فأصبحَ مَنظَرُهُ وَسِيماً ، وأَسْتَشقَّ عَرَفَ نَسِيمِهِ المَبارِكِ فطابَ شَمِيماً ؛ وعلمَ
 المَلوكُ مِنْهُ شِدَّةَ عَتَبِهِ ، ومَرَّ التَّجَنِّيَ الذی ظَهَرَ مِنْ حُلوفِظِهِ وَعَدْبِهِ ؛ ولمَ يَعرِفُ
 لَعَبَتَهُ مُوجِباً ، ولا تَغَيرَ مودَّتِهِ سَبباً ؛ فإنَّهُ ما حادَ عَنِ طَريقِ وِلائَتِهِ ولا حالَ ،
 ولا زَلَّتْ قَدَمُهُ عَنهُ ولا زالَ ؛ ولا ما دَ عَنِ مَنجِ المودَّةِ ولا مالَ ؛ وما قَتِيَ لِمَحاسِنِهِ
 نَاشِراً ، ولا حِسانَتِهِ شاكِراً ؛ فإن كانَ قد نُقِلَ عَنهُ إلى مولانا شَيءٌ أَرَجَّجَهُ ، وأُخْرِجَهُ
 عَنِ عادَةِ حِلْمِهِ وأُحْرَجَهُ ؛ فإن الوُشاةَ قد أَخْتَلَقُوا قوْلَهُمَ ونَقَلَهُمَ ، وقَصَدُوا تَشْتِيتَ
 المُصاحِبَةِ شَتَّ اللهُ شَمْلَهُمَ :

وقد نَقَلُوا عَنِّي الذی لَمْ أَفَهُ بِهِ * وما أَفَهُ الأَخْبَارِ إِلَّا رُواتُها!

آخر: وردت المشرفة العالیه أعلى الله نَجْمَ مَرسِلِها ؛ وأسبغَ أیادِهِ وشَكَرَ
 جَسیمَ تَفْضِلِها ؛ فابتهجتِ الأَنفُسُ بِحُلولِها وحُللَ جَماها ، وعُومِلتْ بِما یَیْبُ مِنْ
 إِكرامِها وإِجلاها ، وفُضَّ خِتامُها ففاحَ مِنْها أَرَجُ العَیْبِ والعَیْبِ ، وتَلَّتْ أَلْفاظُها
 الی هی أبهى مِنْ الرِیاضِ وأحلى مِنْ السُكَّرِ ؛ فأغنتْ كُؤُوسُ فَصاحِها عَنِ المَدامِ ،
 وأزالَ ماؤُها الرِّلالُ الباردَ حَرَّ الأوامِ ؛ وأعربَ مُنْشِها عَمَّا فی ضَمیرِهِ مِنَ العَتَبِ ،
 والضیقِ الذی حَصَلَ فی ذلِكَ الصِّدرِ الرَّحْبِ ؛ وهو یُقَسِّمُ بِعِمتِهِ ، وبِصادِقِ مَحَبَّتِهِ ؛
 أَنَّهُ لَمْ یَبْدُ مِنْهُ ما یُوجِبُ عَلیه عَتَباً ، ولا أَنْتَى عَنِ النِّساءِ علی [مَحاسِنِهِ] ^(١) الی شَغَفَتِهِ
 حُباً ؛ فإن كانَ المولى قد تَوَهَّمَ شِئناً أُحْرَجَهُ وأَقْلَقَهُ ، وإلى أَلیمِ العَتَبِ شَوْقَهُ ؛
 فلیزِلْ ذلِكَ الوَهْمَ مِنْ خَاطِرِهِ ، ولِیثِقْ بِما تَحَقَّقَ مِنْ مُوالاتِهِ فی باطِنِهِ وظاهِرِهِ ؛
 ورأیهِ العالی .

(١) بیاض فی الأصل والتصحیح من المقام .

آخر: أعز الله عزَماته، وشكرَ جسيمَ نفضلاته .

ولا زالت نعمته باقيه، وقدمه إلى درج المعالي راقيه؛ وهيمته إلى السمو على الكواكب ساميه، وسماءُ جوده على العفاة هاميه؛ وعزمتُه لتغور الإسلامِ حاميه، عبدُ نعمه، وغرس كرمه، يعلمه بصدق وده، والمداومة على شكره وحمده؛ وأنه وقف على مشرفه وفهمه، وشاهد منه عتبه وعلمه؛ وهو لا يشكو من المولى جفاء ولا يعيب، و[عن] طريق المصافاة والمخالصة فلا يغيب؛ بل يقول:

أنت البريء من الإساءة كلها * ولك الرضا وأنا المسيء المذنب

والمرجو من لطافة أخلاقه، وطهارة أعراقه، أن يصفح عن زلته، ويعفو عن ذنبه وإساءته:

فأنت الذي تُرجى لتخفيف زلتي * وتحقيق آمالي ونيل ما ربي!

وقربك مقصودي وبابك كعبتي * وروياك ياسؤلي أعز مطالي!

قلت: وكتبتُ إلى المولى شهاب الدين الدنيسري وقد بلغني عنه مساعدة بعض

الجهال على في بعض الأمور:

عهدتُ شهاب الفضل يري بسهمه * شياطين جهل أن تُداني جنابه!

فأ بال مولانا على فرط فضله * يعرفُ شيطان الجهالة بابه؟

النوع الرابع عشر (العيادة والسؤال عن حال المريض)

رُقعة عيادة :

ويُنهى أنه أتصل بالملوك من ألم مولانا - أطال الله بقاءه ، وحرس حوابعه -
 ما أسمى مدايمه ، وأحصى أضالعه ؛ ومزق جلده ، وحرق خَلده ؛ وأطار الوسن عن
 عينه ، ونقر الهدوء عن مضجعه ؛ حتى تدارك الله تعالى بكنايه الناطق بإفلاق الملم ،
 المغرب عن دفاع المهيم ؛ فرقا من دموعى ما أرفض ، وجبر من ضلوع الملوك
 ما أرتض ؛ والتأم من جلده ما نططر ، وبرد من خَلده ما توقد ؛ وجثم ما طار من وسنه
 وآس من الهدوء ما نقر عنه ، والتأمت الآمال بعد أنثلامها ، وبرزت ثمار الأمانى
 من أكامها ؛ وطلع من الرجاء آفله ، وروى من السرور ماحله ؛ وتجدد من السؤدد
 طامسه ، وصحك من الزمان عاسه ؛ والله تعالى يغض طرف الحدنان ، عن مهجته ،
 ويصرف صروف الزمان ، عن ساحته ؛ ويهنيه بما أعاده إليه من الإبلال ، ويمليه
 بما أفاضه عليه من الاستقلال ، بمنه وكرمه ؛ إن شاء الله تعالى .

رُقعة : ويُنهى أن ماخامره من قلق وجرع ، وفرق وهلع ، بسبب ما بلغه من
 شكوى مولانا لا تحصره الأوهام ، ولا تُسطره الأفلام ؛ ولولا ثقة الملوك بالله تعالى
 لو هت عقد صبره ، ولا تلخق فؤاده من صدره ؛ وقد علم الله تعالى أن هذا الألم
 لو نُقل إلى الملوك لما ثقل عليه ، وكيف يستثقل ما يحفف عن مولانا وصبه
 ويحسمه ، ويعكف له سلك الشفاء وينظمه ؛ والله تعالى يجعله فى أمان من
 كفايته ، وضمائم من حياطته ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) فى الاصل "توفر" بالفاء والراء وهو لا يناسب المعنى .

أجوبة كُتِبَ الشَّفَاعَاتِ وَالْعِنَايَاتِ^(١)

قال في "موادّ البيان" : هذه الكُتُبُ إذا أُجِيبَ الملتَمِسُ إلى حاجته فينبغي أن تُبْنَى أجوبتها على شُكْرِ مقصد الشافع ، والإدلالِ والأسترسالِ وإنالَةِ المشفوع له وَطَرَهُ إيجابا لحقّ الشافع ؛ وإن وقع الأمتناعُ والتوقفُ عن الإجابة إلى الملتَمِسِ ؛ فالواجب أن تُبْنَى على إقامة العُدْرَ لا غيرُ .

زهر الريح :

جوابُ شفاعَةٍ في حقّ كاتب :

جَدَّدَ اللهُ [له] السعادةَ وَخَلَّدَهَا ، وَأَصَارَهَا لَهُ شِعَارًا وَأَبْدَهَا ؛ وَوَدَّ بِهِ الْمَالِكَ وَمَهَّدَهَا ؛ وَعَضَّدَ بِهِ طَائِفَةَ الْإِسْلَامِ وَأَيْدَهَا ؛ وَشَكَرَ لَهُ صِنَائِعَ يَعُدُّ مِنْهَا وَلِيٌّ وَلَا كَلٌّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعُدَّهَا .

المملوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الشَّرِيفَةَ آدَاءً لِلْفَرِيضِ الْإِلَازِمِ ، وَشُكْرًا لِمَا أَوْلَتْهُ مِنَ الْإِيَادِي وَالْمَكَارِمِ ؛ وَحَمْدًا لِأَلطَافِهِ الَّتِي أَطْمَعْتُهُ بِالْتَمِيْزِ فَاصْبَحَ بَرَفْعِ قَدْرِهِ كَالْحَازِمِ .

ويُنهى وَرُودَ الْمَشْرِفِ الَّذِي نَزَّهَ نَاطِرَهُ ، وَجَبَرَ قَلْبَهُ بِحُسْنِ أَلْفَاظِهِ وَخَاطِرَهُ ؛ وَالْعَلَمَ بِمَا أَمَرَ بِهِ ، وَشَفَعَ إِلَى الْمَمْلُوكِ بِسَبَبِهِ ؛ وَهُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ رَكَّنَ إِلَى مَا شَكَرَهُ بِهِ الْمَوْلَى وَأَثْنَى بِهِ عَلَيْهِ ؛ وَأَعْتَقَدُ يَمِينِ^(٢) إِغَارَةَ الشَّافِعِ فَعَقَّدَ عَلَى الْمَشْفُوعِ فِيهِ خِنِصْرَهُ ، وَتَقَدَّمَ بِتَرْبِيئِهِ فِي دِيْوَانِ إِنْشَائِهِ ، وَجَعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ خَوَاصِّهِ وَخُلَصَائِهِ ؛ وَفَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ آتْبَاعًا لِإِسَارَتِهِ ، وَقَبُولًا لَشَفَاعَتِهِ ؛ فَالْمَوْلَى يُوَاصِلُ بِمِرَاسِمِهِ وَأَمْثَلَتِهِ ، فَإِنَّهَا تَرُدُّ عَلَى مِرْتَسِمِ مِمْتَلِ .

(١) حق هذه الأجوبة أن تكون تابعة للنوع الرابع فهي مؤخره من تقديم فتنبه .

(٢) لعله إشارة الشافع .

ومنه : جواب شفاعة في استخدام جُنْدِي :

ضاعفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَهُ ، وَأَرْهَفَ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ سَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ؛ وَلَا بَرَحَتْ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ نَاطِقَةً بَوْلَانِهِ ، وَأَيْدِي ذَوِي الرِّجَاءِ مَمْلُوءَةً مِنْ فَوَاضِلِ نِعْمَائِهِ .

المملوكُ يُوَأْصَلُ بِأَدْعِيَتِهِ الصَّالِحَةِ ، وَيَسْتَنْشِقُ رُوحَانِيَّ رِيحِكُمْ فَيَسْكُنُ مِنْهُ بَلَدِيذَ تِلْكَ الرَّائِحَةِ ؛ وَيَشْكُرُ لَهُ مَا مَنَحَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ ، وَيَبَاهِي بِعِزَمَاتِهِ اللَّيُوثَ الضَّرَّاعِمَ ؛ فَلَا يَجِدُ مُضَاهِيًّا لِتِلْكَ الْعِزَامِ .

ويُنْهَى وَرُودَ الْمِثَالِ الَّذِي أَشْرَقَتْ الْوُجُوهُ بِنُورِهِ ، وَأَبْتَهَجَتْ الْأَنْفُسُ بِبِلَاغَةِ مُنْشِيهِ وَوَشْيِ سُطُورِهِ ، وَعَلِمَ إِشَارَةَ الْمَوْلَى فِي مَعْنَى فُلَانٍ : أَدَامَ اللهُ سَعْدَهُ ، وَأَعَدَّبَ مَنَّهُلَهُ وَوَرَدَهُ ، وَالتَّوَصِيَةَ بِأَمْرِهِ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ مِنْ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ ، وَأَنْ يُقَطِّعَ إِقْطَاعًا يَلِيْقُ بِأَمْتَالِهِ ، وَيَتَفَيَّأُ مِنْ نَحْرَاجِهَا ضَائِقِي ظِلَالِهِ ، وَغِنْدَ مَثُولِ مِثَالِهِ الْعَالِيِّ أَمْتِثِلَ وَأَلْتَمِمْ ، وَاسْتَعْدِمَ الْمَشَارَإِلِيهِ لِإِشَارَتِهِ وَخَدَمَ ، وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِهِ ، وَتَعْظِيمِ كِتَابِهِ وَتَجْمِيلِ قَدْرِهِ ، فَيُوَأْصَلُ بِمَرَامِهِ فَإِنَّهَا تُقَابِلُ بِالْأَلْرِتْسَامِ ، وَمَشْرِفَاتِهِ فَإِنَّهَا تُعَامَلُ بِوَأْفِرِ الْإِكْرَامِ .

جوابُ شفاعة في الجملة :

قُلْ مَا تَنْشَأُ فَإِنِّي لَكَ طَائِعٌ * مَا أَنْتَ عِنْدِي شَافِعٌ بِلِ أَسْرٍ !

جعله اللهُ لِكُلِّ خَيْرٍ سَبَبًا ، وَحَقَّقَ بِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ظُنُونًا وَحَصَلَ أَرْبَابًا ؛ وَوَفَّرَ لَهُ مِنْ أَلْبَرِ شَفَاعَتِهِ الْحَسَنَةِ نَصِييَا ، وَأَدَامَهُ عَنْ كُلِّ شَرِّ بَعِيدًا وَإِلَى كُلِّ خَيْرٍ قَرِيْبًا .

المملوكُ يَنْهَى تَأَلُّمَهُ لِإِفْرَاقِهِ ، وَمَا يَجِدُهُ مِنْ صَبَابَتِهِ وَشِدَّةِ أَشْوَاقِهِ ؛ وَيُعَانِيهِ مِنْ جَبِينِهِ وَأَتَوَاقِهِ ، وَأَنْهُ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَاسْتَلَمَهُ وَتَمَّهُ ، وَبِجَلِّهِ وَعَظَمَتِهِ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ

إليه ، وأخذ أمر المشفوع فيه بكننا يديه ، وجعل قضاء أربه أمراً لازماً ، وما قتي
على ساق الاجتهاد قائماً ، إلى أن حصل غرضه ، وأدى من حسن القيام بأمره
ما أوجبه مشرفه العالی وأقرضه ، والمولى أمر غير شفيح ، ومهما ورد من جهته
على المملوك فوارد على سميع مطيع ؛ فيواصل من مراسمه بما سنع ، ومن أخباره بما
تأرجح طيب عرفه وفتح ؛ ورأيه في ذلك العالی .

آخر : شكر الله عوارفها ، وتالد جودها وطارفها ، ووافر ظلالها ووارفها ؛
وينهى ثناءه على معاليه ، وملازمته ومداومته على بث محاسنه ونث آياديه ؛ وحمد
عواقب إحسانه ومباده ، وشدة أشواقه إلى جنابه ، ولذيد مشاهدته وخطابه ؛
وما يعانیه من غرام لازمه ملازمة الغريم ، وداء صباية يضاعف شوقه إلى رؤية
وجهه الوسيم ؛ ومداومته على التعوض بشكر محاسنه عن المدامة والنديم ؛ ونظم
جواهر مدحه لجيد جوده ، وحمد المولى على ذلك التنظيم ؛ وأنه ورد عليه مشرفه
العالی فقبله ، ودعا لمُرسله دعاء يرجو من الله تعالى أن يستجيبه ويتقبله ؛ وحصل له
بوصوله آتباغ عظيم ، وقال لمن حضر وروده ﴿يا أيها الملائة اني أُنثي إلى كتاب كريم﴾
وفيه مضمونه وحقواه ، وعلم معناه وما أظهره فيه وأبداه : من الوصية بفلان
وما يؤثر من تسهيل مطالبه ، وتيسير مآربه ؛ ووصل المشار إليه وحصل الأئس
برؤيته ، وتمتعت البواظر والمسامع بمشاهدته ومشافهته ؛ وقام المملوك في أمره قياماً
تاماً ، وجعل عين اجتهاده في مصلحته متيقظة لاتعرف مناماً ؛ وشمر عن ساق
الاجتهاد ، في تحصيل المرام والمراد ، إلى أن حصل له الفوز بنيل أمله ، وعاد راتعاً
من العيش في أخضره وأخضله ؛ رافلاً من السرور في أبهى حلله ، فيحيط علمه
بذلك ، والله تعالى يعضد به الدول والمالك ؛ إن شاء الله تعالى .

آخر: جعله الله مفتاحاً لكلِّ بابٍ مُرْتَجٍّ، وَصَدَّقَ بِهِ [أَمَل] كُلَّ أَمَلٍ وَحَقَّقَ رَجَاءَ كُلِّ مُرْتَجٍّ، وَلَا زَالَتْ سَحَابُ جُودِهِ هَامِيَةً بِالْوَسْمِيِّ وَالْوَلِيِّ، مَاظِرَّةٌ بَوْبِهَا وَطَلَّهَا عَلَى الْوَلِيِّ.

المملوكُ يُخْدَمُ بِحَيَّةِ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ، وَسَلَامٍ أُطِيبَ عَرَفًا مِنْ بَابِ النَّقَا إِذَا تَحَمَّلتْ عَرَفَهُ رِيحُ الصَّرِيمِ.

وينهى إلى عليه الكريم ورود مشرقته وأنه أحاط بمضمونها علماً، وشاهد منها في حال طيها مكارم أصارت تفضيله على حاتم الطائي حتماً؛ ووقف منها على در لفظ قدفه بجر خاطره نثراً ونظماً؛ وبراعة عبارة زادت قلب مواله غراماً وأنف مناويه رعماً؛ وفصاحة عرفته قوله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ مِنَ الْبَيَانَ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحُكْمًا»^(٢) وفهم عنايته بفلان نفع الله بعلمه وعمله، وقرب له من الخير مالا يُطمعه به بعيد أملة؛ وإشارته بسبب التنبيه والإرشاد على جمل فضائله، ومفصل مناقبه المشهورة في البلاد، وإيضاح كفايته في وجيز تلك الفصول الصحاح الإسناد، فحال قدوم المذكور وحلوله، وورود مشرفه ووصوله؛ أنهى المملوك أمره إلى مخدومه، وطالع به شريف علومه؛ ولا زال يُحسن سعيه، ويعتمد على مشيئة الله ولا يترك حرصه ومشيئه؛ إلى أن حقق قصده بقضاء شغله، وقرب له أمد أملة، وكتب توقيعه ولم يرد الله تعويقه، ونجح طعم قصده وأنجح الله طريقه؛ وقد عاد مصحوباً بالسلامه، معروفاً بتحصيل هذا القصد بأنه (طَلَّاعُ الثَّنَائِيَا) من غير وضع العمامه، حسب إشارة المولى وأمره، والله تعالى يمدّه بصونه ونصره.

(١) الولي المطر الذي يأتي بعد الوسمي ووقع في الأصول "الوبلي" وهو تحريف واضح.

(٢) هو بضم الحاء وسكون الكاف العلم والفقه أى إن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه.....

آخر: في استخلاص حق .

شكر الله إحسانه وإنعامه ، وحصل به لكل وليٍّ مرَّامه ، وحَدَّ تطوُّله وتفضُّله ،
وأنا له لكلِّ آملٍ أملُه ، وخَلَدَ دولته ، وأدام نِعْمته ، وأنفذ كَلِمته ؛ ولا زال فضله
كاملاً ، وإحسانه إلى الأولياء وإصلاً ؛ ونواله لبني الآمالِ شامِلاً .

المملوك يخدمُ بدعاء أحسن من نور الرُّبا ، وثناءٍ أطف من ربح الصِّبَا ؛ وسلامٍ
أطيب بمروره من تذكُّر أيام الصِّبَا .

وينهى وُرُودَ الكُتَابِ الذي طابَ بالمولى مَحْتَدُهُ ونِجَارُهُ ، وزاد على كُتَابِ الكُتُبِ
نِجَارُهُ ، وأنه وقف عليه وقوفَ مشتاقٍ إلى مُرْسِلِهِ ، شاكرٍ أنعم فضله وجسيم
تفضُّله ؛ فأسكرتَه تلك الفصاحةُ بَسَدَاها الأريجَ ، وتزهتَ لحظَه في دُرِّ لفظها البهجِ ؛
فظنها لمَّا استنشَقَ رائحتها راحاً قَرَفَقَاً ، ولمَّا أهجَه لفظها بالفاظ تُرْهِى على الرياضِ
رَوْضَةً أنفاً ؛ وعلمَ الإشارةَ الكريمةَ في معنى ' فلان ' والوصيةَ بِخِدْمته ، وما أمرَ به من
مُساعدته ومُساعدته ؛ وعند وُصُولِ مشرفِ المولى وقَبْلَ وضعه من يده ، نوى
المملوكُ مساعدةَ المذكورِ على مَقْصده ، فتقدَّم بإحضارِ غريمه فوجده عن البلدِ
غائباً ، فانتظره إلى أن عادَ آتياً ؛ فعند وصوله طلبه وأحضره ، وسأله عمَّا يدعيه
عليه خصمه فأنكره ؛ وطلب الحُضُورَ إلى القاضي ، وحثَّ على ذلك حتى أوهم أنه
المتقاضى ؛ فلمَّا رأى المملوكُ أن حُجَّةَ المشفوع فيه لا تقومُ بصدق دعواه وحُجج ،
ولا يظهر بها على غريمه إلا من طريق حَرَجٍ ؛ بدَّلَ في مُصالحتهما جُهدَ الإِجْتِهَادِ ،
وما زال يُرشدُهما إلى طريق الرِّشَادِ ؛ ويُدلُّهما على سبيل السَّدَادِ ، ويعرفُهما أن
التضارُّرَ ضَيْرٌ ، وأنَّ الصُّلحَ خيرٌ ؛ فكل منهما يهيم في وادٍ ، ويسألُ خصمه بالسنةِ
حداداً ؛ إلى أنْ تراصياً وتوافقاً ، وسلَكَا طريقَ الرِّفْقِ وتوافقاً ؛ وصدقَ الخصمُ

خَصَمَهُ فَصَادَقًا ، وَأَنْفَصَلًا وَكُلَّ مِنْهَا قَدْ أَرْضَى خِيَدَهُ ، وَعَنِ الْحَاكِمَةِ وَالْمَحَافِقَةِ
أَغْضَى جَفْنَهُ .

آخر : أيد الله سعد المولى وأبده ، وأثّل مجده ومجده ؛ وأعانه على إساءة
العوارف وعصده ؛ وأمدّه من المسرات بما يُزيل عن الأيام أبده ، وأناله سعدا لا تبلغ
الأنام أمده ؛ ولا زال بردُ جدّه من السعادة جديدا ، ونجمُ عدوه آفلا ونجمه سعيدا .

الذي يُحيط به علمه الكريم أنّ كتابه ورد فسرى همّ الأنفس وسرها ، وضاعف
بما ضاع من نشره بشرها ؛ وفاح منه شداً عند إقباله ، فقيل : قد هبت القبول ،
ورجّ الأولياء ، فقيل : قد هبت ريح الشمال وأديرت الريح الشمول ؛ وأنّ المملوك
وقف منه على ألفاظ سقته كئوس سرور لا كئوس مدام ، وروت له أخبار حلم
لو أسنبت إلى سواه لتوهّمت أضغاث أحلام ؛ وروت أكبداً أضرت بها لعينته حرّ
ظمأ وأوام ؛ وبيّنت سحر البيان ، وأعربت بلسان حسنها عمّا لمنشئها بل مؤشئها من
الإحسان ، وأغربت في الفصاحة نخلنا كلّ كلمة تنطق عن سخبان بلسان ؛ وزهت
ببائع ثمار فضلها فتزهت كلّ عين في بستان ؛ وعلم إشارة المولى في معنى فلان ،
وما أبداه من العناية في حقّه ، والإيثار لصلة رزقه ؛ وأنه من الأتزام ؛ والذين
تجب معاملتهم بالإكرام والأحترام التام ؛ وعند ما شاهد المملوك كتاب من شرفه ،
وسمع ألفاظه التي بلطنها أحمقه ؛ بل بردائها على البرد ألحفه ، تقدم بإجابة سؤاله ،
وترتيبه في جهة تليق بأمثاله ؛ وقصه من العناية قيصاً لا يبلى ، وجمع لخاطره والدعة
شَملاً ؛ وهذا حسب إشارة المولى التي لا تُخالف ، وأمره الذي يقف كل أحد عنده
ولا يستوقف ولا يوافق .^(٢)

(١) أى غضبه فهو مصدر أبد عليه كفرح إذا غضب .

(٢) هذا آخر ما حقه التقديم بعد النوع الرابع وقبل الخامس فتنبه .

كتاب إلى مريض بالسؤال عنه من كلام المتأخرين :

حاشي مَرَاجَكَ مِنْ أَدَى * وَكَرِيمَ جِسْمِكَ مِنْ وَصَبِ !
 يَا غَايَةَ الْمَأْمُولِ وَالْمَرْجُوًّا كُلَّ الطَّلَبِ !
 مُدْغِبَتَ عَنِّي لَمْ أَزَلْ * مِنْ بَعْدِ بَعْدِكَ فِي نَصَبِ !
 جَفْنِي غَرِيقٌ بِالْذُّمُو * عِ وَمَاءُ صَبْرِي قَدْ نَصَبِ !
 وَاللَّهِ مَالِي فِي الْبَقَا * ءِ وَأَنْتَ نَاءٍ مِنْ أَرْبِ !
 فَتُرَى ^(١) أُبَشِّرُ سَيِّدِي * أَنْ الْلِقَاءَ قَدْ أَقْتَرَبِ !

حرس الله مزاج المولى! وأصار العافية له شعارا؛ والصحة له دنارا؛ ولا زالت ساكنة في جوانحه، مقيمة حشواً أعضائه المباركة وجوارحه .

أصدرها المملوك تُعْرِبُ عن شوقٍ يكلُّ عن وصفه اللسان، وتوقٍ لا يُحْسِنُ وصفه البنان؛ ولا يجعزعج عن حمل بعضه الحنان، متمسكا المواصلة بأخباره، وواصفاً ما يجده القلب من ألم الشوق وناره؛ وشاكياً من جور أيام الفراق، وراجياً أن يبشِّرَ بالإبلال من مرضه والإفراق؛ وداعياً إلى الله بتعجيل أيام التلاق . ومع ذلك فلو رُمت أن أشرح كل ما أجده من الصبابة لأسأمتُ وأسهبْتُ، بل لو ذكرتُ ما أعانيه لألمه لثقلتُ على خاطره وشوشتُ، ^(٢) لكن خاطر المولى شاهدٌ بوجدى، وعارفٌ بما تحلته من الكآبة التي لم يجملها أحدٌ قبلي ولا تُحْمَلُ بعدي؛ فيواصلُ بأخباره، والله يحرسه آناء ليله وأطراف نهاره؛ إن شاء الله تعالى .

(١) مراده فتى أبشر . ولعله تصحيف من الكاتب .

(٢) نقل هذا الفعل الفارابي وتبعه الجوهرى وأستعمله كاتب هذه الرسالة وأنكره بعض الخذاق وقال الصواب هوشت .

في معناه :

يَأْمَنُ شَكَا فُشَا فُؤَادِي حُرْفَةً * لَا تَتَطَنِّي وَصَابَةً لَا تَبْرُحُ !
 وَغَدَا سَقِيمَ الْحَسَمِ يَوْمًا وَاحِدًا * فَتَرَحُّتُ دَمْعًا لِلدَّمَاعِ يَجْرُحُ !
 وَأَزْدَادَ شَوْقِي نَحْوَ طَلْعَتِهِ الَّتِي * أَبَدًا يُؤْمِنُ بِهَا مَنَّا أَسْتَجِجُ !
 لَا زِلَّتْ فِي عِزٍّ وَسَعْدٍ دَائِمٍ * أَيَّامُنَا بِيَقَانِهِ نَتَّبَجُّ !
 وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُؤَيَّدًا * تُنْمِسِي قَرِيرَ الْعَيْنِ فِيهِ وَتُصْبِحُ !

كَلَّمَ اللَّهُ عَافِيَةَ الْمَوْلَى وَحَرَسَهُ ، وَلَا سَلَبَهُ ثَوْبَ الصِّحَّةِ بَلْ قَمَّصَهُ إِيَّاهُ وَالْبَسَهُ ؛
 وَأَخْدَمَهُ الْأَيَّامَ فَلَا تَسْتَطِيعُ مَخَالَفَةَ أَمْرِهِ وَلَا الْخُرُوجَ عَنْ حُكْمِهِ ، وَرَزَقَهُ أَنْ يَمْلِكَ
 الدُّنْيَا بِحَدِّهَا وَهَذَا يُحْصِلُ بَعَافِيَةَ جِسْمِهِ .

المملوك ينهى أنه أتصل به تألمه فشق ذلك عليه، ووصل من القلق إلى حد
 لم يصل المولى والحمد لله إليه؛ وأبتهل إلى الله في معافاة جسده، وأن يعضده ببقاء
 والده وولده؛ ويضاعف تسهيل مآربه ومقاصده، ويرفع كلمته وقدره على رغم
 معطس شائنيه الأبتير وحاسده؛ إن شاء الله تعالى .

جواب^(١) إلى من قنطره فرسه :

ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَ مَجْدِهِ ، وَبَلَّغَهُ سَعْدًا لَا تَبْلُغُهُ الْأَمَالُ لُبْعُدَهُ ؛ وَأَهْمَى عَلَى مَحْيِيهِ
 سَحَابَ جُودِهِ وَرِفْدَهُ .

(١) جارى في هذا الفعل اللغة العامية والصواب قنطره قال الشاعر :

قد علت سلى وجاراتها * ما قطر الفارس الا أنا

المملوك يُحْدَم بِتَحِيَّةِ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ ، وَيَشْكُرُ مَوَاهِبَهُ الَّتِي مَازَلَتْ تَحْنُو عَلَيْهِ حَتَّى
الْمُرَضَعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ .

وَيُنْهَى رُودَ الْخَبْرِ بِأَنَّهُ كَبَّاهُ جَوَادُهُ عِنْدَ مَازَلَتْ قَوَائِمِهِ ، وَأَثَقَلَتْهُ فِضَائِلُ الْمَوْلَى
وَمَكَارِمُهُ ؛ فَاتَزَجَّ لَذَلِكَ وَتَأَلَّمَ ، وَكَادَ قَلْبُهُ لَوْلَا الْمُبَشِّرُ بِسَلَامَتِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ؛ وَجَوَادُ
الْمَوْلَى لِاسْتِجَابَةِ دَمِهِ ، فَإِنَّهُ أَسْمَحُ جَوَادٌ ، وَلَا أَتَمَّاهُ بِالْعَجْزِ ، فَإِنَّهُ عُرِفَ بِإِتِّهَامِ
وَأِنْجَادِ :

لَكِنَّهُ نَظَرَ الْأَفْلَاكَ سَاجِدَةً * إِلَى عِلَاكَ فَلَمْ تَتَّهَتْ قَوَائِمُهُ !

وَالْمَوْلَى أَوْلَى مَنْ قَابَلَ عُدْرَ طَرْفِهِ بِطَرْفِ الْقَبُولِ ، وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهِ دُونَ سَائِرِ
الْخِيُولِ : فَإِنَّ الْمَوْلَى وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي صِحَّةِ دَائِمِهِ ، وَسَلَامَةِ مَلَازِمِهِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْقَصْدُ
وَالْمُرَادُ ، وَالْأَسْتِبْشَارُ الَّذِي تَفْتَرُّهُ نُغُورُ الثُّغُورِ وَتَعْمُرُ بِهِ الْبِلَادُ ؛ جَعَلَهُ اللَّهُ فِي سَعِيدِ مَالِهِ
فَرَاغٌ وَلَا نَقَادَ ، وَرَزَقَهُ مَا دَعَا بِهِ الْعِمَادُ الْفَاضِلُ وَالْفَاضِلُ الْعِمَادُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَجْوِبَةُ كُتُبِ الْعِبَادَةِ

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : يَجِبُ أَنْ تَبْنِيَ هَذِهِ الْأَجْوِبَةَ عَلَى وُضُوعِ الرُّقْعَةِ ،
وَمَا صَادَفَتْ الْمَرِيضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَرَضِ ، وَأَنَّهَا أَهَدَتْ رَوْحَ الْهُدُوءِ ، وَأَرَكَدَتْ رِيَّاحَ
السُّوءِ ؛ وَأَقْبَلَتْ بِنَسِيمِ الْإِبْلَالِ ، وَتَضَوَّعَتْ بِأَرْجِ الْإِسْتِقْلَالِ ؛ وَبَشَّرَتْ بِالْعَافِيَةِ
وَالسَّلَامَةِ ، وَأَذَنْتْ بِالصَّلَاحِ وَالْإِسْتِقَامَةِ ؛ وَأَشْبَاهَ هَذَا .

ابن نباتة المصري :

شَكَرَ اللَّهُ أَفْتِقَادَهَا وَأَنْسَاهَا ، وَقَلَبَهَا وَطَرَسَهَا ؛ وَحَمَى مِنْ عَارِضِ الْخَطْبِ لِامِنْ
عَارِضِ الْخِصْبِ شَمْسَهَا ؛ وَلَا أَعَدَمَ الْأَوْلِيَاءَ قَصْدَهَا الْجَمِيلِ ، وَوَدَّهَا الْجَلِيلِ ، وَإِحْسَانَ

رسائلها التي كُرِّمَتْ فما صَوَّبُ العَمَامَ لها رَسِيلَ ؛ وأمتع الممالك يُيُنِّها التي صَحَّتْ بتديره فليس غيرَ النَّسِيمِ عَليْل .

وَيُنْهَى وُرُودَ المَشْرِفِ الكَرِيمِ فبتلقاه المملوكُ حَيِّباً وارِداً ، وطِيباً بإحسانِهِ ولِلْحَسَدِ عائِداً ؛ وفهَمِ المملوكُ ما أَنْطَوَى عليه من الصَّدَقَاتِ التي ما زَالَتْ في فِهْمِهِ ، والمحبةِ الصَّادِقَةِ التي ما عَزَبَتْ عنِ عِلْمِهِ ؛ وما تَضَمَّنَ من فصولِ كَانَتْ أَنْفَعَ من فُصُولِ أَقْرَاطِ لمعالجةِ جِسْمِهِ ؛ وأينَ أَقْرَاطُ من بَرَكَاتِ كِتَابِ مولانا الذي طالَعَ منه كِتَابَ الشِّفاءِ على الحَقِيقَةِ ، والنَّجاةِ من عُرْوَةِ البَاسِ الوَثِيقَةِ ؛ وأذُنِي ورَقَّتْه الجِمرَاءُ لرأسِهِ تَبَرُّكاً وإِكْرَاماً وقال : نِعْمَ الجَلَنارَةُ المَعوَّذَةُ من الشَّقِيقَةِ ، وآسْتَطَبَّ حُرُوفُها فإنها عن أَيْدِي الكَرِيمِ والكَرَاماتِ ، ولَمَّ العلامَةَ وتمسَّكَ بالسُّطورِ فإنها من أسبابِ الصَّحَّةِ والعَلَاماتِ ؛ ووافقتْ عيادةُ مولانا مبادئَ العافيةِ وأذنتْ بالزِّيادَةِ ، وصلَحَ خَطُّهُ الكَرِيمُ عائِداً وما كُلُّ خَطِّ يَصْلُحُ لِلعيادَةِ ؛ وما تِلْكَ الجارِحَةُ المَتألِّمَةُ إلا يَدٌ أَثَقَلَتْها مِنُ مولانا فَأَعْيَتْ وتَأَلَّمَتْ ؛ ثمَ أَعاتَتْها بَرَكَتُهُ هي والقدَمُ بالجِملِ العَظيمِ وتقدَّمتْ ؛ وما بَقِيَّةُ الجِوارِحِ إلا عيُونَ كَانَتْ تَنْتَظِرُ لُطْفَ الله تَعاليى وبَرَكَتِهِ وقد قَدِمَتْ ، فَشَكَرْها لها من بَرَكَاتِ تَنعَّمَ بها قَبْلَ الجُسُومِ أرواحُها ، وأدويةٍ قَلِيَّةٍ تُعالِجُ بها ذواتِ النُّفوسِ فكيفَ أشباحُها ؛ لا بَرِحَ جِوهرُ كَلِماتِ مولانا يُؤذِنُ بِالشِّفاءِ مِنَ العَرَضِ ، وسِهامِ أَقلامِهِ إذا كَتَبَتْ عائِدَةً أو جائِدَةً أَصابَتْ العَرَضَ وفوقَ العَرَضِ .

وله : تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ وفيهِ صالِحَ الأَدْعِيَةِ ، وملاً بِمَحاسِنِ ذِكرِهِ وِرهَ الآفاقِ والأَنْدِيَةِ ، وشَكَرَ هِباتِهِ وبرَكَاتِهِ التي تَنْزِلُ بعارِضِ الغَيْثِ قَبْلَ الإِسْتِطارِ وترِفُعِ عارِضِ الأَلَمِ قَبْلَ الأَدويَةِ ؛ تَقْيِيلَ مَعْرِفِ بِسابقِ النِّعمِ ، مَقْيِمِ على صِحَّةِ العُبودِيَةِ والولاءِ في حَالَتِي الصَّحَّةِ والسَّقَمِ .

ويهنى وُرُودَ مشرفِ مولانا الكريمِ علي يدِ فلانِ عائداً من جهةِ العيادة ، وعائداً من جهةِ الصّلاتِ المعتاده ، ومُفتقداً لأعدِمِ الأولياءِ في الشّدّةِ والرّخاءِ آفتقاده ، ما كان إلا رَيْباً نَشِيقَ العليلِ نَسَمَاتِهِ الصّحيحه ، وتناوَلَ كأسَ ألفاظه الصّريحه ؛ وإذا بقانونِ المزاجِ قد همَّ باعتداله ، وكتابِ الشفاءِ والنجاةِ قد تسنّتْ فوائدُ إقباله ؛ فتميّزَ حالِ الصّحةِ من المرَضِ ؛ وأستعملَ جوهرَ الألفاظِ فعزمَ على زواله العَرَضِ ؛ وبلغَ الولدُ فلانَ المشافهةِ وكلُّ مقاصدِ مولانا مبتدأةً مبتدعةً ، والمملوكُ جواباً وكلُّ أجوبته مُنَوَّلَةٌ مُنَوَّعةً ؛ شكر الله عوارِفَ مولانا المتّصله ، ورُسلَ آفتقاده التي منها العائِدُ ومنها الصّله .

وله : في جوابِ كتابِ عيادةِ واردِ في يومِ عيدِ علي يدِ من أسمه جمال الدين محمود .
شكر الله مننّها التي إذا أبدتْ أعادتْ ، وإذا جادتْ أجادتْ ؛ وإذا كُررتْ الأفتقَادَ حَلَاً وإذا تصدّتْ لمودّاتِ القلوبِ صادتْ ؛ تفصيلَ مخلصِ في ولآئه وآبئاله ، مُقيمِ على صحّةِ العهدِ والحمدِ في صحّته واعتداله .

ويهنى وُرُودَ مشرفةِ مولانا الكريمةِ علي يدِ الولدِ جمالِ الدينِ محمودِ متفقداً علي العاده ، مكرراً لعيادةِ الإحسابِ وإحسانِ العيادةِ ؛ فقابلَ المملوكُ بالحمدِ وإرِدها ، وبعوائدِ الاعتدالِ عائدها ؛ وفهمَ ماتضمّنته من تألمَ قلبِ المالكِ علي ضَعْفِ المملوكِ ، وقلَقِ خاطره علي بَدَنِ كَيْبَتِ العُرُوضِ مَنهوكِ ؛ وأنه كان آبتداً ضَعْفُ المملوكِ فتألمَ ، ثم تَلَا خبرُ الصّحةِ فَتَلَا : ولكنَّ اللهَ سَلَّمَ ؛ ثم بلغه أنّ الآماتِ تراجعتْ ، وموادِّ واصلتْ بعد ما قاطعتْ ؛ فحملته خواطرُ الإشفاقِ عليّ علي تكريرِ العيادةِ ، وارْتقَابِ فَعَلَاتِ الشفاءِ المستجاده ؛ جارياً من إحسانه وآفتقاده عليّ أجملَ معهودِ ، باعنا مشرفته

(١) مراده وناول أي أوصل المملوك الخ تأمل .

(٢) في الأصول "كثيب" وهو تصحيف من الناصح .

وَحَامِلَهَا وَكِلَاهُمَا حَسَنُ الْحَالِ مُجُودٌ ؛ فَعِنْدَ مَاوَصَلًا أَوْصَلًا كَمَالَ الْعَافِيَةِ ، وَحَقَّقْتُ
أَخِيَلَةَ الْبُرِّ الشَّافِيَةِ ؛ وَمَا كَانَ الْمَشْكُورُ إِلَّا مَادَّةَ يَسِيرَةٍ وَزَالَتْ ، وَبِقِيَّةٍ ضَعْفٍ تَوَلَّتْ
بِحَمْدِ اللَّهِ وَبِرَكَّةٍ مَوْلَانَا وَمَا تَوَلَّتْ ؛ وَمَا عَيَّدَ الْمَمْلُوكُ إِلَّا وَشَفَاءُ الْجَسَدِ فِي أَرْزِيَادِ ،
وَالنَّفْسِ بِالْوَقْتِ وَبِالْمَشْرِفَةِ فِي عَيْدَيْنِ قَائِمَيْنِ بِأَعْيَادِ ؛ لِأَزَالَتْ مِنْ مَوْلَانَا إِزَاءَ اللَّحْظِ
حَيْثُ دَارَ ، وَوُدَّهُ وَحِمَاهُ جَامِعِينَ فَضَّلَ الْجَارِ وَالِدَّارَ .

زهر الريح :

لِأَزَالَ مَحْرُوسَ الشِّيمِ ، هَاطِلَةً سَحَابُهُ بِالذِّيمِ ؛ مَشْكُورًا بِلِسَانِ الْإِنْسَانِ وَالْقَلَمِ .
الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ مُؤَدِّيًا لِلْوَاجِبِ ، وَيُوَاصِلُ بَدْعَاءِ صَالِحٍ أَصَارَهُ إِنْعَامُهُ
ضَرْبَةً لِأَرْبِ .

وَيُنْهَى إِلَى كَرِيمٍ عِلْمُهُ وَرُودَ مَشْرِفِهِ الَّذِي أَبْهَجَ الْأَنْفُسَ وَضَاعَفَ الصَّبَابَةَ ؛
وَأَفْنَى الصَّبْرَ عَنْ حُمِيَّاهُ وَإِنْ كَانَ مَا أَفْنَاهُ أَيْسَرَ صَبَابَهُ ؛ وَأَنَّهُ عِلْمٌ مِنْهُ إِنْعَامُهُ وَتَشَوُّفُهُ
إِلَى الْمَمْلُوكِ وَإِلَى سَمَاعِ أَخْبَارِهِ ، وَمَا أَبْدَاهُ مِنْ شَفَقَةٍ أَلْفَتْ مِنْ إِحْسَانِهِ وَعُورَتْ
مِنْ كَرِيمِ نَجَارِهِ ؛ وَتُحَقِّقْتُ مِنْ شِمِيهِ عَلَى مَنْ يَنْأَى عَنِ بَابِهِ الْعَالِيِ وَدَارِهِ ، فَاللَّهُ يُجْرَسُ
هَذِهِ الْأَخْلَاقَ الَّتِي هِيَ أَرْقُ مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالِ ، وَالشَّمَائِلَ الَّتِي تَفْعَلُ بِطُفْنِهَا فَعَلَ
الْجِرْيَالِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ فَوَاللَّهِ لَا يُحْصِي شَوْقَهُ إِلَى الْخِدْمَةِ الْعَالِيَةِ وَلَا يَحْصُرُهُ ، وَلَا يَقْدِرُ
عَلَى وَصْفِ مَا يُسِرُّهُ مِنَ الْآتَوَاقِ وَيُظْهِرُهُ ؛ إِنَّمَا الْأَعْتَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى شَاهِدِي عَدْلٍ
مِنْ خَاطِرِهِ وَقَلْبِهِ ، وَهَمَا يُغْنِيَانِ الْمَمْلُوكَ عَنِ شَرْحِ لَوْلَائِهِ بِالْسِّنَةِ أَقْلَامِهِ وَوُجُوهِ كُتُبِهِ ؛
وَأَمَّا السُّؤَالُ عَنِ أَخْبَارِ مِرَاجِ الْمَمْلُوكِ فَإِنَّهُ كَانَ فِي أَلِيمٍ دَائِمٍ ، وَسُقْمٍ مُلَازِمٍ : لِشِدَّةِ
الْمَرَضِ ، الَّذِي كَادَ يَحْتَوِي عَلَى جَوْهَرِ جِسْمِهِ وَالْعَرَضِ ؛ فُذِّ وَرَدَّ كِتَابُ الْمَوْلَى
أَنْعَشَتْ قُوَّتَهُ ، وَأَشْتَدَّتْ مَتْنُهُ ؛ وَصَدَقَتْ فِي طَلْبِ تَسَاوُلِ الْغَدَاءِ شَهْوَتُهُ ؛ وَتَرَجَّى

الشفاء بعد أن كان على شفا التلّف ، وكان له كالطبيب الآسى فى إزالة مَرَضِ
الآسَا والآسَف . وقد حصلت للملوك مَسْرَتَانِ بكتَابِ المولى وعافيته ، وفرحتانِ
بما أهداه إليه من عفو وإنعامه ومحو أثر الألم وتعفّيته ؛ وكلُّ ذلك بسعادته .

ومنه : ورد المَشْرَفُ العالى لا زال قَدْرُ مَرْسِلِهِ شريفا ، وشرفه الباذِخُ يجعل
كلَّ شريفٍ مشرُوفًا ؛ وسحابُ جوده تُهدى إلى الأولياء من مكارمه تليدا وطريفا ؛
وقواضيه تُردُّ [طَرْف] حوادثِ الأيام عنه مطرُوفًا ؛ وأياديه تبعثُ لمحبيه مُخْفًا ،
وهيبته تُهدى إلى الأعداء خَوْفًا ، والدهرُ بخدمة جنابه العالى مشغوفًا ؛ فوقف عليه
وقوفٌ مشتاقٍ إلى مُسْطَرِهِ ، متزّه فى ربيع ألفاظه وحسن أسْطَرِهِ ؛ وعرف منه
إحسانًا ما قَتِيَّ يعرفه ، وتفَضُّلا ما زال المولى بمثله يُخْفُه ؛ وما أشار إليه من شدّة
إيثاره ، لرؤية المملوك وسماع أخباره ؛ والذى يُنبئه أن جسده كان قد تضاعف
صَبْعُهُ ، حتى أتعب الألسنة وصفه ؛ فلما وقف من مشرف المولى على خطِّ هو
الوشى المنعم ، وألفاظُ هى الرِّحيقُ المُخْتَمُّ بل الدر المنظم ؛ وسحر هو محلل وكل سحر
مُحْرَمٌ ؛ أبل المملوك وبردت غلته ، وبرات علته ؛ وكان كمن استوفى نصيبه من
النَّصَبِ ، وأخذ قِسمه من السُّقْمِ والوَصَبِ ؛ فسقاه مشرفه الصّحة فى كاس ،
وأفاض عليه من العافية أنغر لباس .

آخر :

ورد الكتاب فعمت الأفراح * وأضاء فى ليل الآسا الإصباح !
وأفترت نغز للزمان بفرحة * وللغظه طربت ربي وبطاح !
وتضوّعت أرواح طيب عرفها * تحيا به الأجسام والأرواح !
وسقى سلاف فصاحة وبلاغة * ما ألمسك عند شميمها ما ألاج !

شكر الله مننه ، وأخدمه زمته ، ومنحه من العيش أغضبه واحسنه ، وشرف ببقائه
الدهر وسنف بمدحه أذنه .

المملوك ينهى إلى علمه ووصول مشرفه الذى تزهدت الأعين في حُسن منظره ،
ويانح ثمار لفظه البديع ووشى أسطره ، وأنه استنشق من ريحه أطيب نفعه ،
وتقمص منه ثوبى دعة وصحة ، فشفي داء شَف منه جسمه ، وزاد لوروده سروره
وزال همُّه ، وعلم إتمام المولى الذى لا يشك فيه ، وإحسانه الذى لا يحضره لسان
مادح ولا يحصيه ، وما ذكره من الألم الملم به وأشتغال خاطرهِ الكريم لما ألم
بجسمه ، والمرض بسعادة المولى قد بقي منه قلبه ، وتقلص بعد ما امتد ظله ، والعافية
نتجّل إن شاء الله تعالى برؤية محياه الكريم ومشاهدته ، والمثول بين يديه العاليتين
في خدمته .

النوع الخامس عشر (فى الذم)

ذم بجبل : لأحمد بن يوسف :

كأنَّ البُخْلَ والشُّومَ صارا معاً فى سَهْمِهِ ، وكانا قَبْلَ ذلك فى قِسْمِهِ ، فحازهُما
بالوِرائَةِ ، وأستحقَّ ما أَسْتَمَلَكَ مِنْهُمَا بالشُّفْعَةِ ، وأشْهَدَ على حِيَازَتِهِمَا أهلَ الدِّينِ
والأَمَانَةِ ، حتَّى خَلَصَا له من كُلِّ مانِعٍ ، وسَامَا له من تَبِعَةِ كُلِّ مُنَازِعٍ ؛ فهو لا يُصِيبُ
إِلَّا مُخْطِئاً ، ولا يُحْسِنُ إِلَّا نَاسِياً ؛ ولا يُنْفِقُ إِلَّا كَارِهاً ، ولا يُنْصِفُ إِلَّا صَاغِراً .

وفى مثله : وصلَ كَتَابُكَ فَرَأَيْناكَ قد حَلَيْتَهُ بِزَخَافِ أَوْصَافِكَ ، وأخْلَيْتَهُ من
حَقَائِقِ إِنْصَافِكَ ؛ وأكثرتَ فيه الدَّعَاوى على خَصْمِكَ ، من غيرِ بُرْهَانٍ أُتِيَتْ به
على دَعْوَاكَ وزَعْمِكَ .

ومنه : ولو أراد غير ذلك من الأخلاق السنية ، الشريفة الهنيئة ؛ لاستوحش في سبيلها ، ووقع في مَضَّة منها ، ولن يجد من سلفه ولا نفسه دليلاً عليها ، ولا هادياً إليها .

ومنه : لأبي العيَّان :

أما بعد ، فلا أعلم للعرف طريقاً أحذر ولا أوعر من طريقه إليك ، ولا مستودعاً أقلّ زكاءً ولا أبعد ثمرة خيراً من مكانه عنده : لأنه يحصل منك في حسب دنيّ ، ولسان بدئيّ ، ونسب قصيّ ، وجهل قد ملك طباعك ، فالعرف لديك ضائع ، والشكر عنده مهجور ؛ وإنما غايتك في المعروف [أن] تُحرزه ، وفي وليّه أن تكفُر به .

ومنه : لمحمد بن الليث :

بكم علن الظلم ، وظهرت البدع ، وأنذفن الحق ، وعزّ الفاجر ، وظهر الكافر ، وفشت الآثام ، ونقضت الأحكام ، وأخذت عباد الله حولا ، وأمواله دولا ، ودينه دخلا .

ومنه : لأبي عليّ البصير :

عدوك من عزل عنك ، وصديقك على وجل منك ؛ إن شاهدته عاقك ، وإن غبت عنه حاقك ؛ تسأله فوق الطاقه ، وترهقه عند الفاقه ؛ وإن اعتذر إليك لم تعذره ، وإن استنصرك لم تنصره ؛ وإن أنعم عليك لم تشكره ؛ ولا يزيدك السن إلا نقصا ، ولا يفيدك الغنى إلا حرصا ؛ تسمو إلى الكبير ، بقدر الصغير ؛ وتشف للتطفيف لالتخفيف ؛ تعترض الناس بالسؤال ، غير محتشم من الإملا ، ولا كاره لأن ينظر إليك بعين الاستقلال ؛ حتى لقد أخرجت الأضغان ، وقبحت الإحسان ؛ وزهدت

في أصطناع المعروف، وإغاثة المهوف، والناس منك بين أسرار تُفشى، وبوائق تُحشى، وشناعات وإرداه، ونوادير بارده، ودك تحلق، وشرك تملق .

ومنه : لسعيد بن حميد :

رجل يعنف بالنعم عنف من قد ساءته مجاورتها، ويستخف بحقها استخفاف من لا يخف عليه مجملها؛ ويقصر في شكرها تقصير من لا يعلم أن الشكير يتبطها؛ ومن كانت هذه حاله في اختياره لنفسه، فكيف أرجو حسن اختياره لي؟ ومن كان في مدة من ابتلاء الله بعيدة ما بين الطرفين لأدرى أينفد بي الأجل إلى أقصاها؛ أم يقصر بي في أذناها؛ فكيف يتسع الصدر للصبر عليه، إن الله لا يخاف الفوت فهو يمهل، وإنه إن مات لم يخرج من سلطان الله جل وعز إلى سلطان غيره فيعاجله؛ وأنا على خوف من إعجال المدى عن بلوغ [منأى فأذهب] حرجاً صدرى، وعلى ثقة من الشغل في الآخرة بنفسى عن التشنى من أهل عداوتى وترى؛ وأحمد الله على المحنة، وأسأله تعجيل روح النعمة، وفسحة العافية .

النوع السادس عشر

(في الأخبار).

قال في "مواد البيان": كُتِبَ الأخبار وإن كانت من الكتب الكثيرة الدوران في الاستعمال فليست مما يمكن تمثيله، ولا حضر المعاني الوايقة فيه برسوم تشمل عليها، نعم ولا أن تقدم له مقدمة تكون توطئة لما بعدها، كما يجرى الأمر في سائر فنون المكاتبات الأخر التي لا تتخلو من مقدمات تحل منها محل الأساس من البنيان،

(١) هذه الزيادة يقتضها المقام .

(٢) مراده الواقعة فيه ولعله مصحف عنه تأمل .

والرأس من الجثمان ؛ لكن المقدمات التي تُوضَعُ في الكتب من شرطها أن تكون مشتقةً من نفس معنى الكتاب ، ومنه الخبر لا يمكنه أن يستنبط من كل خبرٍ ينهيه مقدمة تكون بساطله ، وإنما يقول : كتبت من موضع كذا يوم كذا ، والذي أنهيه كذا ؛ بل الذي يلزمه أن يتحداه ببطاقته ، ويتجرأه بجهدته ، أن يبين ما يطالعُ به من الأخبار ؛ ويكشفه ويوضحه ويفصح عنه ، ولا يقف منه إلا عند الشفاء والإقناع لتتقرر صورته في نفس من ينهيه إليه ؛ اللهم إلا أن يكون الخبر مما يوجب الأدب العُدول عن لفظه الخاص به ، والإخبار عنه بالفاظٍ تؤدي معناه ، ولا يهجم على المُخبر بما يسوء سماعه ، كأن يكون خبراً يرفعه إلى سلطانٍ عن عبده له قد أطلق فيه ما يضع منه ويُسقط مهأبته ، أو نحو من ذلك مما يتثقل على السلطان المنفص منه ، فإنه ينبغي أن يعدل في هذا وأمثاله عن التصريح إلى التعريض ، ومن التصحيح إلى التمرّيص ، وعن المكاشفة إلى التورية ، وأن يأتي بالفاظٍ تدلُّ على معاني ما يُروم إبداءه ، ويحرص [على] صورة منزلة السلطان وتوقيره عن قرع سمعه بما يكرهه ولا تجوزُ مقابلته به ؛ وأن يقصد إلى استعمال الإيجاز والإطناب في المواضع التي تحتمل كلا منهما ، فهذا ما يمكن أن يُتعرّف من رسوم هذا الباب .

قال : ومن نفذ فهمه وخطره في الصناعة وتدرّب فيها ، يكتفي بهذه اللُمة ولا يحتاج إلى زيادةٍ عليها .

في الإخبار بوقوع مطر وسيل

من ترسل أبي الحسين بن سعد :

فالماء منه يفيض على العُمران ، بعد أن ضاقت به المغايبُ والعُذران ؛ فأني على كثير من التلال والرؤابي ، فضلا عن الرساتيق والقري ؛ وصار الوادي على اتساع

عَرَضَهُ ، وَأَمْتَدَادِ طَوْلِهِ ، وَسَعَةِ مَصَبِّهِ ، وَفُسْحَةِ مَغِيْضِهِ ، لَا يَفِي بِهَضْمِهِ ، وَلَا يَقُومُ بِجَمَلِهِ ؛ فَبَاقِضٍ مِنْهُ مَا عَطَّلَ الْعُمْرَانَ وَنَسَفَ الدُّورَ وَمَحَقَ الزُّرُوعَ ، فَعَظُمَ بِهِ الْبَلَاءُ ، وَكَثُرَ لَهُ الْجَلَاءُ ، وَشَبِلَ النَّسَادُ ، وَعَظُمَ الْحَرَابُ .

صدر كتاب بإخبار عن الخليفة :

كُتِبَتْ ، وَمَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَطُّدٍ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَتَمَهُّدٍ مِنْ دَوْلَتِهِ ، وَعُلُوٍّ مِنْ رَأْيِهِ ، وَنَفَازٍ مِنْ كَلِمَتِهِ ، وَعِزٍّ مِنْ سُلْطَانَتِهِ ، وَارْتِفَاجٍ مِنْ شَانِهِ ؛ وَنِعْمَ سَابِغَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ ؛ فَالْصِّبَةُ عَنْ أَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَخَالَفَتِهِ ، وَاسْتِقَامَةٌ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتُغُورِهِ ، وَاسْتِتْبَاطٌ مِنْ أَحْوَالِهِ وَأُمُورِهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ حَمْدًا لَا يَقِفُ دُونَ رِضَاهِ ، وَلَا يَحِيطُ بِمَقْدَارِهِ سِوَاهِ .

صدر بإخبار عن الوزير :

كُتِبَتْ ، وَحَضْرَةُ الْوِزَارَةِ السَّامِيَّةِ فِي نِعْمٍ مُخَصَّبَةٍ الْأَكْثَافِ ، بِعَيْدَةِ الْأَطْرَافِ ، سَادِرَةِ الْوَيْلِ ، سَاحِبَةِ الدَّلِيلِ ؛ وَمَا أَنْظَرَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دَوْلَتِهِ مَنَظِّمٌ ، وَأَرَاغِيهِ مِنْ أَحْوَالِ رَعِيَّتِهِ مُلْتَمِّمٌ ؛ وَقَدْ وَطَأَ اللَّهُ لَهُ أَوْعَارَ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْيِيرِ ، وَوَقَفَهُ عَلَى جَوَادِّ الْمَصْلُحَةِ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَسْتَقِلُّ بِحَقِّهِ فَيَقْضِيهِ ، وَبِوَاجِبِهِ فَيُؤَدِّيهِ ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ عِزُّ سُلْطَانَتِهِ فَيُرْضِيهِ .

صدر بإخبار عن أمير :

كُتِبَتْ ، وَالْأَمِيرُ فِي عُلُوٍّ مِنْ سُلْطَانَتِهِ ، وَارْتِفَاجٍ مِنْ شَانِهِ ، وَظَفَرٍ يُوَاكِبُ أَلْوِيَّتَهُ ، وَنَضِيرٍ يُصَاحِبُ دَوْلَتَهُ ؛ وَوَاوِيٍّ عَلَى مَنْ ظَلَّهْ ، وَشَمْلَانِيٍّ مِنْ فَضْلِهِ ، مَا سَبَغَ لِبَاسَهُ ، وَطَابَتْ أَعْرَاسُهُ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ اعْتِرَافًا بِنِعْمَتِهِ ، حَمْدًا يُوجِبُ شُمُولَ مَتْنِهِ ؛ وَيَسْتَدْعِي الشُّكْرَ عَلَيْهَا ؛ وَيَقْضِي بِمَزِيدٍ مِنْهَا .

صدر باخبارٍ عن عافية المكتوب عنه :

كُتِبْتُ ، وأنا صالحُ الحال ، وقد مَنَّ اللهُ تعالى بالعافية والإنعاش ، والإفالة
والا^(١)ش ؛ وأعاد إلى الصحة بعد نبوِّها وذهاها ، والسلامة بعد تجعِّها وإغرابها ؛
وأَسْبَلَ النِّعْمَةَ بعد الإنذار ، والتحذير من الإغترار ؛ ممحِّصاً بما أَلَمَّ من الآلام
عَصَبَ الأيام ؛ والحمد لله أولى ما نلت به النعم ، وطُرِّز به المفتَح والمختَم ؛ حمداً
يؤمِّن من التغيير والتبديل ، ويُعيد من الانتقال والتَّحوِيل .

أَبْنُ أَبِي الْخِصَالِ ، فِي الْإِخْبَارِ عَنْ زَلْزَلَةِ عَظِيمَةٍ وَقَعَتْ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ .
الشيخُ الأَجَلُّ ، الولِيُّ الأَكْرَمُ الأَفْضَلُ ؛ أَبُو فُلانٍ ، الَّذِي أُطْرَفَهُ اللهُ تَعَالَى
بِعَجَائِبِ الْإِخْبَارِ ، وَأَذْهَبَ بِهِ فِي مَسَلِكِ الْإِتِّعَاطِ وَمَنْهَجِ الْإِدِّكَارِ ؛ أَبْقَاهُ اللهُ أَخِذًا
فِي سَنَنِ الْإِتْرَعِاجِ وَنَهْجِ الْإِزْدِجَارِ . الْخَلِصُ لَهُ الْخَصَّ النَّاصِعَ مِنَ الْوَلَاءِ ، وَمَعْرُفَةٌ
غَرِيبِ الْآثَارِ وَعَجِيبِ الْأَنْبَاءِ ؛ فُلانٌ .

سَلامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الَّذِي جَعَلَ عِبْرَهُ أَنْوَاعاً مُتَلَوِّنَةً وَصُنُوفاً ، وَأَرْسَلَ الْآيَاتِ
(وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) . وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى صَلَاةً طَيِّبَةً
تَعْبِقُ تَأْرِيحًا وَتَضُوعُ تَعْرِيفًا ؛ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ حَضَرُوا حُرُوبًا
وَشَهِدُوا زُحُوفًا ؛ وَالدِّعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَصْرِ عَزِيزِ يُوَسِّسُ مَدْعُورًا
وَيُؤْمِنُ مَخُوفًا ، فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللهُ لَكُمْ دَعَاةً حَافِظَةً وَأَمَانًا ، وَتَصَدِيقًا بِآيَاتِ اللهِ
الْبَيِّنَةِ وَبُرْهَانًا - مِنْ مَوْضِعِ كَذَا ، عِنْدَ مَا طَرَأَ عَلَيْنَا مَا حَلَّ الْعُيُونَ بِقَدَّاهَا ، وَمَنْعَهَا لَدَيْدًا
كَرَّاهَا ، وَأَخْفَقَ الضُّلُوعَ الْحَانِيَةَ وَأَقْلَقَ مَصَارِينَ حَشَاهَا : وَهُوَ أَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

(١) بيض في الأصول لهذا الحرف .

ذَكَرَ عِبَادَهُ إِنَّ نَفْعَ الذِّكْرِ، وَتَبَهُمْ إِنَّ تَنْبَهُوا وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ كَيْدًا مُبِيرًا وَلَا مَكْرًا؛
وَذَلِكَ بَزْزَالِ قَضِيٍّ بِهِ عَلَى قُرْطُبَةَ وَبَعْضِ أَعْمَالِهَا، وَمَلَأَ نَفُوسَ سَائِكِيهَا مِنْ رَوْعَاتِهَا
وَأَوْجَالِهَا؛ وَحَالَتْ لِذَلِكَ فِي الْخَوْفِ وَالْأَرْتِفَاعِ أَقْبَحَ حَالِهَا؛ حَتَّى نَحْوًا إِلَى الْإِسْتِكَانَةِ
وَالضَّرَاعَةِ، وَأَطَاعَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ طَاعَةٌ؛ وَخَشُوا بَلْ كَانُوا يُوقِنُونَ
أَنَّهَا زَلْزَلَةٌ السَّاعَةِ . وَكَانَ مِنْ عَظِيمِ آثَارِهَا، وَكَرِيهٍ لِإِيرَادِهَا وَإِصْدَارِهَا، أَنْهَادُ الْقُبَّةِ
الْعُظْمَى فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ صَانَهُ اللَّهُ ، وَكَانَتْ قُبَّةً أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بِنَاؤُهَا ، وَذَهَبَ
فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ذِكْرُهَا الْعَاطِرُ وَشَأُؤُهَا ؛ وَتَهَدَّمَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَهْدَمِ دِيَارٌ
كَثِيرَةٌ، وَحَدَّثَ بِهِ خَوَادِثُ مُبِيرَةٍ . وَأَمَّا تَلُوكَةٌ مِنْ أَعْمَالِهَا، وَكَانَ فِيهَا مَبْنَى مِنْ مَبَانِي
الرُّومِ، فَإِنَّهُ غَادَرَهَا قَاعًا صَفْصَفًا، وَقَرَأَ نَفْنَفًا؛ وَأَضْطَرَّ ذَلِكَ الْخَطْبُ الْفَادِحُ، وَالرَّيْحُ
الْقَادِحُ؛ إِلَى أَنْ نَجَرَ السَّيِّدُ أَبُو إِسْحَاقَ وَكَافَّةَ أَهْلِ قُرْطُبَةَ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَفَرَّوْا مِنْ
الْمَوْتِ بِأَقْوَاتِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَدَارَكَ بِالرُّحْمَى ، وَكَشَفَ تِلْكَ
الْعُغْمَى ، جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ صَفْلًا لِقُلُوبِنَا ، وَتَوْبَةً عَمَّا سَبَقَ مِنْ ذُنُوبِنَا ؛ وَعَصَمْنَا
مِنْ جُرْمِنَا الْمُؤَبِقِ وَحُوبِنَا ، وَأَوْلَانَا وَإِيَّاكُمْ أَمْنًا مِنَ الْغَيْرِ، وَأَزْدَجَارًا بِمَا ظَهَرَ مِنْ
الْعَبْرِ؛ وَجَعَلَ كَلَانًا جَمِيلَ الْحَوَادِثِ طَيِّبَ الْخَبْرِ، بِمَنَّةٍ؛ وَالسَّلَامُ الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

من كلام المتأخرين في الإخبار بقدم نائبي إلى نياية .

من ذلك نسخة كتاب عن نائب الشام إلى كافل الممالك الإسلامية مُخْبِرًا لَهُ بِوُصُولِهِ

إِلَى دِمَشْقَ ، مِنْ إِثْنَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ . وَهُوَ بَعْدَ الْأَلْقَابِ :

(١) لعله في الخفض .

(٢) جرى الكاتب في كلا على لغة من يعربها اعراب المقصور على حد قوله :

نعم الفتى عمدت إليه مطبى * في حين جد بنا المسير كلانا شرح الأشموني

لا زالت آفاق الممالك مضيةً بأنوار شمسه، هنيةً بأنس سعادته وسعادة أنسه؛
سنيةً المقاصد التي قام في كفالتها بنفاسة نفسه؛ ولا يرح يستثمر من خير الدنيا
والآخرة ما قدم صنعه الجميل من غرسه . تقبيلًا يُشافه به القلم القِرطاس ، ويودّ
المملوك لو شافه به الخدم ساعيًا سعى القلم على الرأس . وينهى قيامه بوظائف دعاء
يُنير الحلك ، وولاءٍ يدورُ بكواكب الإخلاص إدارة الفلك ؛ وحمدٍ تذهب به
صفحات الصحف حيث ذهب وتسلُّك عُقود الأفلاك حيث سلك ، وأنه خدم
بهذه العبودية عند وروده إلى دمشق المحروسة لنيابة كانت عناية مولانا سفيرة
أمرها ، ومميزة برها ، يوم كذا ؛ وسعادة مولانا السلطان - خلد الله ملكه - تعلمه
وتعلمه ، والغيث بركات الدولة القاهرة يسيره ويقدمه ؛ وتغرُّ المطر يسابقُ تغرُّ
المملوك إلى مشافهة الثرى ويلثمه ؛ والرعية منه آمنة في سربها ، وادعة بظلال
الأبواب الشريفة مع بعدها دعة الصوامر في قُرُوبها ، وباكر المملوك يوم الاثنين
الذي بُورك فيه : في الخميس من يوم وجيش ، وأنتصب لمهمات على مثلها
في الخدمة يطيب أن يرفع لئن العيش ؛ مجتهدا فيما هو بصدده ، مستمداً من ربه
عز وجل وسعادة سلطانه برشده ، معتدلاً نعم مولانا فيما يأتي [في] ذلك من أوفى وأوفر
عده ومدده ، والله تعالى يُعين المملوك على شكر من مولانا الباطنة والظاهره ،
والغائبة والحاضرة ، والمقيمة والمسافره ، ويصلُّ نفع المملوك بولائه في الدنيا والآخرة ؛
ويقيم الرعايا بالأمن في كفالاته التي ما برحتُ بعين الأعداء فإذا هم بالساهره .

الأجوبة عن كتب الأخبار

قال في "مواد البيان" : الأخبارُ على أكثر الأحوال لأجوبة لها ، وإنما هي
مطالعاتُ بأمور يُنهى الخدم ، وأصحابُ البرد إلى السلاطين ، مما تتخرج أو أمرهم

إلى الولاية بما تَصَمَّتْه : مما يقتضيه كلُّ خبر ينهى من سياسة عامة ، أو مصلحة تامة . قال : فأما ما يستعمله الإخوان في المكاتبه بالأخبار التي يكُلُّ بعضهم إلى بعض الإخبار بها ، فمنها ما يقتضى الجواب ، ومنها ما لا يقتضيه . قال : وأجوبة ما يقتضى الجواب منها تُفْتَنُّ بحسبِ آفتان الأخبار والأغراض التي يجب المحيَّبُ بها ، وهو أيضا مما لا يعبر عنه بقوي جامع ولا برسم رسم كَلِّي ، وإنما يرجع فيه إلى الأمور التي يبتدأ بها ويُجاب عنها .

النوع السابع عشر (المداعبة)

قال في "مواد البيان" : ومعاني المداعبات التي يستعملها الإخوان غير متناهية ، والأغراض التي ينتظمها المزاح وتعدُّ من طلاقة النفس لا تقف عند قاصيه : لأنها مستملاة من أحوال متباينه ، وماخوذة من أمور غير معينه ، وحضرها في رسوم جامعة يستحيل ، وتمثيلها غير مفيد : لأنه لا تعلق لبعضها ببعض ، ولا نسبة بين الواحد والآخر ، ثم قال : والأحسنُ بأهل الوداد والصفاء ، والأليقُ بذوي المخالصة والوفاء ، أن يتزَّهوا في المداعبة الدائرة بينهم عن بدئ اللفظ ومفحشه ، ومؤلم الخطاب ومقذعه ، ويكفوا اللسان واليد عن الإطلاق بما يدل على خفة الأحلام ، والرضا بالرذل من الكلام اللائق بسفهاء العوام ، ويتخرجوا من إرسال قول يبقو وضمه على [مدى الأيام] إذ لا فرق بين جرح اللسان وجرح اليد ، وقد نطق بهذا المثل : لما في ذلك من الترفع عن دنايا الأمور التي لا يتنازل إليها الكرماء ، والتزَّه عن المساقط التي لا يستعملها الأدباء ، وصيانة المروءة عما يسيئها ويحدثها ، وتوقيرها

عما يَنْقُصُهَا ، والأَمْنِ من الجواب الذي رُبَّمَا قَدَحَ في النفس وأثرٌ ، وأحمى الصدرَ وأوغرَ ؛ ونقل عن التَّوَادُّدِ إلى التَّضَادُّدِ ، وعن التَّدَانِي إلى التَّبَاعُدِ ؛ وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين على كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بقوله من أبياته المنسوبة إليه :

فَرُبَّ كَلَامٍ يُمِصُّ الْحَشَا * وَفِيهِ مِنَ الصَّحْكِ مَا يُسْتَطَابُ

مع مُرَاعَاةِ السَّلَامَةِ من المُدَاخَلَةِ المُنْطَوِيَةِ عَلَى الفِعلِ ، والمُرَاةِ المَبْنِيَةِ عَلَى المَكْرَبِ ؛ إذا لم يَكُنْ لِلتَّجَاوُزِ عَلَى الأَبْتِدَاءِ المِصُّ بالجواب المريض ، وغير ذلك مما لا تُؤْمَنُ عَاقِبَتُهُ ، ولا تُحَسِّنُ عَائِدَتُهُ . قال : ويكون المستعمل في هذا الفنَّ مَاخَفَ مَوْقِعَهُ ؛ ولَطَفَ مَوْضِعَهُ ، وهَشَّ لَهُ سَامِعُهُ ؛ وتَلَقَّاهُ الوَارِدُ عَلَيْهِ مستَحْلِيًا لِثِمَارِهِ ، مستَدْعِيًا لِأَنْظَارِهِ ، ولا يُعَدَّلُ بِهِ عن سَمْتِ الصِّدْقِ ، وطريقِ الحَقِّ ، ومَذْهَبِ التَّحَرُّزِ من المَدَّقِ ؛ ويُقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى النَادِرَةِ المَسْتَطْرَفَةِ ، والنُّكْتَةِ المَسْتَطْرَفَةِ ؛ واللُّعَّةِ المَسْتَحْسِنَةِ ، والفِقْرَةِ المَسْتَعْرَبَةِ ، دُونَ الإِطَالَةِ المُمَلَّةِ ، ولا يجعل المَرْحَ غالبًا عَلَى الكَلَامِ ، مُدَاخِلًا لِجَمِيعِ الأَقْسَامِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ معَانِي المَكَاتِبِ ، وَيُجِلُّ نِظَامَ المَخَاطَبِ ، وَيَضَعُ من مَعْنَاهَا وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا ، وَيُوخِمُ لَفْظَهَا وَإِنْ كَانَ لَطِيفًا ؛ وَيَذْهَبُ بِجِدِّهَا فِي مَذْهَبِ الهَزْلِ وَيُمِيلُهُ عن القَصْدِ ؛ وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ بَعْضُهُمْ بقوله :

أَفَدِ طَبَعَكَ المَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً * بَلْهُوٍ وَعَلَّةٌ بِشَيْءٍ مِنَ المَرْحِ !

وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ المَرْحَ فَلْيَكُنْ * بِمِقْدَارٍ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ المِلْحِ !

وَأَنْ يَقْتَصِدَ مع ذَلِكَ . ثم قال : وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ إِلَى اسْتِعْمَالِ الدَّعَابَةِ فِي المَوَاضِعِ اللاتِقَةِ بِهَا ، والأَحْوَالِ المِشَابِهَةِ لَهَا ؛ وَلَا يُودِعَ بَابًا من الأبوابِ ، مَا لَا يَحْتَمِلُهُ مِنَ الخَطَابِ : فَإِنَّ القَصْدَ فِي هَذَا النُّوعِ من المَكَاتِبِ إِنَّمَا هُوَ الإِعْرَابُ عن الظَّرْفِ والبَرَاةِ ، والإِبَانَةُ عن طَلَاقَةِ النَّفْسِ ؛ وَالإِنْسِلَاخُ من تَعْيِيسِ الفَدَامَةِ

والجَهامة؛ ثم عَقَّب ذلك بأن قال : وَمَنْ وَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِّ الْكَافِي، وَلَزِمَ فِيهِ الْأَدَبَ اللَّائِقَ بِأَهْلِ النَّصَافِي، دَلَّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، وَشَهِدَ لِمُسْتَعْمَلِهِ بِإِحْرَازٍ مَا وَصَفْنَاهُ؛ وَمَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ عُدَّ مِنَ الْمُجُونِ وَالْمُلَاعِبَةِ، وَحُسِبَ مِنْ رَذَالَةِ الطَّبَعِ وَنَذَالَةِ الْحَلِيمِ وَسَفَهَةِ اللِّسَانِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِالكَاتِبِينَ الْكِرَامِ، الَّذِينَ هُمْ خِيَارُ الْأَنْامِ، وَوِلَاةُ النَّقِصِ وَالْإِبْرَامِ. وَخَسِمَ ذَلِكَ أَنْ قَالَ : وَالكَاتِبُ إِذَا كَانَ مَهِيًّا طَبِيعًا لِلانْطِبَاعِ بِرِسُومِ الصَّنَاعَةِ وَمُنَاسِبَةِ أَوْضَاعِهَا، أَغْنَاهُ الْوُقُوفُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمُجْمَلِ فِي اسْتِعْمَالِ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنِ تَمَثِيلِ مَفْصَلٍ. وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مِثَالًا.

ابن أبي الخصال :

سَيِّدِي وَوَاوَحِدِي الَّذِي أَبْجَلَّ ذِكْرَهُ، وَأَوْلَى شُكْرَهُ، لَا زَالَ مَعْنَاكَ رَحِيبًا، وَزَمَانًا خَصِيْبًا، وَلَا زِلْتَ تَأْخُذُ لِأَثْرَاكَ نَصِيْبًا، عَبْدُكَ فَلَانَ مُؤَدِّبًا يَنْتَجِعُ الْكِرَامَ، وَيُبَارِي فِي جَرِيْبِ الْأَيَّامِ : فَتَارَةَ يَجْمَعُ، وَأَنْحَرِي يَفْرُقُ، وَطَوْرًا يُغْرِبُ، وَطَوْرًا يُشْرِقُ، وَأُمَّ الْخَضْرَاءِ - وَصَلَ اللَّهُ حِرَاسَتَهَا، وَأَدَامَ بَهْجَتَهَا وَتَفَاسَتَهَا - وَالْمُلْكُ بِهَا غَضُّ الشَّبَابِ، أَخْضَرُ الْحُلُبَابِ، وَإِحْسَانُكَ إِحْسَانُكَ، وَمَكَانُكَ مِنَ الْمُرُوءَةِ مَكَانُكَ، فَأَوْسَعَهُ قَرِي، وَأَمْلَأَ عَيْنِيهِ عَلَى الشَّبَعِ كَرِي، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، بَلْ أَعْجِدُهُ تَبْنَا وَعَلَفَا، وَأَرْكِبُهُ حَزْنَا مِنَ الْأَرْضِ ظَلَفَا، وَدُونَكَ لَمْ يَقْلَبْ أَرْضَهُ بَيْطَارًا، وَلَا لِحْنَانِيَّةً بِهِ جَبَّارًا، وَجَرَحَهُ جَبَّارًا، وَعِنْدَهُ كَمَا عَلِمْتَ دَعَاءُ مُبَاحٍ، وَتَشَاءُ فِي الشُّكْرِ مَسَاءً وَصَبَاحًا، وَالسَّلَامُ.

(١) الظلف بالتحريك ما غلظ من الارض فلم يؤد [أى لم يظهر] أثرًا . انظر اللسان ج ١١

من كلام المتأخرين :

كتب بعضهم إلى كمال الدين بن الأثير ، وقد جاء إليه في بستانه فلم يجده
ولا وجد من أنصفه .

حضر المملوك البستان ، مستديناً فطوف الإنعام والإحسان ، وأستطر سحاب
فضله ، وهز إليه بجدع نخله ؛ فلم تنساقط عليه رطباً جنيماً ، فعلم أنه قد جاء شيئاً
فرياً ؛ فنبت نفسه مع تصاعد الأنفاس ، والطمع يشده :

* مافي وقوفك ساعة من بأس *

فانطلق حتى أتى القرية مستطعياً أهلها فأبوا أن يضيّفوه ، مستعظفا حاشيته الرقيقة
فأبوا^(١) حاشيته أن يستعطفوه ؛ وقال كل منهم : تُطالب بالقرى كما تُطالبُ بدينك !
أرجع حيث شئت هذا فراقُ بني وبنك ! وعلم أنه لو أقام بها جداراً لما أُعطى
عليه أجر ؛ ولو حاول قرى لسيع من التوبيخ مالم يستطع عليه صبراً ؛ فرجع بخنى
حين ؛ بعد مشاق جرت كاسات الحين ؛ فأين هذه المعاملة مما نشيعه عنه من
كريم الخلال ، وكيف نسكو نقص حظ وله كمال الإحسان وإحسان الكمال .

الأجوبة عن رقاع المداعبة

قال في "مواد البيان" : ينبغي للنجيب عن المداعبة أن يشتق من نفس الابتداء
جواباً مناسباً لها ، وأن يبيّن متى أحب الأخذ بالفضل على المسامحة ، وأطراح
المنافسة ، والإغضاء عما يمض إبقاء على المودة ، وتحسيناً لقبح الصديق ، وتعوداً
لعادة الحلم والإحتمال ؛ وأن يهّب في الجواب مذهب الاختصار ؛ وإيراد النكت
الرائعة كما في الابتداء ، على ما تقدم .

(١) كذا في النسخ وهو على لغة يتعاقبون فيكم ملائكة .

الفصل الثامن^(١)

(في إخفاء ما في الكُتُب من السَّرِّ)

وهو مما تَمَسُّ الحاجةُ إليه عند اعتراض معترضٍ من عدو ونحوه يُحوَّلُ بين المكتوبِ عنه والمكتوبِ إليه : من ملكين أو غيرهما حيث لم تُفد المَلَطَّفَات لضرر الرِّصْد وزيادة الفَحْص عن الكُتُب الواردة من الجانيَيْن، وهو على نوعين :

النوع الأول

(ما يتعلق بالكتابة، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يتعلق بالمكتوب به)

وذلك بأن يُكْتَبَ بشيء لا يظهر في الحال، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلا يكون مقررا بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة، أو مسح به شيء، أو عرَّضه على النار ونحو ذلك .

وقد ذكروا لذلك طُرُقًا :

منها — أن يُكْتَبَ في الورق بلبنٍ حليبي قد خُلِطَ به نُوشَادِر فإنه لا تُرَى فيه صورةُ الكتابة، فإذا قُرِب من النار ظَهَرَت الكتابةُ .

ومنها — أن يُكْتَبَ في الورق أيضا بماءِ البَصَلِ المُعْتَصِر منه فلا تُرَى الكتابةُ فإذا قُرِب من النار أيضا ظَهَرَت الكتابةُ .

(١) أي من الباب الثاني من المقالة الرابعة وهو آخر فصولها فهي ثمانية لاسنة وتقدم في ج ٦ ص ٣٦٥

أنها ستة موافقة للأصول فتنبه .

ومنها — انه يكتُب فيما أراد من وَرَق او غيره بماءٍ قد خُلِط فيه زاجٌ، فلا تظهر الكتابةُ، فإذا مَسَح بماءٍ قد خُلِط فيه العَفْص المدقوق، ظهرت الكتابةُ .

ومنها — أن يكتُب في الورق غير المنشئ بالشبِّ المحلول بماء المطر؛ ثم يلقيه في الماء أو يمسحه به، فإنه إذا جفَّ ظهرت فيه الكتابةُ .

ومنها — أن يكتُب بمرارة السُّلحفاة فإنَّ الكتابة بها تُرى في الليل ولا تُرى في النهار .

ومنها — أن تأخذ الليمونَ الأسودَ وعُروقَ الحنظلِ المقلَّوة بزيت الزيتونِ جزأين متساويين وتَسحقهما ناعماً، ثم تُضيف إليهما دهنَ صفار البيض وتكتُب به على جسد من شئت، فإنه يَبت الشعرُ مكانَ الكتابة، وهو من الأسرار العجيبية؛ فإذا أُريد إرسالُ شخصٍ بكتابٍ إلى مكانٍ بعيدٍ، فَعَل به ذلك، فإنه إذا نبتَ الشعرُ قُرئت الكتابةُ .

الضرب الثاني

(ما يتعلق بالخطِّ المكتوب)

بأن تكون الكتابةُ بقلمٍ أصطلح عليه المرسلُ والمرسل إليه لا يعرفه غيرهما ممن لعَلَّه يقف عليه، ويسمى التعمية، وأهل زماننا يعبرون عنه بجَلِّ المترجم، وفيه نظر: فإنَّ الترجمةَ عبارةً عن كَشْف المعنى، ومنه سُمي المعبرُ لغيره عن لغة لا يعرفها بلغة يعرفها بالتَّرجمان؛ وإليه يَنحَل لفظُ الحَلِّ أيضاً؛ إذ المرادُ من الحَلِّ إزالةُ العَقْد فيصيرُ المرادُ بجَلِّ المترجمِ ترجمةَ المترجمِ أو حَلَّ الحَلِّ، ولو عبَّر عنه بكَشْف المعنى لكان أوفقَ للغرض المطلوب .

ثم مبنى ذلك على قاعدتين :

القاعدة الأولى — كيفية التعمية .

اعلم أن التعمية بالنسبة إلى كل واحد من الناس باعتبار ما يبجهله من الخطوط ، فيعنى على العربى في اللغة العربية بالخطوط غير العربية ، كالرومية والعبرانية ونحوهما ، إذا كانت حروف تلك اللغة توافق لغة العرب ، أو بقليل مصطلح عليه على وفق حروف العربية ؛ وكذلك يعنى على غير العربى من الرومى ونحوه ممن يبهل الخط العربى بالقلم العربى ، وعلى ذلك .

ثم للناس في التعمية مذهبان :

المذهب الأول — أن يكتب بالأقلام القديمة التي ليست بمتداولة بين الناس مما لا يعرفه إلا الآحاد ، إذا وافق ذلك القلم اللغة التي تريد الكتابة [بها] .

وقد ذكر ابن الدريهم أن أقل اللغات المغل وهو سبعة عشر حرفاً ، وأطولها الأرمني ، وهو ستة وثلاثون حرفاً^(١) . ثم قال : والتركي عشرون حرفاً ، وكذلك الفارسي إلا أن في الفارسي ثلاثة أحرف ليست في التركي ، وهي الهاء والفاء والداأل . وفي التركي ثلاثة ليست في الفارسي : وهي الصاد والطاء المهملتان والقاف ، والعبراني والسرياني اثنتان وعشرون حرفاً [من أول أبيجد إلى آخر قرشت . واليوناني والرومي القديم أربعة وعشرون حرفاً]^(٢) ولهم قلم آخر ثلاثون حرفاً ، والقبطي اثنتان وثلاثون حرفاً ، وذكر أن جميع الأقلام مقطعة الحروف على اصطلاح أبيجد ، خلا العربي والمغلي

(١) في هذا الحصر مخالفة لما تقدم في ج ٣ ص ١٩ من هذا المؤلف فراجعه وحرر .

(٢) قد تقدم أنه من أربعة وعشرين إلى ستة وعشرين حرفاً فتنبه .

(٣) زائد في بعض النسخ .

والسرياني فإن حروفها توصل وتقطع، وقطع السرياني كالعربي، وأقلام المتقدمين المقررة: كالرومي والفرنجي وغيرهما معلومة لاحاجة إلى التمثيل بشيء منها.

المذهب الثاني - أن يصطلح الإنسان مع نفسه على قلم يتكره وحروف يصورها؛ وقد ذكر ابن الدريهم أن الناس اختلفت مقاصدهم في ذلك:

فمنهم - من يصطلح على إبدال حرف معين بحرف آخر معين حيث وقع في القلم المعروف بالقمي، وهو أنهم جعلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها؛ فجعلوا الكاف ميماً وبالعكس، والألف واواً وبالعكس، والدال المهملة راءً مهملةً وبالعكس، والسين المهملة عينا مهملةً وبالعكس، والفاء ياءً مثناةً تحتيةً وبالعكس، فيكتب محمد «كطكر» وعلى «سهب» ومسعود «كعسار» وعلى ذلك، وقد نظم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كل حرف تلو ما يُبدل به، وهو:

كَمْ أَوْ حِطِّ صَلَا لَهُ دَرَّ سَعٌ * فِي بَزِّ خَيْشٍ غَضٌّ ثَجُّ تَدَفَّقِ

قال: ومنهم - من يعكس حروف الكلمة فيكتب محمد «دعمم» وعلى «يلع».

ومنهم - من يُبدل الحرف الأول من الكلمة بثانيه مطلقاً في سائر الكلام فيكتب محمد أخو علي «حدم خا عويل» إلى غير ذلك من التميزات.

ومنهم - من يُبدل الحروف بأعدادها في الجمل؛ فيكتب محمد أربعون، وثمانية، وأربعون، وأربعة، وتعمل التعمية صفة محاسبة.

ومنهم - من يكتب عوض عدد الحرف حروفاً وهو البلغ في التعمية؛ فيكتب محمد «لى بو لى اج» لأن اللام والياء بأربعين وهى عدد مالمم الأولى، والباء

والواو بثمانية وهى عدد ما للحاء، واللام والياء أيضا بأربعين وهى عدد ما للميم الثانية، والألف والجم بأربعة وهى عدد ما للدال، فكأنه قال : م ح م د . وإن شاء أتى بغير هذه الحروف مما يتضمن هذه الأعداد .

ومنهم — من يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره .

ومنهم — من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين على ترتيبها على حروف أبجد : فيجعل الألف للشربين ، والباء للبطين ، والجم للثريا ، وهكذا إلى آخرها ، فيكون بطن الحوت للغن من ضغط . وربما أصطلح على الترتيب على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من الحيوانات ، إلى غير ذلك من ضروب التعمى التي لا يأخذها حصر . وأكثر أهل هذا الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختارها قلبا له مقطعة على ترتيب حروف المعجم . والطريق في ذلك أن يثبت حروف المعجم ثم يرتب تحت كل واحد شكلا لا يماثل الآخر ، فكما جاء في اللفظ ذلك الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط ، ثم يفصل بين كل كلمتين : إما بخط أو بنقط أو بياض أو دائرة أو غير ذلك ، وأكثر المتقدمين يجعلون الحرف المشدد بحرفين ، والمتأخرون يجعلونه حرفا واحدا ، وهذه صور حروف مترجم كان قد وصل إلى الأبواب السلطانية من مناصحين في بغداد يقاس عليه

ص	ش	س	ر	ز	د	ذ	خ	ح	ج	ث	ت	اب
هو	ع	طه	م	ك	ه	م	ح	ع	ب	س	لا	ظ
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	ولاى
ل	ن	ه	م	ك	ل	م	ن	ه	م	ك	ل	م

القاعدة الثانية — حلّ المعمى، وهو مقصودُ الباب ونتيجته .

ويحتاج المتصدى لذلك مع جَوْدَةِ الحَدْسِ وذَكَاءِ الفِطْرَةِ أن يَعْرِفَ اللِّغَةَ الَّتِي يَرُومُ حَلَّ مَتَرَجِمِهَا مَا وَقَعَ بِهِ التَّعْمِيَةُ فِيهَا، وَمِقْدَارَ عِدَدِ حُرُوفِهَا؛ وَلَا خَفَاءَ فِي أَنَّ حُرُوفَ الْعَرَبِيَّةِ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا، وَيَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ الْحُرُوفَ الَّتِي تَدْخُلُ كُلَّ لُغَةٍ وَالْحُرُوفَ الْمُتَنَعَةَ الْوُقُوعَ فِيهَا كَمَا تَقَدَّمَ .

ثم المَعْوَلُ عَلَيْهِ، وَالْمُنْصَبُ الْقَوْلُ إِلَيْهِ، فَمَا هُوَ مُتَعَارَفٌ فِي هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ لُغَةُ الْعَرَبِ الَّتِي [هِيَ] أَشْرَفُ اللُّغَاتِ وَأَبْذَخُهَا .

وَالنَّاطِرُ فِي حَلِّ مَتَرَجِمِهَا يَحْتَاجُ إِلَى أَصْلَيْنِ :

الأَصْلُ الْأَوَّلُ — مَعْرِفَةُ الْأَسِّ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْحَلُّ ؛ وَالَّذِي تَمَسُّ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ ذَلِكَ سَبْعَةُ أُمُورٍ :

أحدها — أن يعرف مَقَادِيرَ الحُرُوفِ الَّتِي تَتَرَكَّبُ مِنْهَا الكَلِمَةُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ مِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِثْلَ «ق» مِنَ الْأَمْرِ بِالْوَقَايَةِ، وَ«ع» مِنَ الْأَمْرِ بِالْوَعْيِ؛ وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى حَرْفَيْنِ مِنَ الْأَفْعَالِ مِثْلَ «قُمْ» فِي الْأَمْرِ بِالْقِيَامِ، وَ«كُلْ» فِي الْأَمْرِ بِالْأَكْلِ؛ وَمِنْ الْحُرُوفِ نَحْوُ: مِنْ فِي رَبِّ هَلْ بَلْ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ وَمِنْ الْأَسْمَاءِ الْمَبْنِيَةِ نَحْوُ: ذِي ذَا مَنْ كَمْ؛ وَمِنْ الضَّمِيرِ مَعَ حُرُوفِ الْجَزْرِ نَحْوُ: بِكَ لَهُ؛ وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ وَأَرْبَعِيَّةٍ وَخَمْسِيَّةٍ فِي الْحُرُوفِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ، ثُمَّ تَدْخُلُ فِيهِ أَحْرَفُ الزِّيَادَةِ الْعِشْرَةَ، وَهِيَ «هُوَيْتِ السَّمَانَ» وَثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ أُخَرَ، وَهِيَ الْفَاءُ وَبَاءُ الْجَزْرِ وَكَافُ التَّشْبِيهِ

وكأف الخطاب إلى أن تبلغ الكلمة على اصطلاح الكتاب [أربعة] عشر حرفاً ،
كقولك مخاطباً لرجلين [أنشأ] جُنِينَةً : أَفَلَمْسْتَنْزَهَاتِكُمْ أَعَدْتُمَا .

قال ابن الدريهم : وليس في كلام العرب كلمة رُبَاعِيَّةُ الأصل أو نُحْمَاسِيَّةُ الأصل
ليس فيها حرف من الحُرُوفِ الذَّلَقِيَّةِ كاللام والنون والواو، والشَفَوِيَّةِ كالفاء والميم
والباء إلا ما شدَّ مثل «عَسَجَد» من أسماء الذهب .

قال : ونهاية الأسماء العربية قبل الزيادة خمسة ، وشدَّ (؟) مثل عَنَدَلِيْبٍ ، والأفعال
قبل الزيادة أربعة ؛ وليس في القراءان كلمة نُحْمَاسِيَّةُ الأصل سوى الأسماء الأعجمية
مثل إبراهيم ، ولا يمكن أن يتكرر حرف [في] كلمة واحدة أكثر من خمسة كقول القائل
مارأينا [كككاكككمكم] جمع كُكَّة وهو المركب الكبير مثل عكَّة وعُكَّك ،
وأربع كافات في قولك ^(١) و ^(٢) كككمك .

الثاني - أن يعرف الحروف التي لا يُقَارَبُ بعضها بعضاً بمعنى أنها لا تجتمع
في كلمة واحدة .

وأعلم أنَّ في الأحرف ما لا يُقَارَبُ بعضه بعضاً مطلقاً بتقديم ولا تأخير كالتاء
المثلثة ، فإنها لا تقارب الذال المعجمة والزاي المعجمة والسين والصاد المهملتين
والضاد المعجمة ، وكذلك الجيم لا تقارب الطاء المهملة ولا الظاء المعجمة ولا الغين

(١) بيض له في الاصول وقد صحناه من المقام ، ولكن لم نعر على هذا البناء في كتب اللغة ولعله

حامي تامل .

(٢) بياض في الاصل .

المعجمة ولا القاف ولا الكاف، وما وقع من ذلك في الكلام نحو : نُعْجَة وَبِرْجَقٍ
وَجُرْمُوقٍ وَجَوَلَتْ وَجُلَاهِقٍ وَمَنْجَنِيْقٍ وَجَوْقَةٌ وَجَوْسَقٌ وَصَنْجَقٌ وَسَنْجَقٌ وَجَرْدَقٌ
ونحو ذلك فليست عربية : لأنه لا يجتمع في كلام العرب جيم وقاف في كلمة
واحدة ؛ وكذلك الدال المهملة لا تقارن الظاء المعجمة والذال المعجمة لا تقارن
الزاي المعجمة والصاد والصاد والطاء والطاء ، وما وقع في الكلام من ذلك فليس
عربي ، مثل طبرزد فارسي والزُّطُّ نبطي ، ولا تقارن السين المهملة الصاد المهملة
والضاد المعجمة والطاء المعجمة ؛ ولا تقارن الضاد المهملة الضاد المعجمة ولا الظاء
المعجمة ؛ ولا تقارن الضاد المعجمة الشين والطاء المعجمتين ؛ ولا تقارن الطاء
المهملة الظاء المعجمة ؛ ولا تقارن القاف الغين المعجمة ولا الكاف في كلمة أصلية ،^(١)
وشدَّ نغق الغراب وناقَة نغيق ؛ ولا تقارن الكاف الخاء المعجمة في كلمة أصلية ،
ولا تقارن الميم الباء الموحدة والفاء في كلمة أصلية إلا في فَمٍ وأصله فَوَه ، وأما جِّمٌّ
لأحد أوتار العود فليس عربي ؛ والحروف الحلقية لا يقارن بعضها بعضاً خلا الهاء
فإنها تعقبها زائدة ، كهاء الضمير وهاء التأنيث ، وتعقب العين أصلية كالعهد والعهر
وعهر ؛ وليس في كلمة أصلية حرفان حلقيان سوى ما تقدم من الهاء ، وقد تعقب
بواسطة كغيب وعبر ؛ أما حَيْهَلٌ فمركبة ، ولا يجتمع حرفان من هذه الخمسة :
وهي الهاء والطاء المهملة (؟) والعين والغين والحاء المعجمة في أول كلمة سوى ما ذكر ،
ولا في أثناء الكلمة إلا الهاء مع العين كهلع والهاء مع الغين كأهيع ، والحاء مع الغين
كأخيع ، والهاء مع الخاء المعجمة في كلمة واحدة وهي هَيْيَخَةٌ ؛ ولا تجتمع الهاء^(٢)

(١) في الأصول العين المهملة وهو غير مستقيم . وفي كتب اللغة ناقة نغيق « أي بإعجام الغين » إذا كانت

تبغ مرة بعد مرة .

(٢) لم توجد في كتب اللغة التي بأيدينا .

الأصلية مع الخاء المعجمة ، ولا الخاء المهملة والعين المهملة إلا أن تكون مرتبة مثل هر قضع (؟) والحيعة .

الثالث - أن يعرف الحروف التي لا تقارن بعض الحروف في الكلمات إلا قليلا ، كقارنة السين المهملة للسين المعجمة في شسع والسين مع الزاي كشرز والراء مع اللام كورل .

[وأعلم] أن الحرف الواحد يتكرر في الكلمة الواحدة كثيرا مثل دَهْدَه وتَهْتَه ونَهْنَه وَحَصْحَصَّ وَجَبَّجَبَّ وَخَمَّخَمَّ وَجَلَّجَلَّ وَخَلَّخَلَّ وَشَعَشَعَة وَزَعَزَع وَدَغَدَغَّ وَبَغَبَغَّ وَفَعَفَعَّ وَعَسَّعَسَّ وَزَعَزَع وَغَوَّغَوَّ وَصَخَّصَخَّ وَخَوَّخَوَّ وما أشبه ذلك .

الرابع - أن يعرف ما يجوز تقديمه على غيره من الحروف وما يمتنع ، فالثاء لا تتقدم السين المعجمة ، والذال المهملة لا تتقدم على زاي ولا صاد مهملة (١) ولا طاء مهملة بدليل أنهم لما عرَّبوا مُهَنْدِز ، أبدلوا الزاي سينا فقالوا مُهَنْدِس وَهَنْدَسَة ، والذال المعجمة لا تتقدم الجيم ولا السين المهملة ولا الشين المعجمة ولا العين المهملة ، ومن هنا لما عرَّبوا الفالوذج من الفارسي قالوا فالوذق ؛ والشين المعجمة لا تتقدمها الزاي المعجمة ولا السين المهملة ولا الصاد المهملة ؛ والطاء المهملة لا تتقدم الكاف في كلمة أصلية ؛ والسين المهملة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كسَدَاب (٢) ، والذال المعجمة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كقولك في الأمر دُدَّ الغنم .

(١) في الأصل "على نون" وهو غير مستقيم كما لا يخفى .

(٢) أورده القاموس بالذال المعجمة وتكلم عليه شارحه ثم قال ويوجد في بعض كتب النبات بالذال المهملة .

الخامس - أن يَعْرِفَ ما لا يَقَعُ في أوّل الكلمات من الحروف كالجيم لا تقع بعدها التاء المثناة فوق ولا الصاد المهملة ولا الضاد المعجمة ولا الغين المعجمة؛
أما الحِصْنُ فمعرَّب .

السادس - أن يَعْرِفَ أنه لا يَتَكَرَّرُ حرفٌ في أوّل كلمة إلا من هذه العشرة الأَحرَفِ وهي: الكاف واللام والميم والنون والتاء المثناة فوق والألف والباء الموحدة والواو والقاف والياء المثناة تحت ويجمعها قولك «كُلُّ مَنْ تَابَ وَوَقِيَ» وأقلُّها وقوعا كذلك الياء .

السابع - أن يَعْرِفَ أَكْثَرَ الحروفِ دَوْرَانَا في اللُّغَةِ، ثم الذي يليه من الحروف في الكثرة إلى أقلِّها دَوْرَانَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كَلَامَ العَرَبِ أَكْثَرُ ما يَقَعُ فِيهِ عَلى ما دَلَّ عَلَيْهِ اسْتِقْرَاءُ القِرَاءِ الكَرِيمِ الأَلْفُ ثم اللامُ ثم الميمُ ثم الياءُ المثناة تحتُ ثم الواوُ ثم النونُ ثم الهاءُ ثم الراءُ المهملةُ ثم الفاءُ ثم القافُ ثم الدالُ المهملةُ ثم الذالُ المعجمةُ ثم اللامُ ألفُ ثم الحاءُ المهملةُ ثم الجيمُ ثم الصادُ المهملةُ ثم الخاءُ المعجمةُ ثم الشينُ المعجمةُ ثم الضادُ المعجمةُ ثم الزايُ المعجمةُ ثم التاءُ المثناةُ ثم الطاءُ المهملةُ ثم الغينُ المعجمةُ ثم الظاءُ المعجمةُ؛ وقد جمع بعضهم أَحرفَ الكثرةِ في قوله (اليوننة) وبعضهم يجمعها في قوله (اليوم هن) وجمع الحروفِ المتوسطةِ في قوله (رعت بكس نخب)^(١) وجمع أَحرفَ القلةِ في قوله (طظغ صخذز قش) .

(١) تأمل هذا المثال وما بعده وحررها .

قال ابن الدريهم : وقد يقع في لفظ غير القرآن على خلاف ذلك كما يتعمدون
النظم والنثر بغير ألف أو بغير نقط أو بغير عاطل الحروف أو ألفاظ قليلة، وقد يكون
الكلام ألفاظا قلائل لا تستوعب الحروف .

الأصل الثاني - كيفية التوصل بالحدس إلى حل المترجم :

قال ابن الدريهم : إذا أردت حل ما ترجم لك، فأبدأ أولاً بعدد الحروف،
وكم تكرر كل شكل منها مرة فأثبتته أولاً فأولا . قال : وأول ما تستخرج الفاصلة إن
كان الذي عمى قد بالغ في التعمية، يعني بإخفاء الفاصلة في ضمن الحروف؛ وذلك
أنك تأخذ حرفاً فتظن أن الفاصلة تكون الثاني فتجربه على ما تنظر من الكلمات
من المقادير على ما تقدم؛ فإن وافق وإلا أخذت الثالث، فإن وافق وإلا الرابع
وهكذا حتى يصح لك انفصال الكلمات، ثم تنظر أكثر الحروف دورانا في الكلام
فتقاربه من الترتيب المتقدم في أكثر الحروف دورانا على ما تقدم، فإذا رأيت حرفاً
قد وقع في الكلام أكثر من سائر الحروف فتظن أنه الألف؛ ثم الأكثر وقوعاً بعده
فتظن أنه اللام؛ ويؤيد صحة ظنك أن اللام يدار في أكثر استعماله تابعاً للألف؛
ثم تنظر إن كان في الكلام حرف مفرد فتظن أنه اللام ألف؛ ثم أول ما تلقى
من الكلام الثنائية بتقريب حروفها حتى يصح معك شيء منها فتنظر أشكالها وترقم
عليها، وتجرى الكلام في الثلاثيات حتى يصح معك شيء منها فترقم نظائره؛ ثم تجرى
الكلام في الرباعيات والخماسيات على الوزن المتقدم؛ وكل ما أشبهه فاحتمل احتمالين
أو ثلاثة أو أكثر تثبته إلى حين يتعين من كلمة أخرى؛ فما انتظم لك من ذلك

فيجد قد تكرر معه هذا الشكل ه أكثر من كل الأشكال بكثير، فيعلم أنه الألف
 فيرقم عليه في مواضعه، ثم المكرر بعده أكثر من باقي الأشكال هذا الشكل 3
 فيظن أنه اللام ويحقق ظنه كونه تابعا للألف في سبعة مواضع من الكلام؛ ثم ينظر
 فيجد فيه حرفا واحدا كلمة فيظن أنها اللام ألف؛ ثم يجد الكلمة الثالثة ثنائية
 ثانيها اللام ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه: بلا تلا جلا حلا خلا سلا علا
 غلا فلا كلا هلا ولا؛ ثم يجد هذا الشكل د الذي مع اللام ألف قد ورد
 مكررا في أول كلمة أمتنع أن يكون جيا أو حاء أو واء أو سينا أو عينا أو غينا
 أو هاء فلم يبق معنا سوى بلا تلا فلا كلا ولا؛ ثم يجد الكلمة الخامسة ثنائية
 ثانيها ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه با جا دا ذا سا شا ضا فا ما نا يا،
 ثم يتبرح أنها ما أو يا لأن هذا الشكل I قد تكرر أكثر من باقي الحروف
 فيكون إما الميم أو الياء وإن قاربهما النون لكن ما ويا أكثر وقعا في الكلام
 من نا فإنها غريبة الوقوع، ثم رأينا هذا الشكل المتقدم قد تلا الشكل الذي مع
 اللام ألف الذي ظننا أنه أحد هذه ه ب ت ف ك وفي الكلمة الثلاثية
 المكرر أولها ه د I جربنا الحروف مع الميم فظهر منها لفظه
 «ففى» لاغير؛ ثم نظرنا هذا الحرف د فوجدناه وقع في أربعة مواضع في الكلام
 لاغير، فقلنا إنه الفاء: لأن الياء بنسبة هذا الكلام تقع أكثر من ذلك غالبا، فصح
 معنا أن الكلمة الثالثة «فلا» والكلمة الخامسة «يا» والحرف المفرد «لا»
 والكلمة الخامسة منه هي رايد ذلك أننا وجدنا الكلمة الحادية عشرة قد تكرر
 [فيها] بعد الألف واللام حرفان تلاهما ألف بعده حرف آخر، ولا يمكن أن يتكرر
 حرف في مثل هذا المكان سوى الميم إذا جربته على جميع الحروف، فقلنا: المئات

المَح المَآر المَآس المَآع؛ ورأينا هذا الشكل **ت** الذى هو آخر الكلمة قد تكرر أكثر من باقى الحروف بعد الألف واللام والباء، فبقي أن تكون هذه ر س ت ع لأن الميم قد صح معنا ولم يكن النون فعلمنا على الميم فى مواضعه؛ ونظرنا فرأينا هذا الشكل **ت** أول الكلمة الرابعة الثلاثية وقد صح ثانياً اللام وثالثها الميم فخرَّبناها على هذه الحروف فسقطتِ الرَّاءُ وبقى أحد هذه: سلم تلم علم؛ ثم نظرنا الكلمة الحجابية للمات الماع الماس، فرأينا قبل الألف واللام حرفاً يكون أحد هذه ب ل و: لأن الفاء علمناها؛ ونظرنا هذا الحرف **م** قد تبع الألف واللام قبل الياء، ووجدناه بين البين فى كلمة ثلاثية تكون إحدى هذه أبا إذا أسا أنا، فخرَّبنا الكلمة على الباء والذال والسين والنون على أن يكون الحرف الآخر السين فلم يتفق منه لفظ فسقط «سلم» ثم جربناها على أن تكون العين فحصل منه بعد الحرف الأول البياع؛ ثم على أن تكون تاء فحصل منه الثبات السيات فسقط وبقى أبا أسا أنا؛ ثم نظرنا الكلمة السابعة وهى ثلاثية أولها اللام وثانيها هذا الحرف **م** الذى قبل الياء وثالثها هذا **ت** الدائر بين العين والتاء قلنا يقوم منها «لست» وسقط الباء والنون، وإتمام لم يقم منه «كسع» لأنه لما سقطت الباء سقطت العين من البياع، فصح أن تلك «السيئات» ونظيرها «المات» والثلاثية «تلم» وسقط علم، فرقنا على التاء فى مواضعها وعلى السين فى مواضعها، فصارت الثلاثية «أسا» فقد صح معنا من الكلمات: «فلا تلم يا لستُ المات لا أسا ففى» وبقى الحرف الذى قبل السيئات؛ ثم نظرنا الكلمة العاشرة الثلاثية فيها ت ي فخرَّبناها على الحروف فظهر منها «حتى» لا يشارِكها شيء فعلمنا على الحاء فى مواضعها؛ ثم نظرنا كلمة نحاسية قد بقى منها الحرف

الوسط، بجرّبناها على الحروف فقام من ذلك : « حَسَرَات حَسَكَات حَسَنَات »
فعلّمنا أنه حسنات : لأن هذا الشكل **هـ** تكرر أكثر من باقى الحروف بعد
الألف واللام والياء والتاء، وقد صحّ الميم فأثبتنا النون فى موضعها؛ ثم نظرنا هذا
الشكل **هـ** فى أول كلمتين ثلاثيتين وقد صحّ من إحداهما نى ومن الأخرى
ل نى، بجرّبنا الحرف فوجدناه إما عينا أو واوا، فيقوم منهما عنى على وبى ولى
فتعين أن يكون عينا لقلّة الحرف عن مرتبة الواو؛ ثم نظرنا كلمة سباعية قد بقى
منها حرف مجهول، بجرّبناها على الحروف فصحت «البيّان» لا يشاركها لفظة أخرى،
وللحرف هذا الشكل **هـ** الذى قبل السينّات فتعيّنت الباء فى مواضعها؛ ثم نظرنا
كلمة سداسية نالّتها حرف مجهول، بجرّبناها فظهر منها «الكتاب»؛ ثم نظرنا كلمة
نحاسية قبل التى قبل «هذه» قد بقى حرف الوسط [منها] مجهولا، بجرّبناها على الحروف
فقام لمحيّف لمندف لمصنّف فتعيّنت «لمصنّف» بسبب سياق الكلام بلفظ
«الكتاب» ورقمنا على الصاد؛ ثم نظرنا الكلمة الأخيرة قد بقى منها رابعها مجهولا،
بجرّبناها على الحروف فصحت «الموصل» وصحّت الكلمة التى بعد لست أنها «أسلو»
فرقمنا على الواو؛ ثم نظرنا الكلمة الأولى وهى ثنائية أولها ص بجرّبناها فصحت
صدّ، وإنما كما أنحرّناها لقلّة وقع حروفها، ثم علمنا على الدال فوجدنا كلمة ثنائية آخرها
«د» بجرّبناها على باقى الحروف التى لم تظهر، فقام منها جـ حد قد هد؛ ثم نظرنا
كلمة ثلاثية فصحت أولّات وآخرها ل وسطها هذا الحرف **هـ** الذى قبل الدال
فى الثنائية، بجرّبناها على الجيم والحاء والقاف والهاء، فسقطت الهاء وبقي تجل
تقل نظرنا فرأينا سياق الكلام يدل على أن الكلمة قبل أسا «قد» والثلاثية
«تقل» فانتظم الكلام «لا تقلّ قد أسا» ثم نظرنا الكلمة السادسة قد بقى منها

ثانيها مجهولا ، فخرّبناها على باقي الحروف فصحت « عدّولى » ، فرقنا على الذال في مواضعه ؛ ثم نظرنا الكلمة الثلاثية التي بين « لمصنف » وبين « الكتاب » أولها هذا الشكل **د** وقد صح منها « ذا » فعلمنا أنها « هذا » ورقننا على الهاء ؛ ثم نظرنا الكلمة الخماسية التي بين « ففى » وبين « منه » قد بقي رابعها ، فخرّبناها على باقي الحروف فصحت « الوجه » ؛ ثم نظرنا الكلمة السباعية التي قبل الأخيرة وقد بقي منها رابعها مجهولا ، فخرّبناها فظهر منها الدرّيم ، فتكلّ الحلّ وظهر الكلام :

صَدَّ عَنِّي فَلَا تَلُمُ يَا عَدُّوْلِي * لَسْتُ أَسْلُو هَوَاهُ حَتَّى الْمَمَاتِ


لَا تَقُلْ قَدْ أَسَا فَنِي الْوَجْهِ مِنْهُ * حَسَنَاتٌ يَذْهَبْنَ بِالسَّيِّئَاتِ

هذا البيان لمصنّف هذا الكتاب ، على بن الدرّيم الموصلى .

وعلى مثل هذا المنوال يجرى الحلّ ؛ ثم أنظر إلى حروف هذا الكلام كيف جاءت أحداً وعشرين حرفاً ، ونقص منه ثمانية لم توجد فيه ، فإذا نظرت إلى ما قررت لك من ترتيب وقع الحروف كما جاءت في الكتاب العزيز ، رأيت الثمانية الناقصة هي آخر الترتيب سواء لم يختلط منها شيء بتقديم أو تأخير ، وهذا اتفاق : لأنه قد يقع الحرف قريبا من رُتبته كما تقدّم ؛ وكما تقدّمت الياء على الميم في هذا الكلام ، والفاء على الميم والنون ، وتقدّمت الهاء على الميم أيضا ؛ لكن الأصل معرفة وقع الحروف بالتقريب وتجربة الكلمات ، ومقاربه ما دلّ عليه سياق الكلام .

ولنضرب مثالا آخر : لتتضح أنواع الحلّ .

من الجميع فلم يوافق : لأنه قد تقرّر أن اللام تكون تابعة للألف في أكثر المواضع ولم نجد تبعه البتة ، بل وجدنا العكس فعلمنا أن هذا **ج** هو الألف وهذا **ح** هو اللام ، ورقننا عليهما في مواضعهما فإذا الكلمة الثانية الثلاثية فيها لآمان ، بقى حرف آخرها مجهول ؛ فخرّبناها على الحروف فظهرت الهاء لا يمكن غيرها ، فعلمنا أنها « **لله** » ورقننا على الهاء في مواضعها ، ثم وجدنا الكلمة الخماسية قد بقى رابعها مجهولا ؛ فخرّبناها فظهر الهما ألها ألها ، ووجدنا الحرف قد تكرر أكثر من كلّ الحروف بعد الألف واللام ؛ فظننا أنه الميم ، لكنه يحتمل أن يكون النون ، وسقط الباء والجيم فوجدناه في الثنائيات في كلمتين قبل الألف ؛ فعلمنا أنها « **ما** » فرقنا على الميم في مواضعها ، ثم رأينا الميم قد تبعه في الثنائيات حرف يحتمل أن يكون مد مر مس مض مط مع من ، ورأينا الحرف كثير الوقوع ، وقد تكررت ثلاث لفظات ؛ فعلمنا أنها « **من** » ورقننا على النون في مواضعه ، ثم رأينا هذا الشكل **م** أكثر من غيره وهو قبل الألف واللام وفي أوائل الكلمات فقلنا إنه الواو ، ثم رأينا آخر كلمة قد بقى منها رابعها مجهولا ، فخرّبناها فظهر والبهيم والتهيم والجهم والدهم والسهم والشهم والفهم واليهيم ؛ ثم وجدنا هذا الحرف **ن** الذى فيها قد جاء قبل حرف في الثنائيات وذلك أكثر ما وقع بعد الألف واللام والميم ، فيحتمل أن يكون الياء ، ووجدنا قد بقى من كلمة هذا الحرف فصّح أن يكون النهى وأخرى أولى ، فعلمنا أنها الياء ، فخرّبنا الحرف معها ؛ فظهر بي ني ، ووجدنا كلمة خماسية هذا الحرف **هـ** رابعها وبعد حرف آخر ؛ فخرّبناها على الياء والفاء فظهر اللبث اللبد اللبس اللبط اللبك اللفت اللفح اللفق اللفق ؛ ثم وجدنا هذا الحرف الآخر **ذ** أول كلمة بعده لآمان وهاء ؛ فخرّبناها فظهر منها الحرف الثالث مجهولا ، فخرّبناها فظهر

التَّمَامِ الحَمَامِ الدَّمَامِ الشَّمَامِ الغَمَامِ الكَمَامِ ؛ فرأينا سياق الكلام يدلُّ على أنه «ظَلَّلَ الغَمَامَ» وتعينت تلك اللفظة والأخرى الفَهْمُ والثنايية، فرقنا على الفاء؛ ثم رأينا الكلمة الثالثة الثلاثية ثانيا لآم وآخرها ياءٌ وبعدها «ما ألهمًا» فدل سياق الكلام على أنها «على» فرقنا على العين، فرأينا الرباعية التي بعد «وآله» قد بقي ثالثها مجهولا؛ فخرَّبناها فظهرت مَعِجَن مَعِدِن فتعين مَعِدِن والثنايية التي بعدها؛ وقيل «علم كل» فرقنا على الدال في مواضعه ورأينا الكلمة الأولى قد بقي وسطها مجهولا؛ فخرَّبناها وظهرت التمدُّ الحمد الصمد، فدلَّ سياق الكلام أنها الحمد : لأن بعدها «لله على ما ألهمًا» فرقنا على الحاء في مواضعها، ورأينا الثالث من الرباعية التي بين على وظلَّه، فخرَّبناها فظهرت «الذي» ورأينا الكلمة الخماسية التي بعد «محمد» قد بقي رابعها [مجهولا] ، فخرَّبناها فظهرت «النبى» فرقنا على الياء في مواضعها ورأينا قد بقي ثالثُ السُداسية التي بعد «من» هذا الشكل  وهو ثالثُ رباعية أولها الألف وثانيتها فاء وآخرها حاء، وثاني خماسية أولها واو وثالثها حاء ورابعها باء وخامسها هاء؛ فتعينت الصاد، فالأولى «الصَّواب» والأخرى «أنصح» والأخرى «وصحبه» وتعينت الثنايية التي هي أول البيت الثاني بعد السطر الأوب «ثم» والتي تليها «صلاة» وتعين السين في السلام؛ فصار، «ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ» وكما تمزّن الإنسان في ذلك ظهر له أسرع بكثرة المباشرة، ثم تعين رابع السُداسية التي بعد أفصح من أنه الضاد، وتعين بسياق الكلام أن بعد بالضاد «في اللَّفْظِ نَطَقَ» فرقنا على القاف فرأينا مجاريها الثلاثية من رأس المِصراع «خَلَقَ» فرقنا على الحاء، وتعينت الكلمة التي قبل «مَنْ خَلَقَ» أنها «خير» فتكلت الآيات وظهر أنها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَنَا * مِنَ الصَّوَابِ وَعَلَى مَا عَلَّمَنَا
 ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ * عَلَى الَّذِي ظَلَّمَهُ النَّعَامُ
 مَجْدِ النَّبِيِّ خَيْرٍ مِنْ مَنْ خَلَقَ * أَفْصَحَ مِنَ الْبُضَادِ فِي اللَّفْظِ نَطَقَ
 وَآلِهِ مَعْدِنِ كُلِّ عِلْمٍ * وَصَحْبِهِ أَوْلِيَ النَّهْيِ وَالْفَهْمِ

قلت : وما يلتحق بتعمية الخطِّ المتقدمة الذكرِ ما حكاه ابنُ شيثٍ في معالمِ
 الكتابة : أنَّ بعضَ الملوكِ أمرَ كاتبِهِ أن يكتبَ عنه كتاباً إلى بعضِ أتباعه يُطمِّنه
 فيه ليقبضَ عليه عندَ آتِهائِ فُرْصَةٍ له في ذلك ؛ وكان بينَ الكاتبِ والمكتوبِ إليه
 صداقةٌ فكتبَ الكاتبُ على ما أمرَ به من غيرِ خروجٍ عن شيءٍ من رسمه ، إلا أنه
 حينَ كتبَ في آخرِهِ « إن شاء الله تعالى » جعلَ على التُّونِ صورةَ شدَّةٍ ، فلما قرأه
 المكتوبُ إليه ، عَرَفَ أنَّ ذلكَ لم يكنِ سُدِّي من الكاتبِ فأخذَ في التأويلِ والحَدَسِ
 فوقعَ في ذهنه أنه يُشيرُ بذلكَ إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ .
 فأخذَ حذره ، وأحترزَ على نفسه ، وبلغَ الملكَ آحترازه على نفسه فاتهمَ الكاتبَ في أنه
 ألحقَ في الكتابِ شيئاً نَبَّهَ به على قَصْدِ الملكِ ، فأحضره وسأله عن ذلكَ ، وأمره
 بأن يكتبَ الكتابَ على صورةِ ما كتَبَ به من غيرِ خروجٍ عن شيءٍ منه ،
 فكتبه ولم يغيرِ شيئاً من رسمه حتَّى إنه أثبتَ صورةَ الشدَّةِ على التُّونِ ؛ فلما قرأه
 الملكُ ونظرَ إلى صورةِ الشدَّةِ أنكرها عليه ، وقال : ما الذي أردتَ بذلكَ ؟ قال :
 أردتَ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ . فأعجبَ بذلكَ وعفا عنه
 لصدقته إياه .

النوع الثاني

(الرموز والإشارات التي لاتعاق لها بالخطِّ والكتابة)

وهي التي يعبر عنها أهل المعاني والبيان بالإستعارة بالكناية « بالنون بعد الكاف » وقد يعبر عنها بالوحي والإشارة .

ومن غريب ما وقع في ذلك ما حكاه العسكرى في «الصناعتين» : أن رجلا من بني العنبر أسرف في بني حنظلة ، وفهم عنهم أنهم يقصدون الغارة على قومه بني العنبر ، فقال لبني حنظلة : إن لي حاجة عند أهلي وأريد رسولا من قومكم أرسله فيها ، فأجابوه إلى ذلك بشرط أن يخاطبه في حاجته بحضورهم ، فأحضروا له رجلا في الليل وقد أوقدت العرب نيرانها ، فأقبل على الذي أتوه به وقال له : أتقبل ؟ قال : إنني لعاقل . فقال : أنظر إلى السماء ونجومها ، فنظر ، ثم قال : أنظر إلى نيران العرب ، فنظر ، فقال له : ما أكثر ؟ نجوم السماء أو نيران العرب ؟ فقال : إن كلاً منها لكثير ، قال : إنك إذا لعاقل ، ثم دفع إليه حنظلة وصرّة فيها رمل وصرّة فيها شوك ، وقال أذهب إلى قومي فادفع إليهم هذه الحنظلة وهاتين الصرتين ، وقل لهم يعرفوا ناقتي الحمراء ، ويرحلوا جملي الأورق ، وسلوا أمي الأورع يُخبركم الخبر . فقال الحاضرون : ليس في هذا ما ينكر ، أذهب في حاجته ، فذهب إلى بني العنبر ودفع إليهم ذلك وقص عليهم القصّة ورجع ، فبعث القوم إلى أخيه الأورع فحضر ، فأخبروه الخبر . فقال إنه يقول : أتاكم بنو حنظلة في عدّ الشوك والرمل ، وإن نيران العرب تُعاد نجوم السماء ، ويأمركم أن ترحلوا عن الدهناء وانزلوا مكان كذا ، ففعلوا ورحلوا لوقتهم فصبّحهم بنو حنظلة فلم يدركوا منهم أحدا .

وفي معنى ذلك ما حكاه المَقَرَّ الشَّهَابِيُّ بنُ فضل الله في كتابه "التعريف" :
 في الكلام على المكاتب إلى الأدفونش ملك الفَرَنْج بَطْلَيْطَلَة من بلاد الأندلس ؛ كان
 خبيث النية ، سَيِّء المفاصد لأهل الإسلام ؛ وأنه أرسل مرَّة إلى الملك الناصر
 محمد بن قلاوون : صاحب الديار المِصْرِيَّة هدية فيها سَيْفٌ وثوبٌ بِنْدَقٌ وطارقةٌ
 مستطيلة تُشْبِه النَّعْشَ كأنه يقول : أقتلك بهذا السيف ، وأكفنتك في هذا الثوب ،
 وأحملك على هذا النَّعْش . قال : وكان الجواب أن أرسل إليه حبلاً أسوداً وحجراً ،
 أى إنه كلب يُرمَى بهذا الحجر أو يُربط في هذا الحبل .

قلت : ومما وقع من ذلك في زماننا أنه في الدولة الظاهرية «برقوق» وتمرنك
 يومئذ ببلاد العراق يُعاور الممالك الشامية لقصد الاستيلاء عليها وردَّ عليه كتابٌ من
 المملكة الحلبية فيه : أنه وقع بتلك البلاد سيلٌ عظيم ساقَ جملةً من الأسد والنمورة
 والحيات ، وأنه دفع حية عظيمة سعة رأسها بقدر قوس ، وقرئ الكتابُ بحضرة
 السلطان ، وحملوا ذلك على ظاهره : من أن المراد حقيقة السيل ، وأنه لقوته ساقَ
 تلك الحية والسباع وغيرها ، وشاع ذلك بين الكافة من الأمراء وأهل الدولة وسائر
 الرعية ، ومضى الأمر على ذلك ؛ ثم ظهر أن المقصود بذلك السيل وما فيه
 هو تمرنك وعساكره ؛ وأنه كُنِيَ بالحية العظيمة عنه نفسه ، وبالسباع والحيات
 عن عساكره .

ومن لطيف ما وقع في ذلك أنه ورد على السلطان الملك الناصر «فرج بن برقوق»
 في أواخر دولته كتابٌ عن صاحب تونس من بلاد المغرب في آخره خطاباً للسلطان
 (وعلى إحسانكم المعول ، وبيت الطغرائي في لامية العجم لا يتأول) فسألني بعض
 أعيان ديوان الإنشاء عن المراد من ذلك ولم يكن الكتاب متضمناً لغير الوصية

على يُججاج المغاربة ، وكان ركب المغاربة قبل تلك الحجّة قد عرض لهم عارضٌ من عرب دَرَبِ الحجاز آجتأحُوهم فيه ، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ، ونهبوا منهم أموالًا جمّةً ، فعرضتُ ذلك على أبيات اللامية ، فلاح لي أنه يُشير إلى قوله فيها :

فقلتُ أرجوكَ للبلّى لتنصرني * وأنتَ تحدّثني في الحادثِ الجللِ

والجُلّ بضم الجيم هي الأمرُ الجليلُ العظيمُ ، والجَلَلُ بفتح الجيم في اللغة من أسماء الأضدادِ ، يقع على الشيء الجليل وعلى الشيء الحفير ، كأنه يقول : أنا كنتُ أرجوكَ للأُمورِ العظامِ لتنصرني فيها نفذتني في هذا الأمرِ الحسيسِ ، وهو الأخذُ بثأرِ ججاجِ بلادى ممن أعتدى عليهم من عربِ بلادِكَ : نغاب ظني فيما كنتُ أرجوه فيك ، وأوملته منك ، وأشار بقوله لايتأولُ إلى أنه لايجملُ الجَلَلُ في قول الطُّغرائيّ على الشيء الجليل كما قال الصّلاحُ الصّفيديُّ في شرح اللامية ، بل على الأمرِ الحسيسِ : لأنه هو اللائقُ بالمقام .

وأعلم أنّ مثل هذه الأمورِ تحتاجُ إلى قوّة ذكاءٍ واحتدامِ قريحة من الذي يقعُ منه الرمزُ ، وإلى قوّة حدسٍ من الذي يحاولُ إدراكَ المقصدِ من تلك [المعامى] كما يقع في الألغاز والأحاجيّ لللفز ، والمتصدى لحلّ ألغازه والجواب عنه ، والله تعالى هو الهادى إلى سبيلِ الصّواب .

المقالة الخامسة

(١)

في الولايات ، وفيها [أربعة] أبوابٍ

الباب الأول

في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت ، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في بيان طبقات الولايات ، وهي على ثلاث طبقات

الطبقة الأولى — الخِلافة ؛ وليا يكتب في ولايتها طريقان : إما عهد من الخليفة الأول ، وإما بيعة من أهل الحل والعقد إن لم يوجد عهد من الخليفة قبله على ماسأى بيانه إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية — السُّلْطَنَة ؛ وليا يكتب في ولايتها طريقان : أحدهما العهد من الخليفة ، والثاني العهد من السلطان قبله . قال في " التعريف " : أما من قام من الملوك بغير عهد ، فلم تجر العادة أن تكتب له مبايعة .

الطبقة الثالثة — الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر والشام والحجاز : مما يكتب من ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية .
وهي على خمسة أنواع :

(١) بياض في الأصل والتصحيح مما تقدم في ج ١ ص ٢٤ من هذا المؤلف .

النوع الأول

(ولايات أرباب السيوف ؛ وهم على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول - التواب من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف ، وغالب من يكتب له منهم بالبلاد الشامية ومضافاتها ؛ كتواب السلطنة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّة وصفد والكرّك ، ومقدمى العسكر بغزة وسيس ؛ وتواب القلاع بالمدن العظام ذوات القلاع الرفيعة القدر : كالتواب بقلعة دمشق ، والتواب بقلعة حلب ، والتواب بقلعة صفد . أما طرابلس وحمّة ، فليس بهما قلعة ؛ وكذلك الولايات الصغار المضافة إلى القواعد الكبار : كالقدس الشريف وحصّ ومضيف من مضافات دمشق ، وقلعة المسلمين والرجة والبيرة والرّها وشيزر وعيتاب وبهسنى وملطية وآياس والألبستين وأذنة وطرسوس من مضافات حلب ، والأذقية وحصن عكار من مضافات طرابلس وما يجرى مجرى ذلك ، على ما سيأتى بيانه مفصلا في مواضعه ؛ إن شاء الله تعالى .

أما مادونها من الولايات فإن تواب السلطنة بالملكة يستقلون بالتولية فيها .

قلت : والضابط في ذلك أن كل نيابة كان نائبها تقدمة ألف فوليتها عن السلطان بمرسوم شريف من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ؛ وكل ولاية كان نائبها جندياً أو مقدّم حلقة فوليتها عن نائب السلطنة بالملكة التي هي مضافة إليها بتوقيع كريم من ديوان الإنشاء بها ؛ وكل نيابة كان نائبها أميراً بطليخانا أو عشرة ربما وثى فيها السلطان وربما وثى فيها نائب السلطنة ، إلا أن تولية السلطان لتواب الطليخانا أغلب ، وتولية تواب السلطنة لتواب العشرة أغلب .

أما الديار المصرية فإنه كان يكتب فيها أولاً لولاة الوجهين : القبلي والبحري
بحريا على ما كان الأمر عليه في زمن الخلفاء الفاطميين ، وكذلك والى الإسكندرية
قبل أن تستقر نيابة ، وواليا لولاة الوجهين قبل أن يستقرتا نيابتين ، في جماعة
أخرى من أرباب الوظائف : كالنائب الكافل وأتابك الجيوش كاستادار وأمير أخور
ومقدم الممالك ووالي مصر والقاهرة ؛ ثم صارت الكتابة لذوي الوظائف من أرباب
السيف قاصرة على النائب الكافل إذا كان موجودا والثواب المستجدين
بالإسكندرية والوجهين : القبلي والبحري ؛ وبطل ماعدا ذلك مما كان يكتب ،
وكان المعنى فيه القرب من مقرة السلطان ؛ والكتابة إنما تقع في الغالب مع البعد :
لتكون حجة للتولى على بعد المدى ، ولا ينتقص ذلك بما يكتب للخلفاء والملوك
في الحضرة ، فإن ذلك من الأمور العامة التي يخاف أنتقاضها أو مجودها ، إذ مثل
ذلك لا يجوز في الولايات عن السلطان : لأنه متى شاء عزل من ولاء .

الصف الثاني — ولاية أمراء العربان ، وهؤلاء لاحظ لهم في الكتابة بالولاية
بالديار المصرية الآن ؛ وربما يكتب لأمرائهم بالملكة الشامية : كأمر آل فضل ،
وأمر آل مرا ، وأمر آل علي ، ومقدم بحر ، وكذلك أمير مكة المشرفة ،
وأمر المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام ،
والنائب بالينبع من البلاد الحجازية . والمعنى في اختصاص من بعد منهم ماتقدم
في الكلام على أرباب السيف مع ضعف شأن عرب الديار المصرية وعدم
الاهتمام بأمرهم .

الصف الثالث — ولاية المقدمين على الطوائف : كقدمى التركان ، والأكراد ،
والجبلية بالبلاد الشامية ، وأتابك طائفة الإسماعيلية بقلاع الدعوة ، وحاكم البندق

ونحوهم ؛ وهذه الطوائف ممن يكتب له إلى الآن ؛ أما حاكم البندق ، فإنه لم يعهد له كتابة من ديوان الإنشاء بمصر والشام . على أن المقرّ الشهابي بن فضل الله قد ذكر وصيته في " التعريف " ولعله ممن كان يكتب [له] في زمانه أو قبله ثم ترك ، وإنما يكون ذلك بحسب اعتناء السلطان بشأن البندق وعدمه كما في لباس الفتوة ، وأنه ربما اعتنى به بعض الملوك فكتب له ثم ترك .

النوع الثاني

(ولاية أرباب الأقلام ، وهم صنفان)

الصنف الأول

(أرباب الوظائف الدينيّة ، وهم على ثمانية أضرب)

الضرب الأول — أ كابر القضاة بأقطار المملكة : كقضاة القضاة بالحضرة السلطانية بالديار المصرية وثغر الإسكندرية ، وكذلك قضاة القضاة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّة وصفد والكرك ، وقضاة العسكر بالديار المصرية ؛ أما القضاة بالنيابات الصغار المضافات إلى دمشق وحلب ونحوهما فولايتهن إلى قضاة القضاة بها ، وقضاة العسكر بدمشق وحلب وما في معناها إلى التواب بتلك الممالك .

الضرب الثاني — المفتون بدار العدل بالديار المصرية ؛ أما المفتون بدار العدل بالممالك الشامية فولايتهن إلى نائبيها .

الضرب الثالث - أكابرُ المحتسبين : كمتسبي مصر والقاهرة ؛ أما الممالك الشامية فلا يُولى فيها إلا توابها .

الضرب الرابع - أكابر المدرسين في عامة العلوم بأما كن مخصوصة : كالزاوية الخشائية بالجامع العتيق بمصر ، والمدرسة الصلاحية بتربة الإمام الشافعي بالترافة ، ونحو ذلك بأقطار المملكة من مدرسي الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من العلوم الدينية .

الضرب الخامس - أكابر الخطباء بجوامع مخصوصة بأقطار المملكة : بجامع الناصري بقلعة الجبل ، والجامع الأموي بالشام ونحوهما .

الضرب السادس - وكلاء بيت المال بالديار المصرية وغيرها .

الضرب السابع - المتحدثون على الوظائف المعترية : ككتابة الأشراف ، ومشيخة الشيوخ ، فما كان بالديار المصرية فولايته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى تواب السلطنة بها .

الضرب الثامن - المتحدثون على جهات البر العامة المصلحة : كمنظر الأعباس وأنظار البيارستانات ونحوها : فما كان منها بالديار المصرية : كمنظر الأعباس والبيارستان المنصوري وما أشبه ذلك فتوليته إلى توابها ^(١) ، مالم يكن لها ناظر خاص فيكون ذلك مختصا به .

(١) لعله فتوليته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ، وما كان منها بالممالك الشامية فتوليته الخ

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الديوانية)

ودواوينها على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول — دواوين المال؛ وأرباب الخدم بها ممن تكتب ولاياتهم من ديوان الإنشاء : إما ناظر، أو وزير، أو صاحب ديوان، أو شهادة، أو استيفاء؛ فأما الوزارة فلا يصرح بها إلا للوزير بالأبواب السلطانية، وربما صرح بها لوزير دمشق إذا وليها من أرتفعت مرتبته، وإلا عبر عنه بناظر المملكة .

وأما النظر، فكنظر الدواوين المعبر عنه بنظر الدولة، ونظر الخاص، ونظر الخزانة الكبرى، ونظر البيوت « الحاشية » ونظر بيت المال، ونظر الإصطبلات السلطانية، ونظر دار الضيافة والأسواق، ونظر خزائن السلاح، ونظر البهار والكارمي، ونظر الأهراء، ونظر الموارث الحشرية، ونظر ثغر الإسكندرية المحروس؛ وغير ذلك من وظائف الأنظار بالديار المصرية . وكذلك نظر المملكة بدمشق إذا لم يصرح لمتوليه بالوزارة، ونظر المملكة بحلب، ونظر المملكة بطرابلس، ونظر المملكة بحماة، ونظر المملكة بصفد، ونظر المملكة بسيس، ونظر المملكة بغزة، ونظر المملكة بالكرك .

وأما صحابة الديوان، فكصحابة ديوان الجيش وصحابة ديوان الخاص، ونحو ذلك .

وأما الشهادة، فكشهادة الخزانة الكبرى، وشهادة خزانة الخاص ونحوهما .

وأما الإِستيفاء ، فكاستيفاء الصُّحبة ، وأستيفاء الدَّولة ، وأستيفاء الخِصاص ، ونحو ذلك . ولا حظَّ لغير النُّظار من دواوين الأموال بالممالك الشامية : من صاحب ديوانٍ ولا شاهدٍ ولا مستوفٍ ، في الكتابة بالولاية من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ؛ بل ولايتها من تُوَاب الممالك الشامية بتواقيع من دواوين الإنشاء بها .

الضرب الثاني — دواوينُ الجُيوش بالديار المصرية وغيرها من الممالك الشامية . وأربابُ الخِدم بها لا يخرجون عن ناظرٍ ، وصاحبِ ديوانٍ ، وشاهدٍ ، ومستوفٍ .

والذين يُؤلَّون عن السلطان منهم [و] تُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ من ديوان الإنشاء الشريف ناظرُ الجيش بالأبواب السلطانية ، وناظرُ الجيش بدمشق ، وناظرُ الجيش بحلب ، وناظرُ الجيش بطرابلس ، وناظرُ الجيش بحماة ، وناظرُ الجيش بصفد ، وناظرُ الجيش بقرّة ، وناظرُ الجيش بسيس ، وناظرُ الجيش بالكرك ، وصاحبُ ديوان الجيش بالأبواب السلطانية ، والشهود ، والمستوفون بها ؛ أمّا من عدا هؤلاء : من نُظَّار الجيش وأصحابِ الدواوين والشهود بالممالك الشامية ، فولايتهُم إلى تُوَاب السلطنة بها .

الضرب الثالث — دواوينُ الإنشاء ؛ وأربابُ الخِدم بها لا يخرجون عن كاتبٍ سرٍّ ، وكاتبِ دَسْتٍ ، وكاتبِ دَرَجٍ .

والذين يُؤلَّون عن السلطان من كُتَّاب هذه الدواوين وتُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ من ديوان الإنشاء السلطانيِّ صاحبُ ديوانِ الإنشاء بالأبواب السلطانية ، وصاحبُ ديوانِ الإنشاء بدمشق ، وصاحبُ ديوانِ المكاتبات بحلب ، وصاحبُ ديوانِ المكاتبات

بطرابلس ، وصاحب ديوان المكتبات بحمّة ، وصاحب ديوان المكتبات
بصفد ، وكاتب الدرّج بسيس ، وكاتب الدرّج بغزة ، وكاتب الدرّج بالكرك ،
وكاتب الدرّج بالإسكندرية ، وكاتب الدّست وكاتب الدرّج بالأبواب السلطانية ؛
أما مكّاب الدّست ومكّاب الدرّج بالممالك الشامية فإلى نوابها بتوقيع من دواوين
الإنشاء بها .

النوع الثالث

(ولاياتُ أربابِ الوظائفِ الصّناعيةِ)

كالأطباء ، والكحّالين ، والجرائحية ، ومن جرى مجراهم من سائر أربابِ الوظائفِ
التي هي من تتمّة نظام الملك ، فما كان منها بالأبوابِ السلطانية فولايته عن السلطان
بتوقيع من ديوان الإنشاء السلطاني ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى
نواب السلطنة بها .

النوع الرابع

(ولاياتُ زُعماءِ أهلِ الدّمة . وهي ضربان)

الضرب الأوّل — ولاية بطاركة النصارى من اليعاقبة والملكانية^(١) .

الضرب الثاني — ولاية رئيس اليهود الحاكم على طوائفهم .

(١) لم ينص على من له توليتهما .

النوع الخامس

(ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع)

كصغار الأمور التي يكتب فيها لكل فرد فرد : إما ابتداءً ، وإما بالحمل على ما بيده من ولاية سابقة : من نائب أو قاضٍ أو ناظرٍ وقف أو غير ذلك ؛ مما لا ينحصر كثرةً .

قلت : وربما وثى السلطان في بعض الوظائف بالمالك الشامية مما تختص توليته بتواب السلطنة إذا كانت الوظيفة وضعية المنزلة وأدركت المولى عنايته ، وربما وثى بعض نواب السلطنة ما تختص توليته بالسلطان إذا عظمت رتبة النائب وارتفعت منزلته ؛ خصوصاً إذا كان نظام المملكة محلولا وأمرها مضطربا .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(في بيان ماتجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات على سبيل الإجمال)

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في "حُسن التوسل": يجب على

الكاتب أن يراعى في ذلك أموراً .

منها - براعة الاستهلال بذكر الرتبة، أو الحال، أو قدر النعمة، أو لقب صاحب الولاية، أو أسمه؛ بحيث لا يكون المطلع أجنبيًا من هذه الأحوال، ولا بعيدًا منها، ولا مبينًا لها؛ ثم يستصحّب ما يناسب الغرض ويوافق القصد من أول الخطبة إلى آخرها .

ومنها - أن يراعى المناسبة وما تقتضيه الحال : فلا يُعطى أحداً فوق حقه، ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله؛ ويراعى أيضاً مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنّة بها على مقدار ذلك .

ومنها - أن لا يصف المتولّي بما [يكون ^(١)] فيه تعريض بدم المعزول [وتقيص له ^(١)]؛ فإن ذلك مما يُوغر الصدور، ويورث الضغائن في القلوب، ويدلّ على ضعف الآراء في اختيار الأول، مع إمكان وصف الثاني بما يحصل به المقصود من غير تعريض بالأول .

ومنها - أن يتخير الكلام والمعاني فإنه مما يشيع ويذيع، ولا يُعذر المقصر في ذلك بعجلة ولا ضيق وقت، فإن مجال الكلام متسع، والبلاغة تظهر في القليل والكثير .

قلت : ومنها أن يَحْرِصَ الكَاتِبُ عَلَى أن تكون نَهَايَةُ السَّجْمَةِ الأُولَى فِي السَّطْرِ الأَوَّلِ أو الثَّانِي وَلَا يُؤَخَّرُهَا عَن ذَلِكَ . وَمَا كَانَ يَرَاعِي فِي ذَلِكَ أَن تكون الخُطْبَةُ من أَوَّلِهَا إلى آخِرِهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ فِي السَّجْمِ ، وَكَذَلِكَ الدَّعَاءُ فِي أَوَّلِ صِغَارِ التَّوَاقِعِ وَالْمَرَامِيمِ الْمُبْتَدَأَةِ بِلَفْظِ «رُسِمَ» بِخِلَافِ مَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ مَا يَكْتُبُ ، فَإِنَّهُ يَتَّفِقُ فِيهِ رَوِيٌّ السَّجْمَتَيْنِ وَالثَّلَاثِ فَمَا حَوْلَهَا ، ثُمَّ يَخَالَفُ رَوِيَّهَا إِلَى غَيْرِهِ ؛ وَلَا يَكْتَفِ الكَاتِبُ الإِتْيَانَ بِجَمِيعِهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ طَرِيقَةُ نُحُولِ الكُتَّابِ بِالدَّوْلَةِ التَّرْكِيَّةِ ، كَالْقَاضِي عَجِي الدِّينِ بن عبد الظَّاهِرِ ، وَالشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الحَلْبِيِّ ، وَالْمَقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بن فَضْلِ اللَّهِ ، وَمَنْ عَاصَرَهُمْ إِلَّا فِي القَلِيلِ النَّادِرِ ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا وَقَعَ لِبَعْضِهِمْ مَخَالَفَةُ رَوِيٍّ الخُطْبَةِ ؛ وَإِلَى هَذَا قَدْ جَنَحَ غَالِبُ كُتَّابِ دِيَوَانِ الإِنشَاءِ فِي زَمَانِنَا وَمَأَلُوا إِلَيْهِ : لَمَّا فِي أَلْتِرَامِ الرَّوِيِّ الوَاحِدِ فِي جَمِيعِ الخُطْبَةِ مِنَ التَّكَلُّفِ وَعُسْرِ التَّلْفِيْقِ عَلَى مَنْ يَتَعَانَاهُ .

ثُمَّ الكَلَامُ فِيمَا يَكْتُبُ فِي الوَلَايَةِ قَدْ يَكُونُ جَمِيعُهُ بِلَفْظِ الغَيْبَةِ ؛ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : عَهْدَ إِلَيْهِ بِكَذَا ، أَوْ قَلَّدَهُ كَذَا ، أَوْ فَوَّضَ إِلَيْهِ كَذَا ، أَوْ أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي كَذَا ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُقَالَ : وَأَمْرَهُ بِكَذَا ، أَوْ وَنَحْنُ نُوصِيهِ بِكَذَا ، أَوْ فَعَلَيْهِ بِكَذَا ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ وَقَدْ يَكُونُ جَمِيعُهُ بِلَفْظِ الخِطَابِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : وَقَدْ عَهَدَ إِلَيْكَ بِكَذَا ، أَوْ قَلَّدَكَ كَذَا ، أَوْ فَوَّضَ إِلَيْكَ كَذَا ثُمَّ يُقَالَ : وَنَحْنُ نُوصِيكَ بِكَذَا ، أَوْ فَعَلَيْكَ بِكَذَا ، وَنَحْوِهِ ؛ وَقَدْ يُصَدَّرُ بِلَفْظِ الغَيْبَةِ ثُمَّ يُلْتَفَتُ مِنْهَا إِلَى الخِطَابِ ؛ وَقَدْ يُصَدَّرُ بِلَفْظِ الخِطَابِ ثُمَّ يُلْتَفَتُ مِنْهُ إِلَى الغَيْبَةِ بِحَسَبِ مَا يُؤَثِّرُهُ الكَاتِبُ وَتُؤَدِّي إِلَيْهِ بِلَاغَتِهِ مِمَّا سَتَقِفُ عَلَى تَنْوِيحِهِ فِي خِلَالِ كَلَامِهِمْ فِي أَصْنَافِ الوَلَايَاتِ الآتِيَةِ فِي هَذَا الكِتَابِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات، وذلك من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(الألقاب، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء)

وسبيلها الاختصار دون البسط، اكتفاء بما هو ظاهر من أبهة الخلافة، وعلو مقام الإمامة، إذ هي الرعامة العظمى، والرتبة التي هي أعلى الرتب وأسمى .
وهي صنفان :

الصنف الأول — ألقاب الخلفاء أنفسهم، وغاية ما ينعى به الإمام وأمير المؤمنين .

الصنف الثاني — ألقاب أولياء العهد بالخلافة، وألقابهم نحو السيد الجليل ودخيرة الدين، ونحو ذلك على ما سيأتي بيانه في عهود الخلفاء عن الخلفاء .

النوع الثاني

(ألقاب الملوك، وهي صنفان أيضا)

الصنف الأول — ألقاب السلطان نفسه، والكتاب تارة يتدثونها بالسلطان، وتارة يتدثونها بالمقام، ولكل منهما نعوت تخصه، وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى في الكلام على عهود الملوك عن الخلفاء، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني - ألقاب أولياء العهد بالملك ، والملوك المنفردين بولاية صغار
البلدان عن السلطان الأعظم ، وهي لأتفتح إلا بالمقام ليس إلا ؛ ولها نعتٌ تخصها
يأتي الكلام عليها في الكلام على عهدهم أيضا .

النوع الثالث

(ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان : من أرباب

الوظائف الواقعة في هذه المملكة)

وقد تقدم في الكلام على الألقاب في مقدمة الكتاب أن أصول الألقاب
المستعملة في ذلك خمسة ألقاب على الترتيب : وهي المقتر ، ثم الحناب ، ثم المجلس ،
ثم مجلس مضافا : كمجلس الأمير ، ومجلس القاضى ، ومجلس الشيخ ، ومجلس
الصدر ، ثم الأقتصار على المضاف إليه وحذف المضاف : كالأمير والقاضى والشيخ
والصدر ، ويلتحق بذلك لأهل الذمة الحضرة ، وحضرة الشيخ ، والشيخ مجزأ
عن حضرة ، وتقدم في الفصل الأول من هذا الباب أن أرباب الولايات خمسة
أنواع : أرباب السوف ، وأرباب الأقاليم ، وأرباب الوظائف الصناعية ، وزعماء
أهل الذمة ، ومن لا يختص بطائفة لصغرهم . وجميع هذه الأنواع على اختلاف
أصنافهم لا يخرجون عن الألقاب المتقدمة ؛ وقد تقدم الكلام على هذه الألقاب
ونوعيتها لمن يكاتب عن الأبواب الشريفة السلطانية من أرباب الوظائف مستوفى
في المكاتبات ، إلا أنه قد يولى عن السلطان من لم يوهل للمكاتبة عنه ، كأكثر
أرباب الوظائف من حملة الأقاليم وغيرهم ، فاحتجج إلى تعريف مراتب الألقاب
لكل نوع من أرباب الولايات .

فأما أربابُ السُّيوفِ، فأعلى ألقابهم المَقَرُّ، وأدناها مجلسُ الأميرِ، ثم الأميرُ مجرِّداً عن مجلس .

وأما أربابُ الوظائفِ الصَّنَاعِيَّةِ، فأعلى ألقابهم المجلسُ وأدناها مجلسُ الصَّدرِ، ثم الصَّدرُ مجرِّداً عن مجلس .

وأما من لا يختص بطائفة لصغره، فيقتصر فيه على لقب التعريف وهو فلانُ الدين إن عَظُم وإلا أقتصر على اسمه خاصَّة .

وأما زعماء أهل الذمَّة، فأعلى ألقابهم الحَضْرَةُ، ثم حَضْرَةُ الشَّيْخِ، ثم الشَّيْخُ مجرِّداً عن حَضْرَةٍ .

وأعلم أن كلَّ مَنْ كانت له مكاتبَةٌ عن الأبواب السلطانية من أرباب السُّيوفِ والأقلام وغيرهم، فلَقَبُ وِلَايَتِهِ ونُعوته كما في مكاتبته، غير أنه يَزَادُ في آخر النُعوَتِ المركَّبة ذكر اسمه العلم، ونسبته إلى السلطان: كالناصريِّ، والظاهرِيِّ، ونحوهما إن كان ممن يَنْتَسِبُ إليه بِنِيبَةٍ ونحوها؛ ثم إن كانت مكاتبته تُفْتَحُ بالدعاء نُقِلَ ذلك الدعاء من أوَّلِ المكاتبَةِ إلى ما بعد اسمه والنسبة إلى السلطان في الولاية، كما إذا كانت مكاتبته: أَعَزَّ اللهُ تعالى أنصار المَقَرِّ الكريم، فإنه يُدْعَى له عَقِيبَ اسمه والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بأعزَّ اللهُ تعالى أنصاره، وكذلك في البواقي .

وإن كانت مكاتبته تُفْتَحُ بغير الدعاء: كصدرت هذه المكاتبَةُ ونحو ذلك، فإنه يدعى له في الولاية عَقِيبَ الأسم والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بما يدعى له في مكاتبته في آخر الأقباب، كما إذا كان من أرباب السُّيوفِ ومكاتبته صدرت هذه المكاتبَةُ إلى المجلس العالی أو المجلس السامیِّ بالياء فإنه يُدْعَى له بمثل: أدام اللهُ سعادته، وأدام اللهُ رفعتَه، ونحو ذلك؛ وإن لم تكن له مكاتبَةٌ عن الأبواب السُّلْطَانِيَّةِ

كُتِبَ له في الولاية ما يُناسِبُه من اللقب والنعوت، ثم يذكر اسمه والدعاء له إن كان مستحقاً للدعاء؛ وسيأتي لقب كل ذي ولاية من الأنواع الخمسة المتقدمة الذكر ونعوتُه عند ذكر ولايته فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

ثم للألقاب في الولايات محلان :

أحدهما — الطَّرة . ويُقتصر فيها على اللقب : من المقر أو الجناب أو المجلس أو مجلس مضافا وما بعده من النعوت إلى اللقب المميز للوظيفة كالأمرى والقضائي ونحوهما ، ثم يذكر لقبه الخاص به وهو الفلاني أو فلان الدين ، ثم يذكر اسمه وأنتسابه إلى السلطان إن كان، على ماسياتي بيانه مفصلاً، إن شاء الله تعالى .

الثاني — في أثناء الولاية . وهناك تستوفى النعوت ويؤتى بما في الطَّرة في ضمنه إلا أنه يُجعل لقب التعريف — وهو الفلاني أو فلان الدين — بين النعوت المفردة والمرتبة فاصلاً بينهما .

الوجه الثاني

(ألفاظ إسناد الولاية إلى صاحب الوظيفة؛ ولها ست مراتب)

الأولى — لفظ العهد، مثل أن يقال : أن يُعهد إليه، وهي خاصة بالخلفاء والملوك .

الثانية — لفظ التقليد، مثل أن يقال : أن يُقلد كذا، ويكون مع المقر الكريم والجناب الكريم .

الثالثة — لفظ التفويض، مثل أن يقال : أن يفوض إليه كذا، ويختص بالجناب لأرباب السيوف، وكذلك الجناب والمجلس العالی لأرباب الأقاليم .

قلت : وَكُتِّبُ زَمَانِنَا يَسْتَعْمَلُونَهَا مَعَ الْمُقَرَّرِ أَيْضًا ، وَلَا يَسْتَعْمَلُونَ لَفْظَ يُقَلِّدُ فِي التَّقَالِيدِ لِتَوْهْمِهِمُ الْإِكْتِفَاءَ بِلَفْظِ تَقْلِيدٍ عِنَهَا ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُقَلِّدُ فَوْقَ يُفَوِّضُ كَمَا تَقَدَّمَ . عَلَى أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بِنَ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي "التعريف" كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الرابعة — لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِسْتِمْرَارِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنَّ يُسْتَقَرُّ فِي كَذَا ، أَوْ يُسْتَمَرُّ فِي كَذَا . وَلَفْظُ يُسْتَقَرُّ مَخْتَصٌّ بِالْمُسْتَجِدِّ ، وَلَفْظُ يُسْتَمَرُّ مَخْتَصٌّ بِالْمُسْتَقَرِّ ، وَيَكُونَانِ مَعَ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ ، وَالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ لِأَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ وَغَيْرِهِمْ ؛ أَمَّا الْمَجْلِسُ الْعَالِي فَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِالِدَّعَاءِ ، مِثْلُ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْمَجْلِسِ الْعَالِي كِتَابِ السُّلْطَنَةِ بِالْكَرْكِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يُفَوِّضَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِصَدْرَتِ هَذِهِ الْمَكْتَابَةِ كِتَابِ الْقُدْسِ وَنَحْوِهِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يُسْتَقَرَّ .

الخامسة — لَفْظُ التَّرْتِيبِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : أَنْ يُرْتَّبَ فِي كَذَا ، وَيَكُونُ مَعَ مَجْلِسِ مِضَافًا ، مِثْلُ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ وَمَجْلِسِ الْقَاضِي وَنَحْوَهُمَا ، وَرَبَّمَا أَسْتَعْمِلْتَ مَعَ السَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ .

السادسة — لَفْظُ التَّقَدُّمِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنْ يُقَدَّمَ فَلَانٌ عَلَى الطَّائِفَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قلت : وَهَاتَانِ الْمَرْتَبَتَانِ أَعْنِي السَّادِسَةَ وَالْخَامِسَةَ قَدْ ذَكَرَهُمَا الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بِنَ فَضْلِ اللَّهِ فِي "التعريف" فَقَالَ : وَقَدْ يُقَالُ أَنْ يُرْتَّبَ وَأَنْ يُقَدَّمَ . وَهِيَ مَوْجُودَانِ فِي كِتَابَةِ مُعَاَصِرِيهِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ؛ أَمَّا كُتِّبَ زَمَانِنَا فَقَدْ رَفُضُوهُمَا جَمَلَةً وَأَضْرَبُوا عَنْ أَسْتَعْمَالِهِمَا بِكُلِّ حَالٍ ، وَأَكْتَفَوْا عَنْهُمَا بِالْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ وَهِيَ لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ ،

والواجب إثباتهما لتفاوت ما بين المراتب . على أن استعمال لفظ يرتب موجود في كلامهم بكثرة ، ولفظ يُقدم لم يستعملوه إلا في التزير اليسير ، والله أعلم . وهذه الألفاظ تقع في الطرة وفي أثناء الكلام على حد واحد .

الوجه الثالث

(الإفتاحات ، وهي راجعة إلى أربع مراتب)

المرتبة الأولى — الأفتاح بلفظ : هذه بيعة ، أو هذا ماعهد ، ونحو ذلك في البيعات والعهود على المذهب القديم ؛ أو بالحمد لله . ويقع الأبتداء به في العهود والبيعات إذا ابتدئ العهد أو البيعة بخطبة على ما عليه استعمال أهل زماننا ؛ وكذلك في التقاليد لأرباب السيوف والأقلام ، والمراسيم المكبرة لأرباب السيوف ؛ والتواقيع الجكار لأرباب الأقلام .

المرتبة الثانية — الأفتاح بأما بعد حمد الله . ويقع الأبتداء به في المرتبة الثانية من أرباب المراسيم المكبرة من أصحاب السيوف ؛ والمرتبة الثانية من أرباب التواقيع من أصحاب الأقلام .

المرتبة الثالثة — الأفتاح برسم بالأمر الشريف ، ويقع الأفتتاح به في المرتبة الثالثة لأرباب التواقيع والمراسيم من سائر أرباب الولايات .

المرتبة الرابعة — ما كان يستعمل من الأفتتاح بأما بعد فإن كذا . أو من حسنت طرائقه ، وحمدت خلايقه ، فإنه أحق ، وما أشبه ذلك ؛ كما أشار إليه في "التعريف" إذ كان الآن قد رُفِض وتُرك على ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ؛ وقد كان ذلك يستعمل فيما تقدم لأرباب السيوف والأقلام جميعاً .

الوجه الرابع

(تعددُ التعميد في الخطبة أو في أثناء الكلام واتحاده)

فقد قال في " التعريف " في الكلام على عهود الملوك للملوك : وكما كثرت التعميدات في الخطب ، كان أكبر : لأنها تدل على عظم قدر النعمة ؛ وذكر في الكلام على عهود الخلفاء عن الخلفاء أنه ينتهي في التعميد إلى سبعة .

الوجه الخامس

(الدعاء . وله ثلاثة مواضع)

الموضع الأول - في طرة الولاية بعد ذكر ما يكتب في الطرة من ألقابه ، ولا يزداد فيه على دعوة واحدة تناسبه .

الموضع الثاني - في أثناء الولاية بعد استيفاء الألقاب وذكر الاسم ؛ وهو ما في الطرة من الدعوة المناسبة له بغير زائد على ذلك .

الموضع الثالث - [في] آخر الولاية بالإعانة ونحوها . قال في " التثقيف " : وأقلها دعوتان ، وأكثرها أربع . قال في " التعريف " : ومن استصغر من المؤمنين لا يدعى له في آخر ولايته .

ثم قد تقدم في المكاتبات أن الدعاء مع تنزيه الله تعالى : كأعز الله تعالى أنصار المقتر ، وضاعف الله [تعالى] نعمة الجنب ونحو ذلك أعلى من حذفه ؛ كأدام الله سعده ، وأعزه الله ونحو ذلك ؛ ولا شك أنه في الولايات كذلك .

(١) أي حذف التنزيه وفي الأصل حذفها أي جملة التنزيه .

الوجه السادس

(طُولُ الكَلَامِ وَقِصْرُهُ ، فَكُلَّمَا عَظُمَتِ الوَظِيفَةُ وَارْتَفَعَ قَدْرُ صَاحِبِهَا

كَانَ الكَلَامُ فِيهَا أَبْسَطَ)

قال في "حُسن التوسل" : وَيَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ فِي التَّقَالِيدِ مَنْقَسِمًا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ مُتَقَابِرَةٍ المَقَادِيرِ؛ فَالرُّبْعُ الأَوَّلُ فِي الخُطْبَةِ؛ وَالرُّبْعُ الثَّانِي فِي ذِكْرِ مَوْقِعِ الإِنْعَامِ فِي حَقِّ المَقْلَدِ ، وَذِكْرَ الرِّتْبَةِ وَتَفْخِيمِ أَمْرِهَا ؛ وَالرُّبْعُ الثَّلَاثُ فِي أَوْصَافِ المَوْئِي ^(١) ، وَذِكْرَ مَا يَنَاسِبُ تِلْكَ الرِّتْبَةَ وَيُنَاسِبُ حَالَهُ مِنْ عَدْلِ وَسِيَاسَةٍ وَمَهَابَةٍ وَبُعْدِ صِيَّتِ وَسُمْعَةٍ وَشِجَاعَةٍ إِنْ كَانَ نَائِبًا ؛ وَوَصِفِ الرَّأْيَ وَالعَدْلَ وَحُسْنَ التَّدْبِيرِ وَالمَعْرِفَةَ بِوَجْهِه الأُمُورِ ، وَعِمَارَةَ البِلَادِ ، وَصَلَاحِ الأَحْوَالِ ، وَمَا يَنَاسِبُ ذَلِكَ إِنْ كَانَ وَزِيرًا ؛ وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ رَتْبَةٍ بِحَسَبِهَا ؛ وَالرُّبْعُ الرَّابِعُ فِي الوَصَايَا .

قال في "التعريف" : وَالَّذِي أَخْتَارَهُ اخْتِصَارُ مِقْدَارِ التَّحْمِيدَةِ [التِّي ^(٢)] فِي الخُطْبَةِ وَالخُطْبِ مَطْلَقًا وَإِطَالَةً مَا بَعْدَ ذَلِكَ ؛ وَالإِطْنَابُ فِي الوَصَايَا [اللِّهْم ^(٢)] إِلا مَنْ جَلَّ قَدْرُهُ [وَعَظُمَ أَمْرُهُ] فَإِنَّ الأَوَّلَى الأَقْتِصَارُ فِي الوَصَايَا عَلَيَّ أَهَمُّ الجُمْلِيَّاتِ ، وَيَعْتَدِرُ فِي الإِقْتِصَارِ بِمَا يُعْرَفُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيُعَلِّمُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَيُوثِقُ بِهِ مَنْ تَجَرَّبَتْهُ وَمِنْ هَذَا وَمِثْلِهِ . قَالَ : وَالكَاتِبُ فِي هَذَا [كَلَّمَهُ] بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ ، وَلِكُلِّ وَاقِعَةٍ مَقَالٌ يَلِيْقُ بِهَا ، وَلِمَلْبَسِ كُلِّ رَجُلٍ قَدْرٌ مَعْرُوفٌ لَا يَلِيْقُ بِهِ غَيْرُهُ ؛ وَفِي هَذَا غَيِّي لِمَنْ عَرَفَ ، وَكِفَايَةٌ لِمَنْ عِلِمَ ؛ عَلَيَّ أَنْ المَقْتَرِ الشَّهَابِيُّ تَابِعٌ فِي ذَلِكَ القَاضِي « مِحْيَى الدِّينِ ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ » رَحِمَهُ اللهُ ، فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ تَقَالِيدَهُ وَتَوَاقَيْعَهُ ، وَجَدْتَهَا كَلَّمًا

(١) فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ ص ١١٠ « المَقْلَدُ » وَهِيَ بِمَعْنَاهَا .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ التَّعْرِيفِ ص ٨٨ .

كذلك ، ولكل وجه ظاهر ؛ فإنَّ المطول للخطبة لا يُجلبها من براعة الإِسْتِهلال ،
المناسبة للحال ؛ والمقصر لها مُراعٍ لزيادة الإطناب في الوصف .

قلت : ولا يخفى أن ما ذكرناه في التقاليد يحىء مثله في العهود لجرئها على مُوجبها
من مؤلِّ ومؤلِّ .

• أما إذا كانت الولاية بيعةً فإنه يجعل موضع الوصايا ذكر التزام الخليفة البرِّ
والإحسان للخلق ، ووعد النظر في أمور الرعية ، وصلاح أحوالهم ؛ وذكر التحليف
للخليفة ، وأوله وللسلطان إن كان معه سلطان قام بعقد البيعة له على الوفاء بالعهد
والدخول تحت الطاعة . قال في "حسن التوسل" : والأمر الجارى في ذلك على
العادة معروف لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حُسن
التصرف على ما يقتضيه الحال ؛ وذكر من ذلك تقليداً أنشأه لملك سبى ، وتقليداً
كتبه بالفتوة ؛ وسيأتى ذكر ذلك مع ما شاكاه في مواضعه إن شاء الله تعالى .

الوجه السابع

(قطع الورق)

وأعلم أنَّ الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بجلتها يتحصر قطع
الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها :

أحدها — قطع البغدادى الكامل ؛ وهو مختص بالبيعات والعهود مطلقاً على
أى الأفتاحات كان .

الثاني - قَطَعَ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْمَنْصُورِيَّةِ ، وَهُوَ لِأَجْلِ الْوَلَايَاتِ السُّلْطَانِيَّاتِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَبَعْضِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهَا إِلَّا بِالْحَمْدِ .

الثالث - قَطَعَ النَّصْفَ مِنْهُ ، وَهُوَ لَمَّا دُونَ ذَلِكَ ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهِ إِلَّا بِالْحَمْدِ أَيْضًا :

الرابع - قَطَعَ الثَّلَاثَ مِنْهُ ، وَهُوَ لَمَّا دُونَ ذَلِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وُلِّيَ صَاحِبُ وَظِيفَةٍ تَسْتَحِقُّ قَطَعَ النَّصْفَ وَظِيفَةً أُخْرَى تَسْتَحِقُّ قَطَعَ الْعَادَةَ ، فَإِنَّهُ يُرَاعَى مَقْدَارُ صَاحِبِهَا وَيُزَادُ عَلَى مِقْدَارِ الْعَادَةِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ رَتْبَةِ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ، بَلْ يَبْغِي أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا ؛ فَيَكْتَبُ لَهُ فِي قَطَعَ الثَّلَاثِ لَتَكُونَ رَتْبَةُ بَيْنَ رُتْبَتَيْنِ فَتَحْصُلُ مِرَاعَاةُ تَعْظِيمِهِ مِنْ حَيْثُ الزِّيَادَةُ عَلَى قَطَعَ الْعَادَةِ ، وَمِرَاعَاةُ قَدْرِ الْوِظِيفَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّمَا لَمْ تَبْلُغْ شَأْنَ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ؛ أَمَا إِذَا وُلِّيَ مَنْحَطًّا الْقَدْرَ وَظِيفَةً تَسْتَحِقُّ الْقَطَعَ الْكَبِيرَ ، فَإِنَّهُ يَكْتَبُ لَهُ فِيهِ ، وَتَكُونُ تَوَلِيَّتُهُ لَهَا رَفْعًا إِلَى دَرَجَتِهَا .

الخامس - قَطَعَ الْعَادَةَ ، وَهُوَ أَصْغَرُهَا ؛ وَالْأَصْلُ أَنْ يَفْتَحَ فِيهِ بِلَفْظِ «رُسْمٍ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ» وَرَبَّمَا عَلَتْ رَتْبَةُ صَاحِبِ الْوَلَايَةِ وَلَمْ يُوَهَّلْ لِلْكَتَابَةِ فِي قَطَعَ الثَّلَاثِ فَيُكْتَبُ لَهُ فِيهِ : أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ قَلِيلُ الْأَسْتِعْمَالِ ، فَإِنْ أَسْتَعْمِلَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ كَذَا ، أَوْ إِنَّ أَوْلَى ، أَوْ إِنْ أَحَقَّ وَنَحْوَ ذَلِكَ كُتِبَ فِي قَطَعَ الْعَادَةِ أَيْضًا .

الباب الثاني

من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معناها)

(١) البيعات جمع بيعة، وهي مصدر بايع فلان الخليفة يبايعه مبايعة، ومعناها المعاهدة والمُعاهدة، وهي مُشَبَّهة بالبيع الحقيقي. قال أبو السَّعَادَاتِ بَنُ الْأَيْبَرِ فِي نَهَائِيته فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَاعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ صَاحِبِهِ وَأَعْطَاهُ خَالِصَةً نَفْسَهُ وَطَاعَتَهُ وَدَخِيلَةَ أَمْرِهِ. وَيُقَالُ: بَايَعَهُ، وَأَعْطَاهُ صَفْقَةً بِيَدِهِ؛ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُ إِذَا تَبَاعَعَ آثَانٍ صَفَقَ أَحَدُهُمَا بِيَدِهِ عَلَى يَدِ صَاحِبِهِ.

وقد عَظَّمَ اللهُ تَعَالَى شَأْنَ الْبَيْعَةِ وَحَدَّرَ مِنْ نَكْهَتِهَا بِقَوْلِهِ خَطَابًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدِ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ فَمِيسُورِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وَأَمْرٌ بِمُبايَعَةِ الْمُؤْمِنَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُسْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهَتَّانٍ يَفْتَرِيَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِبَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وَبَايَعِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ بَيْعَتَيْنِ.

(١) ليس مراده المصدر الصناعي كما لا يخفى والأوضح "وهي اسم مصدر لبايع" الخ تأمل.

الفصل الثاني

(في ذكر تنوع البيعات ، وهي نوعان)

النوع الأول

(بيعات الخلفاء ، وفيها سبعة مقاصد)

المقصد الأول

(في أصل مشروعيتها)

فالأصل في ذلك بعد الإجماع ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها " أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادَةَ في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : **مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ** ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : **مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْيَ قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا أَحْبَبْتِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَلِغَهُ أَبُو بَكْرٍ** ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس . فقال في كلامه : **نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ** . فقال الحباب بن المنذر : **لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعُ لَنَا مِنْ أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ** . فقال أبو بكر : **لَا وَلَكِنَّا الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ** . فبايعوا عمر أبا عبيدة . فقال عمر : **بَلْ نُبَايِعُكَ فَإِنَّ سَيِّدَنَا وَخَيْرَنَا وَأَحَبَّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايع الناس .

وهذه أول بيعة بالخلافة كانت في الإسلام ، ولكن لم يتنقل أنه رضي الله عنه كُتِبَ له مبايعة بذلك ، وأعل ذلك لأن الصحابة رضوا أن الله عليهم كانوا إذا بايعوا لا يبيحون البيعة بعد صدورها ، بخلاف ما بعد ذلك .

المقصود الثاني

(في بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية)

وهي خمسة أسباب :

السبب الأول — موت الخليفة المنتصب من غير عهد بالخلافة لأحد بعده ، كما في قصة الصديق المتقدمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، أو تركها شورى في جماعة معينة ، كما فعل عمر رضي الله عنه عند وفاته حيث تركها شورى في ستة : علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، وسعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهم .

السبب الثاني — خلع الخليفة المنتصب لموجب يقتضى الخلع ، فتحجاج الأمة [إلى] مبايعة إمام يقوم بأمرها ، ويتحمل بأعبائها .

السبب الثالث — أن يتوهم الخليفة خروج ناحية من النواحي عن الطاعة فوجه إليهم من يأخذ البيعة له عليهم : ليتقأدوا لأمره ، ويدخلوا تحت طاعته .

السبب الرابع — أن تؤخذ البيعة للخليفة الممهود إليه بعد وفاة العاهد ، كما كانت الخلفاء الفاطميون تفعل في خلافتهم بمصر ، وكانوا يسمون البيعة سجلاً كما كانوا يسمون غيرها بذلك .

السبب الخامس — أن يأخذ الخليفة المنتصب البيعة على الناس لولي عهد بالخلافة بأن يكون خليفة بعده إمضاء لعهد ، كما فعل معاوية رضي الله عنه في أخذه البيعة لولده يزيد .

المقصود الثالث

(في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة)

وأعلم أنه يجب على الكاتب أن يراعى في كتابة البيعة أموراً :

منها - أن يأتي في براءة الاستهلال بما يتبها له من أسم الخليفة أو لقبه :
كفلان الدين، أو لقب الخلافة : كالتوكل أو المستكفي، أو مقتضى الحال الموجب
للبعثة من موت أو حلع ونحوهما، أو غير ذلك مما يجرى هذا الجرى .

ومنها - أن يذبه على شرف رتبة الخلافة وعلو قدرها ورنة شأنها، وأنها الغاية
التي لأفوقها، والدرجة التي لا بعدها ؛ وأن كل رتبة دون ربتها، وكل منصب فرع
عن منصبها .

ومنها - أن ينبه على مسيس الحاجة إلى الإمام، وديانة الضرورة إليه، وأنه
لا يستقيم أمر الوجود وحال الرعية إلا به، ضرورة وجوب نصب الإمام بالإجماع،
وإن شدته الأصم يخالف ذلك .

ومنها - أن يشير إلى أن صاحب البيعة أستوعب شروط الإمامة وأجتمعت
فيه، ويصفه منها بما يعز وجوده، ويمتدح بمصوله : كالعلم والشجاعة والرأي
والكفاية ؛ بخلاف ما لا يعز وجوده ولا يمدح به وإن كان من الشروط : كالحرية
والذكورة والسمع والبصر ونحو ذلك ؛ فإن الوصف بذلك لا وجه له .

ومنها - أن ينبه على أفضلية صاحب البيعة وتقدمه في الفضل وأستيفاء الشروط
على غيره : ليخرج من الخلاف في جواز تولية المفضول مع وجود الفاضل .

ومنها — أن يَنْبَه على أَنَّ المختارين لصاحب البيعة ممن يُعْتَبَرُ أختيارُهُ من أهل الحَلِّ والعقد: من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم على الوجه المعتبر.

ومنها — أن يَنْبَه على تعيين المختارين للبيعة، إن كان الإمام الأول نص عليهم؛ إذ لا يصح الاختيار [من] غير من نص عليه، كما لا يصح إلا تقليد من عهد إليه.

ومنها — أن يَنْبَه على جريان عقد البيعة من المختارين، ضرورة أنه إن انفرد شخص بشروط الإمامة في وقته لم يصّر إماما بمجرد ذلك.

ومنها — أن يَنْبَه على سبب خلع الخليفة الأول إن كانت البيعة مترتبة على خلع، إذ لا يصح خلع الإمام القائم بلا سبب.

ومنها — أن يَنْبَه على قبول صاحب البيعة العقد وإجابته إليه إذ لا بد من قبوله.

ومنها — أن يَنْبَه على أن القبول وقع منه بالاختيار: لأنه لا يصح الإيجاب على قبولها؛ اللهم إلا إن كان بحيث لا يصلح للإمامة غيره فإنه يجبر عليها بلا خلاف.

ومنها — أن يَنْبَه على وقوع الشهادة على البيعة، خروجًا من الخلاف في أنه هل يُشترط الإشهاد على البيعة أم لا؟

ومنها — أن يَنْبَه على أنها لم تفتن ببيعة في الحال ولا مسبوقه بأخرى، إذ لا يجوز نصب إمامين في وقت واحد وإن تباعد إقليميهما، خلافا للأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني حيث جوز نصب إمامين في إقليمين.

ومنها — أن يَنْبَه على أنه بمجرد البيعة تجب الطاعة والالتقاد إليه، ويجب على كافة الأمة تفويض الأمور العامة إليه، وطاعته فيما وافق حكم الشرع وإن كان جائرا.

ومنها — أن يعزى في الخليفة الميت ويبنى بالمستقر إن كانت البيعة مبنية على موت خليفة ؛ وأن يبين سبب خلع الخليفة الأول إن كانت مرتبة على خلع .^(١)
أما التعزية والتهنئة بموت الأول ، فعليه جرى عامة الحُتَّاب ؛ إلا أنه يختص في عرفهم بما إذا كان الخليفة الأول شديد القرب من الثانى ؛ كأبيه وأخيه وأبن عمه .

وكان الأولون يتعاونون ذلك في خطاب الخلفاء بالتمنئة بالخلافة بعد أقاربهم ، وقد روى أن عطاء بن أبي سفيح دخل على يزيد بن معاوية فهنأه بالخلافة وعزاه في أبيه فقال :

رُزيتَ بأمر المؤمنين خليفة الله ، وأُعطيَتِ خلافةَ الله ؛ قضى معاويةُ نَحْبَهُ ، فغفرَ اللهُ ذَنْبَهُ ؛ ووئيتَ الرِّياسه ، وكنتَ أحقُّ بالسياسة ؛ فأحتسبَ عندَ اللهِ جليلَ الرِّزِيه ، وأشكرهُ على جزيلِ العطيهِ ؛ وعظَّم اللهُ فى معاويةَ أجرك ، وأحسنَ على الخلافةِ دَوْنَكَ .

وتعرضتُ أعرابيةً للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس السفاح ، فقالت :
يا أمير المؤمنين آحتسب الصبر ، وقدم الشكر ؛ فقد أجرل الله لك الثواب في الحالين ، وأعظم عليك المنة في الحادئين ؛ سلبك خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ؛ فسلم فيما سلبك ، وأشكر فيما منحك ؛ وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخارلك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين .

وأما التعريف بسبب الخلع ، فلائه لا يصح خلع الإمام بغير موجب للخلع .^(١)

ومنها — أن يشير إلى ذكر السلطان القائم بالبيعة إن كان القائم بها سلطاناً على ما استقرت عليه قاعدة الحُتَّاب في ذلك .

(١) سبق التنبيه على هذا في الصفحة قبل .

ومنها — أن يذبه على أن من أسخلف في البيعة من وجوه الدولة وأعيان المملكة إن جرى حلف، ويذكر صفة حلفهم وما أترموه من الأيمان المؤكدة، والمواثيق المغالطة .

المقصود الرابع

(في بيان مواضع الخلافة التي يستدعي الحال كتابة المبايعات فيها)

وهي أربعة أمور :

أحدها — موت الخليفة المتقدم عن غير عهد خليفة بعده ، وهو موضوعها الأصلي الذي عليه بُنيت .

الثاني — أن يعهد الخليفة إلى خليفة بعده ، ثم يموت العاهد ويستقر المعهود إليه بالخلافة بالعهد بعده ، فتؤخذ البيعة العامة على الرعية ، لإظهاراً لوقوع الإجماع على خلافته ، والاتفاق على إمامته .

الثالث — أن تؤخذ البيعة للخليفة بحضور ولايته ، ثم تُفقد الكتب إلى الأعمال لأخذ البيعة على أهلها ، فيأخذ كل صاحب عمل له البيعة على أهل عمله .

الرابع — أن يعرض للخليفة خلل في حال خلافته : من ظهور مخالف أو خروج خارجي ، فيحتاج إلى تجديد البيعة له حيث وقع الخلاف .

ولكل من هذه الأحوال صرب من الكتابة يُحتاج فيه إلى بيان السبب الموجب لأخذ تلك البيعة .

المقصد الخامس

(في بيان صورة ما يُكْتَبُ في بَيْعَاتِ الخلفاء، وفيها أربعة مذاهب)

المذهب الأول

« أن تُفْتَحَ المِبايعةُ بلفظ « تُبَايِعُ فلانا أمير المؤمنين »

خطاباً لمن تُؤْخَذُ عليه البيعة)

ويذكر ما يقع عليه عقد المِبايعة، ويأتي بما سَنَحَ من أمر البيعة، ثم يذكر الخِلافَ عليها؛ وعلى ذلك جرى مصطلحُ كُتَابِ خلفاء بني أمية، ثم خلفاء بني العباس بعدهم ببغداد .

وأعلم أنه قد تقدّم في المقصد الأول من هذا الفصل أنه لم يُنْقَلْ أنه كُتِبَ للصديق رضى الله عنه ولا ابن ولي الخلافة بعده من الصحابة من غير عهد بيعة . ولما كانت خلافة بني أمية، وآل الأمر إلى عبد الملك بن مروان، وأقام المجتاج ابن يوسف على إمارة العراق، وأخذ في أخذ البيعة لعبد الملك بالعراق، رتب أيماناً مغلظةً تشتمل على الخِلافِ بالله تعالى والطلاق والعناق والأيمان المُحرَّجاتِ يُخْلَفُ بها على البيعة، وأشهرت بين الفقهاء بأيمان البيعة، وأطرد أمرها في الدولة العباسية بعد ذلك . وجرى مصطلحهم في ذلك على هذا الأسلوب .

وهذه نسخة مبايعة، ذكرها أبو الحسين بن إسحاق الصائفي في كتابه « غرر البلاغة » وهي :

تُبَايِعُ عبد الله أمير المؤمنين فلانا بيعة طوع وأختيار، وتبرع وإيثار، وإعلان وإسرار، وإظهار وإضمار، وصحة من نفل، وسلامة من غير دغل، وشبات من غير

تبدیل ، ووقار من غیر تأویل ؛ واعتراف بما فيها من اجتماع الشمل ، واتصال
 الحبل ؛ وانتظام الأمور ، وصلاح الجمهور ؛ وحقن الدماء ، وسكون الدهماء ؛
 وسعادة الخاصة والعامة ، وحسن العائدة على أهل الملة والذمة - على أن عبد الله فلانا
 أمير المؤمنين عبد الله ، الذي أصطفاه ؛ وخليفته الذي جعل طاعته جارية بالحق ،
 وموجبة على الخلق ؛ وموردة لهم موارد الأمن ، وعاقدة لهم معاقدة الثمن ؛ وولايته
 مؤذنة لهم بحمیل الصنع ، ومؤذنة بهم إلى جزيل النفع ؛ وإمامته الإمامة التي اقترنت بها
 الخير والبركة ، والمصلحة العامة المشتركة ؛ وأمل فيها قمع الملحد الجاحد ، ورد الجائر
 الحائد ؛ ووقم العاصي الخالع ، وعظمت الغازي المنارع - وعلى أنك ولي أوليائه ،
 وعدو أعدائه : من كل داخل في الجمله ، وخارج عن المله ، وحائد عن الدعوه .
 ومتمسك بما يديله ، عن إخلاص من رأيك ، وحقية من وفائك ؛ لا تقص
 ولا تتكث ولا تخلف ولا توارى ولا تخادع ، ولا تداحي ولا تخائل ؛ علانيتك مثل
 نيتك ، وقولك مثل طويتك - وعلى أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة
 وشرائطها على مسر الأيام وتطاؤها ، وتغير الأحوال وتقلها ، واختلاف الأزمان
 وتقلبها - على أنك في كل ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها ، وأعان الدولة
 العباسية ورعاتها ؛ لا يداخل قولك مواربة ولا مداهنه ، ولا تعترضه مغالطة
 ولا تتعقبه مخالفة ؛ ولا تخيس به أمانه ، ولا تغله خيانه ؛ حتى تلقى الله تعالى مقبياً
 على أمرك ، وفيا بعدك ؛ إذ كان مباعاً ولاة الأمور وخلفاء الله تعالى في الأرض
 ﴿ إِنَّمَا يُبَاعُونَ لِلَّهِ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى
 بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَوْفِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

عليك بهذه البيعة - التي أعطيت بها صنفقة يدك ، وأضيفت فيها سريرة قلبك ؛
 وآلتمت القيام بها ما طال عمرك ، وأمتد أجلك - عهد الله إن عهد الله كان

مَسْئُولًا ؛ وَمَا أَخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَحَمَلَةِ عَرْشِهِ مِنْ أَيْمَانٍ مَغْلَظَةٍ
وَعُهُودٍ مُؤَكَّدَةٍ ، وَمَوَاقِيقَ مَشَدَّدَةٍ ، عَلَى أَنْكَ تَسْمَعُ وَتُصْنَعِي ، وَتُطِيعُ وَلَا تَعْصِي ؛
وَتَعْتَدِلُ وَلَا تَمِيلُ ، وَتَسْتَقِيمُ وَلَا تَحِيدُ ، وَتَفِي وَلَا تَعْدِرُ ، وَتَثْبُتُ وَلَا تُتَغَيَّرُ ؛ فَتِي
زَلْتِ عَنْ هَذِهِ الْمَحْجَّةِ حَاقِرًا لِأَمَانَتِكَ ، وَرَافِعًا لِذِيَابَتِكَ ؛ فَحَدَّثَ اللَّهُ تَعَالَى رُبُوبِيَّتَهُ ،
وَأَنْكَرَتَهُ وَحَدَانِيَّتَهُ ؛ وَقَطَعْتَ عِصْمَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَدْتَهَا ، وَرَمَيْتَ
طَاعَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَنَبَذْتَهَا ؛ وَتَقَيْتَ اللَّهُ يَوْمَ الْحِشْرِ إِلَيْهِ ، وَالْعَرَضَ عَلَيْهِ ، مُخَالِفًا
لَأَمْرِهِ ، وَخَائِنًا لِعَهْدِهِ ؛ وَهَقِيمًا عَلَى الْإِنْكَارِ لَهُ ؛ وَمُصِرًّا عَلَى الْإِشْرَاقِ بِهِ ؛ وَكُلُّ مَا حَلَّلَهُ
اللَّهُ لَكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ ، وَكُلُّ مَا تَمَلَّكَهُ يَوْمَ رُجُوعِكَ عَنْ بَدَلِكَ ، وَارْتِجَاعِكَ مَا أَعْطَيْتَهُ
فِي قَوْلِكَ : مِنْ مَالٍ مُوجُودٍ وَمَذْخُورٍ ، وَمَصْرُوعٍ وَمَضْرُوبٍ ، وَسَارِجٍ وَمَرْبُوطٍ ،
وَسَائِمٍ وَمَعْقُولٍ ؛ وَأَرْضٍ وَضَيْعَةٍ ، وَعَقَارٍ وَعُقُودَةٍ ، وَمَمْلُوكٍ وَأَمَةٍ ، صَدَقَةٌ عَلَى
الْمَسَاكِينِ ، حَرَمَةٌ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ تَمَلَّكَ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا ، وَأُخْرَى
تَتَرَوُّجُهَا بَعْدَهَا ، طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقَ الْحَرَجِ وَالسَّنَّةِ لَارْجَعَةَ فِيهِ وَلَا مَثْوِيَّةَ ؛
وَعَلَيْكَ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ دَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًا ، رَاجِلًا
مَاشِيًا ؛ نَذْرًا لِأَزْمَا ، وَعُودًا صَادِقًا ؛ لَا يَبْرُئُكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا ، وَالْوَفَاءُ بِهَا ؛
وَلَا قِبَلَ اللَّهُ مِنْكَ تَوْبَةً وَلَا رَجْعَةً ؛ وَخَذَلَكَ يَوْمَ الْإِسْتِنْصَارِ بِحَوْلِهِ ، وَأَسْلَمَكَ عِنْدَ
الْإِعْتِصَامِ بِجَبَلِهِ ؛ وَهَذِهِ أَيْمِينُ قَوْلِكَ قَلْتَهَا قَوْلًا فَصِيحًا ، وَسَرَدْتَهَا سَرْدًا صَحِيحًا ؛
وَأَخْلَصْتَ فِيهَا سِرَّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا ، وَصَدَقْتَ فِيهَا عِزْمَكَ صِدْقًا يَقِينًا ؛ وَالنِّيَّةُ فِيهَا
نِيَّةُ فُلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نِيَّتِكَ ، وَالطَّوْيَةُ [فِيهَا طَوْيَتُهُ] دُونَ طَوْيَتِكَ ؛ وَأَنْتُمْ هَدَيْتَ
اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ بِذَلِكَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيبًا .



وهذه نسخة بيعةٍ أُخرى من هذا الأسلوب ، أوردها ابنُ حمْدُونِ في تذكِرتِه ،
وربّما وافق فيها بعضُ ألفاظ البيعة السابقة ، وهي :

تُبَاعِ الإمامَ أميرَ المؤمنينَ فلانا بيعةً طَوْعٍ وإِثَارٍ ، وَأَعْتِقَادٍ وَإِضْمَارٍ ، وإِعْلَانٍ
وإِسْرَارٍ ، وإِخْلَاصٍ مِنْ طَوِيَّتِكَ ، وَصِدْقٍ مِنْ نِيَّتِكَ ؛ وَأَنْشِرَاحَ صَدْرِكَ وَصِحْحَةَ
عِزِّمَتِكَ ؛ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ ، وَمُنْقَادًا غَيْرَ مُجْبَرٍ ؛ مُقِرًّا بِفَضْلِهَا ، مُدْعِنًا بِحَقِّهَا ؛ مَعْتَرِفًا
بِرِكَاتِهَا ، وَمَعْتَدًّا بِحُسْنِ عَائِدَتِهَا ؛ وَعَالِمًا بِمَا فِيهَا وَفِي تَوْكِيدِهَا مِنْ صَالِحِ الْكَافَّةِ ،
وَأَجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ [مِنْ] الْخِصَاصَةِ وَالْعَامَّةِ ؛ وَلَمْ الشَّعْثِ ، وَأَمَّنَ الْعَوَاقِبِ ؛ وَسُكُونِ
الدَّهْمَاءِ ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَقَمَحِ الْأَعْدَاءِ - عَلِيٌّ أَنَّ فُلَانًا عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ ، الْمَفْتَرَضُ
طَاعَتُهُ ، وَالْوَاجِبُ عَلَيَّ الْأُمَّةِ إِقَامَتُهُ وَوِلَايَتُهُ ؛ الْأَلِزْمُ لَهُمُ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَالْوِنَاءُ بَعْدَهُ ؛
لَا تَسْكُ فِيهِ ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ ، وَلَا تُدَاهِنُ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَمِيلُ . وَأَنْتَ وَلِيُّ وَلِيِّهِ ،
وَعَدُوٌّ عَدُوِّهِ : مِنْ حَاصِّ وَعَامِّ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ ؛ مِمْتَسِّكٌ فِي بَيْعَتِهِ
بِوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَذِمَّةِ الْعَقْدِ ؛ سِرِّيَّتِكَ مِثْلُ عَلَانِيَّتِكَ ، وَظَاهِرِكَ فِيهِ وَفَقُ بَاطِنِكَ -
عَلِيٌّ أَنْ أُعْطِيتَ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَتَوْكِيدِكَ إِيَّاهَا فِي عُنُقِكَ ، لِفُلَانٍ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ ، وَأَسْتِقَامَةٍ مِنْ عِزْمِكَ ؛ وَأَسْتِمْرَارٍ مِنْ هَوَاكَ
وَرَأْيِكَ - عَلِيٌّ أَنْ لَانْتَأَوَّلَ عَلَيْهِ فِيهَا ، وَلَا تَسْمَعِي فِي تَضِيٍّ شَيْءٍ مِنْهَا ؛ وَلَا تَقْعُدَ
عَنْ نَصْرِهِ فِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ ، وَلَا تَدَعِ النَّصْرَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةٍ وَحَادِثَةٍ ؛ حَتَّى
تَلْقَى اللَّهَ مُؤَدِّنًا بِهَا ، مُؤَدِّيًا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا ؛ إِذْ كَانِ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ وُلاةَ الْأَمْرِ ،
وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فِئْتَانًا
يَنْكُتْ عَلَيَّ نَفْسَهُ ﴾ .

عليك بهذه البيعة - التي طَوَّقْتَهَا عَنْكَ ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ ، وَأَعْطَيْتَ فِيهَا صَفَقَتَكَ ؛ وَمَا شَرِطَ عَلَيْكَ فِيهَا : مِنْ وِفَاءٍ وَمُؤَالَاتٍ ، وَنُصْحٍ وَمَشَايِعِهِ ، وَطَاعَةٍ وَمُؤَانَقَةٍ وَأَجْتِهَادٍ وَمُتَابَعَةٍ - عَهْدُ اللَّهِ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا . وَمَا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى مَنْ أَخَذَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَكَيْدَاتِ مَوَائِقِهِ وَمُحْكَمَاتِ عُهُودِهِ ؛ وَعَلَى أَنْ تُمْسِكَ بِهَا وَلَا تُبَدِّلَ ، وَتَسَنِّقِمَ وَلَا تَمِيلَ ؛ وَإِنْ نَكَثَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ أَوْ بَدَلَتْ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا ، أَوْ عَفَيْتَ رِشْمًا مِنْ رُسُومِهَا ، أَوْ غَيَّرْتَ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِهَا ؛ مَعْلِنًا أَوْ مُسِرًّا أَوْ مُخْتَلًا أَوْ مُتَأَوِّلًا ؛ أَوْ زِغْتَ عَنِ السَّبِيلِ الَّتِي يُسَلِّكُهَا مِنْ لَا يُحَقِّرُ الْأَمَانَةَ ، وَلَا يَسْتَحِلُّ الْغَدْرَ وَالْحِيَانَةَ ؛ وَلَا يَسْتَجِيزُ حَلَّ الْعُقُودِ ، فَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرِقٍ أَوْ آيَةٍ ، أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائِمَةٍ ، أَوْ زَرْعٍ ، أَوْ ضَرْعٍ ؛ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْلاكِ الْمُعْتَدَةِ ، وَالْأَمْوَالِ الْمُدْنَحَةِ ؛ صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَالِكَ بِجِيلَةٍ مِنَ الْحَيْلِ ، عَلَى وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، أَوْ مُخْرَجٍ مِنْ مَخَارِجِ الْإِيمَانِ ؛ وَكُلُّ مَا تَعْتَدُهُ فِي بَقِيَّةِ عَمْرِكَ مِنْ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهُ أَوْ يَجِلُّ فَتَلِكُ سَبِيلُهُ إِلَى أَنْ تَتَوَفَّاكَ مِيتَتِكَ أَوْ يَأْتِيكَ أَجْلُكَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ الْيَوْمَ ^(١) : وَأُخْرَى تَتَرَقَّجُهَا بَعْدَهَا مَدَّةَ بَقَايِكَ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقُ الْحَرْجِ وَالسُّنَّةُ لَامْتَنُوبِيَّةٌ فِيهِ وَلَا رُجْعَةَ ؛ وَعَلَيْكَ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثِينَ حَافِيًا ، حَاسِرًا رَاجِلًا ؛ لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْكَ إِلَّا بِالْوَفَاءِ بِهَا ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ صَرَفًا وَلَا عَدْلًا ؛ وَخَذَلِكَ يَوْمَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ وَبَرَآكَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَأَجْلَاكَ إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا .

(١) في الأصول "وكل ملوكك اليوم من ذكر وأُنثى مدة" الخ وهو غير مناسب كما لا يخفى .



وهذه نسخة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها أبو الحسين الصابي في "غرر البلاغة" وهي :

تَبَايَعُ أميرَ المؤمنين بِقُوَّةٍ من بَصِيرَتِكَ ، وَصِحَّةٍ من سِرِّرَتِكَ ، وَصَفَاءٍ من عَقِيدَتِكَ ، وَصِدْقٍ من عَزِيمَتِكَ ، على الرِّضَا [به] والوَفَاءِ له ، والإِخْلَاصِ في طَاعَتِهِ ، والإِجْتِمَادِ في مُنَاصَحَتِهِ ، وَعَقْدِ النِّيَّةِ على مُوَالَاتِهِ ، وَبَدَلِ القُدْرَةِ في مِمَالَاتِهِ ، وَأَنْ تَكُونَ لِأَنْصَارِهِ عَوْنًا ، ولِأَوْلِيَائِهِ حَرْبًا ، ولِأَعْدَائِهِ حَرْبًا ، عَارِفِينَ بِمَا في ذَلِكَ من الحِطِّ ، وَمَعْتَرِفِينَ بِمَا يَلْزِمُ فِيهِ من الحَقِّ ، وَمَحَافِظِينَ على مَا حَرَسَ المِلَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ ، وَالدَوْلَةَ العَبَّاسِيَّةَ ، ثَبَّتَ اللهُ قَوَاعِدَهَا ، وَأَحْكَمَ مَعَاقِدَهَا ، وَزَادَهَا أَسْتِمْرَارًا على مَرِّ الدُّهُورِ ، وَأَسْتِمْرَارًا على كَرِّ العُصُورِ ، وَعِزًّا على تَقَلُّبِ الأُمُورِ ، وَأَسْتِدَادًا على تَغَلُّبِ المَقْدُورِ ، فَإِنْ خَالَفَتْ ذَلِكَ مُسِرًّا أو مُعَلِنًا ، وَحَلَّتْ عَنْهُ مُظْهِرًا أو مُبْطِنًا ، وَحَلَّتْ عَقُودَهُ نَاقِصًا أو نَاقِضًا ، وَتَأَوَّلَتْ فِيهِ مُحَاوِلًا لِلخُرُوجِ مِنْهُ ، وَأَسْتَنْثِيَتْ عَلَيْهِ طَالِبًا لِلرَّجُوعِ عَنْهُ ، فَبَرَأَنِي اللهُ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَسَلْبِنِي مَا وَهَبَ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ، وَمَنْعَنِي مَا وَعَدَ مِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَخَلَّانِي مِنْ يَدَيْهِ ، يَوْمَ الفَرْعِ الأَكْبَرِ لَدَيْهِ ، وَحَنَثَ كُلَّ يَمِينٍ حَلَفَهَا المُسْلِمُونَ على قَدِيمِ الأَيَّامِ وَحَدِيثِهَا ، وَالتَّنَاهَى في تَأْكِيدِهَا وَتَشْدِيدِهَا ، وَأَعْرَوْهَا مِنْ لِبَاسِ الشُّبْهِ ، وَأَخْلَوْهَا مِنْ دَوَاعِيِ الخِنَاثَةِ ، وَهَذِهِ الِيمِينُ يَمِينِي : أوردتها على صِدْقٍ من نَبِيِّ ، وَصِحَّةٍ من عَزِيمَتِي ، وَأَتَّقَاقٍ من سَرِيٍّ وَعَلَائِقِي ، وَسَرَدْتُهَا سَرْدًا مُتَابِعًا مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ ، وَتَلَفُظْتُ بِهَا تَلَفُظًا مِنْ غَيْرِ قِطْعٍ ، وَالدِّيَّةُ فِيهَا نِيَّةُ فُلَانٍ : على حُضُورِ مَنْهُ وَغَيْبٍ ، وَبَعْدِ وَقُرْبٍ ، وَأَشْهَدُ اللهُ تَعَالَى بِمَا عَقَدْتُهُ على نَفْسِي مِنْهَا ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا على مَنْ أَشْهَدَهُ ، وَحَسْبِيَ اللهُ على مَنْ أَجْتَرَأُ على إِخْفَارِ عَهْدِهِ ، وَتَقْضِ عَقْدَهُ .

قلت : فإن كان من تؤخذ عليه المبايعة اثنين ، أُتِيَ في المبايعة بصيغة التثنية ؛ أو ثلاثة فأكثر ، أُتِيَ بصيغة الجمع . ولم أَتَفِ على كيفية وَضْعِهِمْ لذلك في الكتابة ، والذي يظهر أن المبايعة كانت تكتب على الصورة المنقّمة ، ثم يكتب المبايعون خطوطهم بصدورها عنهم ؛ كما يفعل الآن في تحليف من يحلف من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف بالمملكة المصرية والممالك الشامية ، أو يُشهد عليهم في آخر البيعة بمعاقدتهم عليها ورضاهم بها ونحو ذلك .

المذهب الثاني

(مما يكتب في بيعات الخلفاء)

أن تفتتح المبايعة بلفظ « من عبد الله وولَّيه فلان أبي فلان الإمام الفلاني » إلى أهل دولته ، ونحو ذلك بالسَّلام عليهم ، ويؤتى بما سَنَح من الكلام ؛ ثم يُقال : أمَّا بعدُ ، فالحمد لله ؛ ويؤتى على وصفه بشريف المناقب ، وأستحقاقه للخلافة ، وأستجاعه لشروطها ، وما يجرى هذا الجرى ؛ ثم يتخرط في سلك البيعة ، ويذكر القائم بأخذها على الناس من سلطانٍ أو وزيرٍ عظيمٍ أو نحو ذلك ؛ ويذكر من أمر ولاية الخليفة ما فيه أستجلاب قلوب الرعية والأخذ بنحواتهم وما يتخرط في هذا السلك .

وهذه نسخة بيعة من هذا الأسلوب ، لوليِّ عهد بعد موتِ العاهد ، كُتِبَ بها لبعض خلفاء الفاطميين ، ليس فيها تعرض لذكر الوزير القائم بها ، وهي :

(١) لعله ونحو ذلك ويتبع ذلك الخ تأمل .

من عبد الله ووليه «أبي فلان فلان بن فلان» الإمام الفلاني، بأمر الله تعالى
 أمير المؤمنين، إلى من يضمه نطاق الدولة العلوية : من أمراءها وأعيانها، وكبرائها
 وأولائها؛ على اتساع شعوبهم، وعساكرها على اختلاف ضروبهم؛ وقبائل عمرها
 الفيسية وإيمانه، وكافة من تشمله أقطارها من أجناس الرعيه : الأمير منهم
 والمأمور، والمشهور منهم والمغمور؛ والأسود والأحمر، والأصغر والأكبر؛ وفقهم
 الله وبارك فيهم .

سلام عليكم، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله
 أن يصلي على محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين،
 الأئمة المهديين، وسلم تسليما .

أما بعد، فالحمّد لله مولى المنّ الجسيم، ومبدي الطول العميم، وما منح جزيل الأجر
 بالصبر العظيم، فيفيد النعم المتشعبة النون، ومدني المهج المتعالية لتناول المنون؛
 ومبيد الأعمار ومفنيها، وناشر الأوائ ومحييها؛ والفتاح إذا استغلت الأبواب،
 والقائل : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الذي لا يغير ملكه مرور الغير، ولا يصرف سلطانه
 تصرف القدر؛ ولا يدرك قدمه وأزليته، ولا ينفد بقاؤه وسرمديته؛ مسلم الأنام
 للحمام، ومضمي الأنفس بسهام الإخترام؛ ومورد البشر من المية منهل ما برحوا
 في رنقه بكرعون، ولزّه المشرق يجزعون؛ ومعزز ذلك بقوله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
 الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمُ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ .

والحمّد لله الذي نصب الأنبياء لمرآشده أعلاما، وحفظ بيعتهم من الحق والهدى
 نظاما؛ وجعل نبوة جدنا محمد صلى الله عليه وسلم لنبواتهم ختامًا، وعصده بوصيه أبينا

امير المؤمنين علي بن أبي طالب كَمَلاً للدين وإماماً ؛ واستخلص من دُرَيْتِهِمَا أُمَّةً هَادِيَةً إِيْتِقَانًا لَصْنَعَتِهِ وَإِحْكَامًا ، وَأَنَامَ الْجَمَّةَ عَلَى الْأُمَّةِ بِأَنَّ أَقَامَ لِكُلِّ زَمَانٍ مِنْهُمْ إِمَامًا ؛ وَعَاقَبَ بَيْنَ أَنْوَارِ الْإِمَامَةِ إِذَا أَنْقَبَضَ نُورُ أَنْبَسَطَ نُورٌ ، وَتَابَعَ ظُهُورَ بَدْوَرِهِ لِيُشْرِقَ طَالِعُ إِثْرِ غَارِبِ يُغُورُ ؛ رَحْمَةً شَامِلَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَحِكْمَةً تَامَةً حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ؛ وَلَمْ يُجَلِّ نَبِيًّا مَعَ مَا شَرَّفَهُ [بِهِ] مِنْ تَنَاوُلِ وَحْيِهِ وَتَلْقَائِهِ ، وَلَا عَصَمَ إِمَامًا مَعَ اخْتِصَاصِهِ بِفُرُوعِ مَنَصِبِ الْإِمَامَةِ وَتَرْقِيهِ ، مِنْ لِقَاءِ الْمَنِيِّ ، وَوَدَاعِ الْأُمِّيَّةِ ؛ بَلْ أَجَلَ لِكُلِّ مِنْهُمْ أَجَلًا مَكْتُوبًا ، وَفَسَّحَ لَهُ أَمَدًا مَحْضُورًا مَحْسُوبًا ؛ لَا يَصْرِفُهُ عَنْ وُصُولِهِ فَضِيلُهُ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى تَجَاوُزِهِ بِقُوَّةٍ وَلَا حِيلَةٍ ؛ قُدْرَةٌ مُحْكَمَةُ الْأَسْبَابِ ، وَعِبْرَةٌ وَاضِحَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ؛ وَقَضِيَّةٌ أَوْصَحُّهَا فُرْقَانُهُ الَّذِي أَقَرَّ بِإِعْجَازِهِ الْجَاهِلُونَ ، إِذْ يَقُولُ مَخَاطِبًا لِنَبِيِّهِ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ إِفْرَانٌ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ .

والحمد لله الذي منَّحَ أمير المؤمنين من خصائص الإمامة وأنوارها ، وحازله من دَخَائِرِهَا وَأَوْدَعَهُ مِنْ أَسْرَارِهَا ، مَا خَوْلَهُ فَانْحَرُتْ رِثَاتُهَا ، وَأَصَارَ لَهُ شَرَفَ مِيرَاثِهَا ؛ وَجَعَلَهُ الْقَائِمَ بِحَقِّهِ ، وَالْمُرْشِدَ خَلْقِهِ ؛ وَالْمَاحِيَ بَهْدَاهُ لَيْلًا مِنَ الضَّلَالِ بَهِيمَا ، وَالْحَاوِيَّ بِخِلَافَتِهِ مَجْدًا لَا يَزَالُ ثَنَاؤُهُ عَظِيمًا : ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين علي أن أَوْصَحَ بِآبَائِهِ الْأُمَّةِ سُبُلَ الْحَقَائِقِ ، فَاصْبَحُوا خِلَفَاءَ الْخَالِقِ وَأُمَّةَ الْخَلَائِقِ ؛ وَخَوْلَهُ مَا اخْتَصَمَهُ بِهِ مِنَ الْإِمَامَةِ ، وَرَفَعَهُ بِهَا إِلَى أَشْمَخِ مَنَازِلِ الْعُلَا وَأَرْفَعِ مَوَاطِنِ الْكِرَامَةِ ؛ وَيَسْتَمِدُّهُ سُكْرًا يُوَارِزِي النِّعَمَ الَّتِي أَثْبَتَتْ [لَهُ] عَلَى سِرِيرِ الْخِلَافَةِ وَسِرِّهَا نَدْمًا ، وَصَبْرًا يُوَارِزُ الْفَجِيعَةَ الَّتِي قَلَّ لَهَا فَيْضُ الْمَدَامَعِ دَمًا .

ويسأله أن يصلي على جده محمد الذي فضَّ بجِهاده جُموعَ الإلحاد، وحصدَ
 باجتهاده من مال عن الهدى وحاد؛ وصدعَ بما أمر به حتى عمَّ التوحيد، ودانت
 لمُعجزاته الأئمة وقد دناها وهو المُفردُ الوحيد؛ ولم يزل مبالغاً في مَرْضاة ربِّه،
 حريصاً على إظهار دينه بيده ولسانه وقلبه؛ حتى استأثر به وقبضه، وبدله من الدنيا
 شرفَ جواره وعوضه؛ وأصاره إليه أفضل نبيٍّ بصَّرَ وبشَّرَ، وأحيا دينَ الله وأنشَره؛
 وعلى أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إمام الأئمة، وأبي الأئمة؛ وقُدوة
 السعداء، وسيّد الشهداء؛ وعاضِدِ الدين بذي الفقار، ومن لم يزل الحقُّ إلى
 دَبِّه شديدَ الإفِقار؛ صلَّى اللهُ عليه وعلى آبائه والأئمة من ذرِّيتهما الذين
 أيقظوا العقولَ بإرشادهم من السنَّة، وأفاضوا من العدل والإحسان ما ألهمج
 بتمجيدهم الألسنة .

وإنَّ الإمامَ الفلانيّ لدين الله أمير المؤمنين كان ولياً لله شرفه الله وأستخلصه ،
 وأفردَه بإمامة عَصْرِهِ وَخَصَّصَهُ ؛ وفوضَ إليه أمرَ خلافتِهِ ، وأحلَّهُ محلًّا تَمَّعَ مطارُحُ
 الهممِ دُونَ علُوهِ وإِنَافِهِ ؛ فقام بحقِّ الله ونهَضَ ، وعَمِلَ بأمرِهِ فيما سَنَّ وفَرَضَ ؛ وقهرَ
 الأعداءَ بسَطَوَاتِهِ وعِزَّائِمِهِ ، وصَرَّفَ الأمورَ بأزِمَةِ التَّدِيرِ وَخِزَائِمِهِ ؛ وبالغَ في الذَّبِّ
 عن أشياعِ المِلَّةِ ، وأجتهَدَ في جِهَادِ أعداءِ القِبَلَةِ ؛ ووقفَ على مصلِحَةِ العِبَادِ والبِلَادِ
 أمله ، ووفَّرَ على ما يُحِطُّ عِنْدَ اللهِ قولُهُ وعمَلُهُ ؛ ولم يتركْ في مَرْضاةِ خالِقِهِ مشقَّةً
 إلا أَحتمَلَهَا ، ولا رُوِيَّةً إلا صَرَفَهَا في إرشادِ خلقِهِ وأعمَلَهَا ؛ حتى بلغَ الغَايَةَ المَحْدُودَةَ ،
 وأستجَلَّ الأنفاسَ المَعْدُودَةَ ؛ وأحسنَ اللهُ له الإِخْتِيَارَ ، وآثرَ له الثَّقَلَةَ من هذه الدارِ
 والزُّنْفَى بسُكْنَى دارِ القَرَارِ ، والفوزَ بمصاحِبَةِ الأنبياءِ الأبرارِ ، والحُلُولَ في حظائرِ
 قُدْسِهِ مع آبائِهِ الأئِمَّةِ الأطهارِ ؛ فسارَ إليه طاهرَ السَّرِيرَةِ ، جميلَ المَذْهَبِ والصُّورَةِ ؛
 مستوجباً بسَعْيِهِ أفضلَ رضوانِهِ ، ممهداً بالتَّقْوَى لتدبيرِهِ أَكثافَ جَنَانِهِ .

وأمر المؤمنين [بِحَسَب] عند الله هذه الرزية التي عظم بها المصاب، وعظم عند
 تيجعها الصاب؛ وأضمرت القلوب نارا، وأجرت الأماق دما مُمَارا^(١)؛ وأطاشت
 بهولها الأبداء بالحرق، وحكمت الأجفان بالأرق؛ وكادت لهجومها الصدور تُقَدِّفُ
 أفئدتها، والدينا تنزع نضرتها وبهجتها؛ وقواعد الملة تضعف وتهدى، والخطوب
 الكارثة تُبْصِرُ ولا تتبى، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون!! تسليماً لأمره الذي لا يُدْفَعُ،
 وإذعاناً لقضائه الذي لا يُصَدَّ ولا يُمْنَعُ.

وكان الإمام الغلاني لدين الله أمير المؤمنين عند نقلته جعل لي عقد الخلافه،
 ونص على بارتقاء منصبها المخصوص بالإتافه؛ وأفضى إلى بسرّها المكنون،
 وأودعني غامض علمها المصون؛ وعهد إلى أن أشملكم بالعدل والإحسان، والعطف
 والحنان؛ والرحمة والغفران، والمن الرائق الذي لا يكدره أمتنان؛ وأن أكون لأعلام
 الهدى ناشرا، وبما أَرْضَى اللهُ مَجَاهِرًا، ولأحزاب القبلة مظافرا مُظَاهِرًا،
 ولأعداء الملة مُرْعِمًا قَاهِرًا؛ وللمنار التوحيد رافعا، وعن حوزة الإسلام بغاية
 الإمكان دافعا؛ مع علمه بما حُصِّصْتُ به من كرم الشيم، وفُطِرْتُ عليه من الخلال
 القاضية مصالح الأمم؛ وأوتيت من استحقاق الإمامة وأسئجابها، ومُنِحْتُ من
 الخصائص المبرمة لأسبابها.

فَتَعَزَّوْا جميع الأولياء، وكافة الأمراء؛ وجميع الأجناد، والحاضر من الرعايا والباد؛
 عن إمامكم المنقول إلى دار الكرامة، بإمامكم الحاضر الموجود الذي أورثه الله مقامه؛
 وأدخُلُوا في بيعته بصدور مشروحة نقيه، وقلوب على محض الطاعة مطويه؛ ونيات

(١) ما زاد من قاموسه وأماه أسأله . انظر القاموس .

(٢) أى تدم من قولهم أصر على الأمر دأوم عليه .

فِي الْوَلَاءِ وَالْمَشَابِعَةِ مَرْضِيَّةً ، وَبَصَائِرَ لَا تَزَالُ بُنُورُ الْهُدَى وَالْإِسْتِجَارُ مُضِيَّةً ؛
وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ إِمَامَتَهُ مَحْظُوظَةً بِالْإِقْبَالِ ، دَائِمَةً الْكَمَالَ ؛ ضَافِيَةً
مِنَ الْأَشْكَارِ ، مَعْضُودَةً بِمُؤَانَةِ الْأَقْدَارِ ؛ وَيُوَالِي حَمْدَهُ عَلَى مَانَحِهِ مِنَ الْأَصْطِفَاءِ
الَّذِي جَعَلَهُ لِأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا قَوَامًا ، وَأَقَامَهُ لِلْبَرِيَّةِ سَيِّدًا وَإِمَامًا ؛ فَاعْمَلُوا هَذَا
وَأَعْمَلُوا بِهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وكتب في يوم كذا من شهر كذا سنة كذا .



وهذه نسخة بيعة : كتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي بعد وفاة
أبن عمه الأمر بأحكام الله ، قام بعقدتها الوزير أبو الفتح يانيس الحافظي ؛
أَقْصَرَ فِيهَا عَلَى تَعْمِيدِ وَاحِدَةٍ ، وَعَزَى بِالْخَلِيفَةِ الْمَيَّتِ ؛ ثُمَّ أَنْتَقَلَ إِلَى مَقْصُودِ
الْبَيْعَةِ ، وَهِيَ :

من عبد الله ووليه عبد المجيد أبي الميمون ، الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى كافة أهل الدولة شريفهم ومشرؤفهم ، وأميرهم ومأمورهم ، وكبيرهم
وصغيرهم ؛ وَأَحْمَرِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ ، وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ وَبَارَكَ فِيهِمْ .

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يُصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ،
الْأئِمَّةِ الْمُهَدِّدِينَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد ، فالحمد لله اللطيف بعباده وبريئته ، الرَّءُوفُ فِي أَعْدَارِهِ وَأَقْضِيَّتِهِ ، الْمُهِمِّنُ
فَلَا يُخْرِجُ شَيْءًا عَنْ إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ ؛ ذِي النِّعَمِ الْفَائِضَةِ الْغَامِرَةِ ، وَالْمِنِّ الْمَتَابِعَةِ

المتظاهره؛ والآلاء المتواليه المتاصره، القائل في محم كتابه : ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ . مدبر أرضه بخلقائه، الذين هم زينةٌ للدينا وبهجه، وهادى خلقه بأوليائه، لئلا يكون للناس على الله حجة؛ فسبحان الذى هو للنعم مُسَبِّحٌ وبالكرم جدير، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين أن جعله خليفةً دون أهل زمانه، وأوجب ثواب المستحسين له بكفالاته وخصامته، وجعلهم يوم الفزع الأكبر مكنوفين بحفظه مشمولين بأمانه؛ وأوزعه الشكر على ما أسترعاه لياه من أمر هذه الأمة، ونقله إليه من ثراث آبائه الهداة الأئمة، وكشفه بإمامته من أجمع نائبةً وأفظع ملبه .

وصلّى الله عليهم جدنا محمد رسوله الذى أخبر الأنبياء المرسلون بصفته ونعته، وتداولوا البشرى بما يستقبل من زمانه وبعثه؛ وذكروه فيما أتوا به من كل كتاب أوحاه الله وأنزله، وأعترفوا بأنه أفضل من كل من نبأه الله وأرسله؛ فيسر الله سبحانه ما كان مرتقباً من ظهوره، وأذن فى إشراق الأرض بما أنتشر فى آفاقها من نوره؛ وبعثه - جلت قدرته - إلى الأمة بأسرها قاطبه، وجعل السنة الأعماد مجادلة لمن خالف شرعه مخاطبه؛ فكان لآية الكفر ماحيا، وفى مصالح البرية ساعياً، وإلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة داعياً؛ إلى أن لمعت آيات الحق وسطعت، وأنحسمت مادة الباطل وأقطعت؛ وظهر من آياته ما كبره المخبتون، وأشتهر من معجزاته ما خصم به المعتون، وخاطبه الله فيما أنزل عليه بقوله : ﴿إِنَّكَ مِثٌّ وَإِنَّهُمْ مِثُونَ﴾ . فحينئذ نقله الله إلى ما أعد له من جناته، وخصه بشرف الشفاعة

في يوم مجازاته ، وصدقته وعده فيما بواه من النعيم المقيم : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وعلى أئمتنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أولى الناس بالنبي ، وأول من أتبعه
من ذوى قرابة وأجنيب ؛ وابن عمه الذى آخضه بمواخاته ، وجعله خليفة على كافة
الناس بعد وفاته ؛ وتحمل بأمر الله ، فيما ولاه وأولاه ، وخطب الناس في حجة الوداع
فقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ، وعلى ألها الكرام الأبرار ، وعترتهما المصطفين
الأخيار ؛ وهداة المسلمين وقُدوتهم ، وأمرء المؤمنين وأئمتهم ؛ الذين حكموا فأقسطوا
وما قسطوا ، وسلك الحِضرون منهم سنن أسلافهم الذين فرطوا ، وأقنوا آثارهم
في السياسة فما قصروا ولا فرطوا ؛ ولم يزل كل منهم تاملاً من ذلك بما حسن
أيامه ، فاعلاً في أمر الدين مارع مناره ونشر أعلامه ، حتى آختر الله له ما عنده
فنص على من أقامه الاستحقاق مقامه ؛ وسلم عليهم أجمعين سلاماً لا أقبضاء
لأئمه ، ولا أنقطاع لمدده ؛ فنيل المطالب بكرمه وملكوته كل شيء بيده .

وإن الحق إن خفي حيناً فلا بد لهلاله من الإبدار وأنيساط النور ، وإن الشمس
إن توارت بالحجاب فما أوشك عودتها إلى البروغ والظهور ؛ وإن حسن الصبر إلى أن
يلغ الكتاب أجله يؤمن من تدلية الشيطان بالنور ، قال الله عز وجل في كتابه ،
الذى هدانا به ، : ﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

وإن الله تعالى لرأفته بمن أبدعه من خلقه وأنشاه ، ولسابق علمه في عمارة هذه
الدار على ما أرادته عز وجل وشاه ؛ لا ينجلي الأرض من نور يستضيء به السارى
في الليل البهيم ، ولا يدع الأمة بلا إمام يهتدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ؛
فهو جل وعلا عدل من أن يجعل جيد الإيمان من حلى الإمامة عاطلاً ، أو يترك

الخلق هملاً وقد قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِإِطْلَاقٍ .
بل يقطع أعدار العباد فيما خلقهم له ووقفهم ، ويهديهم بالأئمة إلى التوفيق على عمل
ما ألزمهم وكلفهم ؛ فالأمور محروسة الترتيب محفوظة النظام ، والأرض إذا أظلمت
لقد إمام ، أضاعت وأشرفت لقيام إمام . وقد علم الكافة أن حجة الله في أرضه ،
والمجتب من الأعمال ما لم يرضه ، والمحسن إلى البرية ببعثه على المصالح وحضه ؛
الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين الذي آتاه الله الحكم صبيهاً ، ورفعه من إرث
النبوة مكاناً علياً ؛ وأستخلفه على خلقه فكان للفضل باسطاً ولراية العدل ناشراً ،
وجعله لسمل المحاسن جامعاً ولأئمة الخلفاء الراشدين عاشرها ؛ لم يزل ناظراً في البعيد
والقريب ، عاملاً في سياسة الأمة عمل المجتهد المصيب ؛ مستقصياً حرصه
في المحافظة على إعزاز الله ، مستنفذاً جهده في الجهاد فيمن خالف أهل القبلة ،
بإذلاً من جزيل العطاء وكثيره ما لا يعرف معه أحد من خاصته بالفقر ولا ينسب
معه إلى القلة ؛ حتى استوفى مدته الموهوبه ، وأستوعب غايته المكتوبه ؛ وناله
من القضاء ما أخرجه من الدنيا سعيداً ، وأقدمه على الله شهيداً ، وأصاره إلى ما أعد
له من نعيم لا يريد به بديلاً ولا يطلب عليه مزيداً ؛ وكان أنتقاله إلى جوار ربه تبارك
وتعالى ، كأنقال أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بغياً من الكافرين وأغتيالاً .
وقد كان يذكر ما علمه من حق أمير المؤمنين تارةً محمهاً وتارةً محافناً ، إلى أن صار
على بسط القول في ذلك وتبيينه مثاراً متهاقناً ؛ وأفصح بما كان مستبهماً مستعجباً ،
وصرح بما لم يزل في كشفه ممرضاً وعن إفصاحه محجماً ؛ وذلك لما ألقاه أشرف
فرع من سنخ النبوه ، وراه أكرم في فخارة الأبوه ؛ وعلمه من أباه الأمير أبا القاسم^(٢)

(١) المراد به الحافظ لدين الله صاحب هذه البيعة .

(٢) جرى الكاتب على لغة القصر .

عَمَّهُ سَلامُ اللهِ عليه الذي هو سَليلُ الإمامة القليلِ المِثلِ ، ونَجِيلُ الخِلافةِ المَخصوصِ
من الفَخْرِ بأَجْزَلِ حَظٍّ وأَوْفَرَ كَفْلِ ؛ كانَ المِستَنصِرُ باللهِ أميرُ المُؤمِنينَ سَماهُ ولىَّ عَهدَ
المُسلمينَ ، وتَضَمَّنَ ذلكَ ما خَرَجَتْ بِهِ تَوقِعاتُهُ وتَسوِغَاتُهُ إلى الدَواوينَ ، وَبُتَّتْ
في طُرُزِ الأَبْنِيَةِ ، وَكُتِبَ الأَبْتِاعاتُ والأَشْرِيَةِ ، وَعَلمَتَهُ الكَافَةُ عَلماءُ يَقيناً ظَلَّتْ فِيهِ
غَيرُ مُرُتابِيَةٍ ولا مِمْتَرِيَةٍ ، وفي ضَمَنِ ذلكَ باطنٌ لا يَعبِقُهُ إلا العالِمونَ ، ولا يُنكرُهُ إلا من
قالَ فيهِمَ : ((وَمَا يَبيحُذُ بِأَيَّتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ)) . وذلكَ أَنَّ أميرَ المُؤمِنينَ الفَرضُ
والمَقْصدُ ، والبُغْيَةُ والمَطْلَبُ ؛ وله عَهدٌ بالتَلوِيحِ والإِشارَةِ ، وإِليه أوحى بالبَنيانِ وَإِنْ
لم يُفصِحَ فِيهِ بِالعِبارَةِ ؛ وكانَ والِدُهُ الأميرُ أبو القاسِمِ - قَدَسَ اللهُ رُوحَهُ - بِمِثْلَةِ
الأشجارِ التي يُتَأَنَّى بِها إلى أن يَظْهَرَ زَهْرُها ، والأَكْمامِ التي يُنْتَظَرُ بِها إلى أن يَخرجَ
بَرمِها ؛ والزَّرَجُونَةُ التي نَقَلَتِ المِاءَ إلى العُتُقودِ ، والسَّجَابِيَةِ التي حَمَلَتِ الغَيتَ فَعَمَّ
نَفعُهُ أَهلَ السُّهولِ والنُّجودِ ؛ وَمما يَبينُ ذلكَ ويُوضِّحُهُ ، وَيَحَقِّقُهُ وَيَصَحِّحُهُ ؛ وتَنجِجُ
بِهِ لِلْمُؤمِنينَ صُذورَ وَتَقوى أَفئِدَهُ ؛ وَتَشْهَدُ البِصائِرُ أَنَّ النِّعْمَةَ بِهِ على الإسلامِ مُتتابِعَةٌ
مُتجدِّدَةٌ ، أَنَّ الأَمْرينِ إِذا تَسابَها من كُلِّ الجِهاَتِ ، وكانَتْ بَينَهما مُدَدُ مُتَطاولاتٍ
مُتباعداتٍ ؛ فالسابقُ مِنِهما يُمهِّدُ لِلتَّالِي ، والأوَّلُ أَبدًا رَمزٌ على التَّالِي ؛ ولا خِلافَ
بَينَ كَافَّةِ المُسلمينَ في أَنَّ اللهُ تَعالَى أَمْرَ جَدِّنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَقْدِ وِلايَةِ
أَميرِ المُؤمِنينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ فَعَقَدَها لهُ يَومَ غَديرِخُمٍّ ، وَأَميرِ المُؤمِنينَ
عَلِيِّ بْنِ عَمِّهِ وكانَ لهُ حينئِذٍ عَمٌّ حاضِرٌ ، وَأَمْضَى ما أَمَرَ بِهِ والإِسلامُ يَومئِذٍ غُضُّ
وَعُودُهُ ناضِرٌ ؛ وَكَذلكَ أَنَّ أميرَ المُؤمِنينَ ، هُوَ ابْنُ عَمِّ الإمامِ الأَميرِ بِأَحكامِ اللهِ
أَميرِ المُؤمِنينَ ؛ وَقَدْ نَصَّ مَعَ حَضورِ عُمومَتِهِ عَلَيْهِ ، وَفَعَلَ ما فَعَلَ جِذَّهُ رَسولُ اللهِ
أَقْتداءً بِهِ وَأَتِهاةً إِلَيْهِ ؛ وكانَ أَبُو عَلِيٍّ المَنصُورُ الإمامُ الحاكِمُ بِأَمْرِ اللهِ أميرَ المُؤمِنينَ
صَلواتُ اللهِ عَلَيْهِ ، جَعَلَ أَبَنَهُ عَبْدِ الرَّحيمِ إِلياسَ ولىَّ عَهدَ المُسلمينَ ، وَمِيزَةَ بِذلكَ

على كافة الناس أجمعين؛ ونقش اسمه في السكك، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمكته؛
والبسبه شدة الوقار المرصعة بالجوهر، وأستتابه عنه إمام الأعياد في الصلاة وفي رُقي
المنبر؛ وأقامه مُتَمِّمًا نَفْسَهُ في الأستغفار لمن يُتَوَقَّئُ من خواص أوليائه، وفي الشفاعة
لهم بِمَتَقَبِلِ مُنَاجَاتِهِ وَمَسْمُوعِ دُعَائِهِ، مع علمه أنه لاينال رتبة الخلافه، ولا يبلغ
درجة الإمامه؛ وأن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله - صلى الله عليه - هو الذي
خُلِقَ لما؛ وحين حُمِّلَ أعباءها أَقلَّها وما أَسْتَقَلَّها؛ وإنما تحت ذلك معنى لطيف
غامض، وسرٌّ عن جمهور الناس مستترٌ وبرقه لأولى البصائر وامض: وهو أن مَكُونِ
الحِكْمَةِ، ومَكْتُومِ عِلْمِ الأَمَةِ؛ يُدَلِّلانِ على أن الإمام المنصور أبا علي، سيفعل فيمن
يَسْتَخْلِفُه بعده مثل فعل النبي؛ وقد علم الإمام الحاكم - عليه السلام - أن المراد
بذلك مَنْ يَأْتِي بعده ممن أولده أو أنسله، لأنَّ ولده حاضرٌ والمقصودُ مَنْ لاوُلْدَ له؛
بفعل ولاية عبد الرحيم العهد تأسيسا لما سيكون، وتثلا للنفوس من الإنزعاج إلى
أن تَسْمَلَهَا الطُّمَأْنِينَةُ والسُّكُونُ؛ فلما أفضى الله إلى الإمام المنصور أبي علي الإمام
الأمير بأحكام الله أمير المؤمنين بالخلافة التي جعلها واجبا له حقا، ووافق جدّه
- عليه السلام - وكان لقبه من لقبه مشتقا، ظهر المنكتم، وروَّحَ المستر؛ وعاد
التعريضُ تصرُّيحا، والتمريضُ تصرُّيحا؛ والرَّمزُ إبانة، والنصُّ على أمير المؤمنين
أمانه؛ فاقتدى بجدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أستخلاف أمير المؤمنين
مع حضور عجموته، وقَعَلَ في ذلك فعلته وجرى على قضيتته؛ وكشفت عما أهدمته
الإمامُ الحاكمُ بأمر الله قدس الله لطيفته فتساوى الخالصُ والعامُّ في معرفته؛ ثم حلّه
أمير المؤمنين محل نفسه في الجلوس على الأسمطة، وعَمِلَ لأوليائه ورعيته في ذلك
بالقضايا المحيطه؛ ونصبه منصبه في الصلاة على من جرت عادته بالصلاة على مثله؛
وجمع في اعتاد ذلك بين إحسانه وفضله وبين امتنانه وعذله؛ وإذ قد تبيّن هذا

الأمر الواضح الجليّ ، وتساوى في علمه الشانئ والوليّ ؛ وعلم هو ماخصّ الله به أمير المؤمنين من الإمامه ، وأزاله عن العقول من ضباب متكاثف وعمّامه ؛ وشمله به من فضله ورافته ، ونصّب به فيه من منصب خلافته ؛ التي أيدها بوليّه ووزيره ، وعصدها بصفية وظهيره ، السيد الأجل أبي الفتح يانس الحافظيّ الذي جعله الله على أعتائه بدولة أمير المؤمنين من أوضح الشواهد والدلائل ، وصرف به عن مملكته محذور الصروف والغوائل ؛ وأقام منه لمناسبة الخلافة مخلصا جمع فيه أسباب المناقب والفضائل ؛ وأيده بالتوفيق في قوله وفعله فأرّب على الأواحر والأوائل ؛ ودلت سيرته الفاضلة على أنه قد عمّر ما بين الله وبينه ؛ وحكمت سنته العادلة أن كلّ مدح لا يبلغ ثنائه وكلّ وصف لا يقع إلاّ دونه ؛ والله يضاعف نعمه عنده ولديه ، ويفتح لأمر المؤمنين مشارق الأرض ومغاربها على يديه ؛ وهذا يحقّق أنّ الإسلام قد أحدث له قوّة وتمكينا ، وأنّ دوى الإيمان قد ازدادوا إيمانا واستبصارا ويقينا ؛ فيجب عليكم لأمر المؤمنين أن تدخلوا في بيعته منشرحة صدوركم ، طيبة نفوسكم ؛ مجتهدين له في خدمة تقابلون بها إحسانه ، متقرّبين إليه بمناجحة تحظيكم عند الله سبحانه ؛ عاملين بشرائط البيعة المأخوذة على أمثالكم الذين يتبعون في فعلهم ، ويقع الإجماع بمثلهم ؛ ولكم على أمير المؤمنين أن يكون بكم رحيا ، وعن الصغائر متجاوزا كريما ، وبالكافة رؤونا رفيقا ؛ وعلى الرعايا عطوفا شفيقا ، وأن يصفح عن المسيء ما لم يأت كبيره ، ويبالغ في الإحسان إلى من أحسن السيرة ؛ ويؤيّل من الإفضال ما يستخلص الضمائر ، ويسبغ من الإنعام ما يقتضى لقاء السرائر ؛ وأمير المؤمنين يسأل الله أن يعرفكم بركة إمامته ، ويمنّ خلافته ؛ وأن يجعلها ضامنة بلوغ المطالب ، كافلة لكافكم بسعادة المبدئ والعواقب ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المذهب الثالث

(أن تُفْتَحَ البيعةُ بعدَ البَسْمَلَةِ بِحُطْبَةٍ مَفْتُوحَةٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ ،

ثم يُؤْتَى بِالْبَعْدِيَّةِ وَيُتَخَلَّصُ إِلَى الْمَقْصُودِ ، وَقَدْ يُذَكَّرُ السُّلْطَانُ الْقَائِمُ بِهَا

وقد لا يُذَكَّرُ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ تَكْتُبُ بَيْعَاتُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ

بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمَنْ أَدَّعَى الْخِلَافَةَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ)

وهذه نسخةُ بيعةٍ كتبَ بها طاهرُ الأندلسيِّ ، في أخذِ البيعةِ على أهلِ دانيةٍ

من الأندلسِ ، للرَّشيدِ بنِ المأمونِ الأمويِّ ، وهو متَّصِبٌ في الخِلافةِ : نَخُلْفُ

تَوْهَمِهِ مِنَ الرَّعِيَةِ . أَقْتَصَرَ فِيهَا عَلَى تَحْمِيدَةِ وَاحِدَةٍ ، وَلَيْسَ فِيهَا تَعَرُّضٌ لِسُلْطَانِ قَائِمٍ

بِعَقْدِهَا ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ لِنِعَامِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، وَسَوَّغَ إِفْضَالَهُ هَامِلًا وَهَامِرًا ، وَأَعْجَزَ

عَنْ وَصْفِ إِحْسَانِهِ نَاطِلًا وَنَائِرًا ، وَقَهَرَ الْخَلْقَ نَاهِيًا وَأَمِرًا ، وَتَعَالَى جَدُّهُ فَلَا تَرَى لَهُ

مُضَاهِيًا وَلَا مُظَاهِرًا ، وَلَا مُوَازِيًا وَلَا مُوَازِرًا ، وَنَصَرَ الْحَقَّ وَكَفَى بِهِ وَيًّا وَكَفَى بِهِ

نَاصِرًا ، وَجَعَلَ جَدَّ الْمَطِيْعِ صَاعِدًا وَجَدَّ الْعَصِيِّ عَائِرًا ، وَحَدَّرَ مِنَ الْخِلَافِ بَادِيًا

وَحَاضِرًا ، وَمَاضِيًا وَظَافِرًا .

نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ حَمْدَ مَنْ أَصْبَحَ لِعَلْقِ الْحَمْدِ ذَاخِرًا ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَنِّهِ وَلَنْ

يُعْدِمَ الْمَزِيدَ مِنْهُ شَاكِرًا ، وَنَضْرَعُ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ حِظَّنَا مِنْ بَرَكَةِ الْإِعْتِصَامِ وَإِفْرًا ،

وَوَجْهَ نَيْتِنَا فِي الْإِتْتِظَامِ سَافِرًا ، وَأَنْ يَمْنَحَ أَوْلِيَاءَهُ النَّصْرَ ظَاهِرًا وَالْفَتْحَ بَاهِرًا ، وَأَعْدَاءَهُ

الرُّعْبَ شَاجِيًا وَالرُّمْحَ شَاجِرًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ أَقْرَبِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ

صَافِرًا ، وَأُصْحَى لِأَوَامِرِهِ مَمْتِنًا وَلِنَوَاهِيهِ مُحَازِرًا ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ حَرْبَ الْإِيمَانِ

ظافراً، ويمدّه بتصره طالباً للثأر بآثراً، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله الذي آتخذه
 من صفوة الصفوة كبراً فكابراً، وجعله بالفضيلة أولاً وبالرسالة آخراً، فأيقظ بالدعاية
 ساهياً وناسخياً وسكّن بعد الإبانة منافياً ومنافراً، وأذهب بنوره ليلاً من الجهالة
 سائراً، وقام بجهاد الكفرة لئنا خادراً، وباشر بنفسه المكاره دارعاً وحاسراً، وشهد
 بداراً مبادراً، وحينئذ منيراً بالخبر نادراً، وظهر عليهم في كل المشاهد غالباً وما ظهرُوا
 نادراً، وعلى آله وأصحابه الذين منهم صاحبه وخليفته، المعلومة رأفته، أبو بكر الذي
 أفتحهم لهول الردّة مصابراً، وسلّ في قتال الروم أهل الجلد والشدة سيفاً باتراً، ومنهم
 القوي في ذات الله عمر الذي أصبح به ربّع الإسلام عامراً، ولم يحش في الله عاذلاً
 ولم يبرح غادراً، ومنهم الأصدق حياءً عثمان ملاقى البلوى صابراً، والخفير الذي لم ير
 للأدمة خافراً، ومنهم أفضاهم على الذي قاتل باغيّاً وكافراً، وبات لخوف الله
 ساهراً، ورضى الله عن الإمام المهدي الذي أطلعه نوره باهراً، وبحراً للعلم زائراً،
 وأتى به والضلال يميز رسته سادراً، والباطل يثبث وينفي وإردا وصادراً، فحدد
 رسم الحق وكان دائراً، وقام بإرائه علماً هادياً وقرماً هادراً، وعن الخلفاء الراشدين
 المرشدين من أصبح حائداً عن الحق جائراً، المجاهدين خانلاً بالعهد خاتراً.

أما بعد، فإن الله سبحانه جعل الإمامة للناس عظمة، ومنجاة من ريب
 الألباس ونعمة، بها تهمد همارة الأرض، ويتجدد صلاح الكل والبعض، ولولاها
 ظهر الظلم، واختلط المرعى والمسل، وأرتكبت المآثم، وأستبيحت المحارم،
 وأستحلّت المظالم، وأستقم من المظلوم الظالم، وفسد الائتلاف وأترق النظام،
 وتساوى الحلال والحرام، فأختار لأمرهم رعاة أمرهم بالعدل فعدلوا، وبالتواضع

والتواضع

(١) أي لم يخف وفي بعض النسخ «ولا يبرح غادراً» وهو غير مناسب.

في ذات الله والتَّطَاعُ قَطَعُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَوَصَلُوا ؛ وَعَدَلُوا بَيْنَ أَهْلِيهِمْ وَأَقْرَبِيهِمْ
 فِيمَا وُكِّلُوا ، وَنَهَضُوا بِأَعْيَابِ الْكِفَايَةِ وَالْحِمَايَةِ وَأَسْتَقَلُّوا ؛ وَالرَّمْهَمُ الْإِتِّفَاقُ وَالْإِتِّقَادُ ،
 وَحَظَرَ عَلَيْهِمُ الْإِنْسِتَاقُ وَالْعِنَادُ ؛ فَمَلَكُوا بِأَزْمَةِ الْعَقْلِ قِيَادَ الْأُمُورِ ، وَأَشْرَقَتْ بِسِيرَتِهِمْ
 الْمُبَارَكَةِ أَقَاصِي الْمَعْمُورِ ؛ وَشَاهَدَ النَّاسُ فَوَاضِلَ إِمَامِهِمْ ، وَتَيَسَّنَّوْا مِنْ سِيرَتِهِمُ الْعَادِلَةَ
 عُلُوَّ مَحَلَّتِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ وَمَقَامِهِمْ ؛ وَلَمْ يُطْرَقْ فِي مُدَّتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ جَنَابٌ ، وَلَا أُقْتِحِمَ
 لَهُ بَابٌ ؛ وَائِي وَسُيُوفُهُمْ تَقَطَّرَ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ ، وَبِلَادُهُمْ سَاكِنَةُ الدَّهْمَاءِ ،
 وَالْكَفَرَةُ بِالرُّعْبِ الْمُخَامِرِ وَالِدَاءِ الْعِيَاءِ ؛ وَأَهْلُ الْإِيمَانِ ، يَجْرُونَ ذُبُولَ الْعَزَائِمِ ، وَعَبْدَةُ
 الصُّلْبَانِ ، يَعْتَرُونَ فِي ذَيْلِ الْهَوَانِ الدَّائِمِ ؛ إِلَى أَنْ عَدِمَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ بِحَارَهَا الزَّوَانِحِرَ ،
 وَأَنْوَارَهَا الْبَوَاهِرَ ، وَرَأَتْ بَعْدَهُمُ الْعَيُونَ الْفَوَاقِيَّ وَالْمُنُونِ الْفَوَاقِرَ ؛ وَأَكْفَهَرَّ وَجْهُ
 اللَّأْوَاءِ ، وَتَفَرَّقَتِ الزَّرْقُ بِحَسَبِ الْأَهْوَاءِ ؛ وَسُفِكَتِ الدَّمَاءُ ، وَرُكِبَتِ الْمَضَلَّةُ الْعَمِيَاءُ ؛
 وَأَحْتَقِبَتِ الْجَوَائِرُ ، وَأَهْمِلَ الشَّرْعُ وَالشَّعَائِرُ ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَدَانَ فِي كَشْفِ
 الْكُرْبِ ، وَأَطْلَعَ بِالغَرْبِ نُورًا مَلَأَ الدُّنْيَا إِلَى عَقْدِ الْكُرْبِ ؛ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي أَضَاءَ
 لِلْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ ، وَطَلَعَ عَلَى الْآفَاقِ طُلُوعَ النَّهَارِ ، وَذُنِحَتْ أَيَّامُهُ السَّعِيدَةُ لِدَرْكِ
 النَّارِ ؛ وَكَفَلَتْ بِهِ الْخِلَافَةَ وَطَالَ بِهَا كَلْفُهُ ، وَقَامَ بِالْإِمَامَةِ مِثْلَ مَا قَامَ بِهَا الْخُلَفَاءُ
 الرَّاشِدُونَ سَلْفُهُ ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ بِاللَّهِ آبِنُ الْخُلَفَاءِ
 الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَخَلَدَ فِي عَقِبِهِمُ الْإِمَامَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَهُوَ
 الْأَسَدُ الْمَهْصُورُ ، وَمَنْ أَبُوه الْمَأْمُونُ وَجَدَّهُ الْمَنْصُورُ ؛ الْعَرِيقُ فِي الْخِلَافَةِ ، وَالْحَقِيقُ
 بِالْإِمَامَةِ وَالْإِنَافَةُ ؛ بِجَمْعِ مَا فَتَرَقَ ، وَنَظَّمَ الْأُمُورَ وَتَسَّقَ ؛ وَمَنْعَ الْحَوَازَةَ أَنْ تُنْطَرَقَ
 وَالْمَلَّةَ أَنْ تُفْتَرَقَ أَوْ تُفَرَّقَ .



وهذه نسخة بيعية كتب بها أبو المظرف بن عُميرة الأندلسي بأخذ البيعة على أهل شاطبة من الأندلس لأبي جعفر المستنصر بالله العباسي ، قام بعقدتها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود صاحب الأندلس ، ثم أخذ البيعة بعد ذلك عليهم لنفسه ، وأن يكون ابنه ولي عهده بعده ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأرض قرارا ، وأرسل السماء مذرارا ، وسخر ليلا ونهارا ، وقدر آجالا وأعمارا ، وخلق الخلق أطوارا ، وجعل لهم إرادة واختيارا ، وأوحى لهم تفكرا واعتبارا ، وتعاهدهم برحمته صغارا وكبارا .

نحمده حمد من يرجوه وقاره ، ونبرأ من عانده استنجارا ، وألحد في آياته سفاهة واعتزارا ، وصلى الله على سيدنا محمد الشريف نجارا ، السامي نخارا ؛ فرفع الله من شريعته للأمة منارا ، وأطفأ برسالته للشرك نارا ؛ حتى علا الإسلام مقدارا ، وعز جارا ودارا ؛ وأذعن الكفر اضطرابا ، وأستسلم ذلة وصغارا ؛ ففضى وقد ملأ البسيطة أنوارا ، وعمها بدعوته أنجادا وأغوارا ؛ وأوجب لولاية العهد بعده طاعة وأتمارا ، فجراه الله أفضل ماجزى نبيا مختارا ، ورسولا اجتباه اختصاصا وإيثارا ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين آثارا واختيارا ، وعلى أصحابه الكرام مهاجرين وأنصارا ؛ صلاة نوايلها إعلانا وإسرارا ؛ وزجوها مغفرة ربنا إنه كان غفارا .

أما بعد ، فإن المستأثر بالدوام ، اللطيف بالآنام ؛ أنشأهم على التغاير والتباين ، وأضطرهم إلى التجاور والتعاون ؛ وجعل لهم مصلحة الإشتراك ، ومنفعة الالتحام

والإشتباك ؛ طريقاً إلى الأفضل في حياتهم ، والأسعد لغاياتهم ؛ وبعث النبيين
مرغبين ومحدّرين ، ومبشّرين ومُنذرين ؛ فأدوا عنه ما حَمَل ، وبنوا ما حَرَم وحَلَل ؛
وكان أعمهم دَعْوُهُ ، وأوثقهم عُرْوُهُ ؛ وأعلامهم في المُنزلة عنده ذِرْوُهُ ، وأعطفهم
للقلوب وهي كالْحِجَارَةِ أو أشدُّ قسوه ؛ المخصوص بالمقام المحمود ، والحوض
المورود ؛ وشفاعة اليوم المشهود ، ولواء الحمد المعقود ؛ صلى الله عليه وعلى آله وسلم
أفضل صلاة تُقضى إلى الظلِّ المدود ، وتبلغنا من شفاعته أفضل موعود ؛ بعثه الله
للأحمر والأسود ، والأدنى والأبعد ؛ فصَدَع بأمره وظلام الليل غير مُنْجَاب ،
والداعي إلى الله غير مُجَاب ؛ وأهل الجاهلية كثير عددهم ، شديد جلدتهم ، بعيد
في الضلالة والغواية أمدهم ؛ فسلك من هدايتهم سيلاً ، وصبر لهم صبراً جميلاً ،
يُحِبُّ صلاحهم وهم العدو ، ويأين لهم إذا جدَّ بهم العدو ، ويجهد في إظهار دينه
ولدين الله الظهور والعلو ؛ حتى أنقادوا بين سابقٍ سبقَتْ له السعادة ، ولاحق
تداركته المشيئة والإرادة ؛ ولما رُفِعَتْ راية الإسلام ، وشفعت حُجَّة الكتاب حُجَّة
الإسلام ، ودُعِيَ الناس إلى التزام الأحكام ، ونهوا عن الاستقسام بالأزلام ، أختوا^(١)
إلى الربِّ المعبود ، وأشفقوا من تعدّي الحدود ، ووعظوا في الأيمان والعهود ؛ فآتمروا
للشرع حين أمره ، وخافوا وخامة من إذا عاهد غدر ؛ فكان الرجل يدع الحوض
فيما لا يعلمه ، ويترك حقه لأجل يمين تلزمه ، وشرعت الأيمان في كلِّ فنٍّ بحسب
المحلوف عليه ، وعلى قدر الحاجة إليه ؛ فواحدة في المال لحق الأداء ، وأربع محسنة
عند ملاءنة النساء ، وخمسون انتهى إليها في أحكام الدماء ، فتوثق للحدود على
مقاديرها ، وجرت أمور العبادات والمعاملات على أفضل تقديرها ؛ وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم والعدل قائم ، والشرع على القوي والضعيف حاكم ، والربُّ

(١) لعل المراد بالأول الدين وبالثاني الاتقياء إن لم يكن مصحفاً عن الاستسلام .

جَلَّ جلالُهُ بما تُخفى الصُّدُورُ عالمٌ ؛ وقام بعده الخلفاءُ الأربعةُ أركانُ الدِّينِ ،
 وأعضاءُ الحقِّ المبينِ ؛ يجلُّونُ الناسَ على سَنَنِهِ الواضِحِ ، وينقُذونُ أمورَ المِصالحِ ،
 وينفقُهم في الأحكامِ وقوفاً مع الظاهرِ وترجيحاً للراجحِ ؛ وكانوا يتوقَّفونَ في بعضِ
 الأحيانِ ، ويطلبونَ للشُّبهِ وجهَ البَيانِ ، ويستظهرونَ على تحقيقِ كثيرٍ من الوقائعِ
 بالإيمانِ ؛ حتَّى كانَ على كرمِ الله وجهه يستثبِتُ في الدِّرايهِ ، ويستحلفُ الراويَ
 على الروايهِ ؛ وما أنكرَ ذلكَ أحدٌ ، ولا أعوزُه من الشرعِ مستنَدٌ ؛ رضَى اللهُ عنهم أئمةً
 بالعدلِ قِضوا ، وعلى سبيلهِ مَضوا ، والسَّيرةُ الحليَّةُ تَخَيَّرُوا وأرتَضوا ؛ وعن سيِّدِ
 الأئمَّةِ ، ومستنزِلِ دَرِّ الغمامِ ، عمِ نبيِّنا عليه أفضلُ الصلوةِ والسلامِ ؛ الحامِي الحَدبِ ،
 والمَعْقِلِ الأَشبِ ؛ والغِيثِ الهامِلِ المُنسَكِبِ ، أبي الفضلِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ؛
 وعن الفائزينِ بالرُّتبةِ الكريمةِ ، والصَّحْبَةِ القَدِيمَةِ ، والمناقبِ العَظِيمَةِ ؛ بُدُورِ الظلامِ
 وبجُورِ الحِكمِ ، وصُدُورِ أُنديَةِ الفضلِ والكِرمِ ؛ وشائِرِ صحابِهِ عليهم السلامُ الذين
 أسلموا على عُمرَه ، وأسلفوا جدًّا في نَصَرِه ، وأدرَكوا من بركةِ عِيانِه وزمانِه مالا مَدْرَكَ
 لحصرِه ؛ كرمَ اللهُ ما بَهمُ ، وأجزَلَ ثوابَهُمُ ، وشكرَ لهم صَبْرَهُمُ وأحْسَبَهُمُ ؛ فلقد عَقَدُوا
 نِيَّةَ الصَّدقِ عندَ قيامِهِم لأداءِ فريضةِ الإِطاقَةِ ، وأستباحوا صلاةَ الشكرِ حينَ رَفَعُوا
 حَدَثَ الرِّدَّةِ وأراقوا سُورَ الشُّركِ وقد أَسْتَحَقَّ بِنِجاستِهِ الإِراقَةَ ، وأثَرُوا كَسْرِي زَيْتَهُ
 فأبرزُواها على سُراقِهِ ؛ فرأوا عِيانًا ما أخبرَ به سيِّدُ المرسلينِ ، وملَكُوا ما رَوَى له منها
 فاطَّلَعَ عليه بحَقِّهِ المبينِ ؛ وذهبوا فاطْلَمَتِ الأرضُ من بَعدِهِم ، وتكرَّتِ المَعاريِفُ
 لِفَقْدِهِم ، وأختلطَ الهَمَلُ والمرعى ، وتشابهَ الصَّريحُ والدَّعي ؛ وثارتِ الفِتَنُ من كلِّ
 جانبِ ، وصارتِ الحقوقُ نُهبَةً [كلِّ] ناهِبِ ؛ ولَمَّا بَرِحَتِ العُهودُ ، وتعدَّيتِ

(١) مراده على عهد النبي وفي زمنه .

(٢) لعله ولما تركت اليهود . تأمل .

الحدود؛ بلغ الوقت المحدود، وطلعت بياض العدل الرايات السود؛ تحتماً ساداتُ
الناس، وذادةٌ موقِفِ الباس؛ وشهبُ اليومِ العَماَس، ومُجِبُ البيتِ الكريمِ من
بني العباس؛ فأعادوا إلى الأمرِ رونقه، ونفوا عن الصَّفورنقه؛ وحموا حرمَ
المسلمين، وأحيوا سُنَّةَ ابنِ عمِّهم سيِّدِ المرسلين؛ فأصبحتِ الأمورُ مضبوطة،
والثغورُ محوطة؛ والسُّبُلُ آمنة، والرعيَّةُ في ظلِّ العدلِ والأمنِ ساكنة؛ وكان الناسُ
قبلهم قد ركبوا الصَّعبَ والدُّلُولَ، وأمتطوا الحزنَ والسَّهولَ؛ فوثقوا منهم بطاعتهم،
وأستحلَّوهم على بيعاتهم؛ ذلك بأنهم ألزموهم منها واجباً على القطع، لازماً بإلزام
الشَّرع؛ ووجدوا لمصلحة الإرتباط بالأيمانِ شواهدَ من الآثارِ المقبولة، والأصولِ
المقبولة؛ ومن أعطى من نفسه كلَّ ما عليها، وراعى جملةَ المصالحِ وكلَّ ما تطرَّق
إليها، فكيف لا يكونُ في سعةٍ من هذا التكليفِ المستندِ إلى الآثارِ الشرعية،
الداخلِ في أقسامِ المصالحِ المرعية؛ كما سلفَ من الأئمةِ المهتدين؛ آباءِ أميرِ المؤمنين
وخليفةِ ربِّ العالمين، ابنِ عمِّ سيِّدنا وسيِّدِ المرسلين، صلواتُ الله عليهم أجمعين .

لما دعا الناسَ بالملكمةِ الفلانيةِ حماها اللهُ إلى مُحبَّتِهِم القويَّة، وإمريتِهِم الهاشميةِ؛
مجاهدُ الدين، بسيفِ أميرِ المؤمنين، جمالِ الإسلام، مجدِّ الأنام، تاجِ خواصِّ
الإمام؛ نخرَ ملوكه، شرفَ أمرائه؛ المتوكلُ على الله تعالى أميرُ المسلمين أبو عبدِ الله
محمدُ بنُ يوسفِ بنِ هود، أسعدَ اللهُ أيامه، ونصرَ أعلامه؛ وقام لذلك متوحداً
المقامِ الكريمِ، مشمراً عن ساعدِ التَّصميمِ؛ ماضياً على الهولِ مضاءَ الحُسامِ
القاصِبِ، غاضباً لأمرِ الله ورضاه على غايةِ هذا الغاضِبِ؛ مالتَ إليه الأجيادُ،
وأنثالت عليه البلادُ؛ فانتظَّها مدينته مدينته، وجعل التوكلَ على الله سبحانه شريعةً
مبينةً وذريعةً معيَّنة؛ وتقدَّم - أيده اللهُ - بأخذِ البيعةِ على نفسه وعلى أهلِ المِلَّةِ
قاطبةً للقيامِ بأمرِ الله سيِّدنا ومولانا الخليفةِ الإمامِ المستنصرِ باللهِ أبي جعفرِ

أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين؛ وكان له في ذلك المرام السعيد، والمقام الحميد، والقدم^(١) الذي رضى إبداءه وإعادته المبدئى المعيد؛ وخطب الديوان العزيز النبوى - خلد الله شرفه - متضرعاً لوسائل خدمته، متعرضاً لعواطف رحمته؛ وبعث رسوله على أصدق رجاء في القبول، وأثبت أمل في الإسعاف بالأمول؛ وأثناء هذه الإرادة القويمة، والسعادة الكريمة؛ تفاوض أهل البلاد في توثيق عقدهم للسلطان فلان المشار إليه الذي هو حاكم من أحكام الإجماع المتعقد، وأصل أفضى إليه نظر الناظر وأجتهاد المجتهد؛ إذ أجالوا الأمر فيما يزيد وثاقه، ويكسو وجهه على الأيام بشراً وطلاقة؛ ويجعل القلوب مطمئنة برسوخته في الأعقاب، وثبوته على الأحقاب؛ فلم يروا رأياً أسد، ولا عملاً أحصف وأشد؛ من أن يطلبوه بعقد البيعة لأبيه الواثق بالله المعتصم به أبى بكر محمد بن مجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين، على أن يكون ولي عهدهم مدة والده مد الله في حياته، وأميرهم عند الأجل الذي لأبد من موافاته؛ فأمضى لهم ذلك من اتفاقهم، وأثبتوا على ما شرطته بيعته في أعناقهم؛ وبعد ذلك أتى صولة الإسلام، وصلة دار السلام؛ وورد رسول مثابة الجلاله، ونيابة الرسالة؛ وملتزم الملائك، ومعتصم الممالك؛ ومعه الكتاب الذى هو نص أغنى عن القياس، بل هو نور يمشى به في الناس؛ وأدى إلى السلطان فلان المشار إليه من تشریف الديوان العزيز النبوى ماوسمه من الفخار بأجل وسميه، وقلده السيف الصارم وسماه باسمه؛ فلاقى السيفان المضروب والضارب، وأشتبه الوصفان الماضى والقاضب؛ وبرزت تلك الخلع فابيض وجه الإسلام من سوادها، ووضع الكتاب فكادت المنابر تسعى إليه شوقاً من أعوادها؛ وقرئت وصايا الإمام، على الأنام؛ فعلموا أنها من تراث الرسالة،

(١) ذكر القدم لأنه بمعنى السبق تأمل .

وقالوا : كَانِ لِلْإِسْلَامِ جَدَدٌ لَهُ بِهَذَا الصَّقْعِ الْغَرَبِيِّ حُكْمُ الْكَفَالَةِ ؛ وَسَمِعُوا مِنْ
التَّقْدِيمِ بِإِنصَافِهِمْ ، وَالتَّهْمِ بِمَوَاسِطِهِمْ وَأَطْرَافِهِمْ ؛ جَمَلًا عَقَرُوا لَهَا الْحَبَاهُ جُودًا
بِالْجَهْدِ ، وَسَجَدُوا لِلشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ؛ فَأَدْرَكُوا مِنْ بَرَكَةِ الْمَشَاهِدِ أَمْتٌ شَرِيفٌ وَأَبْقَاهُ ،
وَرَأَوْا حَقِيقَةَ مَا كَادَتْ الْأَوْهَامُ تُزُولُ عَنْ مَرْقَاهُ ؛ وَأَزْدَادُوا يَقِينًا بِفَضْلِ مَا صَارُوا
إِلَيْهِ ، وَرَأَوْا عَيَانًا يُؤْمِنُ مَا بَايَعُوا عَلَيْهِ ؛ فَتَوَافَتْ طَوَائِفُهُمْ الْمَتَّبِعَةُ ، وَجَمَاهِيرُهُمْ
الْمَجْمُوعَةُ ؛ بَدَارًا إِلَى الْمَرَاضِي الشَّرِيفَةِ ، وَبِنَاءٍ عَلَى وَصَايَا عَهْدِ الْخَلِيفَةِ ، أَنْ يُجَدِّدُوا
الْبَيْعَةَ لِمَجَاهِدِ الدِّينِ ، سَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ تَوَلَّى اللَّهُ عَضُدَهُ ؛ وَلَأَبْنَهُ الْوَائِقَ بِاللَّهِ
الْمُعْتَصِمَ بِهِ أَنْهَضَهُ اللَّهُ بِأَمْرَتِهِ بَعْدَهُ ؛ وَلَمْ تَعُدْ أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَةُ الطَّارِئَةُ شَرْطًا فِي تَقْرِيرِ
الْإِمْرَةِ الْمُؤَدَّةِ وَإِتْبَاتِهَا ، أَوْ جَارِيَةٍ بِجَرَى السَّنَنِ الَّتِي يُؤْمَرُ الْمَصْلِيُّ بِالْإِعَادَةِ عِنْدَ
فَوَاتِهَا ؛ فَأَعَادُوا بَيْعَتَهُ أَدَاءً لِلْفَرِيضَةِ وَرَجَاءً لِلْفَضِيلَةِ ؛ وَاسْتَدْبَدُوا إِلَى الْإِشَارَاتِ
الْجَلِيلَةِ ، بَعْدَ الْإِسْتِخَارَاتِ الطَّوِيلَةِ ؛ وَرَأَوْا أَنْ يَأْخُذُوا بِهَا عَادَةَ الْبَيْعَاتِ الْعَبَّاسِيَّةِ ،
وَإِتِّخَاذَ حُكْمِ الْأَصْلِ طَرِيقَ الْإِلْحَاقَاتِ الْقِيَاسِيَّةِ ؛ فَبَايَعُوا عَلَى تَذَكُّرِ بَيْعَةِ أَكْثَرِهَا
بِالْعُهُودِ الْمُسْتَحْفَظَةِ ، وَوَقْفِهَا بِالْإِيمَانِ الْمَغْلَظَةِ ؛ وَبَادَرُوا بِهَا نِدَاءً مُنَادِيهِمْ ، وَأَعْطَوْا
عَلَى الْإِصْفَاقِ بِهَا صَفْقَةً أَيْدِيهِمْ .

وَمَا أَتَيْتُمْ ذَلِكَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ أَهْلِ فَلَانَةَ وَجِهَاتِهَا ، رَأَوْا أَنْ يَحْلِفَ مِنْ سَبَقِ ،
وَيَصْدُقُوا النَّيَّةَ مَعَ مَنْ صَدَقَ ، وَيَعْقِدُوا مَا عَقَدُوهُ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ الْعَهْدُ الشَّرِيفُ
وَنَطَقَ ؛ فَحَضَرَ مِنْهُمْ الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ ، وَالْأَجْنَادُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ ، وَالْكَافَّةُ عَلَى
تَبْيِينِهِمْ فِي الْمَرَاتِبِ ، وَتَفَاوُثِهِمْ فِي الْمَنَاصِبِ ، وَأَخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَوَاطِنِ وَالْمَكَاسِبِ ؛
فَأَمَّضُوهَا بَيْعَةً كَرِيمَةً الْمَقَاصِدِ ، سَلِيمَةً الْمَعَاقِدِ ؛ عَهْدًا مُحْكَمًا ، وَعَقْدًا مُبْرَمًا ؛
وَمُوجِبًا طَاعَةً وَسَمْعًا ، وَالتَّقِيدَ بِهَا سُنَّةً وَشَرْعًا ؛ وَيَعْمُرُونَ بِهَا أَسْرَارَهُمْ ، وَيَقْنُونَ
عَلَيْهَا أَعْمَارَهُمْ ؛ وَيَدِينُونَ بِهَا فِي عُسْرٍ وَيُسْرٍ ، وَرَبْحٍ وَخُسْرٍ ؛ وَضَيْقٍ وَرَفَاهِيَةٍ ، وَحُبَّةٍ

وَكَرَاهِيَهُ ؛ تَبَرَّعُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ طَوْعًا ، وَأَسْتَوْفُوهُ فَضْلًا فَضْلًا وَنَوْعًا وَنَوْعًا ، وَعَاهَدُوا عَلَيْهَا
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، وَأَضْمَرُوا مِنْهَا عَلَى مَا أْبْرَأَ عَلَى الظَّاهِرِ وَأَوْفَى ؛ وَتَقَبَّلُوا مِنْ
الْوَفَاءِ بِهِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ خَلِيلَهُ إِذْ قَالَ : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؛ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، وَبِمَا أَخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ الْكِرَامِ مِنْ
الْعُهُودِ الْمُؤَكَّدَةِ ، وَالْمَوَاطِنِ الْمَشْدَدَةِ ، عَلَى أَنْهُمْ إِنْ حَادُوا عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ ، وَأَنْقَادُوا
لِدَاعِيِ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ ؛ فَهُمْ بُرَاءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ ،
تَارِكُونَ ذِمَّتَهُ الْوَافِيَةَ لِدِمَّتِهِمْ ؛ وَالْأَيْمَانَ كُلَّهَا لِأَزْمَةِ لَهُمْ عَلَى مَذْهَبِ إِمَامِ دَارِ الْهَجْرَةِ ،
وَطَلَّاقِ كُلِّ امْرَأَةٍ فِي مِلْكِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِأَزْمِ لَهُمْ ثَلَاثًا ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ تَرَوَّجَهَا
فِي الْبِلَادِ الْفُلَانِيَّةِ فَطَلَّقَهَا لِأَزْمِ لَهُ ، كَلَّمَا تَرَوَّجَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَاحِدَةً نَخَرَجَتْ طَالِقًا
ثَلَاثًا ؛ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، مُحْرِمًا مِنْ مَثَلِهِ
بِحِجَّةِ كَفَّارَةٍ لِأَنْجِزِيَّ عَنْ حِجَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَعِيْدُهُمْ وَأَرْقَاؤُهُمْ عُتْقَاءُ لِحَقُونِ بَأْحَارِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَجَمِيعُ أَمْوَالِهِمْ عَيْنًا وَعَرْضًا ، حَيَوَانًا وَأَرْضًا ، وَسَائِرُ مَا يَحْوِيهِ الْمُتَمَلِّكُ
كُلًّا وَبَعْضًا ، صَدَقَةٌ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَاشَى عَشْرَةَ دِنَانِيرٍ . كُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَشَدِّ
مَذَاهِبِ الْفَتَوَى ، وَأَلْزَمَهَا لِكَلِمَةِ التَّقْوَى ؛ وَأَبْعَدَهَا مِنْ مَخَالَفَةِ الْهَوَى وَالظَّاهِرِ
وَالْفَحْشَى ؛ أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضَا الْخِلَافَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَالْفُلَانِيَّةِ (بَلَقِي السُّلْطَنَةَ) لِلسُّلْطَانِ
وَوَلَدِهِ الْمَأْخُودِ لَهَا الْبَيْعَةَ بَعْدَ بَيْعَتِهِ ، وَأَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَكَفَى بِذَلِكَ اعْتِرَامًا
وَأَنْتِامًا ، وَشَدًّا لِمَا أَمَرَ بِهِ وَإِحْكَامًا : ﴿ مَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ . وَهُمْ يَرْفَعُونَ دَعَاءَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَضَرُّعًا وَأَسْتِسْلَامًا ،
وَيَسْأَلُونَهُ عِصْمَةً وَكِفَايَةً أَفْتِحَا وَأَخْتِنَا ؛ اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ أَنْفَدْنَا هَذَا الْعَقْدَ أَقْبَدَاءَ
وَأَهْتِمَامًا ، وَقَضَيْنَا حَقَّهُ إِكْمَالًا وَإِتْمَامًا ، وَأَسْلَمْنَا وَجْهَنَا إِلَيْكَ إِسْلَامًا ؛ فَعَرَّفْنَا
مِنْ خَيْرِهِ وَبَرَكَتِهِ نَمَاءً وَدَوَامًا ، وَأَكْلَانًا بَيْنَكَ حَرَكَةً وَسُكُونًا وَيَقْظَةً وَمَنَامًا :

﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلتَّقِيْنَ إِمَامًا ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ
مَنْهَى الرِّغْبَاتِ ، وَجِبُّ الدَّعَوَاتِ ، وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على موت خليفة ، أنشأها على هذه الطريقة لموافقها
رأى كُتَّاب الزمان في افتتاح عهود الملوك عن الخلفاء بالحمد لله كما سيأتى بيانه
في موضعه إن شاء الله تعالى ؛ وتعرضت فيها إلى قيام سلطان بعقدتها : لمطابقة
ذلك لحال الزمان ، وهى :

الحمد لله الذى جعل الأمة المحمدية أبدخ الأمم شرفا ، وأكرمها نجارا وأفضلها
سلفا ؛ وجعل رتبة الخلافة أعلى الرتب رتبة وأعزها كنفًا ، وخص الشجرة الطيبة
من قریش بأن جعل منهم الأئمة الخلفاء ؛ وآثر الأسرة العباسية منها بذلك ، دعوة
سبقت من ابن عمهم المصطفى ، وحفظ بهم نظامها على الدوام فجعل ممن سلف
منهم خلفا .

نحمده على أن هبَّنا من مقدمات الرشد ما طاب الزمان به وصفاً ، وجدد من رؤوم
الإمامة بخير إمامٍ مدرّسٍ منها وعفاً ؛ وأقام للسلمين إماماً تارحاً الجوب نشره فأصبح
الوجود بعرفه معترفاً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص تمسك بعهدنا فوقاً ،
وأعطاها صفة يده للبايع فلا يبغي عنها مصرفاً ؛ وأن محمداً عبده ورسوله الذى
تدارك الله به العالم بعد أن أشفى فشفى ؛ ونسخت آية دينه الأديان وجلا بشرعته
المنيرة من ظلمة الجهل سدفاً ؛ وجعل مبايعه مبايعاً لله يأخذه بالنكت ويوفيه أجره
على الوفا ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وعترته الشرفا ؛ ورضى الله عن أصحابه

الذين ليس منهم من عاهد الله فغدر ولا واد في الله بحفا، خصوصاً من جاء بالصدق
 وصدق به فكان له قرابة وصفوة الصفا، والمرجوع إليه في البيعة يوم السقيفة
 بعدما أشربت نحوها نفوس كادت تذوب عليها أسفا، والقائم في قتال أهل الردة
 من بني حنيفة حتى استقاموا على الحنيفة السمحة حنفا. ومن استحال دلو الخلافة
 في يده غربا فكان أفيد عبقرى قام بأمرها فكفى، وعمت فتوحه الأمصار وحملت
 إليه أموالها فلم يمسكها إقتاراً ولم يبدر فيها سرفاً. ومن كان فضله لسهم الإختيار
 من بين أصحاب الشورى هدفاً، وجمع الناس في القرءان على صحيفه واحدة وكانت
 قبل ذلك صحفاً. ومن سرى إليه سر: "أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون
 من موسى" فغدا يجر من ذيل الفخار سجفاً، وأستولى على المكارم من كل جانب
 فإز أطرافها طرفاً طرفاً، وعلى سائر الخلفاء الراشدين بعدهم ممن سلك سبيل الحق
 وطريق الهدى أقتفى؛ صلاة ورضواناً يذهبان الداء العضال من وخامة الغدر
 ويحلبان الشفا، ويرفعان قدر صاحبهما في الدنيا ويوثقان متحلهما من جنات
 النعيم عرفاً.

أما بعد، فإن عقد الإمامة لمن يقوم بأمر الأمة واجب بالإجماع، مستند لأقوى
 دليل تقطع دون تقضيه الأطماع، وتنبؤ عن سماع ما يخالفه الأسماع؛ إذ العباد
 مجبولون على التبائن والتغاير، مطبوعون على التحالف والتناصر؛ [مضطرون
 إلى التعاون والتجاور، مفتقرون إلى التعاضد والتوازر^(١)]؛ فلا بد من زعيم يمنعهم
 من التظلم، ويحلبهم على التناصف في التداعى والتحاكم؛ ويقيم الحدود فتصان
 المحارم عن الإتهاك، وتحفظ الأنساب عن الإختلاط والإشتراك؛ ويحجى بيضة

الإسلام فَيَمْنَعُ أَنْ تُطْرَقَ ، وَيُصَوِّنُ الثُّغُورَ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَيْهَا أَوْ يُطْرَقَ : لِيَعْرِزَ
 الإسلامُ داراً ، وَيَطْمِئِنَّ الْمُسْتَخْفِي لَيْلًا وَيَأْمَنَ السَّارِبُ نَهَارًا ، وَيَذُبُّ عَنِ الْحَرَمِ
 فَحُحْرَمَ ، وَيَذُودُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ فَلَا تُغْشَى بِلِ تَصْطَلَمَ ؛ وَيُجَهِّزُ الْجِيُوشَ فَتَنْكُ الْعُدُو ،
 وَتُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْكُفْرِ فَتَمْنَعُهُمُ الْقَرَارَ وَالْهُدُو ؛ وَيُرْغِمُ أَنْفَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةَ وَيَقْمَعُهَا ،
 وَيُدْغِمُ الطَّائِفَةَ الْمُبْتَدِعَةَ وَيَرْدَعُهَا ؛ وَيَأْخُذُ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحَقِّهَا فَيُطَاوِعُ ،
 وَيَصْرِفُهَا إِلَى مُسْتَحَقِّهَا فَلَا يُنَارِعُ - لِأَجْرَمَ أَعْتَبَرَ لِلْقِيَامِ بِهَا أَكْلَ الشُّرُوطِ وَأَتَمَّ
 الصِّفَاتِ ، وَأَكْرَمَ الشِّمِّ وَأَحْسَنَ السَّمَاتِ .

وكان السيد الأعظم الإمام النبوي ، سليل الخلفاء ، وولي الإمامه ؛ أبو فلان
 فلان العباسي المتوكل على الله « مثلا » أمير المؤمنين ، سلك الله تعالى به جدد آبائه
 الراشدين ؛ هو الذي جمع شروطها فوقها ، وأحاط منها بصفات الكمال وأستوفأها ؛
 ورأمت به أدنى مراتبها فبلغت إلى أعيانها ، ونسوز معاليها فرفق إلى أعلاها ، وأتحد
 بها فكان صورتها ومعناها - وكانت الإمامة قد تأيمت من يقوم بأعبائها ، وعزرت
 خطبها لقلّة أكتفائها ؛ فلم تلتف لها بعلا يكون لها قرينا ، ولا كفتا تحطبه يكون
 لديها مكينا ، إلا الإمام الفلاني المشار إليه ، فدعته خطبتها وهي بيت عرسه :
 ﴿ وَرَأَدْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ فأجاب خطبتها ، ولبى دعوتها : لتحققه
 رغبته إليه ، وعلمه بوجوب إجابته عليه ؛ إذ هو شبلها الناشئ بغاها ، وغيتها
 المستمطر من سخاها ؛ بل هو أسدها المصور ، وقطب فلكها الذي عليه تدور ؛
 ومعقلها الأمتع الحصين ، وعقدتها الأنفس الثمين ، وفارسها الأروع وليتها الشهير ،
 وأبن يجنتها الساقطة منه على الخبير ؛ وتلاذها العليم بأحوالها ، والحدير بمعرفة أقوالها
 وأفعالها ؛ وتزجمانها المتكلم بلسانها ؛ وعالمها المتفنن في أفنانها ؛ وطبيبها العارف بطبها ،
 ومنجدها الكاشف لكرها .

وحين بلغت من القصد سُؤلَهَا ، ونالت بالإجابة منه مأمولَهَا ، وحرَمَ على غيره أن يسومَهَا لذلك تلويحًا ، أو يعرِّجَ على خِطبتِهَا تعريضًا وتَصريحًا ، أحتاجت إلى ولىّ يوجب عَقْدَهَا ، وشهودَ تحفِظَ عَهْدَهَا ؛ فعِنْدَهَا قام السلطانُ الأعظمُ الملكُ الفلانيّ (بالألقاب السلطانية إلى آخرها) خَلَدَ اللهُ سُلْطَانَهُ ، ونصرَ جُنُودَهُ وجُيُوشَهُ وأَعوانَهُ ؛ فانتصبَ لها وليًا ، وأقامَ يفكرُ في أمرِهَا مليًا ؛ فلم يجدَ أحقَّ بها منه فتجنَّبَ عَضَلَهَا ، فلم تكنَ تصلُحُ إلَّا له ولم يكنْ يصلُحُ إلَّا لها ؛ فجمَعَ أهلَ الحِلِّ والعقدِ ، المعترِينَ للأعتبارِ والعارفينَ بالنقدِ : من القضاةِ والعلماءِ ، وأهلِ الخيرِ والصلحاءِ ، وأربابِ الرأيِ والنصحاءِ ؛ فاستشارهم في ذلك فصوّبوه ، ولم يروا العُدُولَ عنه إلى غيره بوجهٍ من الوجوه ؛ فاستخارَ اللهُ تعالى وبايعه ، فبَعِثَهُ إلى الأختيارِ فبايعوا ، وأتقَدُوا لحُكْمِهِ وطاوعُوا ؛ فقابلَ عَقْدَهَا بالقبولِ بمحضَرٍ من القضاةِ والشهودِ فبَرِمَتْ ، ومضى حُكْمُهَا على الصِّحةِ وأبْرِمَتْ . ولَمَّا تَمَّ عَقْدُهَا ، وطَلَعَ بِصُبحِ اليَمِينِ سَعْدُهَا ، ألتَمَسَ المَقَامَ الشريفَ السلطانيّ المَلَكِيّ الفلانيّ المشارَ إليه أعلى اللهُ شرفَ سُلْطَانِهِ ورفَعَ حَمَلَهُ ، وقرَنَ بالتوفيقِ في كلِّ أمرٍ عَقْدَهُ وحَلَّهُ ، أن يباله عَهْدُهَا الوَفِيّ ، ويردَ منها مَوْرَدَهَا الصَّفِيّ : ليرفَعَ بذلك عن أهلِ الدِّينِ حُجْبًا ، ويزدادَ من البيتِ النبويّ قُرْبًا ؛ فتعرضَ لنفحاتِها من مقرَّاتِهَا ، وتطلَّبَ بركاتِهَا من مظنَّاتِهَا ؛ ورَغِبَ إلى أميرِ المؤمنينَ ، وأبْنِ عمِ سيدِ المرسلينَ صلواتُ اللهُ عليهم أجمعينَ ، أن يحدِّدَ له بعَهْدِ السلطنةِ الشريفةِ عَقْدًا ، ويأخذَ له على أهلِ البيعةِ بذلك عَهْدًا ؛ ويستحلفَهم على الوفاءِ لها بما عاهدُوا ، والوقوفِ عند ما بايعوا عليه وعاقَدُوا : ليقترنَ السعدانَ فيعمَّ نوءُهُما ، ويجمعَ النيرانَ فيبهرَ ضوءُهُما ؛ فلبَّاه تلبيةً راغبًا ، وأجابَه إجابةً مطلوبٍ وإن كان هو الطالبُ ؛ وعهدَ إليه في كلِّ ما تقتضيه أحكامُ إمامتهِ في الأمةِ عموماً وشُيُوعاً ، وفوضَ له حُكْمَ الممالكِ الإسلاميَّةِ جميعاً ؛ وجعلَ إليه أمرَ السلطنةِ المعظَّمةِ بكلِّ

نَطَاقٍ ، وَأُلْقِيَ إِلَيْهِ مَقَالِيدُهَا وَصَرَّفَهُ فِيهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَأَقَامَهُ فِي الْأُمَّةِ لِعَهْدِ الْخِلاَفَةِ وَصِيًّا ، وَجَعَلَهُ لِلْإِمَامَةِ بِتَفْوِضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَوَلِيًّا ؛ وَنَشَرَ عَلَيْهِ لَوَاءَ الْمُلْكِ وَقَلَدَهُ سَيْفَهُ الْعَضْبَ ، وَالْبَسَهُ الْخِلْعَةَ السَّوْدَاءَ فَابْيَضَّ مِنْ سَوَادِهَا وَجْهَ الشَّرْقِ وَالغَرْبَ ؛ وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ عَهْدًا كَبَتَ عُدُوَّهُ ، وَزَادَ شَرَفَهُ وَضَاعَفَ سُمُوَّهُ ؛ وَطُوِّبَ أَهْلُ الْبَيْعَةِ بِالتَّوَثِيقِ عَلَى الْبَيْعَتَيْنِ بِالْأَيْمَانِ فَادْعَعُوا ، وَاسْتَحْلَفُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَبَالَغُوا فِي الْأَيْمَانِ وَأَمَعَتُوا ؛ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ أَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ فِي إِسْرَارِهِمْ وَإِعْلَانِهِمْ ؛ وَأَعْطُوا الْمَوَاطِنَ الْمَغَالِظَةَ الْمَشْدَدَةَ ، وَحَلَفُوا بِالْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ الْمُعَقَّدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ أَوْ أَدْبَرُوا ، وَبَدَّلُوا فِيهِ أَوْ غَيَّرُوا ؛ أَوْ عَرَّجُوا عَنْ سَبِيلِهِ أَوْ حَادُوا ، أَوْ نَقَصُوا مِنْهُ أَوْ زَادُوا ؛ فَكُلُّ مَنْهُمْ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَخَارِجٌ مِنْ ذِمَّتِهِ الْحَصِينَةِ إِلَى ذِمَّتِهِ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ أَوَّاهٍ فِي نِكَاحِهِ أَوْ يَتَرَوَّجُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا ، وَكُلُّمَا رَاجِعَا فَهِيَ طَالِقٌ طَلَقًا لَاقِيًا لَا يَقْتَضِي إِقَامَةَ وَلَا ثَبَاتًا ؛ وَكُلُّ مَمْلُوكٍ فِي مِلْكِهِ أَوْ يَمْلِكُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حُرٌّ لِاحِقٌ بِأَحْرَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُلُّ مَا مَلَكَهُ أَوْ يَمْلِكُهُ مِنْ جَمَادٍ وَحَيَوَانٍ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ؛ وَعَلِيهِ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَالْوُقُوفُ بِعِرْقَةٍ وَسَائِرِ الْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ ؛ مُحْرَمًا مِنْ دُورِيَّةِ أَهْلِهِ مَاشِيًا ، حَاسِرًا عَنْ رَأْسِهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ أَدَى حَافِيًا ؛ يَأْتِي بِذَلِكَ فِي ثَلَاثِينَ حُجَّةً مُتَابِعَةً عَلَى التَّمَامِ ، لِأُمُجْرِئِهِ وَاحِدَةً مِنْهَا عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَإِهْدَاءُ مِائَةِ بَدَنَةٍ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ كُلِّ سَنَةٍ عَلَى الدَّوَامِ ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ جَمِيعِ الدَّهْرِ إِلَّا الْمَنِيِّ عَنْهُ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَأَنْ يُفَكَّ أَلْفَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفْرِ فِي كُلِّ عَامٍ ؛ يَمِينُ كُلِّ مَنْهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى نِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ ، فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ ، لِانِّيَّةِ لِلْحَالِفِ فِي ذَلِكَ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ وَلَا فِي ظَاهِرِهِ ؛ لَا يُورَى فِي ذَلِكَ وَلَا يَسْتَنَى ، وَلَا يَتَأَوَّلُ وَلَا يَسْتَفْتِي ؛ وَلَا يَسْعَى فِي تَقْضِهَا ، وَلَا يَخَالِفُ فِيهَا

ولا في بعضها؛ متى جَنَحَ إلى شيءٍ من ذلك كان آثِماً، وما تقدّم من تعقيد الأيمان له لازماً؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا يُجزئُه عن ذلك كفارة أصلاً؛ كلُّ ذلك على أشدّ المذاهبِ بالتخصيص، وأبعدها عن التساهل والترخيص؛ وأمضوها بيعةً مميّونة، باليمن مبتدأةً بالنجح مقرّونه؛ وأشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلسَ العقد من الأئمةِ الأعلام، والشهود والحكام؛ وجعلوا الله تعالى على ما يقولون وكيلًا، فاستحقّ عليهم الوفاء بقوله عزّت قدرته: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وهم يرغبون إلى الله تعالى أن يُضَاعَفَ لهم بِحَسَنِ نِيَّتِهِمِ الْأَجُورَ، ويلجئون إليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أقمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على خلع خليفة، أنشأتها على هذه الطريقة أيضاً، وتعرضت فيها لذكر السلطان القائم بها، على ما تقدّم في البيعة المرتبة على موت خليفة، وهي:

الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأمناً، وأقام سور الإمامة وقايةً للأنام وحضناً؛ وشدّ لها بالعصاة القرشية أزرًا وشاد منها بالعصبة العباسية ركنًا؛ وأغاث الخلق بإمام هدى حسن سيرةً وصفًا سريرةً فراق صورةً ورقّ معنىً، وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن الانقياد إليه أعلى ولا أدنى؛ ونزع جلبابها عن شغل غيرها فلم يُعْرِها نظراً ولم يُصنغ لها أدناً، وصرف وجهها عن أساء فيها تصرفاً فلم يرفع بها رأساً ولم يعمر لها معنىً .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِ حَلَّتْ لِلنُّفُوسِ حِينَ حَلَّتْ ، وَمِنْ جَلَّتِ الْخُطُوبَ حِينَ جَلَّتْ ؛
وَمَسَارَّ سَرَتْ إِلَى الْقُلُوبِ فَسَرَتْ ، وَمَبَارَّ أَقْرَبَتِ الْعُيُونَ فَقَرَّتْ ؛ وَعَوَارِفَ أَمَّتْ
الْخَلِيقَةَ فَنَوَالَتْ وَمَا وَلَّتْ ، وَقَدِمَ صِدْقٍ ثَبَتَتْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْخِلَافَةِ فَمَا تَزَلَّتْ
وَلَا زَلَّتْ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَكُونُ لَنَا مِنْ دَرَكِ الشُّكُوكِ
كَأَلَيْهِ ، وَلِمَهَاوِي الشُّبْهِ دَارِيهِ ، وَلِلْقَاصِدِ الْجَمِيلَةِ حَاوِيهِ ، وَلِشُقَّةِ الزَّيْفِ وَالْإِرْتِيَابِ
طَاوِيهِ ؛ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي نَصَحَ الْأُمَّةَ إِذْ بَلَغَ نَفْسِي عَلَيْهَا ، وَأُورِدَهَا
مِنْ مَنَاهِلِ الرَّشَدِ مَا أَطْفَأَ وَهْجَهَا وَبَرَّدَ غَلِيلَهَا ؛ وَأَوْصَحَ لَهُمْ مَنَهِجَ الْحَقِّ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهَا ،
وَأَبَانَ لَهُمْ سُبُلَ الْهُدَايَةِ : ﴿ فَمِنْ آهْتَدَى فِيمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فِيمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أُمَّةٍ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْأُمَّةِ ، وَرَضِيَ عَنْ أَصْحَابِهِ أَوْلِيَاءِ
الْعَدْلِ وَوُدُولِ الْأُمَّةِ ؛ صَلَاةً وَرِضْوَانًا يُعْمَانُ سَائِرَهُمْ ، وَيَشْمَلَانِ أَوْلَهُمْ وَأَجْرَهُمْ ؛ سَيِّمًا
الصَّدِيقِ الْفَائِزِ بِأَعْلَى الرَّتَبَتَيْنِ صِدْقًا وَتَصَدِيقًا ، وَالْحَائِزِ قَصَبِ السَّبْقِ فِي الْفَضِيلَتَيْنِ
عِلْمًا وَتَحْقِيقًا ، وَمَنْ عَدَلَ الْأَنْصَارُ إِلَيْهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ بَعْدَ مَا جَمَعُوا عَلَى تَقْدِيمِهِ ،
وَبَادَرَ الْمَهَاجِرُونَ إِلَى بَيْعَتِهِ اعْتِرَافًا بِتَفْضِيلِهِ وَتَكْرِيمِهِ . وَالْفَارُوقِ الشَّدِيدِ فِي اللَّهِ بِأَسَا
وَاللَّيْنِ فِي اللَّهِ جَانِبًا ، وَالْمُؤَفِّي لِلْخِلَافَةِ حَقًّا وَالْمُؤَذَى لِلْإِمَامَةِ وَاجِبًا ؛ وَالْقَائِمِ فِي نُصْرَةِ
الدِّينِ حَقَّ الْقِيَامِ حَتَّى عَمَّتْ فِتْوَحُهُ الْأَمْصَارَ مَشَارِقَ وَمَغَارِبًا ، وَأَطَاعَتْهُ الْعُنَاصِرُ
الْأَرْبَعَةُ : إِذْ كَانَ اللَّهُ طَائِعًا وَمِنْ اللَّهِ خَائِفًا وَإِلَى اللَّهِ رَاغِبًا . وَذِي النُّورَيْنِ الْمَعُولِ
عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ أَصْحَابِ الشُّورَى تَنْوِيهَا بِقُدْرِهِ ، وَالْمَخْصُوصِ بِالْإِخْتِيَارِ تَفْخِيمًا
لَأَمْرِهِ ؛ مَنْ حُصِرَ فِي بَيْتِهِ فَلَمْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ عَنْ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ ، وَشَاهِدَ
سُيُوفَ قَاتِلِيهِ عَيَانًا فَقَابَلَ فَتَكَاثَبَتْهَا بِجَمِيلِ صَبْرِهِ . وَأَبَى الْحَسَنِ الَّذِي أَعْرَضَ عَنْ
الْخِلَافَةِ حِينَ سُئِلَهَا ، وَأَسْتَعْفَى مِنْهَا بَعْدَ مَا أَضْطُرَّ إِلَيْهَا وَقِيلَ لَهَا ؛ وَكُشِفَ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ

الدنيا فأمَّ قِبَلَتَا بقلبه ولا ولىَّ وجهه قِبَلَهَا، وصرَّحَ بمقاطعتها بقوله : « يا صَفْرَاءُ غُرِّي غَيْرِي يَا بَيْضَاءُ غُرِّي غَيْرِي » لَمَّا وَصَلَهَا مِنْ وَصَلَتِهَا ؛ وَسَائِرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُمْ ، النَّاهِجِينَ نَهَجَهُمْ وَالْوَارِدِينَ وَرَدَّهُمْ .

أما بعدُ، فإنَّ للإمامة سُروطينَ يَجِبُ اعتبارُها في الإمام، ولَوَازِمَ لا يُقْتَفَرُ فَوَائِهُا في الإبتداء ولا في الدَّوام، وأوصافاً يتعيَّنُ إعمالُها، وأدَاباً لا يَسَعُ إهمالُها ؛ من أهَمِّها العَدَالَةُ التي مَلَكَها التَّقْوَى ، وأساسُها مِرَاقِبَةُ اللهِ تَعَالَى في السِّرِّ والنَّجْوَى ؛ وبها تَقَعُ الهَيْبَةُ لِصاحبِها فيجَلُّ ، وتميلُ النُّفوسُ إليها فلا تَمَلُّ ؛ فهي الْمَلَكَةُ الدَّاعِيَةُ إلى تَرْكِ الجَبَائِرِ وَأَجْتِنَابِها ، والزَّاحِرَةُ عن الإصرارِ على الصَّغَائِرِ وَأَرْتِكَابِها ؛ والباعِثَةُ على مُخَالَفَةِ النَفْسِ ونَهْيِها عن الشَّهَوَاتِ ، والصارِفَةُ عن أَنْتِهَاجِ حُرْمَاتِ اللهِ التي هي أعْظَمُ الحُرْمَاتِ ؛ والموجِبَةُ للتَعَفُّفِ عن المَحَارِمِ ، والحامِلَةُ على تَجَنُّبِ الظُّلُمَاتِ وَرَدِّ المَظَالِمِ . والشَّجَاعَةُ التي بها حِمَايَةُ البَيْضَةِ والدَّبُّ عنها ، والأَسْتَظْهَارُ بِالغَزْوِ على نِكَايَةِ الطائِفةِ الكافِرَةِ والغَضِّ منها ؛ والقُوَّةُ بالشُّوكَةِ على تَفْهِيمِ الأوامِرِ وإمضائها ، وإقامةِ الحُدُودِ وَأَسْتِيفَائِها ، ونَشْرِ كَلِمَةِ الحَقِّ وإِعْلَانِها ، ودَحْضِ كَلِمَةِ الباطلِ وإخْفَائِها ، وقَطْعِ مادَّةِ الفِسادِ وحُصْمِ أدوائِها ؛ والرأْيُ المؤدِّي إلى السِّياسَةِ وحُصْنِ التَّدْبِيرِ ، والمُعْنَى في كثيرٍ من الأَماكنِ عن مَزِيدِ الحِدِّ والتَّشْمِيرِ ؛ والمعِينُ في خُدَعِ الحَرْبِ ومَكابِدِها ، والمُسَعِّفُ في مَصادرِ كُلِّ أمرٍ ومَوادِدِها .

هذا وقد جعلنا الله أُمَّةً وَسَطًا ، ووَعَظْنَا بِنِ سَلَفٍ مِنَ الأُمَّمِ مِمَّنْ تَمَرَّدَ وَعَتَا أَوْ تَجَبَّرَ وَسَطًا ؛ وَعَصَمَ أُمَّتَنَا أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى الضَّلَالِ ، وَصَانَ جَمْعَنَا عَنِ الخَطْلِ في الفِعالِ والمَقالِ ؛ وَنَدَبْنَا إلى الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وَسَوَّغَ لِأُمَّتِنَا الأَجْتِهَادَ في النُّوازِلِ والأَحْكامِ فَاجْتِهَادَهُمْ لا يُنْكَرُ ؛ خِصُوصًا في شَأْنِ الإِمَامَةِ التي هي

أ كد أسباب المعالم الدينية وأقواها ، وأرفع المناصب الدنيوية وأعلاها ؛ وأعز
الرتب رتبة وأغلاها ، وأحقها بالنظر في أمرها وأولاها . وكان القائم بأمر المسلمين
الآن فلان بن فلان الفلاني ممن حاد عن الصراط المستقيم ، وسلك غير النهج القويم ؛
ومال عن سنن الخلفاء الراشدين فأدرکه الزلل ، وقارف المآثم فعاد بالخلل ؛ فعاث
في الأرض فسادا ، وخالف الرشد غنادا ؛ ومال إلى العي اعتمادا ، وأسلم إلى الهوى
قيادا ؛ قد أنتقل عن طور الخلافه ، وعزير الإنافه ؛ إلى طور العامة فأنصف
بصفتهم ، وأتسم بسماتهم ؛ فُنكر كيجب عليه إنكاره قد باشره ، وصدیق سوء يتعين
عليه إبعاده قد أزره وظاهره ؛ إن سلك فسيل التهمة والإرتياب ، أوقصد أمرا
نحا فيه غير الصواب ؛ منهمك على شهواته ، منعكف على لذاته ، متشاغل عن أمر
الأمة بأمر بنيه وبناته ؛ الجبن رأس ماله ، وعدم الرأي قرينه في أفعاله وأقواله ؛
قد قنع من الخلافة بأسمها ، ورضى من الإمامة بوسمها ؛ وظن أن السؤدد في لبس
السواد فمال إلى الحيف ، وتوهم أن القاطع الغمد فقطع النظر عن السيف .

ولما أطلع الناس منه على هذه المنكرات ، وعرفوه بهذه السمات ، وتحققوا فيه
هذه الوصمات ؛ رغبوا في استبداله ، وأجمعوا على خلع زواله ؛ فلجئوا إلى السلطان
الأعظم الملك الفلاني (بالألقاب السلطانية إلى آخرها) نصر الله جنوده ، وأسمى
جودده ، وأرهب على عداة الله حُدوده ؛ ففوضوا أمرهم في ذلك إليه ، وألقوا
كلهم عليه ؛ بجمع أهل الحل والعقد منهم ، ومن تصدر إليهم الأمور وترد عنهم ؛
فاستخاروا الله تعالى وخلعوه من ولايته ، وخرجوا عن بيعته ، وأنسأخوا عن طاعته ؛
وجردوه من خلافته ، تجريد السيف من القراب ، وطووا حكم إمامته ، كطى السجل
للكتاب . وعند ماتم هذا الخلع ، وأنطوى حكمه على البت والقطع ، آتمس الناس
إماما يقوم بأمر الإمامة فيوفياها ، ويجمع شروطها ويستوفياها ؛ فلم يجدوا لها أهلا ،

ولا يها أحق وأولى، وأوفى بها وأمل، من السيّد الأعظم الإمام النبوى سليل
الخلافة، وولى الإمامة أبى فلان فلان العباسى الطائع لله «مثلا» أمير المؤمنين .
لازال شرفه باذخا، وعزّينته الشريف شايخا، وعهد ولايته لعهد كل ولاية ناسخا،
فساموه ببعثها فلى، وشاموا برقه لولايتها فأجاب وما تأبى، علما منه بأنها تعينت
عليه، وانحصرت فيه فلم تجد أعلى منه فتعدّل إليه؛ إذ هو ابن بجدتها، وفارس
نجدتها، ومزيل نعمتها، وكاشف كرتها؛ ومجلى غياها، ومحمد عواقبها، وموضح
مذاهبها، وحاكمها المكين، بل رشيدها الأمين؛ فهض المقام الشريف السلطاني
الملكي الفلاني المشار إليه : قرّن الله مقاصده الشريفة بالنجاح، وأعماله الصالحة
بالفلاح؛ وبدّر إلى بيعته فبايع، وأتم به من حضر من أهل الحلّ والعقد فتابع،
وقابل عقدها بالقبول فمضى، ولزم حكمها وأنقضى؛ وأتصل ذلك بسائر الرعيّة
فأتقأدوا، وعلموا صوابه فمشوا على سننه وما حادوا؛ وشاع خبر ذلك في الأمصار،
وطارت به مخلقات البشائر إلى سائر الأقطار؛ فتمتروا منه اليمن فسارعوا إلى أمثاله،
وتحققوا صحته ونباته بعد اضطرابه واعتلاله؛ واستعادوا من نقص يصيبه بعد تمامه
لهذا الخليفة وكاله؛ فعندها أبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصرها، وجميل
وفائها وكريم مظهرها؛ وجادت بجزيل الأمتنان، وتلا لسان كرمها الوفي على وليها
الصادق : ((هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)) بخدد له بالسلطنة الشريفة عهدا،
وطوق جيده بتفويضها إليه عقدا؛ وجعله وصيه في الدين، ووليه في أمر
المسلمين؛ وقلده أمر الممالك الإسلامية وألقى إليه مقاليدها، وملكه أزميتها وحقق
له مواعيدها؛ وعقد له لواءها ونشر عليه أعلامها، وصرفه فيها على الإطلاق
وفوض إليه أحكامها؛ وألبسه الخلعة السوداء فكانت أسودده شعارا، وأسبغ عليه
رداءها فكان له دنارا؛ وكتب له العهد فسق المعاهد صوب العهاد، ولهج الأنام

بذكرة فاطمات العباد والبلاد ، وعند ماتم هذا الفصل ، وتقرر هذا الأصل ،
وأمنت الرعايا بما آتاهم الله من فضله فرحين ، وبنعمته مستبشرين ، طولب
أهل البيعة بما يجملهم على الوفاء ، ويمنع بيعتهم من التكرار بعد الصفاء : من توثيق
عقدها بمؤكّد أيمانها ، والإقامة على الطاعة لخليفها وسُلطانها ؛ فبادروا إلى ذلك
مُسرعين ، وإلى داعيه مهطعين ؛ وبالغوا في الموائيق وأكدوها ، وشدّدوا
في الأيمان وعقدوها ؛ وأقسموا بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، عالم
خاتمة الأعين وما تُخفي الصدور في البدء والإعاده ، على الوفاء لها والموالاة ، والنصح
والمصافاة ؛ والمواقفة والمشيابه ، والطاعة والمتابعة ؛ يوالون من والاهما ، ويعادون
من عاداهما ؛ لا يقعدون عن مناصرتيها عند المامٍ ملته ، ولا يرقبون في عدوّها
إلا ولا ذقه ؛ جارين في ذلك على سنن الدوام والإستمرار ، والثبوت واللزوم
والإستقرار ؛ على أن من بدل منهم من ذلك شرطاً أو عفاً له رسماً ، أو حاد عن
طريقه أو غير له حكماً ؛ أو سلك في ذلك غير سبيل الأمانة ، أو استحل الغدر
وأظهر الخيانه ، مُعلناً أو مُسراً في كله أو بعضه ، متأولاً أو مُحْتالاً لإبطاله أو نقضه ؛
فقد برى من حول الله المتين وقوته الواقيه ، وركنه الشديد وذمته الوافيه ، إلى
حول نفسه وقوته ، وركنه وذمته ؛ وكلُّ امرأة في عصمته الآن أو يترجّحها مدة
حياته طالق ثلاثاً بصریح لفظ لا يتوقف على نيّه ، ولا يُفرق فيه بين سنة ولا بدعة
ولا رجعة فيه ولا مشنوية ؛ وكلُّ مملوك في ملكه أو يملكه في بقية عمره من ذكر
أو أنثى حرٌّ من أحرار المسلمين ؛ وكلُّ ما هو على ملكه أو يملكه في بقية عمره إلى
آخر أيامه من عينٍ أو عرض صدقة للفقراء والمساكين ؛ وعليه الحج إلى بيت الله
الحرام ثلاثين حجة ثلاثين عمرة راجلاً حاسراً ، لا يقبل الله منه غير الوفاء بها
باطناً ولا ظاهراً ؛ وإهداء مائة بدنية في كل حجة منها في عُمرته ويُسرته ، لا تُجزئه

واحدة منها عن حجة الإسلام وعمرته ؛ وصوم الدهر خلا المنهي عنه من أيام
السنة ، وصلاة ألف ركعة في كل ليلة لا يباح له دون أدائها غمض ولا سِنَّه ؛
لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، ولا يُؤجر على شيء من ذلك قولاً ولا فعلاً ؛ متى
ورى في ذلك أو استثنى ، أو تأوّل أو استفتى ، كان الحنث عليه عائداً ، وله إلى دار
البوارقائد ، معتمداً في ذلك أشد المذاهب في سره وعلايته ، على نية المستخلف
له دون نيته ؛ وأمضوها بيعة محكمة المباني ثابتة القواعد ، كريمة المساعي جميلة
المقاصد ؛ طيبة الحنّى جليسة العوائد ، فاطمة البراهين ظاهرة الشواهد ؛ وأشهدوا
على أنفسهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من قضاة الإسلام وعلمائه ، وأئمة
الدين وفقهائه ؛ بعد أن أشهدوا الله عليهم وكفى بالله شهيدا ، وكفى به للخائنين
خصيما : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . والله تعالى يجعل آتقائهم من أدنى إلى أعلى ، ومن يسرى إلى يئسرى ؛
ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ .
إن شاء الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

المذهب الرابع

(مما يُكْتَبُ فِي بَيْعَاتِ الْخُلَفَاءِ أَنْ يَفْتَحَ الْبَيْعَةَ بِقَوْلِهِ : هَذِهِ بَيْعَةٌ ، وَيَصِفُهَا وَيَذْكُرُ مَا يَنْبَغُ ، ثُمَّ يَعْرِى بِالْخَلِيفَةِ الْمَيِّتِ ، وَيَهْتِى بِالْخَلِيفَةِ الْمُسْتَقْرَ ، وَيَذْكُرُ فِي حَقِّ كُلِّ مِنْهُمَا مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْوَصْفِ عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ)

وهذه نسخة بَيْعَةِ أَنْشَأَهَا الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ ، عَلَى مَارَأَيْتِهِ فِي " الْجَوَاهِرِ الْمَلْتَقَطَةِ " الْمَجْمُوعَةِ مِنْ كَلَامِهِ ، لِلْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ^(١) « أَبِي الْعَبَّاسِ » « أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الرَّيِّعِ سُلَيْمَانَ » [الْمُسْتَكْفَى بِاللَّهِ] ابْنِ الْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ .

وَذَكَرَ الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ نَازِرٍ الْجَيْشِيُّ فِي " دُسْتُورِهِ " أَنَّهُ إِنَّمَا عَمَلَهَا تَجْرِبَةً ^(٢) لِحَاطَرِهِ ، وَهِيَ مُرْتَبَةٌ عَلَى مَوْتِ خَلِيفَةٍ .

ونصها بعد البسملة الشريفة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

هَذِهِ بَيْعَةُ رِضْوَانٍ وَبَيْعَةُ إِحْسَانٍ ، وَبَيْعَةُ رِضَا تَشْهَدُهَا الْجَمَاعَةُ وَيَشْهَدُ عَلَيْهَا الرَّحْمَنُ ؛ بَيْعَةُ يَلْزَمُ طَائِرُهَا الْعُنُقُ ، وَيَحْمُومُ بَشَائِرُهَا عَلَى الْأَفْقِ ، وَتَجْمَلُ أَنْبَاءُهَا الْبَرَارِيُّ وَالْبِعَارُ مَشْحُونَةَ الطَّرِيقِ ؛ بَيْعَةُ تَصْلُحُ لِنَسَبِهَا الْأُمَّةَ ، وَتُنَمَّحُ بِسَبَبِهَا النِّعْمَةُ ، وَتُؤَلَّفُ بِهَا الْأَسْبَابُ وَتَجْمَلُ بَيْنَهُمْ مَوَدَّةٌ وَرَحْمَةٌ ؛ بَيْعَةُ تَجْرَى بِهَا الرِّفَاقُ ، وَتَتَرَاخَمُ زَمْرُ ^{بِهَا}

(١) كذا في تاريخ أبي الفداء، وابن أبي عمير، أيضا ووقع في ج ٣ ص ٢٦٥ من هذا المؤلف أن لقبه

المستصم والصواب ما هنا .

(٢) أى امتعانا لفكره .

الكواكب على حوض الحجرة للوفاق ؛ بيعة سعيدة ميمونه ، بيعة شريفة بها السلامة
 في الدين والدنيا مضمونه ؛ بيعة صحيحة شرعية ، بيعة ملحوظة مرعية ؛ بيعة تسابق
 إليها كل نية وتطواع كل طوية ، وتجتمع عليها أشات البرية ؛ بيعة يستهل بها التمام ،
 ويتهلل البدر التمام ؛ بيعة متفق على الإجماع عليها ، والاجتماع لبسط الأيدي إليها ؛
 انعقد عليها الإجماع ، وانعقدت صحتها بمن سمع لله وأطاع ، وبذل في تمامها كل
 أمرى ما استطاع ، وحصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع ، ووصل بها الحق إلى
 مستحقه وأقر الخضم وأقطع النزاع ؛ وتضمنها كتاب كريم يشهده المقرَّبون ،
 ويتلقاه الأئمة الأقرَّبون .

(الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) : (ذلك من
 فضل الله علينا وعلى الناس) . وإبنا والله الحمد وإلى نبي العباس . أجمع على هذه
 البيعة أرباب العقْد والحل ، وأصحاب الكلام فيما قلَّ وجَل ؛ وولادة الأمور
 والأحكام ، وأرباب المناصب والحكام ؛ وحملة العلم والأعلام ، وحماة السيوف
 والأقلام ، وأكابر بني عبد مناف ، ومن آنخفص قدره وأناف ؛ وسروات قریش
 ووجوه بني هاشم والبقية الطاهرة من بني العباس ، وخاصة الأئمة وعامة الناس ؛
 بيعة ترسى بالحرمين^(١) خيامها ، وتحقق على المازمين أعلامها ، وتتعرف عرفات
 بركاتها وتعرف بمنى أيامها ؛ ويومن عليها يوم الحج الأكبر ، وتؤم ما بين الركن والمقام
 والمنبر ؛ ولا يتنغي بها إلا وجه الله الكريم ، وفضله العميم ؛ لم يبق صاحب سنجي
 ولا علم ، ولا ضارب بسيف ولا كاتب بقلم ؛ ولا رب حُكم ولا قضاء ، ولا من
 يرجع إليه فى اتفاق ولا إمضاء ؛ ولا إمام مسجد ولا خطيب ، ولا ذوقياً يسأل

(١) لعله ترى بالحرمين تأمل .

(٢) فى الأصل سيف وهى تصحيف .

فُجِيبَ ، وَلَا مَنْ بَيْنَ جَنَّتِي الْمَسَاجِدِ وَلَا مَنْ تَضَمَّهُمْ اجْنَحَةُ الْمَحَارِبِ ، وَلَا مَنْ يَمْتَدُّ فِي رَأْيٍ فُيُحِطُّ أَوْ يُصِيبُ ؛ وَلَا مَتَحَدَّثٌ بِحَدِيثٍ ، وَلَا مَتَكَلِّمٌ بِقَدِيمٍ وَحَدِيثٍ ؛ وَلَا مَعْرُوفٌ بِدَيْنٍ وَصَلَاحٍ ، وَلَا فُوسَانُ حَرْبٍ وَكِفَاحٍ ؛ وَلَا رَاشِقٌ بِسَهَامٍ وَلَا طَاعِنٌ بِرِيْمَاحٍ ، وَلَا ضَارِبٌ بِصَفَاحٍ ، وَلَا سَاعِجٌ عَلَى قَدَمٍ وَلَا طَائِرٌ بِغَيْرِ جَنَاحٍ ؛ وَلَا مَخَالِطٌ لِلنَّاسِ وَلَا قَاعِدٌ فِي عُزْلِهِ ، وَلَا جَمْعُ كَثْرَةٍ وَلَا قَلَّةٍ ؛ وَلَا مَنْ يَسْتَقِيلُ بِالْحَوْزَاءِ لِوَأُوهُ ، وَلَا يَقِيلُ فَوْقَ الْفِرْقَدِ ثَوَاوُهُ ؛ وَلَا بَادٍ وَلَا حَاضِرٌ ، وَلَا مُقِيمٌ وَلَا سَائِرٌ ؛ وَلَا أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ ، وَلَا مُسِرٌّ فِي بَاطِنٍ وَلَا مُعَلَّنٌ فِي ظَاهِرٍ ؛ وَلَا عَرَبٌ وَلَا عَجِمٌ ، وَلَا رَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ ؛ وَلَا صَاحِبُ أَنَاةٍ وَلَا إِبْدَارٍ ، وَلَا سَاكِنٌ فِي حَضْرٍ وَبَادِيَةٍ بِدَارٍ ؛ وَلَا صَاحِبُ عَمَدٍ وَلَا جِدَارٍ ، وَلَا مَلْجِجٌ فِي الْبِحَارِ الزَّاحِرَةِ وَالْبَرَارِيِّ الْقِفَارِ ؛ وَلَا مَنْ يَتَوَقَّلُ صَهَوَاتِ الْخَلِيلِ ، وَلَا مَنْ يُسِيلُ عَلَى الْعَجَاجَةِ الذَّيْلَ ، وَلَا مَنْ تَطَّلِعُ عَلَيْهِ شَمْسُ النَّهَارِ وَمُجُومُ اللَّيْلِ ؛ وَلَا مَنْ تُظَلُّهُ السَّمَاءُ وَتُقَلُّهُ الْأَرْضُ ، وَلَا مَنْ تُدَلُّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ عَلَى آخْتِلَافِهَا وَتَرْتَفِعُ دَرَجَاتُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ حَتَّى آمَنَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ وَأَتَمَّنَ عَلَيْهَا ، وَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ إِلَيْهَا ؛ وَأَقْرَبَهَا وَصَدَّقَ ، وَغَضَّ لَهَا بَصَرَهُ خَاشِعًا وَأَطْرَقَ ؛ وَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ بِالْمُبَايَعَةِ ، وَمُعْتَقَدَهُ بِالْمُتَابَعَةِ ؛ رَضِيَ بِهَا وَأَرْضَاهَا ، وَأَجَازَ حُكْمَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَأَمْضَاهَا ؛ وَدَخَلَ تَحْتَ طَاعَتِهَا وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا : ﴿ وَقَضَى بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

والحمد لله الذي نصب الحاكم ليحكم بين عباده وهو أحكم الحاكمين ، والحمد لله الذي أخذ حق آل بيت نبيه من أيدي الظالمين ؛ والحمد لله رب العالمين ، ثم الحمد لله رب العالمين ، ثم الحمد لله رب العالمين ، والحمد لله رب العالمين .

ولانه لما آستأثر الله بعبيده سليمان أبي الربيع الإمام المستكفي بالله أم المؤمنين - كرم الله مثواه - وعوضه عن دار السلام بدار السلام ، ونقله فزكى بدنه عن

شهادة السّلام بشهادة الإسلام؛ حيث آثره ربه بقربه، ومهد لجنبه وأقدمه على ما أقدمه من يرجوه لعمله وكسبه، وخارله في جواره رفيقا، وجعل له على صالح سلفه طريقا؛ وأنزله ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ . الله أكبر ليومه لولا خلفه كادت تضيق الأرض بما رحبت، وتجزى كل نفس بما كسبت؛ وثنى كل سريرة بما أدخرت وما خبت؛ لقد اضطرم سعيه، إلا أنه في الجوانح، لقد اضطرب منبر وسريه، لولا خلفه الصالح، لقد اضطرب مأمور وأمير، لولا الفكر بعده في عاقبة المصالح؛ لقد غاضت البحار، لقد غابت الأنوار، لقد غالب البُدر ما يلحق الأهلة من المحاق ويذكر البدر من السرار؛ سُفيت الجبال سُففا، وخبث مصابيح النجوم وكادت تطفى: ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ . لقد جمعت الدنيا أطرافها وأزمنت على المسير، وجمعت الأمة هول المصير، وزاغت يوم موته الأبصار: ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ . وبقيت الأبواب حيارى، ووقفت نارة تُصدّق وتارة تُنمّارى؛ لا تعرف قرارا، ولا على الأرض استقرارا: ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مُرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى ﴾ .

ولم يكن في النسب العباسي ولا في جميع من في الوجود، لافي البيت المسترشدي ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آباء لهم وجدود، ولا من تلده أحرى الليالي وهي عاقر غير ولود؛ من تسلّم إليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم عقد نياتها، وسر طوياتها؛ إلا واحد وأين ذلك الواحد؟ هو والله من انحصر فيه استحقاق ميراث آباءه الأطهار، وتراث أجداده ولا شيء هو إلا ما أشتمل عليه رداء الليل والنهار؛ وهو ابن المتقل إلى ربه، وولد الإمام الذاهب لصلبه؛ المجمع على أنه في الأنام،

فَرُدُّ الْأَيَّامَ ، وَوَأَحَدٌ وَهَكَذَا فِي الْوُجُودِ الْإِمَامِ ؛ وَأَنَّهُ الْحَاثِرُ لِمَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُ
 الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَالْفَائِزُ بِمَلِكِ مَا بَيْنَ الشَّارِقِ وَالْغَارِبِ ؛ الرَّاقِي فِي صَفِيحِ السَّمَاءِ
 هَذِهِ الذَّرْوَةَ الْمَنِيْفَةَ ، الْبَاقِي بَعْدَ الْأَيْمَةِ الْمَاضِيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ؛ الْجَمِيعُ
 فِيهِ شَرْوُطُ الْإِمَامَةِ ، الْمَتَّضِعُ لِلَّهِ وَهُوَ مِنْ بَيْتِ لَا يَزَالُ الْمَلِكُ فِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛
 الَّذِي تَصَفَّحَ السَّحَابَ نَائِلُهُ ، وَالَّذِي لَا يُغْرَهُ عَازِرُهُ وَلَا يُغَيِّرُهُ عَاذِلُهُ ؛ وَالَّذِي :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * شَاَهَا لَقَبِضَ لَمْ تُطْعَمَ أَنَامِلُهُ

والذي :

لَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضَيِّعٌ نَصِيْبَهُ * وَلَا وَرِقُ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاذِلُهُ

والذي ما أرتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه إلا قال ناصره وقام قائمه ؛
 وَلَا قَعَدَ عَلَى سَرِيرِ الْخِلَافَةِ إِلَّا وَعُرِفَ بِأَنَّهُ مَا حَابَ مُسْتَكْفِيَهُ وَلَا غَابَ حَاكِمَهُ ؛
 نَائِبُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَالْقَائِمُ بِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلِيفَتُهُ وَأَبْنُ عَمِّهِ ،
 وَتَابِعُ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَوَارِثُ عِلْمِهِ ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ « أَحْمَدُ أَبُو الْعَبَّاسِ »
 الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِبِقَائِهِ الدِّينَ ، وَطَوْقُ بَسِيْفِهِ [رِقَابِ]
 الْمُلْحِدِينَ ، وَكَبَتَتْ تَحْتَ لِيَاوَاهِ الْمُعْتَدِينَ ؛ وَكَتَبَ لَهُ النِّصْرَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَكَفَّ
 بِجِهَادِهِ طَوَائِفَ الْمُفْسِدِينَ ، وَأَعَادَ بِهِ الْأَرْضَ مَمَّنْ لَا يَدِينَ بِدِينِهِ ؛ وَأَعَادَ بَعْدَهُ أَيَّامَ
 آبَائِهِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَيْمَةَ الْمَهْدِيْنَ ؛ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ،
 وَعَلَيْهِ كَانُوا يَعْمَلُونَ ؛ وَنَصَرَ أَنْصَارَهُ ، وَقَدَّرَ أَقْتِدَارَهُ ؛ وَأَسْكَنَ فِي قُلُوبِ الرِّعْيَةِ سَكِينَتَهُ
 وَوَقَّارَهُ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْوُجُودِ وَجَعَ لَهُ أَقْطَارَهُ .

وَمَا آتَقَلَّ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَ السَّيِّدُ وَلِحَقِّ بَدَارِ الْحَقِّ أُسْلَافَهُ ، وَنُقِلَ إِلَى سَرِيرِ الْجَنَّةِ

عَنْ سَرِيرِ الْخِلَافَةِ ؛ وَخَلَا الْعَصْرُ مِنْ إِمَامٍ يُمَسِّكُ مَا بَقِيَ مِنْ نَهَارِهِ ، وَخَلِيفَةُ يُغَالِبُ

مُرَبَّدَ اللَّيْلِ بِأَنْوَارِهِ ، وَوَارِثِ بَنِي بَمَثَلِهِ وَمِثْلِ أَبِيهِ أَسْتَعْنَى الْوُجُودَ بَعْدَ ابْنِ عَمِّهِ خَاتَمِ
الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَبِيِّ مَقْتَفٍ عَلَى آثَارِهِ ؛ وَنَسِيَ وَلَمْ يَعْتَهِدْ فَلَمْ يَبْقَ إِذْ لَمْ
يُوجَدِ النَّصُّ إِلَّا الْإِجْمَاعُ ، وَعَلَيْهِ كَانَتْ الْخِلَافَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِلا نِزَاعٍ ، أَقْتَضَتِ الْمَصْلَحَةُ الْجَامِعَةَ عَقْدَ مَجْلِسِ كُلِّ طَرْفٍ بِهِ مَعْقُودٌ ، وَعَقْدَ بَيْعَةٍ
عَلَيْهَا اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ شُهُودٌ ، وَجُمِعَ النَّاسُ لَهُ ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ
يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ . فَخَضَرَ مَنْ لَمْ يُعْبَأْ بَعْدَهُ بِنَ تَحَلُّفٍ ، وَلَمْ يُرْبَأْ^(١) مَعَهُ وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ طَائِعًا
بِنَ مَدَّهَا وَقَدْ تَكَلَّفَ ؛ وَاجْتَمَعُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ وَاسْتَخَارُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ نَحَارًا ،
وَنَاهِيكَ بِذَلِكَ مِنْ مُخْتَارٍ ؛ وَأَخَذَتْ يَمِينُ مُمَدِّ إِلَيْهَا الْإِيمَانَ ، وَيُسَدِّ بِهَا الْإِيمَانَ ؛
وَتَعْطَى عَلَيْهَا الْمَوَاطِيقُ ، وَتُعْرَضُ أَمَانَتُهَا عَلَى كُلِّ فَرِيقٍ ؛ حَتَّى تَقْلُدَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ
فِي عُنُقِهِ هَذِهِ الْأَمَانَةَ ، وَحَطَّ يَدَهُ عَلَى الْمَصْحَفِ الْكَرِيمِ وَحَلَفَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَأَتَمَّ
أَيْمَانَهُ ؛ وَلَمْ يَقْطَعْ وَلَمْ يَسْتَنْ وَلَمْ يَتَرَدَّدْ ، وَمَنْ قَطَعَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ أَعَادَ وَجَدَّدَ ؛ وَقَدْ
نَوَى كُلُّ مَنْ حَلَفَ أَنَّ النِّيَّةَ فِي يَمِينِهِ نِيَّةٌ مِنْ عُقْدَتِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ لَهُ وَنِيَّةٌ مِنْ حَلْفٍ لَهُ ،
وَتَذَمُّ بِالْوَفَاءِ فِي ذِمَّتِهِ وَتَكْفَلُهُ ؛ عَلَى عَادَةِ أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ بِشُرُوطِهَا وَأَحْكَامِهَا الْمُرَدَّدَةِ ،
وَأَقْسَامِهَا الْمُؤَكَّدَةِ ؛ بَانَ يَبْدُلُ لِهَذَا الْإِمَامِ الْمَفْتَرِضَةَ طَاعَتَهُ الطَّاعَةَ ، وَلَا يُفَارِقَ الْجُمْهُورَ
وَلَا يُظْهِرَ عَنِ الْجَمَاعَةِ انْتِجَاعَهُ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ نُسُخُ الْإِيمَانَ الْمَكْتُوبُ
فِيهَا أَسْمَاءٌ مِنْ حَلْفٍ عَلَيْهَا مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ بِمُخْطُوطٍ مِنْ يَكْتُبُ مِنْهُمْ ، وَخُطُوطِ
الْعُدُولِ الثَّقَاتِ عَمَّنْ لَمْ يَكْتُبْ وَأَذْنُوا لِمَنْ يَكْتُبُ عَنْهُمْ ؛ حَسَبَ مَا يَشْهَدُ بِهِ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ ، وَيَتَصَادَقُ عَلَيْهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ بَيْعَةٌ تَمَّ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَمَامُهَا ،
وَعَمَّ بِالصُّوْبِ الْعَدَقِ تَحْمَامُهَا ؛ ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ . وَوَهَبَ
لَنَا الْحَسَنَ ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي عَبْدَهُ ، الْوَافِي وَعْدَهُ ، الْمُؤَافِي لِمَنْ يُضَاعِفُ عَلَى كُلِّ

(١) أى لم يربأ به ولم يكثر . انظر اللسان والقاموس .

مَوْهَبَةً حَمْدَهُ ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمٍ يَرْغَبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَرْزِدِيادَهَا ، وَيَرْهَبُ إِلَّا أَنْ يِقَاتِلَ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِأَمْدَادِهَا ؛ وَيَرَأْبُ بِهَا مَا أَثْرَفِيَا أَثْرَمَالِيكَه (؟) مَا بَانَ مِنْ مُبَايَنَةِ أَوْسَادِهَا .

نَحْمَدُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةً لَا تَمَلُّ مِنْ تَرْدَادِهَا ، وَلَا تَنْخَلُ بِمَا يُفَوِّقُ السَّهَامَ مِنْ سَدَادِهَا ؛ وَلَا نَظْلُ إِلَّا عَلَى مَا يُوْجِبُ كَثْرَةَ أَعْدَادِهَا ، وَتَيْسِيرَ إِقْرَارِ عَلَى أَوْرَادِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَقَايَسُ دَمُ الشَّهَادَةِ وَمَدُّ مِدَادِهَا ، وَتَنَافُسُ طُرُرِ الشَّيْبَابِ وَغُرُرِ السَّحَابِ عَلَى أَسْتِمْدَادِهَا ؛ وَتَجَانُسُ رُقُومِهَا الْمَدْيِجَةِ وَمَا تَلْبَسُهُ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ مِنْ شِعَارِهَا ، وَاللَّيَالِي مِنْ دِتَارِهَا ، وَالْأَعْدَاءُ مِنْ حِدَادِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَمَاعَةِ آلِهِ مِنْ سَقَلٍ مِنْ أَبْنَائِهَا وَمَنْ سَلَفَ مِنْ أَجْدَادِهَا ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أَكْسَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ مَا كَانَ لِحَدِّهِ ، وَوَهَبَهُ مِنَ الْمَلِكِ السُّلَيْمَانِيِّ عَنِ أَبِيهِ مَا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلَّمَهُ مَنَظِقَ الطَّيْرِ بِمَا تَحْمَلُهُ حَمَائِمُ الْبَطَائِقِ مِنْ بَدَائِعِ الْبَيَانَ ، وَسَخَّرَ لَهُ مِنَ الْبَرِيدِ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ مَا سَخَّرَ مِنَ الرَّيْحِ لِسُلَيْمَانَ ؛ وَأَتَاهُ مِنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مَا مَدَّهُ بِهِ أَبُوهُ سُلَيْمَانُ وَتَصَرَّفَ ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْفَخَّارِ مَا اطَّاعَهُ بِهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ ؛ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ لِبَاسِ بَنِي الْعَبَّاسِ مَا يَقْبِضِي لَهُ سِوَادَهُ بِسُودَدِ الْأَجْدَادِ ، وَيَنْفُضُ عَلَى كَعْلِ الْهَدْبِ مَا فَضَّلَ عَنْ سُودِيَاءِ الْقَلْبِ وَسِوَادِ الْبَصْرِ مِنَ السَّوَادِ ؛ وَيَمُدُّ ظِلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ فَكُلُّ مَكَانٍ حَلَّهُ دَارُ مُلْكٍ وَكُلُّ مَدِينَةٍ بَعْدَادُ ؛ وَهُوَ فِي لَيْلِهِ السَّجَادُ ، وَفِي نَهَارِهِ الْعَسْكَرِيُّ وَفِي كَرَمِهِ جَعْفَرُ الْجَوَادِ يُدِيمُ الْإِبْتِهَالَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِ ، وَالْإِبْتِهَاجَ بِمَا يُغْنِي كُلَّ عَدُوٍّ بِرِيقِهِ ؛ وَيَبْدَأُ يَوْمَ هَذِهِ الْمُبَايَعَةِ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ مِنْ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ ، وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ مِمَّا يَتَحَلَّى

به الإمام، ويقدم التقوى أمامه، ويقرن عليها أحكامه، ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف الناس، ومن لا يجمل أمره طائعا على العين حمله بالسيف غضبا على الرأس؛ ويعجل أمير المؤمنين بما يشفي به النفوس، ويزيل به كيد الشيطان إنه يسوس، يأخذ بقلوب الرعايا وهو غنى عن هذا ولكن يسوس؛ وأمير المؤمنين يشهد الله وخليقته عليه أنه أقر كل أمرئ من ولاة الأمور الإسلامية على حاله، وأستمر به في مقيله تحت كنف ظلاله؛ على اختلاف طبقات ولاة الأمور، وتفريقهم في الممالك والشعور؛ برا وبحرا، سهلا ووعرا، وشرقا وغربا، وبعدا وقربا؛ وكل جليل وحقير، وقليل وكثير؛ وصغير وكبير، ومملك ومملوك وأمير، وجندى يبرق له سيف شهير، وروح طير؛ ومن مع هؤلاء من وزراء وقضاة وكتاب، ومن له يد تقي في إنشاء وتحقيق حساب؛ ومن يتحدث في بريد وخراج، ومن يحتاج إليه ومن لا يحتاج؛ ومن في الدروس والمدارس والربط والزوايا والخوانق، ومن له أعظم التعلقات وأدنى العلائق؛ وسائر أرباب المراتب، وأصحاب الرواتب؛ ومن له في مال الله رزق مقسوم، وحق مجهول أو معلوم؛ وأستمر لكل أمرئ على ما هو عليه، حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه؛ فما زاد تأهيله، زاد تفضيله؛ وإلا فأمر المؤمنين لا يريد سوى وجه الله، ولا يحابي أحدا في دين، ولا يحامي [عن] أحد في حق؛ فإن المحاماة في الحق مداجاة على المسامين؛ وكل ما هو مستمر إلى الآن، مستقر على حكم الله مما فهمه الله له وفهمه سليمان، لا يغير أمير المؤمنين في ذلك ولا في بعضه، معتبر مستمر بما شكر الله على نعمه وهكذا يجازئ من شكر، ولا يكدر على أحد مorda نزه الله به نعمة الصافية عن الكدر؛ ولا يتأول في ذلك متاؤل ولا من بحر النعمة أو كفر، ولا يتعلل متعلل فإن أمير المؤمنين يعود بالله ويعيد أيامه من الغير؛ وأمر أمير المؤمنين - أعلى الله أمره -

أَنْ يُعْلَنَ الْخُطْبَاءُ بِذِكْرِهِ وَذَكَرِ سُلْطَانَ زَمَانِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْآفَاقِ ، وَأَنْ تُضْرَبَ
بِاسْمِهِمَا النُّقُودُ الْمُتَعَامَلُ بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَيُنْتَهَجَ بِالِدَعَاءِ لَهَا عَطْفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَيُصْرَحَ مِنْهُ بِمَا يُشْرَقُ بِهِ وَجْهُ الدَّرْهِمِ وَالذَّنْبَارِ ؛ وَتُبَاهَى بِهِ الْمَنَابِرُ وَدَوْرُ الضَّرْبِ :
هَاتِيكَ تَرْفَعُ اسْمَهُمَا عَلَى أَسْرَةٍ مُهَوَّدَهَا ، وَهَذِهِ عَلَى أَسَارِيرِ نُقُودَهَا ؛ وَهَذِهِ تَقَامُ بِسَبَبِهَا
الصَّلَاةُ ، وَتَلْكَ تُدَامُ بِهَا الصَّلَاتُ ؛ وَكِلَاهُمَا تُسْتَأَلُ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَلَا يُلَامُ عَلَى مَا تَعِيهِ
الْأَذَانُ وَتُوعِيهِ الْجُيُوبُ ؛ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا مَنْ تَحْدَقُ بِجِوَارِهِ الْأَحْدَاقُ ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ
الْأَعْنَاقُ ؛ وَتُبَلِّغُ بِهِ الْمَقَاصِدَ ، وَيَقْوَى بِهِنَّ الْمُعَاضِدُ ؛ وَكِلَاهُمَا أَمْرُهُ مَطَاعٌ ، مِنْ غَيْرِ
نِزَاعٍ ، وَإِذَا لَمَعَتْ أَرْزِمَةُ الْخُطْبِ طَارَ لِلذَّهَبِ سُعَاعٌ ؛ وَلَوْلَاهُمَا مَا اجْتَمَعَ جَمْعٌ
وَلَا آفَضَ ، وَلَا عَرَفَ الْأَنَامُ مِنْ تَأْتَمُّ ؛ فَالْخُطْبُ وَالذَّهَبُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ ، وَبِهِمَا
يَذُكَّرُ اللَّهُ قِيَاءً ^(١) الْمَسَاجِدِ ؛ وَلَوْلَا الْأَعْمَالُ ، مَا بُدِلَتْ الْأَمْوَالُ ، وَلَوْلَا الْأَمْوَالُ ، مَا وُلِّتْ
الْأَعْمَالُ ؛ وَلِأَجْلِ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هَذِهِ النَّسْبَةِ ، قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ لَهُ السَّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ ؛ وَقَدْ
أَسْمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْجَمْعِ الْمُشْهُودِ مَا يَتَنَاقَلُهُ كُلُّ خَطِيبٍ ، وَيَتَدَاوَلُهُ كُلُّ بَعِيدٍ
وَقَرِيبٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِأَوَامِرٍ وَنَهَى عَنْ نَوَاهٍ وَهُوَ رَقِيبٌ ؛ وَتَسْتَفْزَعُ الْأَوْلِيَاءُ لَهَا
السَّجَايَا ، وَتُتَضَرَّعُ الْخُطْبَاءُ فِيهَا بِنُعُوتِ الْوَصَايَا ؛ وَتَكْتَلُ بِهَا الْمَزَايَا ، وَيَتَكَلَّمُ بِهَا الْوَاعِظُ
وَيُخْرِجُ مِنَ الْمَشَائِخِ الْخَبَايَا مِنَ الزَّوَايَا ؛ وَتَسْمُرُ بِهَا السَّمَارُ وَيَتَرَنَّمُ الْحَادِي وَالْمَلَّاحُ ،
وَيُرُوقُ شَجْوُهَا فِي اللَّيْلِ الْمُقْمِرِ وَيُرْقَمُ عَلَى جَنْبِ الصَّبَاحِ ؛ وَتُعَطَّرُ بِهَا مَكَّةُ بَطْحَاءَهَا
وَتَحْيَا بِحَدِيثِهَا قُبَاهُ ، وَيَلْقَنَهَا كُلُّ أَبِي فَهْمٍ أَنَّهُ وَيَسْأَلُ كُلُّ ابْنٍ أَنْ يُجِيبَ أَبَاهُ ؛ وَهُوَ
لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رُشْدٌ وَعَلَيْكُمْ بَيْنَهُ ، وَإِلَيْكُمْ مَا دَنَاكُمْ بِهِ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ؛ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ وَلَوْلَا قِيَامُ الرَّعَايَا بِهَا
مَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا ، وَلَا أَمَسَكَ بِهَا الْبَحْرُ وَدَحَا الْأَرْضُ وَأَرْسَى جِبَالَهَا ؛ وَلَا آتَمَقَتِ

(١) كذا ضبط في بعض النسخ ونقل الصواب قِيَامًا ، أَوْ قَوَامًا . تأمل .

الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجر أذيالها ، وأخذها دون بني أبيه ولم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها ؛ وقد كفأكم أمير المؤمنين السؤال بما فتح لكم من أبواب الأرزاق ، وأسباب الإرتفاق ؛ وأحسن لكم على وفافكم وعلمكم مكارم الأخلاق ، وأجركم على عوائدكم ولم يمسك خشية الإملاق ؛ ولم يبق على أمير المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل بما ينتفع به من يحيى - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - من بعده ، ويزيد على كل من تقدم ، ويقوم فروض الحج والجهاد ، ويقيم الرعايا بعذله الشامل في مهاد ؛ وأمير المؤمنين يقيم على عباده موسم الحج في كل عام ، ويشمل سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ؛ ويجهز السبيل على عاتقه ويرجو أن يعود إلى حاله الأول في سالف الأيام ، ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاهر ويرسل إلى نالهما البيت المقدس ساكب الغمام ؛ ويقوم بقومة قبور الأنبياء - صلوات الله عليهم - أين كانوا وأكثرهم في الشام ؛ والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سنتها ، وقويم سنتها ؛ وستزيد في أيام أمير المؤمنين بمن أنضم إليه ، وبما يتسلمه من بلاد الكفار ويسلم على يديه .

وأما الجهاد ، فيكتفي بأجتهد القائم عن أمير المؤمنين بأمره ، المقلد عنه جميع ما وراء سريره ؛ وأمير المؤمنين قد وكل إليه - خلد الله سلطانه - عناء الأيام ، وقلده سيفه الرابع بوراقه ليسلله واجده على الأعداء [وإلا سل خياله عليهم في الأحلام ؛ ويؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ماغلب عليه العدا ، وأنترج [مابا] يديهم من بلاد الإسلام فإنه حقه وإن طال عليه المدى ؛ وقد قدم الوصية بأن يوالي غزوة العدو الخندول برا وبحرا ، ولا يكف عن ينظر به منهم قتل وأسرا ، ولا يفك أغلالا ولا إصرا ؛ ولا ينفك يرسل عليهم في البحر غرانا ، وفي البر من الخيل عقبان ؛ يحمل

فيهما كلُّ فارسٍ صقرا، ويحیی الممالک ممن يحوزُ أطرافها بإقدام، ويتخولُ أسكافها الأقدام؛ وينظرُ في مصالح القلاع والحُصون والثغور، وما يحتاج إليه من آلات القتال، وما يُحتاج به الأعداء ويعجزُ عنه المحتال؛ وأمّهات الممالک التي هي مرابطُ البُدود، ومرابضُ الأسود، والجنّاح المددود؛ ويتفقدُ أحوالهم بالعرض، بما لهم من خيلٍ تعقدُ [بالعجاج] ما بين السماء والأرض؛ وما لهم من زرد مصون، وبيض مسها ذاتُ ذهبٍ فكانت كأنها بيضٌ مكنون؛ وسيوفٌ قواضب، ورماحٌ لكثرة طعنها من الدماء خواضب، وسهامٌ توأصل القسي وتفارقها فتحنُّ حين مفارِق وتزجرُ القوس زججةً مغاضب .

وهذه جملةُ أراد أمير المؤمنين بها تطيبَ قلوبكم، وإطالة ذيلِ التطويلِ على مطلوبكم؛ وماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حمايةٍ إلا ما أباح الشرعُ المطهر، ومزيدُ الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر .

وأما جريئات الأمور، فقد علمتم بأنَّ فيمن تقلدَ عن أمير المؤمنين غنى عن مثل هذه الذكري، وفتى حق لا يتسغل بطلب شيءٍ فكرا؛ وفي ولاة الأمور، ورعاة الجمهور؛ ومن هو سداد عمله، ومدادُ أمسه، ومرادُ من هو منكم معشر الرعايا من قبله؛ وأنتم على تفاوتٍ مقاديركم وديعةُ أمير المؤمنين ومن خولكم وأنتم وهم فما منكم إلا من استعرف أمير المؤمنين وتمشى في مرضى الله على خلقه، وينظر ما هو عليه ويسير بسيرته المثلى في طاعة الله في خلقه؛ وكلُّكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين وله عليكم أداءُ النصيحة، وإبداء الطاعة بسريرةٍ صحيحة؛ وقد دخل كلُّ منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رأفته، ولزم حكمه بيعته؛ وألزم طائره في عنقه، ويستعمل كلُّ منكم في الوفاء ما أصبح به عليا: ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما﴾ .

هذا قول أمير المؤمنين، وعلى هذا عهد إليه وبه يعهد، وماسوى هذا فهو جُور
لا يُشهد به عليه ولا يُشهد؛ وهو يعمل في ذلك كله ما تُحمد عاقبته من الأعمال،
ويجمل منه ما يصلح به الحال والمآل؛ وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال،
ويستعيد بالله من الإهمال؛ ويختتم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل
والإحسان، ويحمد الله وهو من الخلق «أحمد» وقد آتاه الله مُلك سليمان؛ والله تعالى
يمتّع أمير المؤمنين بما وهبه، ويملكه أقطار الأرض ويورثه بعد العمر الطويل
عقبه؛ ولا يزال على أسرة العلياء قعوده، ولباس الخلافة به أبهة الجلالة كأنه مامات
منصوره ولا ردى مهديه ولا ذهب رشيدته^(١).

المقصد السادس

(فيما يكتب في آخر البيعة)

إذا آتته إلى آخر البيعة، شرع في كتابة الخواتم على ما تقدم، فيكتب:
«إن شاء الله تعالى» ثم يكتب التاريخ. ثم الذى يقتضيه قياس العهود أنه يكتب
المستند عن الخليفة فيكتب «بالإذن العالى المولوى الإمامى النبوى المتوكلى» -
مثلا - أعلاه الله تعالى» وكأن الخليفة الذى عقدت له البيعة هو الذى أذن
في كتابتها.

قلت: ولو أسقط المستند في البيعات فلا حرج بخلاف العهود: لأنها صادرة
عن مؤل وهو العاهد، فحسن إضافة المستند إليه، بخلاف البيعة فإنها إنما تصدر
عن أهل الحلل والعقد كما تقدم. ويكتفى في المستند عنهم بكتابة خطوطهم في آخر

(١) هذه المعاهدة من قلم القاضى الفاضل ليست لاسبة حلال بلاغته ولا متسرلة جلايب فصاحته فهى

تجربة لم تنقح ومسودة لم تصحح كما أشار إليه ابن ناظر الجيوش فليتنبه.

البيعة كما سياتى ، ثم بعد كتابة المستند - إن كُتِبَ - تُكْتَبُ الحمدلةُ والصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبةُ ، على ما تقدم في الكلام على الفَوَاتِحِ والخَوَاتِمِ في مقدمة الكتاب .

ثم يَكْتُبُ مَنْ بايع من أهل الحِلِّ والعقد والشهود على البيعة .

فأما من تَوَلَّى عقدَ البيعة من أهل الحِلِّ والعقد فيكتب : « بايعته على ذلك ، وكتب فلانُ بنُ فلانٍ » ويدعو في خلال ذلك قبل اسمه بما يناسب : مثل أن يقال « بايعته على ذلك قدس الله خلافتَه » أو « زاد الله في شرفه » أو « زاد الله في اعتلائه » وما أشبه ذلك .

وأما الشهود على البيعة فالواجب أن يكتب كلُّ منهم : « حضرتُ جريانَ عقد البيعة المذكورة ، وكتب فلانُ بنُ فلانٍ » كما يكتب الشاهد بجريان عقد النكاح ونحوه ؛ ولا بأس أن يدعو في رسم شهادته قبل كتابة اسمه بما يناسب : مثل « قرنها الله تعالى باليمن أو بالسداد » أو « عرف الله المسلمين بركتها » وما أشبه ذلك .

المقصود السابع

(في قطع الورق الذي تُكْتَبُ فيه البيعةُ ، والقلم الذي تُكْتَبُ به ،

وكيفية كتابتها ، وصورة وضعها)

وأعلم أن البيعات لم تكن متداولة الاستعمال لقلّة وقوعها ، فلم يكن لها قطع ورق ، ولا تصوير متعارف فيتبع ؛ وليكنه يؤخذ فيها بالقياس وعموم الألفاظ .

فأما قطع ورقها ، فقد تقدم في الكلام على مقادير قطع الورق تقلا عن محمد بن عمر المدائني في كتاب « القلم والدواة » أن قطع البغدادى الكامل للخلفاء والملوك . ومقتضى

ذلك أنَّ البيعات تُكتب فيه ، وهو قياسُ ما ذكره المقرَّ الشهابيُّ بن فضل الله في "التعريف" من أنَّ للعهود قطعَ البغدادىِّ الكاملِ على ماسياتى ذكره .

قلت : لكن سياقى في الكلام على عهود الخلفاء أنها الآن قد صارت تُكتبُ في قطع الشامى الكامل ، وبينهما في العَرْض والطول بونٌ كبير على ما تقدم بيانه في الكلام على قطع الورق ؛ وحينئذٍ فينبغى أن تكون كتابةُ البيعات في قطع الشامى مناسبةً لما تُكتبُ فيه عهودُ الخلفاء الآن .

وأما القلم الذى يُكتب به فبحسب الورق الذى يُكتب فيه : فإن كُتبت البيعةُ في قطع البغدادىِّ ، كانت الكتابةُ بقلمٍ مختصر الطوار ، إذ هو المناسبُ له ؛ وإن كُتبت في قطع الشامى ، كانت الكتابةُ بقلمِ الثلث الثقيلِ إذ هو المناسبُ له .

وأما كيفيةُ الكتابةِ وصورةُ وضعها ، فقياسُ ما هو متداولٌ في كتابة العهود وغيرها ، أنه يتبدأ بكتابة الطرة في أول الدرَج بالقلم الذى تُكتب به البيعةُ سطورا متلاصقة لا حُلوَ بينها ، ممتدة في عَرْض الدرَج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكتابةُ في قطع البغدادىِّ الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة في عهود الملوك عن الخلفاء على ماسياتى ذكره ؛ ويتركُ بعد الوصل الذى فيه الطرة ستة أوصال بياضا من غير كتابة : لتصير يوصل الطرة سبعة أوصال ؛ ثم يكتبُ بالبسملة في أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاته تكاد تلحقُ الوصل الذى فوقه بهامشٍ عريضٍ عن يمينه قدرَ أربعة أصابعٍ أو خمسة مطبوقه ؛ ثم يكتبُ تحت البسملة سطرا من أول البيعة ملاصقا لها ؛ ثم يخلى مكان بيت العلامة قدرَ شبرٍ جريا على قاعدة العهود وإن لم تكن علامة تُكتب ، كما يخلى بيتُ العلامة في بعض المكاتبات ولا يكتبُ فيه شيء ؛ ثم يكتبُ السطر الثانى تحت بيت العلامة على

سَمَّتِ السُّطْرَ الَّذِي تَحْتَ الْبِسْمَلَةِ فِي بَقِيَّةِ الْوَصْلِ الَّذِي فِيهِ الْبِسْمَلَةُ ؛ وَيُحْرَسُ أَنْ تَكُونَ نِهَآيَةُ السَّجْمَةِ الْأَوْثَى فِي أَثْنَاءِ السُّطْرِ الْأَوَّلِ أَوْ الثَّانِي ؛ ثُمَّ يَسْتَرْسَلُ فِي كِتَابَةِ بَقِيَّةِ الْبَيْعَةِ وَيَجْعَلُ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ قَدْرَ رُبْعِ ذِرَاعٍ بِذِرَاعِ الْقَمَاشِ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْعُهودِ ؛ وَيَسْتَضْحِبُ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْبَيْعَةِ ، فَإِذَا آتَيْتْهُ إِلَى آخِرِهَا كَتَبَ "إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى" ثُمَّ التَّارِيخَ ، ثُمَّ الْمُسْتَنْدَ ، ثُمَّ الْحَمْدَ وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْحَسْبَةَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانَهُ فِي الْفَوَاتِحِ وَالْحَوَاتِمِ فِي مَقْدَمَةِ الْكِتَابِ ؛ ثُمَّ يَكْتُبُ مِنْ بَايَعٍ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ خُطُوطَهُمْ ، ثُمَّ الشُّهُودَ عَلَى الْبَيْعَةِ بَعْدَهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ الْكِتَابَةُ فِي الْقَطْعِ الشَّامِي ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْقُصَ عَدْدُ أَوْصَالِ الْبِيَاضِ الَّذِي بَيْنَ الطَّرَةِ وَالْبِسْمَلَةِ وَصَلِينَ فَتَكُونُ نَحْسَةً ، وَيَنْقُصُ الْهَامِشَ فَيَكُونُ قَدْرَ ثَلَاثَةِ أَصَابِعٍ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ قَانُونُ الْكِتَابَةِ .

وهذه صورة وضعه في الورق ممثلاً لها بالطرّة التي أنشأها لذلك، والبيعة الثانية من البيعتين اللتين أنشأتهما

بياض بأعلى الدرج بقدر أصبع

هذه بيعة ميمونه ، باليمن مبتدأة بالسعد مقرونه ؛ لمولانا السيد الجليل الإمام النبوي المتوكل على الله أبي عبد الله محمد أمير المؤمنين ، ابن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر العباسي : زاد الله تعالى شرفه علواً ، وفخاره شموماً . قام بعقدها السلطان السيد الأعظم ، والشاهنشاه المعظم ، الملك الظاهر أبو سعيد برقوق ، خلد الله تعالى سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه ؛ يجمع من أهل الحل والعقد ، والأعتبار والنقد : من القضاة والعلماء والأمراء ، ووجوه الناس والوزراء والصلحاء والنصحاء ؛ وإمضائها على السداد ، والتجج والرشاد .

على ما شرح فيه

بياض ستة أوصال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هاشم الحمد لله الذي جعلَ بيتَ الخلافةِ مَثَابَةً للناسِ وأَمْنًا . وأقام

بيت العلامة

تقدير شبر

سُورَ الإمامةِ وَقَايَةً لِلأَنَامِ وَحِصْنًا ؛ وَشَدَّ مِنْهَا بِالْعَصَابَةِ

تقدير ربع ذراع

الْقُرْشِيَّةَ أَزْرًا وَشَادَ مِنْهَا بِالْعُصْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ رُكْنًا . وَأَغَاثَ

تقدير ربع ذراع

الْخَلْقَ بِإِمَامٍ هُدًى حَسَنٍ سِيرَةً وَصَفَا سِرِيرَةً فَرَاقَ صُورَةً وَرَقًّا مَعْنَى .

ثم يأتي على الكلام إلى آخر البيعة على هذا النمط إلى أن ينتهي إلى

قوله : والله تعالى يجعلُ أُنْتَقَالَهُمْ مِنْ أَدْنَى إِلَى أَعْلَى وَمَنْ يُسْرَى إِلَى عَمْنَى ،

ويحقق لهم بمن أستخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

هامش

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا .

إن شاء الله تعالى

كتب في الثاني من جمادى الأولى - مشلا

سنة إحدى وتسعين وسبعائة

بالإذن العالی المولوی الإمامی النبوی المتوکلی - مشلا

أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

بايعته على ذلك	بايعته على ذلك	بايعته على ذلك
زاد الله تعالى في آعتلائه	زاد الله تعالى في شرفه	قدس الله تعالى خلافته
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

صورة خط المايجين
للخليفة من أهل الحل والمقد

حضرت	حضرت	حضرت
جرّيان عقد	جرّيان عقد	جرّيان عقد
البيعة المذكورة	البيعة المذكورة	البيعة المذكورة
عرّف الله المسلمين	قرنها الله تعالى	قرنها الله تعالى
بركتها	بالسداد	باليمن والبركة
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

ورد في البيعة

النوع الثاني

(من البيعات ، بيعات الملوک)

وأعلم أنّ المقرّ الشهابي بن فضل الله قد ذكر في "التعريف" : أنّ من قام من الملوک بغير عهد من قبله لم تجر العادة بأن تُكتب لهم مبايعة ، وكأنّه يريد اصطلاح بلاد المشرق والديار المصرية ؛ أما بلاد المغرب فقد جرت عادة مصطلحهم بكتابة البيعات للملوکهم ، وذلك أنه ليس عندهم خليفة يدينون له ، يتقلدون الملك بالعهد منه . بل جلّهم أو كلّهم يدعى الخليفة فهم يكتبون البيعات لهذا المعنى .

وهذه نسخة بيعة من هذا النوع ، كتبت بها للسلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي الحجاج بن نصر بن الأحمر الأنصاري ، صاحب حمراء غرناطة من الأندلس ، مفتحة بخطبة على قاعدتهم في بيعات الخلفاء على ما تقدّم ذكره ؛ وربما تكرر الحمد فيها دلالة على عظم النعمة . من إنشاء الوزير أبي عبد الله محمد بن الخطيب صاحب ديوان إنشائه ، على ما رأيتّه في ديوان ترسله ، وهي :

الحمد لله الذي جلّ شأننا، وعزّ سلطاننا، وأقام على ربوبيته الواجبة في كل شيء خلقه برهاننا، الواجب الوجود ضرورة إذ كان وجود ماسواه إمكانا؛ حتى القيوم حياة أبدية سرمدية منزّهة عن الابتداء والانهاء [فلا تعرف وقتا ولا تستدعي زمانا؛ العليم الذي يعلم السر وأخفى] ^(١) فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلا أحاط بها علما وأدركها عيانا؛ القدير الذي ألقى الموجودات كلها إلى عظّمته يد الخضوع استسلاما له وإذعانا. المرید الذي بمشيئته تصرف الأقدار، واختلاف الليل والنهار، فإن منع منع عدلا وإن منح منح إحسانا؛ شهيد تدأول الملوك بدوام ملكه ودلّ حدوث ماسواه على قدمه، وأنت ألسنة الحق والجماد على مواهبه وقسمه، وفاض على عوالم السماء والأرض بجر جوده العميم النوال من قبل السؤال وكرمه، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ويثنى على نعمه سرا وإعلانا. فهو الله الذي لا إله إلا هو ليس في الوجود إلا فعله، ألا له الخلق والأمر وإليه يرجع الأمر كله، وسع الأكوان على تباينها فضله، وقدر المواهب والمقاسم عدله، منعا ومنحا وزيادة ونقصانا.

والحمد لله الذي بيده الإختراع والإنشاء، مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، سبق في مكنون غيبه القضاء، وخفيت عن خلقه الأسباب وعميت عليهم الأنباء، وعجزت عقولهم أن تدرك منها كنهها أو تكشف منها بيانا.

والحمد لله الذي رفع قبة السماء ما اتخذ لها عمادا، وجعل الأرض فراشا ومهادا، وخلق الجبال الراسية أوتادا؛ ورتب أوضاعها أجناسا متفاضلة، وأنواعا متباينة متقابلة: حيوانا ونباتا وجمادا؛ وأقام فيها على حكمة الإبداع دلائل باهرة الشعاع

(١) الزيادة من ربحانة الكتاب لابن الخطيب (ص ٤٨ ج ١)

وأشهادا ، وجعل الليل والنهار خلفةً والشمس والقمر حُسابنا . وقدّر السياسةَ
ساجا لعالم الإنسان يضمُّ منه ما أنتشر ، ويَطْوِي من تعديهِ ما نشر ، ويحمِّله على
الآداب التي تُرشده إذا ضلَّ وتُقيمه إذا عثر ، وتجبره على أن يلتزم السنن ويتبع
الأثر ، لطفًا منه شمِّل البشر وحنانًا .

ولما عمّر الأرض بهذا الجنس الذي فضله وشرّفه ، وهب له العقل الذي تفكّر
به في حكمته حتى عرفه ، وبما يجب لرؤيائه الواجبة وصفه ، جعلهم درجاتٍ
بعضها فوق بعض فقرا وغنيّ وطاعةً وعصيانا . وأختار منهم سفرة الوحي وحملة
الآيات ، وأرسل فيهم الرسل بالمعجزات ، وعرفهم بما كفّهم من الأعمال
المفترضة : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ .
يومَ اعتبار الأعمالِ وأعتبار الحسنات ، ونصب العدل والمجازاة في يوم العرض عليه
قسطاسًا وميزانًا .

نحمده وله الحمد في الأولى والآخرة ، ونُثني على مواهبه الجمّة وآلائه الوافرة ،
ونمد يد الضراعة ، في موقف الرجاء والطاعة ، إلى المزيد من منته الهامية الهامرة ،
ونسأله دوام لطفه الخافية وعصمه الظاهرة ، واتصال نعمه التي لا تزال تتعرفها
مثنىً ووحيدانًا . ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له . [شهادة
نجدها في المعاد عُدّةً وافية ، ووسيلةً للأعمال الصالحة إليه راقية ، وذخيرةً صالحةً
باقية ، ونورا يسعى بين أيدينا ويكون على الرضا والقبول فينا عنوانًا ^(١)] . ونشهد أن
سيدنا ومولانا محمدًا النبيّ العربيّ القرشيّ الهاشميّ عبده ورسوله الذي أصطفاه
وأختاره ، ورفع بين النبيين والمرسلين مقداره ، وطهر قلبه وقَدّس أسراره ، وبلغه

من رِضاهُ أَخْيَارَهُ ، وأعطاهُ لِيَوَاءِ الشَّفَاعَةِ يَقْفُو آدَمَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ
 آثارَهُ ، وجعله أَقْرَبَ الرُّسُلِ مَكَانَةً وَأَرْفَعَهُمْ مَكَانًا . رسولُ الرَّحْمَةِ ، ونورُ الظُّلْمَةِ ،
 وإمامُ الرُّسُلِ الْأَيْمَّةِ ، الذي جمعَ له بينَ مَرْيَةِ السَّبْقِ ومَرْيَةِ التَّيْمَةِ ؛ وجعلَ طاعته
 مِنَ الْعَذَابِ الْمُقِيمِ أَمَانًا . صاحبُ الشَّفَاعَةِ التي تَوَمَّلْ ، والوسيلةُ التي إلى الله بها
 يُتَوَسَّلُ ، والدرجةُ التي لم يُؤْتَهَا الْمَلِكُ الْمُقَرَّبُ ولا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ ، والرتبةُ التي لم يُعْطِهَا
 اللهُ سِوَاهُ إِنْسَانًا . انتخبَهُ من أَشْرَفِ الْعَرَبِ أُمًّا وَأَبَا ، وَأَزْكَى الْبَرِيَّةِ طِينَةً وَأَرْفَعَهَا
 نَسَبًا ، وَابْتَعَنَهُ إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ عَجْمًا وَعَرَبًا ، وَمَلَأَ بُنُورَ دَعْوَتِهِ الْبَسِيطَةَ جَنُوبًا وَشَمَالًا
 وَمَشْرِقًا وَمَغْرِبًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الَّذِي آمَنْتَ بِهِ الْحَقُّ لَمَّا سَمِعْتَهُ وَقَالُوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا
 قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ . تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَتَبَيَانًا . فَصَدَعَ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرٍ مِنْ آخِثَارِ ذَاتِهِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْطَفَاهَا ، وَأَدَّى أَمَانَةَ اللهِ وَوَقَّاهَا ،
 وَرَأَى الْخَلَائِقَ عَلَى شَفَى الْمَتَأَلِّفِ فَتَلَّاهَا ، وَتَبَعَ أَدْوَاءَ الضَّلَالِ فَشَفَّاهَا ، وَمَحَا مَعَالِمَ
 الْجَهْلِ وَعَقَّاهَا ، وَشَادَ لِلْخَلْقِ فِي الْحَقِّ بُنْيَانًا . مُؤَيِّدًا بِالْمُعْجِزَاتِ التي حُجِّجُهَا تُقْبَلُ
 وَتُسَلِّمُ : فَمَنْ جَدَعَ لِرِاقِهِ يَتَأَلَّمُ ، وَجَمَادٍ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ يَتَكَلَّمُ ، وَجَيْشٍ شَكَا الظَّمَا
 فَفَجَّرَ لِيَدِيهِ الْمَعِينِ مِنْهُ بَنَانًا . وَأَيُّ مُعْجِزَةٍ كَكِتَابِ اللهِ الَّذِي لَا تَقْضِي عَجَائِبُهُ ،
 فَهُوَ الْيَمُّ وَالْعُلُومُ النَّافِعَةُ كُلُّهَا مَذَانُهُ ، وَأَفْقُ الْحَقِّ الَّذِي تَهْدِي فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 كَوَاكِبُهُ ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ التي أَصْبَحَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فُرْقَانًا . فَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ
 بِنُورِ رَبِّهَا وَأَيَاتِهِ ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ اللهِ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَبَلَغَ مُلْكُ أُمَّتِهِ
 مَا زَوَى لَهُ مِنْ أَقْطَارِ الْمَعْمُورِ وَجِهَاتِهِ ، حَتَّى عَمَرَ مِنْ أَكْوَافِ الْبَسِيطَةِ ، وَأَرِيفِ
 الْبِحَارِ الْمُحِيطَةِ ، وَهَادَا وَكُنَّابَنَا . وَنَقَلَتْ كُنُوزَ كَسْرَى بَعْزَ دَعْوَتِهِ الْغَالِبَةِ ، وَظَفِرَتْ
 بِفَلَجِ الْخِصَامِ أَيُّدِي عَزَائِمِهَا الْمُطَالِبَةِ ، وَأَصْبَحَ إِيوَانُ فَارَسِ مَجْرَمِ مَاحِ الْعَرَبِ
 الْعَارِبِ ، وَقَدَفَتْ جُنُودَ قَيْصَرَ مِنْ ذَوَائِلِهَا بِالشُّهْبِ الثَّاقِبِ ، حَتَّى فَرَّ عَنْ مَدْرَتِهِ الطَّيْبَةِ

أثبأ بالصَّفقة الخائبه، وخلصت إلى فسْطاطِ مصر بكتائبها المتعاقبه، فلا تسمع
الإذانب في إقامتهم إلا إقامةً وأذاناً . ولا دليل أظهر من هذا القَطْر الأندلسيِّ
الغريب الذي خلصت إليه سيوفها أثباج البحار، على بُعد المراحل ونزوح الديار،
وتكائف العمالات واختلاف الأمصار، ومُنقَطع العِارة بأفضى الشمال ومحط السِّفار،
طلعت عليه كلمة الله طُلوعَ النهار، وأستوطنته قبائل العرب الأحرار، وأرغمت فيه
أنوف الكُفار، ضراباً في سبيل الله وطعانا .

ولمَّا استقام الدين، وتمَّ معالم الإيمان الرسول الأمين، وظهر الحقُّ الميسن،
وراق من وجه المِلَّة الحنيفية السَّمحة الجيين، وأخذ المسالك والمآخذ الإفصاح
والتبين، وتفقرت المستندات المعتمدات سنةً وقرآناً، أشعره الوحي بالرحلة
عن هذه الدار، والانتقال إلى محلِّ الكرامة ودار القرار، وخيره الملكُ فاختار الرفيق
الأعلى موفقاً إلى كرم الاختيار، [و] وجد صحبه رضى الله عنهم في الاستخلاف بعده
والإيثار مجباً مشرقة الأنوار، أطلقت بالحق يدًا وأنطقت بالصدق لسانا .
صلَّى الله عليه وعلى آله وصحابه، وأسرته الطاهرة وعصابته، وأنصاره وأصحابه
وقرآته، الذين كانوا في معاضدته إخوانا، وعلى إعلاء إمرة الحقِّ أعوانا . نجوم
المِلَّة وأقمارها، وغيوثها الهامية وبحارها، وسيوفِ الله التي لا تثبوشقارها، وأعلام
الهدى التي لا تبلى آثارها، ودعائم الدين التي رفعت منه على البر والتقوى أركاناً .

وحياً لله وجوه حتى الأنصار بالنعيم والنضرة، أولى البأس عند الحفيظة والعفو
عند القدره، الراضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ويذهبوا برسولِ الله صلى الله
عليه وسلم فنعمت المتقبة والأثره، الحائزون ببيعة الرضوان فضلاً من الله ورضوانا .
ووزرائه وظهرائه في كل أمر، وخالصته يوم أحد وبدر، لم يزالوا صدرا في كلِّ

قَلْبَ وَقَلْبًا فِي كُلِّ صَدْرٍ ، يَصَلُونَ دُونَهُ كُلِّ جَمْرٍ ، وَيَفِدُونَهُ بِنُفُوسِهِمْ فِي كُلِّ سِرٍّ
 وَجَهْرٍ ، وَيَعْمَلُونَ فِي إِعْلَاءِ دِينِهِ بِيضًا عِضَابًا وَسُمْرًا لِدَانَا . صَلَاةٌ لَا تَزَالُ سَحَابَهَا
 ثَرَاهُ ، وَنَحِيَّةٌ دَائِمَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ ، مَا لَهَجَتْ الْأَلْسُنُ بِنَثَائِهِمْ ، وَوَقَفَتِ الْمَفَاحِرُ عَلَى عَلِيَّائِهِمْ ،
 وَتَعَلَّمَتِ الْمَوَاهِبُ مِنْ آلَائِهِمْ ، وَقَصُرَتِ الْحَامِدُ عَلَى مُسَمِّيَاتِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ ، وَكَانَ
 حُبُّهُمْ عَلَى الْفُوزِ بِالْحِنَةِ صَمَانًا .

وَسَأَلْتُكَ اللَّهُمَّ لِهَذَا الْأَمْرِ النَّصْرِيَّ الَّذِي سَبَّبَهُ بِسَبَبِهِمْ مُؤْصُولٌ ، وَهَمُّ لِفُرُوعِهِ
 السَّامِيَةِ أُصُولٌ ، فَيَالَهَا مِنْ نُصُولٍ خَلَقْتَهَا نُصُولٌ ، أَنْجَزْتَ وَعَدَّ النَّصْرَ وَهُوَ نَمَطُولٌ ،
 وَأَحْيَيْتَ رُبُوعَ الْإِيمَانِ وَهِيَ طُلُولٌ ، نَصْرًا عَزِيزًا وَقَتْحًا مَبِينًا ، وَتَأْيِيدًا عَلَى أَعْدَائِكَ
 وَتَمَكِينًا ، وَمُلْكًا بَاقِيًا فِي الْأَعْقَابِ وَأَعْقَابِ الْأَعْقَابِ وَسُلْطَانًا . وَأَعِنَّا اللَّهُمَّ عَلَى
 مَا أَوْجَبَتْ لَهُ مِنْ مَفْرُوضِ الطَّاعَةِ ، وَتَأْدِيَةِ الْحَقِّ بِجَهْدِ الْإِسْتِطَاعَةِ ، وَأَعْصِمْنَا
 بِبَيَّاتِنِهِ الْعَادِلَةِ مِنَ الْإِضَاعَةِ ، وَأَحْمِلْنَا مِنْ مَرْضَاتِهِ عَلَى سَنَنِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَاجْعَلْهَا
 كَلِمَةً بَاقِيَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ .

أَمَّا بَعْدَ مَا أَفْتَتِحُ بِهِ مِنْ تَحْمِيدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ ، وَالشَّاءِ الَّذِي تَتَعَطَّرُ الْأَنْدِيَّةُ بِتَرْيْدِهِ ؛
 فَإِنَّ مِنَ الْمَشْهُورِ الَّذِي يَعْبُضُهُ الْوُجُودُ وَيُؤَيِّدُهُ ، وَالْمَعْلُومِ الَّذِي هُوَ كَالشَّمْسِ ضَلَّ
 مِنْ يُنْكِرُهُ أَوْ يَجْحَدُهُ ، وَالذَّائِعِ بِكُلِّ قَطْرٍ تَرْوِيهِ رُؤَاةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُسْنِدُهُ ؛ مَا عَلَيْهِ هَذَا
 الْمَلِكُ النَّصْرِيُّ الْحَمِيُّ ، الْأَنْصَارِيُّ الْمُتَمَتِّعُ ؛ الَّذِي يُصِيبُ شَاكِلَةَ الْحَقِّ إِذَا رَمَى ،
 وَيَعْمُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ غَيْثُهُ مَهْمَا هَمِيَ ؛ مِنْ أَصَالَةِ الْأَعْرَاقِ ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ؛
 وَالْفَضْلِ الْبَاهِرِ الْإِشْرَاقِ ، وَالْجِهَادِ الَّذِي هُوَ سَمَرُ الرَّكْبِ وَحَدِيثُ الرَّفَاقِ ؛ وَأَنَّ قَوْمَهُ
 الْمُلُوكَ الْكِرَامَ إِنْ فُوجِرُوا بِنَسَبِ ذَكَرُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَمَجْدَهُ ، أَوْ كُوثِرُوا بَعْدَ غَلْبُوا
 بِاللَّهِ وَحَدَّهُ ، أَوْ اسْتَنْصَرُوا فَزَجُّوا كُلَّ شَدَّةٍ ، وَاسْتَظْهَرُوا مِنْ [عِزِّهِمْ] ^(١) الْمَوْهُوبِ ،

وَصَبْرُهُمْ عَلَى الخُطُوبِ ، بِكُلِّ عَدَدٍ وَعُدَّةٍ ؛ دَارَهُمُ النَّغْرُ الْأَقْصَى وَنِعْمَتِ الدَّارِ ،
وَشِعَارُهُمْ « لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ » وَنِعْمَ الشَّعَارُ ؛ زُهَادٌ إِذَا ذُكِرَ الدِّينُ ، أَسْوَدٌ إِذَا حَمِيَتْ
الْمِيَادِينُ ؛ جِبَالٌ إِذَا زَحَفَتِ الصُّفُوفُ ، بُدُورٌ إِذَا أَظْلَمَتِ الرَّجُوفُ ؛ غِيُوثٌ إِذَا
مُنِعَ الْمَعْرُوفُ ، أَفْرَادٌ إِذَا ذُكِرَتِ الْأُلُوفُ ؛ إِنْ بُوِيَعُوا فَاَلْمَلَاكَةُ وَفُؤِدُ [وَحَمَلَةُ الْعِلْمِ] ^(١)
وَحَمَلَةُ السَّلَاحِ شُهُودٌ ؛ وَإِنْ وَلَدُوا فَالسُّيُوفُ تَمَاضٍ ، وَالسُّرُوحُ مُهُودٌ ، وَإِنْ أَحْمَرُوا
لِلْعُدُوِّ فَالظُّلَالُ بُنُودٌ ، وَجُنُودُ السَّبْعِ الطَّبَاقِ جُنُودٌ ، وَإِنْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَسْهَرُوا جُفُونَهُمْ
فِي حِيَاطَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْجُفُونُ رُقُودٌ .

وَإِنَّ هَذَا الْقَطْرَ الَّذِي آتَيْتُ سَيْلَ الْفَتْحِ الْأَوَّلِ إِلَى نَاحِيَتِهِ ، وَأُجِيلَتْ قِدَاحُ
الْفُوزِ بِالذُّعُوةِ الْحَقِيقِيَّةِ عَلَى الْأَقْطَارِ فَأَخَذَ الْإِسْلَامُ بِنَاصِيَتِهِ ؛ كَانَ مِنْ فَتْحِهِ الْأَوَّلِ
مَاقِدُ عِلْمٍ ، حَسَبَ مَاسْطَرٍّ وَرُسْمٍ ؛ وَإِنَّ مُوسَى بْنَ نَصِيرٍ وَفَتَاهُ ، حَلَّ مِنْ فُرْضَةٍ بِمَجَازِهِ
مَحَلَّ مُوسَى وَفَتَاهُ ؛ وَحَلَّ الْإِسْلَامُ مِنْهُ دَارَ قَرَارٍ ، وَخِطَّةَ خَلِيقَةٍ بَارْتِيَادٍ وَأَخْتِيَارٍ ؛
وَبَلَدًا لَا يُحْصَى خَيْرُهُ ، وَلَا يُفْضَلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمِزِيَّةِ مَاعِدَا الْحَرَمَيْنِ غَيْرُهُ ؛ وَأَمْتَدَّتْ
الْأَيَّامُ حَتَّى تَأْتِيَ الْعُدُورُ لِرُوعَتِهِ ، وَخَفَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ صَرَعَتِهِ ؛ وَقَدَحَ فَأَوْرَى ،
وَأَعْضَلَ دَاوَاهُ وَأَسْتَشْرَى ، وَصَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْكُبْرَى ؛ فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَمَدَ
الدِّينِ مِنْهُمْ بِالْعُمْدَةِ الْوَثِيْقَةِ ، حُمَاةَ الْحَقِيقَةِ ، وَأُمَّةَ الْخَلِيقَةِ ، وَسُلَالَةَ مَفْتِيْحِي الْيَمَامَةِ
وَمَفْتِيْحِي الْحَدِيقَةِ ، لِأَجْهَازِ النَّصْلِ ، وَأَجْتَمَعَتْ مِنَ الدِّينِ الْفِرْعُ وَالْأَصْلُ ؛ لَكُنْهُمْ
أَتْتَدَبُوا إِلَى إِمْسَاكِ الدِّينِ بِهَا أَيْتِدَابًا ، وَوَصَلُوا لِلْإِسْلَامِ أَسْبَابًا ؛ وَتَنَاطَلَهَا مِنْهُمْ صَقْرُ
قَيْسِ الْخَزْرَجِ ، ذُو الْحُسَامِ الْمُضَرِّجِ ، وَالنَّاءِ الْمَوْرِجِ ؛ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَالِبُ بِاللَّهِ مُحَمَّدُ
أَبْنِ يُوسُفَ بْنِ نَصْرٍ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، الْمَتَدَبِّ لِإِقَامَةِ سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، قُدُوةُ الْمُلُوكِ
الْمُجَاهِدِينَ : نَصَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَتَقَبَّلَ جِهَادَهُ ، وَشَكَرَ دِفَاعَهُ عَنِ حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ

[وَجَلَادَهُ ، فَأَقْشَعَتِ الظُّلْمَةَ ، وَتَمَاسَكَتِ الأُمَّةُ ؛ وَكَفَّ العُدُوْ وَأَقْصَرَ ، وَرَأَى
الإِسْلَامُ بَيْنَ أَسْتَنْصَرَ ، وَأَسْتَبْصَرَ فِي الطَّاعَةِ] ^(١) مِنْ أَسْتَبْصَرَ ؛ وَهَبَّتْ بِنَصْرِ اللهِ
العَزَائِمُ ، وَكَثُرَتْ عَلَى العُدُوِّ الهَزَائِمُ ؛ وَتَوَارَتْهَا مُدْكَهَا وَلَدَا عَنْ أَبِ ، مُسْتَنْدِينَ
إِلَى عَدْلٍ وَبَدَلٍ وَبَسَالَةٍ وَجَلَالَةٍ وَحَسَبٍ ؛ تَتَّضِحُ فِي أَفْقِ الجَلَالِ نَجْمٌ سِيرِهِمْ هَادِيَةٌ
لِلسَّائِرِينَ ، وَتَفْرَقُ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ فِي اللهِ أَسْوَدُ العَرِينِ ؛ إِلَى أَنْ قَامَ بِالأَمْرِ وَسَطِي
سِنِّكَهُمْ ، وَبِرُكَّةٍ مُلْكِهِمْ ؛ الخَلِيفَةُ الواجِبُ الطَّاعَةِ بِالْحَقِّ عَلَى الخَلْقِ ، الشَّهِيرُ
الجَلَالَةِ وَالبَسَالَةِ فِي الغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، أَمِيرُ المُسْلِمِينَ بِوَجِبِ الحَقِّ ؛ سَاحِبُ أَذْيَالِ
العَقَافِ وَطَهَارِهِ ، السَّعِيدُ الإِيَالَةَ وَالإِمَارَةَ ، البَعِيدُ الغَارَةَ ؛ مَنْ دُعِيَ العُدُوُّ لِبَاسِ
حُسَامِهِ ، وَذُخِرَ الفَتْحُ الهَنِيءُ لِأَيَّامِهِ ؛ صَدْرُ المُلُوكِ المُجَاهِدِينَ ، وَكَبِيرُ الخُلَفَاءِ العَادِلِينَ ،
البَعِيدُ المَدَى فِي حِمَايَةِ الدِّينِ ؛ السَّعِيدُ الشَّهِيدُ ، أَبُو الوَلِيدِ ، ابْنُ المَوْلى الهَامِ الأَوْحَدِ ،
الرَّفِيعُ المَجْدُ ؛ الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ الأَعْلَى ، الرَّئِيسُ الكَبِيرُ الجَلِيلُ المُقَدَّسُ الأَرْضِي ؛
« أَبِي سَعِيدٍ » بِنِ ابْنِ الوَلِيدِ ، بِنِ نَصْرٍ . فَأَحْيَا رَحِمَهُ اللهُ مَعَالِمَ الكِتَابِ وَالسَّنَةِ ،
وَجَلَّى بُنُورَ عَدْلِهِ غِيَابَ الدُّجْنَةِ ؛ وَأَعَزَّ الإِسْلَامَ وَحَمَاهُ ، وَرَمَى ثَغْرَةَ الكُفْرِ فَأَضْمَاهُ ؛
قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ الطَّيِّبَ ، وَسَقَى لِحَدِّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ الغَمَامَ الصَّيِّبَ ؛ وَأَوْرَثَ المُلْكَ
الجِهَادِيَّ مِنْ وَدِهِ خَيْرَ مَلِكٍ قَبْلَتْ مِنْهُ كَفِّ ، وَأَسْتَدَارَ بِهِ مَوْكِبُ الجِهَادِ مُلْتَفًّا ؛
وَشَمَخَ بِجَدْمَتِهِ أَنْفَ ، وَسَمَّا إِلَى مَشَاهِدَتِهِ طَرْفَ ؛ وَتَأَرَّجَ مِنْ ذِكْرِهِ عَرَفَ ، وَجَرَى
إِلَى بَابِهِ حَرْفَ ؛ مَوْلَانَا المَلِكُ الهَامُ ، الخَلِيفَةُ الإِمَامُ ؛ مِنْ أَشْرَقَ بُنُورُ إِيَالَتِهِ الإِسْلَامِ ،
وَتَشَرَّفَتْ بِوَجُودِهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ؛ بَدُرُ المُلْكِ وَشَمْسُهُ ، وَسِرُّ الزَّمَانِ الَّذِي قَصُرَ عَنْ
يَوْمِهِ أَمْسُهُ ؛ الَّذِي أَشْتَهَرَ عَدْلُهُ ، وَبَهَرَ فَضْلُهُ ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِنَايَةُ رَبِّهِ ، وَكَانَ
الْخُضُوعَ لَهُ فِي سَلْمِهِ وَحَرْبِهِ ؛ مَوْلَانَا أَمِيرُ المُسْلِمِينَ ، وَقُدُوةُ المُلُوكِ المُجَاهِدِينَ وَالأئِمَّةِ

(١) الزيادة عن ريجانة الكتاب لأبن الخطيب وهي لازمة لاستقامة الكلام .

العارفين ؛ السعيد ، الشهيد ؛ الطاهر ، الظاهر ؛ الأوحى الهمام ، الخليفة الإمام
(أبو المحجج) رفع الله درجته في أوليائه ، وحشره مع الذين أنعم عليهم من أنبيائه
وشهادته ؛ فوضعت المسالك وبانت ، وأشرق المعاهد وأزدانت ؛ وشمل الصنع
الإلهي واللطف الخفي أقطار هذه الأمة حيث كانت . ولما اختار الله له
ما عنده ، وبلغ الأمد الذي قدره سبحانه حياته وحده ؛ وقبضه إليه مستغفرا لذنبه ،
مطمئنا في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربه ؛ كانما تأهب للشهادة
[فاختار] مكانها وزمانها ، وطهر بالصوم نفسه التي كرم الله شأنها ، وطيب روحها
وريحانها ؛ فوقعت آراء أرباب الشورى التي تصح الإمامة باتفاقها ، وتتعدد بعقد
ميثاقها : من أعلام العلم بقاعدة [ملكه] غرناطة حرمها الله تعالى التي غيرها لها تبع ،
ومحاة الإسلام الذين في آرائهم للدين والدنيا منتفع ؛ وخصان الثقات ، ووجوه
الطبقات ، على مبايعة وارث ملكه بحقه ، الحائز في ميدان الكمال وإحراز مال الإمامة
من الشروط وإللال خصل سببه ؛ كبير ولده ، وسابق أمده ؛ ووارث ملكه ،
ووسطى سلوكه ؛ وعماد قسطاطه ، وبدر الهالة من بساطه ؛ مولانا قمر العلياء ، ودرة
الخلفاء ، وفرع الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ؛ الذي ظهرت عليه مخايل
الملك ناشئا ووليدا ، وأستشعرت الأقطار به وهو في المهد أمانا وتمهيدا ؛ وأستشرف
الدين الحنيف فأتبع جيدا ، وأستأنف شبابا جيدا ؛ ناصر الحق ، وغياث الخلق ؛
الذي تميز بالسكينة والوقار ، والحياء المنسدل الأستار ، والبسالة المرهوبة الشفار ؛
والجود المنسكب الأمطار ، والعدل المشرق الأنوار ؛ وجمع الله فيه شروط الملك
والإختيار ، مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ؛ السلطان الفاضل ، والإمام العادل ؛ والهمام
الباسل ، الكريم الشامل ؛ شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصدره ؛ أمير المسلمين ،
وقرة أعين المؤمنين ، أبو عبد الله : وصل الله أسباب سعده ، كما حلّى أجياد

المنابر بالدعاء لمجده؛ وجعل جنود السماء من جنده، ونصره بنصره العزيز فما النصر إلا من عنده؛ ورأوا أن قد ظفرت بالعروة الوثقى أيديهم، وأمن في ظل الله رايحهم وغاديتهم، ودلت على حسن الخواتم مباديتهم؛ فتبادروا وأثألوا، وتجتروا في ملايس الأمن وأختالوا؛ وهبوا إلى بيعته تطيرهم أجنحة السرور، ويعلن أنطلاق وجوههم بانسراح الصدور؛ واجتمع منهم طوائف الخاصة والجمهور: ما بين الشريف والمشروف، والرؤساء أولى المنصب المعروف، وحملة العلم وحملة السيف، والأمناء ومن لديهم من الأوف، وسائر الكافة أولى البدار لمثلها والخفوف؛ فعدوا له البيعة الوثيقة الأساس، السعيدة بفضل الله على الناس، البريء عهدتها من الأرتياب والالتباس؛ الحائزة شروط الكمال، الماحية بنور البيان ظلم الإشكال؛ الضمينة حسن العقبي ونجح المال، على ما يوبع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن له من الصحابة والآل؛ وعلى السمع والطاعة، وملازمة السنة والجماعة؛ فأيديهم في السلم والحرب ردة ليد، وطاعتهم إليه خالصة في يومه وعدة؛ وأهواؤهم متفقة في حالي الشدة والرخاء، وعقودهم محفوظة على تدابير السراء والضراء؛ أشهدوا عليها الله وكفى بالله شهيدا، وأعطوا صفقات أيمانهم تثبيتا للوفاء بها وتأكيذا، وجعلوا منها في أعناقهم ميثاقا وثيقا وعهدا شديدا؛ والله عز وجل يقول: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. ومن أصدق من الله وعدا أو وعيدا. وهم قد بسطوا أيديهم يستزفون رحمة الله بالإخلاص والإتابة، وصرفوا وجوههم إلى من أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة؛ يسألونه خير ما يقضيه، والسير على ما يرضيه.

اللهم بآبك عند تقلب الأحوال عرفنا، ومن بحر نعمك العميمة أقرننا، وعفوك ستر من عيوبنا كل ما أجتحننا وأقرننا؛ ومن فضلك أغثتنا، وبعينك التي

لَاتتأَمُّ حُرْسَتَنَا وَحِمِيَّتَنَا [فَانصُرْ حِينَا وَأَرْحَمِ مِيَّتَنَا] ^(١) وَأَوْزِعْنَا شُكْرَ مَا أَوْلَيْتَنَا؛ وَأَجْعَلْ لَنَا الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِيمَا إِلَيْهِ هَدَيْتَنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّ قَطْرَنَا مِنْ مَادَّةِ الْإِسْلَامِ بَعِيدٌ ، وَقَدْ أَحْدَقَ بِنَا بِحَرْزِ زَاخِرٍ وَتَدْوِشِ شَدِيدٍ ، وَفِينَا أَيْمٌ وَضَعِيفٌ وَهَرِمٌ وَوَيْدٌ [وَأَنْتَ مَوْلَانَا وَنَحْنُ عَيْبِدُ .

اللَّهُمَّ مَنْ بَايَعْنَا فِي هَذَا الْعَقْدِ ^(١) فَاسْعِدْنَا بِمُبَايَعَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَكُنْ لَهُ حَيْثُ لَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ بَعْدَ اسْتِنْفَادِ جُهِدِهِ فِي التَّحْقِظِ وَاسْتِطَاعَتِهِ ؛ وَكُفِّ عَنْهُ كَفَّ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِ كُلِّمَا هَبَّتْ بِهِ رِيَّاحُ طَاعَتِهِ ؛ يَا مَنْ يُفْرِدُهُ الْعَبْدُ بِضِرَاعَتِهِ ، وَيُعَوِّذُ بِحِفْظِهِ مِنْ إِضَاعَتِهِ .

اللَّهُمَّ أَدْعِنَا حَقَّهِ فَإِنَّا لَا نَقْوَى عَلَى إِدَائِهِ ، وَتَوَلَّ عَنَّا شُكْرَ مَا حَمِدْنَا مِنْ سِيرَتِهِ وَسِيرَةِ آبَائِهِ ، وَأَحْمِلْهُ مِنْ تَوْفِيقِكَ عَلَى سَوَائِهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا إِلَيْهِ نَاطِرُونَ ، وَعَنْ أَمْرِهِ صَادِرُونَ ، وَإِلْإِنْجَازِ وَعْدِكَ فِي نَصْرٍ مِنْ يَنْصُرُكَ مَسْتَظِرُونَ ؛ فَاعِنْهُ عَلَى مَاقَلَدَتِهِ ، وَأَنْجِزْ لِدِينِنَا عَلَى يَدَيْهِ مَا وَعَدْتَهُ ؛ فَاقْدِرْ شَيْئًا مِنْ وَجَدِكَ ، وَلَا خَابَ مِنْ قَصْدِكَ ، وَلَا ضَلَّ مِنْ اعْتِمَادِكَ ، آمِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

وكتب الملاء المذكورون أسماءهم بخطوط أيديهم في هذا الكتاب ، شاهدة عليهم بما ألتزموه دنيا وديننا ، وسلكوا [منه] سبيلاً ميبناً ؛ وذلك في الثاني والعشرين لشوال من عام خمس وخمسين وسبعمائة .

قلت : وقد أخبر آخر هذه البيعة بأن المبايعين للسلطان تؤخذ خطوط أيديهم في كتاب البيعة شاهدة عليهم بما بايعوا عليه . والظاهر أن كتابة البيعة عندهم كما في مكاتباتهم في طومار واحد كبير متضابق السطور ، وأنه ليس له طرة بأعلاه كما في كتابة المصريين .

(١) الزيادة عن ريحانة الكتاب لأبن الخطيب .

الباب الثالث

من المقالة الخامسة في العهود، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معنى العهد)

العهد لفظ مشترك يقع في اللغة على ستة معانٍ :

أحدها - الأمان . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ .

الثاني - اليمين . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ .

الثالث - الحفظ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ " .

الرابع - الذمة . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ " .

الخامس - الزمان . ومنه قولهم : " كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ عَهْدِ فُلَانٍ " .

السادس - الوصية . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ ﴾ وهو المراد هنا .

قال الجوهري : ومنه اشتق العهد الذي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ ^(١) .

(١) بهامش الاصل هنا حاشية نصها «ولم سابع» وهو قولهم في الدعاء للكل بعد موته : سقى الله عهده

برحمته أى مكانه المدفون فيه يسقى بالرحمة . فصح أن يطلق على الزمان والمكان .

الفصل الثاني

(في بيان أنواع العهود ، وهي ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(عهود الخلفاء عن الخلفاء ، ويتعلق النظر به من ثمانية أوجه)

الوجه الأول

(في أصل مشروعيتها)

والأصل في ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضی الله عنهما ، أنه قيل لعمر عند موته "ألا تعهد؟" فقال: ألتجمل أمركم حيا وميتا؟ إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني^(١)، [يعني أبا بكر]: وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم". فأثبت استخلاف أبي بكر رضي الله عنه بذلك، مشيراً إلى ما روي: "أنه لما أشدَّ بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الوجد، أرسل إلى علي وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار، فقال: قد حضر ما ترون، ولا بد من قائم بأمركم، فإن شئتم استخرتم لأنفسكم، وإن شئتم استخرتكم لكم. قالوا: بن اختر لنا، فأمر عثمان فكتب عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (على ما سياتي ذكره) - فقال عمر: لا أطيق القيام بأمر الناس - فقال أبو بكر هاتوا سيني! وتهده فانقاد عمر، ثم دخل عليه طلحة فعاتبه على استخلاف عمر. فقال: إن عمر والله خير لكم وأتم شره، والله لو وليتكم لجلعت أنفك في فمك، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها. أتيتني وقد وكفت عينك، تريد أن تفتني عن ديني

(١) الزيادة من صحيح مسلم (ج ٢ ص ٨٠).

وَرَدَّنِي عَنْ رَأْيِي ، قُمْ لِأَقَامَ اللَّهُ رِجْلَكَ ، وَاللَّهِ لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ عَمَّصْتَهُ وَذَكَرْتَهُ بِسُوءٍ
لِلْأَلْحَقِّكَ بِمَحْضَاتٍ قُنَّةٍ حَيْثُ كُنْتُمْ تُسْتَعَوْنَ وَلَا تَرَوُونَ ، وَتَرَعُونَ وَلَا تَسْمَعُونَ ، وَأَنْتُمْ
بِذَلِكَ يَبْحُونُ رَاضُونَ ، فَقَامَ طَالِحَةٌ فَخَرَجَ .

قال العسكري : المحضات جمع تمضية ضرب من التبت ، والفئة أعلى الجبل .

قال الماوردي : وكان استخلاف أبي بكر رضي الله عنه عمر باتفاق من الصحابة
من غير تكبير فكان إجماعا .

وقد عهد عمر رضي الله عنه إلى ستة ، وهم عثمان ، وعلي ، وطليحة ، والزبير ،
وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وتركها شورى بينهم ، فدخلوا فيها
وهم أعيان العصر وأشرف الصحابة رضوان الله عليهم .

الوجه الثاني

(في معنى الاستخلاف)

قال البغوي رحمه الله في كتابه " التهذيب " في الفقه : الاستخلاف أن يجعله
خليفة في حياته ثم يحلّفه بعده . قال : ولو أوصى بالإمامة فوجهان : ^(١) لأنه يخرج
بالموت عن الولاية فلا يصح منه تولية الغير . وأستشكل الرافعي رحمه الله هذا
التوجيه بكل وصية ؛ وبأن ما ذكره من جعله خليفة بعده : إن أريد به استنابته
فلا يكون ذلك عهدا إليه بالإمامة . وإن أريد جعله إماما في الحال ، فهو :
إماما خلع نفس العاهد ، وإماما أجمع إمامين في وقت واحد . وإن أريد جعله خليفة
أو إماما بعد موته فهو الوصية من غير فرق .

(١) أي وأصحهما عنده عدم الجواز . بدليل التعليل .

قلت : وهذا جُنوحٌ من الرافعي رحمه الله إلى صحّة الخلافة بالوصية أيضا ،
(١) كما تصح بالإستخلاف .

الوجه الثالث

(فيما يجب على الكاتب مراعاته)

وأعلم أنه يجب على الكاتب أن يرعى في كتابة العهد بالخلافة أمورا :

منها - براءة الإستهلال بذكر ما يتفق له : من معنى الخلافة والإمامة
وأشتقاقيهما ، وحال الولاية ، ولقب العاهد والمعهود إليه ، ولقب الخلافة ، إلى غير
ذلك مما سبق بيانه في الكلام على البيعات .

ومنها - أن يُنبّه على شرف رتبة الخلافة ، وعُلُو قدرها ، ورفعة شأنها ، ومسيس
الحاجة إلى الإمام ، ودعاية الضرورة إليه ، ونحو ذلك مما سبق في البيعات أيضا .

ومنها - أن يُنبّه على اجتماع شروط الإمامة في المعهود إليه من حين صدور
العهد بها من العاهد ، فقد قال الماوردي : إنه تُعتبر شروط الإمامة في المعهود
إليه من وقت العهد ، حتى لو كان المعهود إليه صغيراً أو فاسقاً وقت العهد وبالغا
[عدلاً] عند الموت ، لم تصح خلافته حتى يستأنف أهل الاختيار بيعته . قال
الرافعي رحمه الله : وقد يُتوقّف في هذا . قال النووي رحمه الله في "الروضة" :
لاتوقّف . والصواب ما قاله الماوردي .

ومنها - أن يُنبّه على اجتهاد العاهد وتروى نظره في حقبة المعهود إليه : فقد
قال الماوردي : وإذا أراد الإمام أن يعهد بالإمامة ، فعليه أن يُجهد رأيه في الأحق
بها ، والأقوم بشروطها ؛ فإذا تعيّن له الاجتهاد في أحد ، عهد إليه .

(١) في الأصول كما لا تصح الخ والظاهر أن « لا » زائدة من النسخ تأمل .

ومنها — أن يُسِير إلى تقدّم الاستخارة على العهد ، وأنّ استخارته أدته إلى المعهود إليه ؛ فإنّ الاستخارة أمرٌ مطلوب في كل أمر ، خصوصاً أمر المسلمين وعموم الولاية عليهم ، فإنّ اختيار الله للخلق خيرٌ من اختيارهم لأنفسهم ، والله يقول الحق وهو يهتدي السبيل .

ومنها — أن يَبَّه على أنّ عهده إليه بعد مشورة أهل الاختيار ومراجعتهم في ذلك ، وتصويهم له ، خروجاً من الخلاف . فقد حكى الرافعي رحمه الله وجهين فيما إذا كان المعهود إليه أجنبيّاً من العاهد ليس بولّد ولا والدٍ : هل يجوز أن ينفرد بعقد البيعة له وتفويض العهد إليه ولا يستشير فيه أحداً؟ أمّحهما الجواز: لأنّ العهد إلى عمر رضى الله عنه لم يُوقَف على رضا الصحابة رضوان الله عليهم ، ولأنّ الإمام أحقُّ بها ، فكان اختياره فيها أمضى ، وقوله فيها أنفذ .

وحكى الماورديّ في جواز أفراد العاهد بالبيعة فيما إذا كان المعهود إليه والدّاً أو ولداً ثلاثة مذاهب :

أحدها — ما اقتصر الرافعي رحمه الله على نسبته إلى الماورديّ ، ومقتضى كلامه ترجيحه : أنه يجوز الأفراد بعقدّها للولّد والوالد جميعاً : لأنه أمير للأمة نافذ الأمر لهم وعليهم ؛ فغلب حكم المنصب على حكم النسب ؛ ولم يجعل للتّهمة طريقاً على أمانته ، ولا سبيلاً إلى معارضته .

والثاني — أنه لا يجوز أفرادها بها لولّد ولا والد حتى يُساور فيه أهل الاختيار فيرونه أهلاً لها ، فيصحّ منه حينئذ عقد البيعة : لأن ذلك [منه] تركية [له] تجرى مجرى الشهادة ، وتقليده على الأمة يجري مجرى الحكم ؛ والشهادة والحكم ممنعان من الولد والوالد للتّهمة ، لما جيل عليه من الميل إليهما .

والثالث — أنه يجوز أن ينفرد بعقد البيعة لوالده دون ولده : لأنَّ الطبع إلى الولد أميل ؛ فأما عقدها لأخيه وغيره من الأقارب والمناسيين فكتمقدها للأجانب في جواز الأنفراد بها .

ومنها — أن يئنه على العلم بحياة المعهود إليه ووجوده إن كان غائبا . فقد قال الماوردي : إنه لو عهد إلى غائب مجهول الحياة لم يصح عهده ، وإن كان معلوم الحياة صح ، ويكون موقوفا على قدومه .

ومنها — أن يئنه على أن المعهود إليه منصوص عليه بمفرده ، أو وقع العهد شورى في جماعة وأفضت الخلافة إلى واحد منهم بإخراج الباقي أنفسهم منها ، أو اختيار أهل الحل والعقد أحدهم : إذ يجوز للخليفة أن يعهد إلى اثنين فأكثر من غير تقديم البعض على البعض ؛ ويختار أهل الاختيار بعد موته واحداً من عهد إليه : فإنَّ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه جعلها شورى في ستة ، فقال : الأمر إلى عليّ وبازائه الزبير بن العوام ؛ وإلى عثمان وبازائه عبد الرحمن بن عوف ؛ وإلى طلحة وبازائه سعد بن أبي وقاص . فلما توفى عمر رضى الله عنه ، جعل الزبير أمره إلى عليّ ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان ، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف ؛ فخرج منها ثلاثة ، وبقيت شورى في عثمان وعليّ ؛ ثم بايع عليّ عثمان . والمعنى في الشورى انه لا يجوز أن يجعل الإمامة بعد العاهد في غير المعهود إليهم .

ومنها — أن يئنه على عدد المعهود إليهم وترتيبهم إن كان قد رتب الخلافة في أكثر من واحد ، إذ يجوز أن يعهد إلى اثنين فأكثر على الترتيب . فلورتب

(١) أي بعد أن أخرج عبد الرحمن منها نفسه . وفي كتاب الأحكام السلطانية للواردى فصارت الشورى بعد الستة في هؤلاء الثلاثة ونرج منها أولئك الثلاثة ثم بعد الثلاثة في اثنين على عثمان .

الخِلافةَ في ثلاثةٍ مثلاً - فقال : الخليفةُ بعدى فلان ، فإذا مات ، فالخليفةُ بعدهُ فلان ؛ [فإذا مات فالخليفةُ بعدهُ فلان] ^(١) كانت الخِلافةُ منتقلةً إليهم على ما رتبها . ففي صحيح البخارى من روايةِ ابنِ عمر رضى الله عنهما ” أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم استخلفَ على حَيْشِ مُؤْتَةَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ - وقال : إن أُصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فإن أُصِيبَ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُوَاحَةَ ، فإن أُصِيبَ فَلِيْرْتِضِ الْمَسَامُونَ رُجُلًا ، فَتَقَدَّمَ زَيْدٌ فَقُتِلَ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ وَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُوَاحَةَ وَتَقَدَّمَ فَقُتِلَ ، فَأَخْتَارَ الْمَسَامُونَ بَعْدَهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ” . قال الماوردى : وإذا جاز ذلك في الإمارة جاز مثله في الخِلافةِ . قال : وقد عمِلَ بِذَلِكَ في الدولتين من لم يُنكر عليه أحدٌ من علماء العصر :

فعهد سليمانُ بنُ عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ؛ ثم بعده إلى يزيد بن عبد الملك ، وأقره عليه من عاصره من الناس ، ومن لا تأخذه في الله لومةُ لائم .
ورتبها الرشيدُ في ثلاثةٍ من بينه : الأمين ، ثم المأمون ، ثم المؤمن ، من غير مشورةٍ من عاصره من فضلاء العلماء .^(٢)

ولو قال العاهد : عهدتُ إلى فلان ، فإن مات فلانٌ بعد إفضاء الخِلافةِ إليه ، فالخليفةُ بعدهُ فلان ، لم تصحَّ خلافةُ الثانى ، ولم ينعقدَ عهدُهُ بها : لأنه لم يعهدْ إليه في الحال ، وإنما جعله ولىَّ عهده بعد إفضاء الخِلافةِ إلى الأول ، وقد يموت قبل إفضائها إليه فلا يكون عهدُ الثانى بها مُتبرِّما .

ومنها - أن يُنبهَ على أن صدورَ العهدِ في حال نُفوذِ أمرِ العاهدِ وجوازِ تصرفه ، فإنه لو أراد ولىَّ العهدِ قبل موتِ العاهدِ أن يُردَّ ما إليه من ولايةِ العهدِ إلى غيره

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٠ ويظهر أنها سقطت من قلم الناسخ .

(٢) في ” الأحكام السلطانية ” عن مشورة الخ حرر .

لم يُجْزَ: لأنَّ الخلافة لا تستقرُّ إلا بعد موت المستخلف . وكذا لوقال : جعلته ولىّ عهدٍ إذا أفضتِ الخلافةُ إلىّ لم يُجْزَ: لأنه ليس في الحال بخليفة، فلم يصحَّ عهدُه بالخلافة .

ومنها — أن يُنبّه على قبول المعهود إليه العهدَ، فإنه إذا عهد الإمام بالخلافة إلى من يصحُّ العهدُ إليه على الشروط المعتبرة فيه، كان العهدُ موقوفاً على قبول المعهودِ إليه: فإن قبل صحَّ العهدُ وإلا فلا، حتى لو امتنع من القبول بوسع غيره . والعبرة في زمن القبول بما بين عهد العاهد وموته على الأصح، لتنتقل عنه الإمامة إلى المعهود إليه مستقرّةً بالقبول المتقدم . وقيل: إنما يكون القبول بعد موت العاهد: لأنه الوقت الذي يصحُّ فيه نظرُ المعهودِ إليه .

ومنها — أن يُورد من وصايا العاهد للمعهود إليه ما يليق به . وقد ذكر الماوردي أن الذي يلزمه من أمور الأئمة عشرة أشياء :

أحدها — حفظُ الدين على أصوله المستقرّة، وما أجمع عليه سلف الأئمة، وأنه إن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجّة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحُدود: ليكون الدين محروساً من الخلل، والأئمة ممنوعة من الزلل .

الثاني — تنفيذُ الأحكام، بين المتشاجرين، وقطعُ الخصام، بين المتنازعين، حتى تمَّ النصفَةُ فلا يتعدى ظالم ولا يَضْعِفُ مظلوم .

الثالث — حمايةُ البيضة، والدبُّ عن الحرم: ليتصرّف الناس في المعاش، وينتشرُوا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال .

الرابع — إقامة الحدود لتُصان محارمُ الله تعالى عن الإتيانك ، وتُحفظ حقوقُ عباده من الإلتلاف والاستهلاك .

الخامس — تحصين الثغور بالعدة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا يظفر الأعداءُ بفترةٍ ينتهكون بها محرماً ، أو يسفكون فيها لمسلمٍ أو معاهدٍ دماً .

السادس — جهادٌ من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يُسلم أو يدخل في الذمة : ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله .

السابع — جبايةُ الفئء^(١) والصدقاتِ على ما أوجبه الشرعُ نصّاً وأجتهدا من غير حيف ولا عسف .

الثامن — تقدير العطاء وما يُستحقُّ في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

التاسع — استكفاءُ الأمتناء ، وتقليدُ النُصحاء ، فيما يفوضه [إليهم من الأعمال]^(٢) ويكله إليهم من الأموال : لتكون الأعمالُ بالكفاة مضبوطة ، والأموالُ بالأمتناء محفوظة .

العاشر — أن يُباشرَ بنفسه مُشاركةً الأمور وتصفّح الأحوال : لينهضَ بسياسة الأمة ، وحراسة الملة ؛ ولا يعول على التفويض تشاعلاً بلذّة أو عبادة ، فقد يخون الأمين ويغش الناصح . وقد قال تعالى : ﴿ يَادَاؤُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . فلم يقتصر الله

(١) يطلق الفئء على الغنيمة والخراج والمراد هنا الثاني .

(٢) الزيادة من "الأحكام" .

تعالى على الفويض دون المباشرة ، بل أمره بمباشرة الحكم بين الخلق بنفسه .
وقد قال صلى الله عليه وسلم : ” كُلكم راعٍ وكُلكم مسئولٌ عن رعيته “ ولله درُّ
محمد بن يزيد وزير المأمون ، حيث قال مخاطباً له :

مَنْ كَانَ حَارِسَ دُنْيَا إِيَّاهُ فَنَنْ * أَنْ لَا يَنَامَ وَكُلَّ النَّاسِ تُؤَامُ !

وَكَيفَ تَرُقُدُ عَيْنَا مَنْ تَضَيَّفَهُ * هَمَّانِ مِنْ أَمْرِهِ : حَلٌّ وَإِبْرَامُ !

وحيثذا فيجب على الكاتب أن يضمّن هذه الأمور العشرة في وصايا المعهود إليه . وقد ذكر المقرّ الشهابي بن فضل الله في ” التعريف “ في وصية وليّ العهد بالخلافة ومن في معناه من الملوك وولاة عهدهم هذه الأمور ممتزجةً بأمر أخرى من مهمّات الملك وحسن تديره وسياسته .

قلت : إننا يحسن إيراد هذا كله في وصايا ولّاة العهد إذا كان الأمر على ما كانت الخلافة عليه أولاً من عموم التصرف ؛ أما الآن فالواجب أن يقتصر في وصاياهم على حسن التأتي في العهد بالسلطنة لمن يقوم بأعبائها ، وأن يكون ماتقدّم مختصاً بوصايا الملوك في العهود عن الخلفاء .

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرة ، وهو تلخيص ما يتضمنه العهد)

وهذه نسخة طرة أنشأتها لينسج على منوالها ، وهي :

هذا عهد إمامي قد علّت جدوده ، وزاد في الارتقاء في العلياء صعوده ، وفصلت
بالجواهر قلائده ونظمت بنفيس الدرّ عهوده . من عبد الله ووليه الإمام المتوكل

على الله أبي عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر، بالخلافة المقدسة، لولده السيد الجليل ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين، أبي الفضل العباس : بلغه الله فيه غاية الأمل ، وأقرب به عين الأمة كما أقرب به عين أمير المؤمنين وقد فعل على ما شرح فيه .

الوجه الخامس

(فيما يكتب لأولياء العهد من الألقاب)

[وهو] كما سيأتي في الطريقة الثانية من المذهب الأول مما يكتب في متن العهد من كلام المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " أنه يقال فيه : الأمير السيد الجليل ، ذخيرة الدين ، وولي عهد المسلمين ، أبي فلان فلان . وفي المذهب الثالث فيما كتب به للمستوفى بن المستكفي ما يوافق ، وقد تقدم أنه لا يقع في ألقابهم إطناب ، ولا تعدد ألقاب ، فليقتصر على ذلك أو ما يشابهه .

الوجه السادس

(فيما يكتب في متن العهد ، وفيه ثلاثة مذاهب)

المذهب الأول

(أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا »)

مثل : « هذا ما عهد به فلان لفلان » أو « هذا عهد من فلان لفلان » أو « هذا كتاب آكتبه فلان لفلان » ونحو ذلك .

وللكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى

(طريقة المتقدمين)

وهي أن لا يأتي بحُطبة في أثناء العهد، ولا يتعرّض إلى ذكر أوصاف المعهود إليه والثناء عليه، أو يتعرّض لذلك باختصار؛ ثم يأتي بالوصايا؛ ثم يختتمه بالسلام أو بالدعاء أو بغير ذلك مما يناسب. وعلى ذلك كانت جهود السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، أتباعاً للصديق رضي الله عنه فيما كتب به لعمر بن الخطاب، كما تقدمت الإشارة إليه في الاستشهاد.

ونسخته فيما رواه البيهقي في "السنن" وأقتصر عليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل".

«هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن برّ وعدل فذلك ظني به، وإن بدل أو غير فلا علم لي بالغيب، والخير أردت بكم، ولكل أمري ما آتسب من الإثم: (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب يتقلبون)».

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" عن المدائني أنه حين دعا عثمان ابن عفان رضي الله عنه لكتابة العهد بالخلافة بعده قال: آتسب «هذا ما عهد أبو بكر بن أبي حنيفة في آخر عهده بالدنيا [نازحاً عنها] وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يتوب الفاجر، ويؤمن الكافر، ويصدق الكاذب؛ وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وقد استخلف» - ثم دهّمته غشية فكتب عثمان: «عمر بن الخطاب». فلما أفاق، قال: أكتبت شيئاً؟ قال نعم عمر.

(١) الزيادة من كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة.

ابن الخطاب . قال : « رَحِمَك اللهُ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ كَذَبْتَ نَفْسَكَ لَكُنْتَ أَهْلًا لَهَا ، أَكْتُبُ قَدْ اسْتَخْلَفَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَرَضِيَهُ لَكُمْ ، فَإِنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِ وَرَأْيِي فِيهِ ، وَإِنْ بَدَلَ فَلِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ ، وَالْخَيْرُ أَرَدْتُ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ : (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) » .

وعلى هذه الطريقة كُتِبَ عَهْدُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْخِلاَفَةِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
وهذه نسخته فيما ذكره أَبُو قَتَيْبَةَ فِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ :

هَذَا مَا عَهَدَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ .
عَهَدْتُ أَنَّهُ يَشْهَدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ؛ وَأَنْ مَجِّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعَثَهُ إِلَيَّ مُحْسِنِي عِبَادِهِ بِشِيرَا ، وَإِلَى مُدُنِيهِمْ نَذِيرًا . وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ حَقًّا : خَلَقَ الْجَنَّةَ رَحْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ أَطَاعَهُ ، وَالنَّارَ نِقْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ عَصَاهُ ؛ وَأَوْجَبَ الْعَفْوَ جُودًا وَكَرَمًا لِمَنْ عَفَا عَنْهُ . وَأَنَّ سُلَيْمَانَ مُقَرَّرٌ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَبِمَا تَعَلَّمَهُ نَفْسُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ؛ مُوجِبًا عَلَى نَفْسِهِ اسْتِحْقَاقَ مَا خَلَقَ مِنَ النَّقْمَةِ ، رَاجِيًا لِنَفْسِهِ مَا خَلَقَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَعَوْدًا مِنَ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَأَنَّ الْمَقَادِيرَ كُلَّهَا خَيْرٌهَا وَشَرُّهَا مَقْدُورَةٌ بِإِرَادَتِهِ ، مَكُونَةٌ بِتَكْوِينِهِ ؛ وَأَنَّهُ الْهَادِي فَلَا مُغْوِيٍّ وَلَا مُضِلٍّ لِمَنْ هَدَاهُ وَخَلَقَهُ لِرَحْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ يُفْتَنُ الْمَيِّتَ فِي قَبْرِهِ بِالسُّؤَالِ عَنْ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَى أُمَّتِهِ ، لَا مُنْجِيٍّ لِمَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا لِمَنْ اسْتَنْثَاهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عِلْمِهِ . وَسُلَيْمَانُ يُسْأَلُ اللَّهُ الْكَرِيمَ بِوَسْطِهِ فَضْلَهُ ، وَعَظِيمَ مَنِّهِ ، الثَّبَاتَ عَلَى مَا سَرَّ وَأَعْلَنَ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِّهِ وَحَقِّ نَبِيِّهِ عِنْدَ

(١) كذا في الأصول بالنصب وكذلك وقع في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة .

(٢) في كتاب الامام والسياسة لابن قتيبة «خيرها وشرها من الله وأنه هو الهادي الخ» .

مَسْأَلَةٌ رُسُلِهِ ؛ وَالنَّجَاةَ مِنْ هَوْلِ فِتْنَةِ قَتَائِيهِ . وَيَشْهَدُ أَنَّ الْمِيزَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ يَقِينٌ ، يَزِنُ سَيِّئَاتِ الْمَسِيئِينَ ، وَحَسَنَاتِ الْمُحْسِنِينَ : لِيُرَى عِبَادَهُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ ، مَا أَرَادَهُ مِنَ [الْخَيْرِ] لِعِبَادِهِ بِمَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسِبُونَ ؛ وَأَنَّ مِنْ ثَقَلَتِ مَوَازِينِهِ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَئِذٍ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنَّ حَوْضَ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْمَوْقِفِ لِلْعَرَضِ حَقٌّ ، وَأَنَّ عِدَدَ آيَاتِهِ كَعُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَسَلِيمَانَ يَسْأَلُ اللَّهُ بِوَسْطِهِ رَحْمَتَهُ أَنْ لَا يُرَدَّهُ عَنْ حَوْضِ نَبِيِّهِ عَطْشَانَ . وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّنَا ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ بَعْدَهُمَا حَيْثُ الْخَيْرُ وَفِيْمَنْ الْخَيْرُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ . وَأَنَّ هَذِهِ الشَّهَادَةُ كُلُّهَا الْمَذْكُورَةَ فِي عَهْدِهِ هَذَا يَعْلَمُهَا اللَّهُ مِنْ سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ وَعَقْدِ ضَمِيرِهِ ، وَأَنَّهُ بِهَا عَبْدٌ رَبِّهِ فِي سَالِفِ أَيَّامِهِ وَمَاضِي عُمْرِهِ ، وَعَلَيْهَا أَتَاهُ يَقِينٌ رَبُّهُ ، وَتَوَفَّاهُ أَجَلُهُ ، وَعَلَيْهَا يُبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَأَنَّ سَلِيمَانَ كَانَتْ لَهُ بَيْنَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ بَلَايَا وَسَيِّئَاتٌ ^(١) لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنْهَا تَحِييدٌ وَلَا بَدَأٌ ، جَرَى بِهَا الْمَقْدُورُ مِنَ الرَّبِّ النَّافِذُ إِلَى إِتْمَامِ مَا حَدَّثَ ؛ فَإِنْ يَعْفُ وَيَصْفَحُ فَذَلِكَ مَا عَرَفَ مِنْهُ قَدِيمًا وَنُسِبَ إِلَيْهِ حَدِيثًا ، وَتِلْكَ صِفَتُهُ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الصَّادِقِ ، وَكَلَامِهِ النَّاطِقِ ؛ وَإِنْ يُعَاقِبُ وَيَنْتَقِمُ فَبِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَأَنَّ سَلِيمَانَ يُخْرِجُ عَلِيَّ مِنْ قَرَأِ عَهْدِهِ هَذَا وَسَمِعَ مَا فِيهِ مِنْ حِكْمَةٍ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَبِمَجْدِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ؛ وَأَنْ يَدْعَ الْإِحْنَ الْمُضْغَنَةَ ، وَيَأْخُذَ بِالْمَكَارِمِ الْمُدْجَنَةِ ؛ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ بِالضَّمِيرِ النَّصُوحِ وَالِدُّعَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالصَّفْحِ الصَّرِيحِ ؛ يَسْأَلُهُ الْعَفْوَ عَنِّي ، وَالْمَغْفِرَةَ لِي ، وَالنَّجَاةَ مِنْ فَرَجِي وَالْمَسْأَلَةَ فِي قَبْرِي ، لَعَلَّ الْوُدُودَ ، أَنْ يَجْعَلَ مِنْكُمْ مُجَابَ الدَّعْوَةِ بِمَا مِنْ اللَّهِ عَلَيَّ

(١) في كتاب الامامة والسياسة « لم يكن له عنها محيص ولا دونها مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ

في محكم الوحي فان يعف « الخ .

من صَفْحِه يَعُودُ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ. وَأَنَّ وُلِيَّ عَهْدِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
 وَصَاحِبَ أَمْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فِي جُنْدِهِ وَرِعِيَّتِهِ وَخَاصَّتِهِ وَعَامَتِهِ؛ وَكُلٌّ مِنْ أَسْتَخْلَفَنِي
 اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْتَرْعَانِي النَّظَرَ فِيهِ، الرَّجُلُ الصَّالِحُ «عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ» بْنِ مَرْوَانَ
 أَبْنِ عُمِّي، لَمَّا بَلَّوْتُ مِنْ بَاطِنِ أَمْرِهِ وَظَاهِرِهِ، وَرَجَوْتُ اللهُ بِذَلِكَ [وَأَرَدْتُ]
 رِضَاهُ وَرَحْمَتَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ. ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ تُسَلَّمُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
 إِنْ بَقِيَ بَعْدَهُ، فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا وَلَا أَطَّلَعْتُ لَهُ عَلَى مَكْرُوهٍ. وَصِغَارِ وَلَدِي
 وَكِبَارِهِمْ إِلَى عُمَرَ، إِذْ رَجَوْتُ أَنْ لَا يَأْلُوهُمْ رَشْدًا وَصَلَاحًا؛ وَاللهُ خَلِيقَتِي عَلَيْهِمْ وَعَلَى
 جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَسَالِمِينَ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛ وَأَقْرَأُوا وَعَهْدِي عَلَيْكُمْ السَّلَامَ وَرَحْمَةَ
 اللهُ. وَمَنْ أَبِي أَمْرِي هَذَا أَوْ خَالَفَ عَهْدِي هَذَا - وَأَرْجُو أَنْ لَا يَخَالَفَهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةٍ
 مَعْدٍ - فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ يُسْتَعْتَبُ؛ فَإِنْ أَعْتَبَ وَإِلَّا فَإِنِّي لَمَنْ صَاحِبُ (؟) عَهْدِي فِيهِمْ
 بِالسَّيْفِ وَالسَّيْفِ وَالْقَتْلِ وَالْقَتْلَ، فَانْهَمُ مُسْتَوْجِبُونَ لَهُمْ، وَهُمْ لِهَيْبَتِهِ مَلْقُحُونَ، وَاللهُ
 الْمُسْتَعَانَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ التَّقْدِيمِ الْإِحْسَانَ.

تَمَّ ذَلِكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَوَاتِهِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.



وَعَلَى نَحْوِ مَنْ ذَلِكَ كَتَبَ الْمَأْمُونُ الْعَبَّاسِيُّ عَهْدَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الْعَلَوِيِّ (الْمَعْرُوفِ
 بِالرِّضِيِّ) بِالْخِلاَفَةِ بَعْدَهُ.

وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ فِيمَا ذَكَرَ صَاحِبُ الْعِقْدِ :

هَذَا كِتَابُ كَتَبَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِيَدِهِ، لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ
 جَعْفَرٍ وَوَلِيِّ عَهْدِهِ.

(١) فِي كِتَابِ الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ «وَالْأَفَالِسِيفِ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ» وَهِيَ وَاضِحَةٌ.

أما بعد، فإن الله عز وجل أصطفى الإسلام ديناً، وأصطفى له من عباده رُسلًا
 دالّين عليه، وهادين إليه، يبشّر أولهم بأحريمهم، ويصدقّ عليهم ما ضيّمهم؛ حتى أتته
 نبوة الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرُّسل، ودروس من العلم، وأنقطاع
 من الوحي، وأقتراب من الساعة؛ فحتم الله به النبيين وجعله شاهدًا لهم، ومهيّئًا
 عليهم؛ وأنزل عليه كتابه العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
 تَتْرِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. فأحلّ وحرّم، ووعد وأوعد؛ وحذر وأندّر، وأمر به
 ونهى عنه: لتكون له المحجة البالغة على خلقه: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيْتِنَا، وَيَجِيءَ
 مَنْ حَىَّ عَنِ بَيْتِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما
 أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهاد والغلظة
 حتى قبضه الله إليه، وأختار له ما عنده صلى الله عليه؛ فلما أنقضت النبوة وختم
 الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحي والرسالة، جعل قوام الدين، ونظام أمر
 المسلمين، بالخلافة وإتمامها وعزّها، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تقام بها
 فرائض الله وحدوده، وشرائع الإسلام وسننه، ويجاهد بها عدوه. فعلى خلفاء الله
 طاعته فيما استحفّظهم وأسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المساميين طاعة خلفائهم
 ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله، وأمن السبيل وحقن الدماء، وصلاح ذات
 البين، وجمع الألفة؛ وفي إخلال ذلك أضطراب حبل المسلمين واختلالهم،
 واختلاف ملتهم، وقهر دينهم، وأستعلاء عدوهم، وتفرق الكلمة، وخسران الدنيا
 والآخرة. فحق على من أستخلفه الله في أرضه، وأئمنه على خلقه [أن] يؤثّر ما فيه
 رضا الله وطاعته وبعد [ل] فيما الله وأفقّه عليه وسائله عنه، ويحكم بالحق ويعمل
 بالعدل فيما حمّله الله وقلّده؛ فإن الله عز وجل يقول لنبيه داود عليه السلام:

(يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) . وقال عز وجل : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْتَنَّهُمْ أَحْمِيْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .
وبلغنا أن عمر بن الخطَّاب قال : « لو ضاعت سَخْلَةٌ بِجَانِبِ الْفُرَاتِ لَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهَا » . وآيمُ الله إنَّ المسئولَ عن خاصَّةِ نفسه ، الموقوفَ على عمله ، فيما بينَ الله وبينه ، لمُتعرِّضٌ لأمر كبير ، وعلى خَطَرٍ عَظِيمٍ ، فكيف بالمسئول عن رعاية الأُمَّة ؛ وبالله التَّكْفُؤُ ، وإليه المَفْزَعُ والرَّغْبَةُ في التوفيق مع العِصْمَةِ ، والتَّسَدِيدِ والهدايةِ إلى ما فيه ثُبُوتُ الحُجَّةِ ، والفوزُ من الله بِالرِّضْوَانِ والرَّحْمَةِ . وأنظُرُ الأُمَّةَ لنفسه ، وأنصَحْهُمْ في دينه وعبادته وخلافته في أرضه ، مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَكُتِبَ وَسَنَةٌ نَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَدَّةِ أَيَّامِهِ ؛ وَأَجْتَهَدَ وَأَجْهَدَ رَأْيَهُ وَنَظَرَهُ فِيمَنْ يُؤَلِّيهِ عَهْدَهُ ، وَيَخْتَارُهُ لِإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ وَرِدَائِمِهِ بَعْدَهُ ؛ وَيُنْصِبُهُ عَلَمًا لَهُمْ ، وَمَفْرَعًا فِي جَمْعِ أُمَّتِهِمْ ، وَلَمْ شَعْنِهِمْ ، وَحَقَّنْ دِمَائِهِمْ ، وَالْأَمْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ فُرْقَتِهِمْ ، وَفَسَادِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ ، وَرَفَعْ نَزْعَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ عَنْهُمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْعَهْدَ بِالْخِلَافَةِ مِنْ تَمَامِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَكِبَالِهِ وَعِزِّهِ وَصَلَاحِ أَهْلِهِ ؛ وَأَهْمُ خَلْفَاءَهُ مِنْ تَوْسِيئِهِ لِمَنْ يَخَارُونَهُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَظُمَتْ بِهِ الْعَمَّةُ ، وَسَمَّيْتِ مِنْهُ الْعَافِيَةَ ، وَنَقَضَ اللَّهُ بِذَلِكَ مَرَّ أَهْلَ الشُّقَاقِ وَالْعَدَاوَةِ وَالسَّعْيِ فِي الْفُرْقَةِ وَالرَّفْضِ لِلْفِتْنَةِ ؛ وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذُ أَقْضَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ فَاخْتَبَرَ بِشَاعَةَ مَدَاقِئِهَا ، وَثَقَلَ بِحَمَلِهَا وَشَدَّةِ مَسْوَمِهَا ؛ وَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ تَقَلَّدَهَا مِنْ أَرْتِبَاطِ طَاعَةِ اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ فِيمَا حَمَلَهُ مِنْهَا ؛ فَأَنْصَبَ

(١) في اللسان ج ٧ ص ١٥ « المرفطح الميم الحبل » .

(٢) أي تركها تسيير في الناس ، ففي اللسان الرفض أن يطرد الرجل عنه وابله إلى حيث هوى فاذا بلغت لها عنها وتركها .

(٣) لعله ناظرًا فيها بما يقتضيه منصبها وما يجب الخ وبه يستقيم الكلام بعد تأمل .

بدنه، وأسهر عينه؛ وأطال فكره فيما فيه عن الدين، وقمع المشركين؛ وصلاح الأمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنة؛ ومنعه ذلك من الخفض والدعة بهنئ العيش: علما بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقى الله مناجمته في دينه وعباده، ومختارا لولاية عهده، ورعاية الأمة من بعده، أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه، وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقه؛ مناجيا لله بالاستخارة في ذلك، ويسأله إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في ليله ونهاره، ومعملا في طلبه والتماسه من أدل بيته من ولد عبد الله ابن العباس وعلي بن أبي طالب فكره ونظره، ومقتصرا فيمن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغا في المسألة عمن خفي عليه أمره جهده وطاقته، حتى استقصى أمورهم بمعرفته، وأبتلى أخبارهم مشاهدة، وكشف ما عندهم مسألة؛ فكانت خيرته بعد استخارته لله وإجهاده نفسه في قضاء حقه وبلاده، من البيتين جميعا «علي بن موسى بن جعفر» بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: لما رأى [من] فضله البارع، وعلمه الناصع؛ وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتحمده من الدنيا، وتسامه من الناس؛ وقد استبان له ما لم تزي الأخبار عليه متواطئه، والألسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة؛ ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا وناشئا، وحدئا ومكتهلا؛ فعقد له بالعقد والخلافة إيثارا لله والدين، ونظرا للمسلمين، وطلبًا للسلامة وثبات الحجّة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرّب العالمين.

ودعا أمير المؤمنين ولده، وأهل بيته، وخاصته، وقواده، وخدمه، فبايعوه مسرعين مشرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ممن هو أشبك به رجما وأقرب قرابة، وسماه «الرضي» إذ كان رضيًا عند أمير المؤمنين.

فبايعوا معشَرَيْتِ أمير المؤمنين وَمَنْ بالمدينة المحروسة من قُوَّاده وُجَّده، وعامة المسلمين « الرضیَّ » من بعده ، على اسم الله وبركته وحُسن قضائه لدينه وعباده ؛ بيعةً مبسوطةً إليها أيديكم ، منغرحةً لها صدوركم ، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها ، وآثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها ، شاكرين لله على ما ألهم أمير المؤمنين من نصاحته في رعايتكم ، وحرصه على رُشدكم وصَلاحكم ، راجين عائده في ذلك في جمع ألفتكم ، وحقن دماءكم ، ولمَّ شعنكم ، وسدَّ نُغوركم ، وقوَّة دينكم ، ورغم عدوكم ، وأستقامة أموركم . وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، فإنه الأمر إن سارعتم إليه ، وحِدثتم الله عليه ؛ عرفتم الحظَّ فيه . إن شاء الله تعالى .



وعلى هذه الطريقة كتب الوزير أبو حفص بن بُرد عهدَ الناصر لدين الله عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر العاصريّ ، عن المؤيد بالله هشام بن الحكم الأمويّ ، الخليفة بالأندلس . وهذه نسخته :

هذا ما عهدَ هشامُ المؤيدُ بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامه ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصّة وأعطى به صَفَقَةً يمينه بيعةً تامّةً ؛ بعد أن أنعمَ النظرَ وأطال الاستخارةَ وأهمه ما جعل الله إليه من الإمامة ؛ وعصّب به من أمر المؤمنين ، وأتقَى حُلُولَ القَدَرِ بما لا يؤمن ، وخاف نزولَ القضاء بما لا يُصرف ، وخبّشى إن هم محتومٌ ذلك عليه ، ونزل مقدوره به ، ولم يرفعْ لهذه الأمةَ علماً تأوى إليه ، وملجأً تنعطف عليه ، أن يكونَ يلقى ربه تبارك وتعالى مفرطاً ساهياً عن أداء الحق إليها ؛ ويُغمَصَّ عند ذلك من أحياء قُرَيْشٍ وغيرها من يستحقُّ أن يُسندَ هذا الأمرُ إليه ، ويعول في القيام به عليه ؛ ويستوجبُه بدينه وأمانته ، وهديهِ وصيانيته ؛

بعد أطراح الهوى والتحرى للحق ، والتزلف إلى الله جلّ جلاله بما يرضيه .
 وبعد أن قطع الأواصر ، وأسخط الأقارب ؛ فلم يجد أحداً أجدراً أن يوليه عهدَه ،
 ويفوض إليه الخلافة بعده : لفضل نفسه ، وكرم خيمه ، وشرف مرتبته ، وعلو
 منصبه ؛ مع ثقاه وعفافه ، ومعرفته وحزمه وتقواه ؛ من المأمون العيب ، الناصح
 الحيب «أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور» أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه
 الله ؛ إذ كان أمير المؤمنين - أيداه الله - أبتلاه وأختبره ، ونظر في شأنه وأعتبره ؛
 فراه مسارعاً في الخيرات ، سابقاً في الحلبات ؛ مستولياً على الغايات ، جامعاً للأثرات ؛
 ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ؛ فلا غرو أن يبلغ من سبيل البر مداه ،
 ويحوى من خلال الخير ما حواه ؛ مع أن أمير المؤمنين - أيداه الله - بما طالعه من
 مكنون العلم ، ووعاه من مخزون الأثر ؛ يرى أن يكون ولي عهد القحطاني الذي
 حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة : «أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من حيطان يسوق الناس بعصاه " فلما
 استوى له الاختيار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ؛ [و] لم يجد عنه مذهباً ، ولا إلى غيره
 معدلاً ، صرح إليه في تدبير الأمور في حياته ، وفوض إليه الخلافة بعد وفاته ؛ طاعاً
 راضياً مجتهداً ، وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازته وأنفذه ، ولم يشترط فيه مشيئة
 ولا خياراً ؛ وأعطى على الوفاء به في سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه ،
 وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمة الخلفاء الراشدين من آبائه ؛ وذمة نفسه :
 أن لا يبدل ، ولا يغير ، ولا يحول ، ولا يزول ؛ وأشهد الله على ذلك والملائكة
 ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ . وأشهد من أوقع اسمه في هذا ، وهو جائز الأمر ، ماضي
 القول والفعل ، بمحض من ولي عهد المأمون أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور
 وفقه الله ، وقبوله ما قلده ، وإلزامه نفسه ما ألزمه ؛ وذلك في شهر ربيع الأول

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . وكتبَ الوزراءُ والقضاةُ وسائرُ الناسِ شهاداتهم بخطوطِ أيديهم بذلك .

الطريقة الثانية

(طريقة المتأخرين من الكُتَّاب)

أن يأتي بالتحديد في أثناء العهد، ويأتي من ألقاب ولى العهد بما يناسب على الاختصار؛ وعليها أقصر المقتر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" قال: وأعلم أن عهود الخلفاء عن الخلفاءم تجر عادة من سلف من الكُتَّاب أن يستفتحها إلا بما يذكر، وهو:

«هذا ما عهد [به] عبد الله ووليه فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين، عهد إلى ولده، أو [إلى] أخيه الأمير السيد الجليل، ذخيرة الدين، وولى عهد المسلمين أبي فلان فلان، أيده الله بالتمكين، وأمهه بالنصر الميين، وأقر به عين أمير المؤمنين». ثم ينفق كل كاتب بعد هذا على قدر سعته، ثم يقول:

«أما بعد، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم» ويخطب في ذلك خطبة يكثر فيها التعميد وينتهي فيه إلى سبعة؛ ثم يأتي بعد ذلك بما يناسب من القول: يصف فكر الذى يعهد فيمن بعده؛ ويصف المعهود إليه بما يليق من الصفات الجليسة . ثم يقول: «عهد إليه وقلده بعده جميع ما هو مقلده، لما رآه من صلاح الأمة، أو صلاح الخلق، بعد أن استحار الله تعالى في ذلك، ومكث مدة يتدبر ذلك ويروى فيه فكره وخطره، ويستشير أهل الرأي والنظر، فلم ير أقوم منه بأمور الأمة ومصالح

الدنيا والدين» ومن هذا ومثله ؛ ثم يقال : «إنَّ المعهودَ إليه قَبْلَ ذلك منه» ويأتى في ذلك بما يليق من محاسن العبارة وأحاسين الكلام .

قلت : ولم أظفر بنسخة عهدِ عليّ هذا الأسلوب الذى ذكره المقرُّ الشَّهابيُّ ؛ وقد أنشأت عهداً على الطريقة التى أشار إليها، أمتحاناً للخاطر : لأنَّ يكونَ عن الإمام المتوكلِّ على الله أبى عبدِ الله محمد بن المعتضد أبى الفتح أبى بكر، خليفة العصر، لولده العباس : ليكونَ أُمُودَجا يُنسخُ على منواله .

ومن غريبِ الاتِّفاقِ أىُّ أنشأته فى شُهورِ سنةٍ إحدى وثمانمائة أمتحاناً للخاطر كما تقدّم ، وضمّته هذا الكتابَ وتمادى الحالُ على ذلك إلى أن قبضَ اللهُ تعالى الإمامَ المتوكلَّ - قدس اللهُ تعالى رُوحَه - فى سنة ثمان وثمانمائة ؛ فأجمع أهلُ الحلِّ والعقدِ على مبايعته بالخلافة ؛ فبايعوه وحقق اللهُ تعالى ما أجراه على اللسان من إنشاءِ العهدِ باسمه فى الزَّمنِ السابقِ ؛ ثم دعَتْنى داعيةٌ إلى التمثلِ بين يديه الشريفتين فى مستهلِّ شهرِ ذى القعدة الحرام سنة تسع وثمانمائة ، فقرأته عليه من أوله إلى آخره ، وهو مُضغ له مظهرُ الأتِّهاجِ به ؛ وأجاز عليه الجائزة السنوية . ثم أنشأت له رسالةً وضممتُه إياها وأوِّعتْ بِخِزانتِه العاليةِ عمرها اللهُ بطُولِ بقائه .

وهذه نسخته :

هذا عهدُ سعيدُ الطالع ميمونُ الطائر ، مباركُ الأوَّلِ جميلُ الأوسطِ حميدُ الآخرِ ؛ تشهدُ به حضراتُ الأملاك ، وترقُّه كَفُّ الثُّريا بأقلامِ القبولِ فى صحائفِ الأفلاك ؛ وتُباهي به مُلوكُ الأرض ملائكةَ السما ، وتسرِّى بنشره القبولُ إلى الأقطار فتُنشر له بكلِّ ناحيةٍ علماً ، وتُطلِّعُ به سعادةُ الجَدِّ من مُلوكِ العَدْلِ فى كلِّ أفقٍ نجماً ، وترقُّصُ من فرحها الأنهار فتنتقطها شمسُ النَّهارِ بذهبِ الأصيلِ على صَفحاتِ الماءِ ؛ عهدٌ به

عبد الله ووليه أبو عبد الله محمد المتوكل على الله أمير المؤمنين إلى ولده السيد
الجليل عده الدين وذخيره ، وصفي أمير المؤمنين من ولده وخيره ، المستعين بالله
أبي الفضل العباس بلغ الله فيه أمير المؤمنين غاية الأمل ، وأقر به عين الخلافة
العباسية كما أقر به عين أبيه وقد فعل .

أما بعد ، فالحمد لله حافظ نظام الإسلام وواصل سببه ، ورافع بيت الخلافة
وماذ طنبه ، وناظم عقد الإمامة المعظمة في سلك بني العباس وجاعلها كلمة باقية
في عقبه .

والحمد لله الذي عدق أمر الأمة منهم بأعظمهم خطرا ، وأرفعهم قدرا ،
وأرجحهم عقلا وأوسعهم صدرا ، وأجزم رأيا وأسلمهم فكرا .

والحمد لله الذي أقر عين أمير المؤمنين بخير ولي وأفضل ولد ، وشد أزره بأكرم
سيد وأعز سند ، وصرف اختياره إلى من إذا قام بالأمر بعده قيل هذا الشبل
من ذاك الأسد .

والحمد لله الذي جمع الآراء على اختيار العاهد فما قلوه ولا رفضوه ، وجبل
القلوب على حب المعهود إليه فلم يروا العدو له إلى غيره بوجه من الوجوه .

والحمد لله الذي جدد للرعية نعمة مع بقاء النعمة الأولى ، وأقام لأمر الأمة من
بني عم نبيه المصطفى الأولى بذلك فالأولى ، واختار لعهد المسلمين من سبقت إليه
في الأزل إرادته فأصبح في النفوس معظما وفي القلوب مقبولا .

والحمد لله الذي أضحك الخلافة العباسية بوجود عباسها ، وأطاب بذكره رياها
فتعطر الوجود بطيب أنفاسها ، ورفع قدره بالعهد إليه إلى أعلى رتبة منيفه ،

(١) وَخَصَّهُ بِمِشَارَكَةِ جَدِّهِ الْعَبَّاسِ فِي الْأِسْمِ وَالْكُنْيَةِ فَفَازَ بِمَا لَمْ يُفْزَ بِهِ قَبْلَهُ مِنْهُمْ سِتُّ وَأَرْبَعُونَ خَلِيفَةً .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَى الْكَافَّةِ طَاعَةَ أَوْلِي الْأَمْرِ مِنَ الْأُمَّةِ ، وَأَرْزَمَهُمُ الدُّخُولَ فِي بَيْعَةِ الْإِمَامِ وَالْإِتْقَادَ إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَتْ عَبْدًا أَسْوَدَ فَكَيْفَ بِنِ اجْتِمَاعِ عَلَى سُودِّهِ الْأُمَّةِ ، وَأَوْصَحَ السَّبِيلَ فِي التَّعْرِيفِ بِمَقَامِ الْآلِ وَالْعِتْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ﴿فَلَا يُكُنُّ أَمْرًا عَلَيْكُمْ عَمَّهُ﴾ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا مَنَحَهُ مِنْ طَيْبِ أُرُومَةٍ سَمَّتْ أَصْلًا وَزَكَتْ فَرْعًا ، وَحَبَاهُ مِنْ شَرَفٍ مَحْتَدٍ رَاقٍ نَظَرًا وَشَاقٍ سَمْعًا ، وَوَصَلَهُ بِهِ مِنْ نِعَمٍ آثَرَتْ نَفَاعًا وَأَثَرَتْ نَفْعًا ، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَوَارَثُونَهَا كَالْخِلَافَةِ كَابْرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَيُوصَى بِهَا أَبَدًا الْأَوَّلُ مِنْهُمْ الْآخِرُ ، وَيُؤَدِّنُ قِيَامَهُمْ بِنُصْرَتِهَا أَنَّهُمْ مَعْدَنُ جَوْهَرِهَا النَّفِيسِ وَنِظَامُ عَقْدِهَا الْفَاحِرُ ، وَيَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، الَّذِي خَصَّ عَمَّهُ الْعَبَّاسَ بِكَرِيمِ الْحَبَاءِ وَشَرِيفِ الْإِنَافَةِ ، وَنَبَّهَ عَلَى بَقَاءِ الْأَمْرِ فِي بَيْتِهِ بِقَوِيٍّ ضَلَّ مَنْ أَظْهَرَ عِنَادَهُ أَوْ أَضْمَرَ خِلَافَهُ ، حَيْثُ أَسْرَّ إِلَيْهِ : ” أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا عَمُّ بِي خُتْمِ النَّبُوَّةِ وَبِوَلَدِكَ تُخْتَمُ الْخِلَافَةُ “ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً تَعْمُ بَرَكَتُهَا الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ، وَيَشْمَلُ مَعْرُوفَهَا الْمَعْهُودَ إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ شَرَفَهَا الْعَاهِدَ ، وَيَعْتَرِفُ بِفَضْلِهَا الْمُقَرَّرَ وَلَا يَسْعُ إِنْكَارُهَا الْجَاهِدَ ، مَا نُوِّهَ بِذِكْرِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَارِ ، وَخَفَقَتِ الرَّايَاتُ السُّودُ عَلَى عَسَاكِرِ الْمَوَاكِبِ وَمَوَاكِبِ الْعَسَاكِرِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

(١) ذَكَرَ اسْمَ الْعَدَدِ عَلَى حَدِّ مَا أُنْشِدَهُ الْفَرَاءُ .

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتَهُ أُخْرَى * وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَاكَ الْكَمَالِ

هذا وكل راجع مسئول عن رعيته ، وكل أمرىء مجبول على نيته ، مخبر بظاهره عن جميل ما أكنه في صدره وما أسرّه في طويته ؛ والإمام منصوب للقيام بأمر الله تعالى في عباده ، مأمور بالنصيحة لهم جهده طاقته وطاقته اجتهاده ، مطلوب بالنظر في مصالحهم في حاضر وقتهم ومستقبله وبدء أمرهم ومعاذهم ؛ ومن ثم اختلفت آراء الخلفاء الراشدين في العهد بالخلافة وتباينت مقاصدهم ، وتوعدت اختياراتهم بحسب الاجتهاد واختلفت مواردهم ؛ فعهد الصديق إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه متبثنا ، وتركها عمر شورى في ستة وقال : « أتحمّل أمركم حيا وميتا ! » وأتى رضى الله عنه لكل من المذهبين بما أذعن له انلخص وسلم ، فقال : « إن أعهد فقد عهد من هو خير منى أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله صلى الله عليه وسلم » فأخذ الخلفاء في ذلك بستهما ، ومشوا فيه على طريقتهما ؛ فن راعى عن العهد وراعى فيه ، وعاهد إلى بعيد منه وآخر إلى ابنه أو أخيه ؛ كل منهم بحسب ما يؤدى إليه اجتهاده ، وتقوى عليه عزيمته ويترجح لديه أعماده .

ولما كان أمير المؤمنين - أحسن الله مآبه - قد نور الله عين بصيرته ، وخصه بطهارة سيره وصفاء سيرته ؛ وآناه الله الملك والحكمه ، وأقامه لمصالح الرعية وصلاح أمر الأمة ؛ وعلمه مما يشاء فكان له من علم الفراسة أوفر قسم ، وأصطفاه على أهل عصره وزاده بسطة في العلم والحسب ؛ فلا يعزم أمرا إلا كان رشادا ، ولا يعتمد فعلا إلا ظهر سدادا ؛ ولا يرتقى رأيا إلا ألغى صوابا ، ولا يشير بشيء إلا أحدث آثاره بدياه ونهاية واستصحبها ؛ ومع ذلك فقد بلا الناس وخبرهم ، وعلم بالتجربة حالهم وخبرهم ، وأطلع بحسن النظر على خفايا أمورهم ، وما به مصلحة خاصتهم وجمهورهم ؛ وترجح عنده جانب العهد على جانب الإهمال ، ورأى المبادرة إليه أولى من الإهمال ؛ ولم يزل يروى فكرته ، ويعمل رويته ؛ فيمن يصلح لهذا الأمر

بعده ، وينهض بأعبائه الثقيلة وحده ، ويتبع فيه سبله ويسلك طرائقه ، ويقفنى في السيرة الحسنه أثره ويشيم في العدل بوارقه ؛ ويقبل على الأمر بكتيته ويقطع النظر عما سواه ، ويتفرغ له من كل شاغلٍ فلا يحاطه بما عداه .

وقد علم أن الأحق أن يكون لها حليفاً من كان بها خليفاً ، والأولى أن يكون لها قريناً من كان بوصلها حقيقاً ، والأجدر أن يكون لديها مكيماً من آخذ معها يداً وإلى مرضاتها طريقاً ؛ والأليق بمنصبها الشريف من كان بمطلوبها ملياً ، والأحرى بمكانها الرفيع من كان بمقصودها وفيّاً ، والأوفق لمقامها العالى من كان خيراً مقاماً وأحسن ندياً ؛ وكان ولده السيد الأجل أبو الفضل المشار إليه هو الذى وجهت الخلافة وجهها إلى قبلته ، وبالغت في طلبه وألحت في خطبته ؛ على أنه قد أرضع بلبانها وربى في حجرها ، وأنسب إليها بالبنوة فضمته إلى صدرها ؛ وكيف لا تشبث بجباله ، وتتعلق بأذياله ؛ وتطمع في قربه ، وتتعالى في حبه ؛ وتميل إلى أنسه ، وتراوده عن نفسه ، وهو كفؤها المستجمع لشرائطها المتصف بصفاتهما ، ونسيبها السامى إلى أعاليها الراقى على شرفاتها ؛ إذ هو شبها الناشئ في آجامها ، بل أسدها الحامى لحماها ؛ ومجيرها الوافى بذمامها ؛ وفارسها المقدم في حلبة سباقها ووارثها الخائر لجميع سهامها ؛ وحاكمها الطائع لأمرها ، ورشيدها المأمون على سرها ؛ وناصرها القائم بواجبها ، ومهديها الهادى إلى أفضل مذاهبها ؟ قد ألحف من الخلافة بردائها ، وسكن من القلوب في سويدائها ، وتوسمت الآفاق تفويض الأمر إليه بعد أبيه فظهر الخلق في أرجائها ؛ وأتبع سيرة أبيه في المعروف وأقتفى أثره في الكرم ، وتشبه به في المفارح (ومن يسأه أبه فما ظلم) وتقبل الله دعاء أبيه فوهب له من لدنه ولياً ، وأجاب نداءه فيه فكان له في الأرض وآتاه الحكم صبيها ؛ فاستوجب أن يكون حينئذ للمسلمين ولياً عهدهم ، والياً على أمورهم في حلهم وعقدهم ؛ متكفلاً بالأمر في قربه وبعده ،

مُعِينًا لِأَيِّهِ فِي حَيَاتِهِ خَلِيفَةً لَهُ مِنْ بَعْدِهِ؛ وَأَنْ يَصْرِّحَ لَهُ بِالِاسْتِخْلَافِ وَيُوضِّحَ،
وَيَتَلَوَّ عَلَيْهِ بِلِسَانِ التَّفْوِيضِ ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ .

وَأَقْتَضَتْ شَفَقَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأْفَتُهُ ، وَرِفْقُهُ بِالْأُمَّةِ وَرَحْمَتُهُ ؛ أَنْ يَنْصِبَ لَهُمْ
وَلِيَّ عَهْدٍ يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مُتَّصِفًا ، وَمَنْ بَحَّرَهُ الْكَرِيمَ مُغْتَرِفًا ، وَمَنْ ثَمَّارَ مَعْرُوفِهِ
الْمَعْرُوفِ مَقْتَطِفًا ؛ وَلَمْ يَهْلِكْ الْعَدْبُ وَارِدًا ، وَعَلَى بَيْتِهِ الشَّرِيفِ وَسَائِرِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ
عَائِدًا ؛ فَلَمْ يَجِدْ مَنْ هُوَ مُسْتَكْمَلٌ لِجَمِيعِهَا ، مُسْتَوْعِبٌ لِأَصْوَاطِهَا وَفُرُوعِهَا ؛ وَهُوَ بِمَطْلُوبِهَا
أَمْلِيٌّ ، وَعَلَى قُلُوبِ الرِّعِيَّةِ أَحْلَى ؛ وَلِلْغَلِيلِ أَشْفَى ، وَبِالْعَهْدِ الْجَمِيلِ أَوْفَى ؛ مِنْ وَلَدِهِ
الْمُشَارِإِ إِلَيْهِ . فَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُضَاتِهِ وَعُلَمَائِهِ ، وَأَمْرَائِهِ
وَوُزَرَائِهِ ، وَخَاصَّتَهُ وَذَوِيهِ ، وَأَقَارِبَهُ وَبَنِيهِ ، وَأَعْيَانَ أَهْلِ الْعَصْرِ وَعَامَتَهُ ، وَجُمْهُورِهِ
وَكَافَّةً ؛ فَرَأَوْهُ صَوَابًا ، وَلَمْ يَعْرِهْمُ فِيهِ ظَنَّةٌ وَلَا مُسْتَرَابًا ، وَلَا وَجَدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى بَابِ
غَيْرِهِ طَرِيقًا وَلَا إِلَى طَرِيقِ غَيْرِهِ بَابًا ؛ فَاسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فَأَقْبَلَ خَاطِرَهُ الشَّرِيفُ
عَلَيْهِ ، وَكَرَّرَ الِاسْتِخَارَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَنْهُ مَحِيدًا إِلَّا إِلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ قَدْ أَنْعَقَدَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَعُدِمَ فِيهِ الْمَخَالَفُ
بَلْ لَمْ يَكُنْ أَصْلًا ؛ حَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ التَّوْفِيقَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ ؛ وَجَدَّ
الِاسْتِخَارَةَ وَعَهْدَ إِلَيْهِ بِأَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَقَلَّدَهُ مَا هُوَ مُتَقَلِّدُهُ مِنَ الْخِلَافَةِ الْمُقَدَّسَةِ بَعْدَهُ
عَلَى عَادَةٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْخُلَفَاءِ الْمَاضِينَ ، وَقَاعِدَةٍ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ ؛
وَفَوْضَ إِلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ أَحْكَامِهَا وَلَوَازِمِهَا ، وَأَصْوَاحِهَا وَمَعَالِمِهَا : مِنْ عَهْدٍ وَوَصَايَاهُ ،
وَعَزْلِ وَوَلَايَاهُ ؛ وَتَفْوِيضٍ وَتَقْلِيدٍ ، وَأَنْتِرَاجٍ وَتَحْلِيدٍ ؛ وَتَفْرِيقٍ وَجَمْعٍ ، وَإِعْطَاءٍ
وَمَنْعٍ ، وَوَصْلِ وَقَطْعٍ ؛ وَصِلَةَ وَإِدْرَارٍ ، وَتَقْلِيلٍ وَإِكْثَارٍ ؛ جُزْئِيًّا وَكُلِّيًّا ، وَخَفِيًّا

وجليها ؛ ودانها وقاصيها ، وطائعها وعاصيها ؛ تفويضا شرعيا ، تاما مرضيا ؛ جامعا
 لأحكام الولاية جمعا يعم كل نطاق ، ويسرى حكمه في جميع الآفاق ، ويدخل تحتها
 سائر الأقاليم والأمصار على الإطلاق ؛ لا يغير حكمه ، ولا يغيّر رسمه ؛ ولا يبطئ
 سهمه ، ولا يافلّ نجمه .

قبل المهوود إليه - أعلى الله مقامه - ذلك بمحض من القضاة والحكام ، والعلماء
 الأعلام ؛ ولزم حكمه وأثرهم ، وكتب في سبيلات الأفلاك وأرسم ، وحملت رسائله
 مع برد السحاب فطافت به على سائر الأمم ؛ وهو - أبقاء الله - مع ما طبع عليه
 طباعه السليمة ، وجبلت عليه سجاياه الشريفة وأخلاقه الكريمة ؛ قد تلقى عن
 أمير المؤمنين من شريف الآداب ما عُدّي به في مهده ، وتلقف منه من حسن
 الأدوات ما يرويه بالسند عن أبيه وجده ؛ مما أظيح في صفاء ذهنه الصّقل
 وانتقش في فهمه ، واختلط من حال طفولته بدمه ولحمه وعظمه ؛ حتى صار طبعا
 ثانيا ، وخلقا على ممر الزمان باقيا ؛ واجتمع لديه الغريزي فكان أصلا ثابتا ، وفرعا
 على ذلك الأصل القوي ثابتا ؛ لكن أمير المؤمنين يوصيه تبركا ، ويشرح له ما يكون
 به - إن شاء الله - متمسكا ؛ والمرء إلى الأمر بالخير مندوب ، ووصية الرجل لبنيه
 مطلوبة فقد قال تعالى : (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب) .

فعليك بمراقبة الله تعالى فمن راقب الله نجح ، و [اجعل] التقوى رأس مالك :
 (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) والجا إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لجا ؛ وكتاب الله
 هو الجبل المتين ، والكتاب المبين ؛ والمهجع القويم ، والسبيل الواضح والصراط
 المستقيم ؛ فتمسك منه بالعروة الوثقى ، وأسلك طريقته المثلى وأهتد بهديه فلا تضل
 ولا تشقى ؛ وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عليك بالإقتداء بأفعالها الواضحة ،
 والإصغاء لآثار أقوالها الشارحة ؛ عالما بأن الكتاب والسنة أخوان لا يفترقان ،

ومُتَلَاذِمَانِ بِجَبَلِ التَّبَائِنِ لَا يَعْتَاقَانِ ؛ وَالْبِلَادَ وَالرَّعَايَا خُطُومَهُمَا بِنَظَرِكَ مَا اسْتَطَعْتَ ،
 وَتَثَبَّتْ فِي كُلِّ قَطْعٍ وَوَصَلَ فَأَنْتَ مُسْتَوِلٌ عَنْ كُلِّ مَا وَصَلَتْ وَقَطَعْتَ ؛ وَالْأَلَّ
 وَالْعِتْرَةَ النَّبَوِيَّةَ فَفِيهِمَا حَقُّ الْقِرَابَةِ مِنْكَ وَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي
 أَشْرَقَتْ بِهِ ؛ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِذَا أَكْرَمْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَإِنَّمَا أَكْرَمْتَهُ بِسَبَبِهِ ؛ وَأَتَّبِعْ فِي السَّيْرَةِ
 سِيْرَةَ آبَائِكَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَا تَتَزَعَّغْ عَنْهَا ، وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا بِهَا وَبِمَا هُوَ - إِنْ
 اسْتَطَعْتَ - خَيْرٌ مِنْهَا ؛ وَأَقِفْ فِي الْمَعْرُوفِ أَنَا رَهْمَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَحْوِي مِنَ الْمَأْتَرِ مَا حَوَّوْا ،
 وَأَحْذِ حَذْوَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ الْمُبَارَكَةِ وَأَبْنِ الْمَجْدَ كَمَا بَنَوْا ؛ وَأَحْيِ مِنَ الْعَمَلِ سَنَةَ سَلَفِكَ
 الْمَصْطَفِيِّ الْأَخْيَارِ ، وَأَحْرِضْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يُظَاهِمُ اللَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ :
 ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ .
 وَأَسْلِفٌ خَيْرًا تُذَكِّرُ بِهِ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي ، وَيَنْتَظِمُ ذِكْرَهُ فِي عُقُودِ الْأَيَّامِ كَمَا تَنْتَظِمُ فِي السَّلَكِ
 الْأَلَّيِّ ؛ وَلِيَكُنْ قَصْدُكَ وَجْهَ اللَّهِ لِيَكُونَ فِي نُصْرَتِكَ فَإِنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نُصْرَتِهِ
 لَا يُبَالِي ؛ وَتَعَلَّمْ حَقَّ الْيَقِينِ أَنَّ حَسَنَةَ الْإِمَامِ تُضَاعَفُ بِحَسَبِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ
 الْمَصَالِحِ أَوْ تَجِدُّدُ بِسَبَبِهَا ، وَسَيِّئَتُهُ كَذَلِكَ فَمَنْ سَنَّ سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ إِثْمُهَا وَإِثْمٌ مِنْ
 عَمَلِهَا ؛ وَدُرٌّ مَعَ الْحَقِّ كَيْفَ دَارَ وَمِلٌّ مَعَهُ حَيْثُ مَالٌ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
 مَا بَقِيَ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
 مِنْ وَالٍ ؛ وَلَا تُحْطِرُ بِبَالِكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَنْتَهَى إِلَيْكَ بِقُوَّةٍ ، أَوْ يَغْرُكَ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ
 النَّوَاءِ عَلَيْكَ فَالْتَأَمَّرْ بِالْمَدْحِ يُحْلَلْ بِالْمُرُوءِ ؛ وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى نَسَبِكَ فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَدْخَلَهُ
 الْجَنَّةَ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، وَمَنْ عَصَاهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ وَلَوْ كَانَ هَاشِمِيًّا قُرَشِيًّا ، وَاسْتَنْصِرْ
 اللَّهَ يَنْصُرْكَ وَاسْتَعِينْ بِهِ يَكُنْ لَكَ عَوْنًا وَظَهْرًا ، وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِكَ ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا
 وَنَصِيرًا ﴾ وَكُنْ [مِنْ] اللَّهُ حَافِيًّا وَمِنْ مَكْرِهِ مِنَ الْمُشْفِقِينَ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مِنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيينِ .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، ووصيتهُ مُملى عليك ؛ (وَذَكَرَ فَإِنَّ اللَّهَ كَرَّمَ
تَفَعَّ الْمُؤْمِنِينَ) والله تعالى يبلغه منك أملاً ، ويحقق فيك علماً ويزكي بك عملاً ؛
والاعتماد على الخطِّ المقدس الإمامي المتوكليّ - أعلاه الله تعالى - أعلاه ، حجة فيه
إن شاء الله تعالى .

المذهب الثاني

(أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ « من فلان إلى فلان » كما يكتب في المكاتبات
ثم يأتي بالبعدية ويأتي بما يناسبه مما يقتضيه الحال من ذكر الولاية ،
ووصف المتولى ، واختيار المولى له ونحو ذلك)
ثم قاعدة كتابهم أنهم يأتون بعد ذلك بالتحميد في أثناء العهد .

وهذه نسخة عهد من ذلك ، كتبت بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي ، لولده
حيدرَةَ بأن يكون وليَّ عهد الخلافة بعده ؛ وليس فيها تعرض لتحميد أصلاً ، وهو .
من عبد الله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى ولده ونجمله ، وسلالته الطاهرة ونسله ، وأجمع على شرفه والعامل بمرضاة
الله في قوله وفعله ، وعقده وحله ؛ الأمين أبي تراب حيدرَةَ ، ولي عهد
أمير المؤمنين ، عليه السلام .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين يحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصلّي على جدّه محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ،
الأئمة المهديين ؛ وسلم تسلياً .

أما بعد ، فإن الله تعالى ليديع حكيمه ، ووسيع رحمته ، استودع خلفاءه من خلقه
وبرأه ، وأستكفى أمناه من صورهِ وذراهه ؛ وربهم مرتبة النفوس من الأجساد ،

وَنَزَّهَمَ بِمَنْزِلَةِ الضَّيَاءِ مِنَ الْأَزْنَادِ ؛ وَجَعَلَهُمْ مُسْتَعْدِمِينَ لِأَفْكَارِهِمْ فِي مَصَالِحِ الْبَرِيَّةِ
الَّتِي غَدَّتْ فِي أَمَانِهِمْ ، وَحَصَلَتْ فِي ضَمَانِهِمْ ؛ فَظَلَّتْ فِي ذِمَامِهِمْ ، وَسَعِدَتْ فِي عِزِّ
مَقَامِهِمْ وَظَلَّ أَيَّامُهُمْ : لِأَنَّهُمْ نَصَبُوا لِلنَّظَرِ فِيمَا جَلَّ وَدَقَّ ، وَتَعَبُوا لِرَاحَةِ الْكَافَّةِ تَعَبًا
صَعْبًا وَعَظْمًا وَشَقًّا ؛ وَكَانَ ذَلِكَ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ الْحِكْمَةِ ، وَضَرْبًا مِنْ أَفْضَلِ تَدْبِيرِ
الْأُمَّةِ ؛ إِذْ لَوْ سَاوَى بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالْمُرْتُوسِ ، وَالسَّائِسِ وَالْمُسُوسِ ؛ لِأَخْتِلَاطِ
الْخُصُوصِ بِالْعُمُومِ ، وَلَمْ يَبْقَ فَرْقٌ بَيْنَ الْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ .

وَقَدْ اسْتَخْلَصَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَشْرَفِ أُسْرَةٍ وَأَكْرَمِ عِصَابَةٍ ، وَأَيَّدَهُ فِي جَمِيعِ
آرَائِهِ بِالْحَرَامَةِ وَالْجَزَالَةِ وَالْأَصَالَةِ وَالْإِصَابَةِ ؛ وَقَضَى لِأَغْرَاضِهِ أَنْ يَكُونَ السَّعْدُ لَهَا
خَادِمًا ، وَحَمَمَ لِمَقَاصِدِهِ أَنْ يُصَاحِبَهَا التَّوْفِيقُ وَلَا يَنْفَكَّ لَهَا مُلَازِمًا ؛ وَجَمَعَ لَهُ مَا تَفَرَّقَ
فِي الْخَلِيقَةِ مِنَ الْمَفَاحِرِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَأَهْلَمَهُ النَّظَرَ فِي حُسْنِ الْخَوَاتِمِ وَحَمِيدِ الْعَوَاقِبِ .

وَمَا كَانَ وَلِيَّ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَرَ أَبْنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمُنْتَهَى لِأَشْرَفِ
الْمَرَاتِبِ مِنْ تَقَادُمِ السِّنِّينِ ؛ وَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَى الْفَخْرِ بِاكتِسَابِهِ وَأَنْتِسَابِهِ ، وَتَصَدَّتْ لَهُ
مَخْطُوبَاتُ الرَّتَبِ لِيُحَوِّزَهَا بِاسْتِحْقَاقِهِ وَأَسْتِجَابَةِ ؛ وَهُوَ مِنْ فَضِيلَةِ ذَاتِهِ مَا يُدْبَلُ عَلَى
النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، وَعَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ مَا يَهْتَدَى بِهِ السَّارِي فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ؛ وَحِينَ حَوَى
تَالِدَ الْفَخْرِ وَطَارِفَهُ وَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْقَدِيمِ عَنِ الْحَدِيثِ وَلَا بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقَدِيمِ ؛
وَالصِّفَاتُ إِذَا اخْتَلَفَتْ أَرْبَابُهَا لَا تَقَعُ إِلَّا دُونَهُ ، وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ مِمَّا أَعَدَّهُ اللَّهُ
لِلَّذِينَ يُخْلِصُونَ فِيهِ وَيَتَوَلَّوْنَهُ ؛ وَيُفَخَّرُ بِأَنْ خُصَّ مِنَ الْعِنَايَةِ الْمَلَكُوتِيَّةِ بِالْحِطِّ الْأَجْرَلِ ،
وَلِيَتَسَمَّحَ عَلَى الْبَرَايَا لِيَكُونَ مَدْمُوحًا بِالْكَتَابِ الْمَنْزَلِ ؛ وَلِيَبْدُخَ فَإِنَّ وَصْفَهُ لَا تُبْلَغُ غَايَتُهُ
وَإِنْ اسْتُخْدِمَتْ فِيهِ الْفِكْرُ ، وَلِيَبْجَحَّ فَإِنَّ فَضْلَهُ لَا يُدْرِكُ حَقِيقَةً إِلَّا إِذَا تَبَلَّتِ السُّورُ ،
فَأَمْتَعَهُ اللَّهُ بِمَوَاهِبِهِ لَدَيْهِ وَأَمْتَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، وَأَجْرَى أُمُورَهُ عَاجِلًا وَأَجَلًا بِسَبَبِهِ .

(١) رأى أمير المؤمنين أن يختصه بولاية عهد أمير المؤمنين تمييزاً له بهذا النعت الشريف، وسموا به إلى ما يجب لجمده الشاخص ومحلّه المنيف؛ وأقتداءً بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يشرفون به أبناءهم الأكرمين، وتخصيصاً له بما سبقوا نخره على متجدد الأزمان ومُتطاوِل السنين. وأمر أمير المؤمنين أن يُتخَّر من رجال دولته، ووجوه أجناده وشيعته؛ طائفةً يكونُ إليه انتماءؤها، وإلى شرف هذا النعت انتسابها واعتراؤها؛ فتوسم بالطائفة العهديه، وتخطيها إذا أخلصت في الولاية بالسعادة الدائمة الأبدية؛ وتظل موقوفة على خدمته، متصرفة على أوامره وأملائه؛ منتبهة في طاعته إلى أغراضه ومآربه، ملازمة للأزم المتعين من ملازمة الخدمة في مواكبه؛ والله تعالى يجعل ما رآه أمير المؤمنين من ذلك كافلاً بالخيرات، ضامناً لشمول المنافع وعموم البركات؛ إن شاء الله تعالى: والسلام على ولي عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.



وهذه نسخة بولاية العهد من خليفة لولده بالخلافة على هذه الطريقة، من إنشاء القاضي الفاضل؛ أتى فيها بالتحميد بعد التصدير ثلاث مرات، وهي:

من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام الفلاني إلى فلان الفلاني، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم في العهد قبله.

(٢) أما بعد، فالحمد لله الذي استحق الحمد بفضله، وأجرى القضاء [على ما أراده] ووسع الجرائم بعفوه وعدله؛ وصرف المراحم بين قوله وفعله، وأعلى منار الحق

(١) لعل هذا جواب الشرط في أول الفقرة قبل ويكون العامل في حين بعده محذوفاً دل هذا

عليه . تأمل .

(٢) بياض في الأصل والتصحيح من المقام .

وأرشد إلى أهله ؛ واختار الإسلام ديناً وعصم المعتقلين بحبله ، وأوضح سبل النجاة بما أوضح لسالكيه من سبله ؛ وتعالى علاه إلى الصفات ، فلم يُوصف بمثل قوله :
 ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ﴾ وتزهر عن اشتراك التشبيهات ، في كلِّ جليل الوصف مستقَّله وغير مستقَّله ؛ علم ما أشتملت عليه خَطَرَاتُ الأسرار ، وأشارت إليه نَظَرَاتُ الأبصار ، وأنفجرت عنه غَمَرَاتُ الأخطار ، وأخفته سَتَرَاتُ الظلماء وباحث به جَهَرَاتُ الأنوار : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ .

والحمد لله الذي جعل الدين عنده الإسلام ، فن آتبعني غيره صلَّ المنهج ، وأبعد المرعج ، وأستقح الخدج ، وغلط المخرج ، وفارق النور الأبلج ، وركب الطريق الأعوج ، وأتى يوم القيامة باللسان المثلج ؛ ومن أسلم وجهه إليه فاز بالسعي السجج ، وحاز المتجر الربيع ؛ وورد المورد الأحمد ، ويم القصد الأqvسد ، ووجد الجدد الأسعد ، وسلك المنهج الأرشد ؛ فهو العروة الوثقى ، والطريقة المثلى ، والدرجة العليا ؛ وأسر به خير المرسلين ، المنعوت في سير الأولين ، المبعوث بالحق المبين ، والقائم رسولا في الأميين ، والهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ؛ والداعي الذي من أجابه وآمن به عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وأُجِرَ من عذاب أليم ، والمستقل [بالعِبء] العظيم ، بفضل مأمَنح من الخلق العظيم ، والممدوح بقوله :
 ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

والحمد لله الذي وصل النبوة بالإمامة ، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة ، وخصها بالخصائص التي لا تنبغى إلا لتأم الكرامة ، وأجارها خلقه من متآلف

الطامة وبوادي الندامة ، وهدى بشرف مقامه إلى دار المقامه ؛ وأستردَّ بأنوار تديره
من ظلام الباطل الظلامه ، وأحسنَ بما أجراه من نظره النظر للخاصة والعامه ،
(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) .

يحمده أمير المؤمنين أن رفعه إلى ذلك المحلّ المنيف ، وأستعمر به المقام الشريف ،
وأظهر كلمة الدين الحنيف ، ونفى عنه تعاليّ التعمق وتجديف التحريف ،
وبين بموافقة توفيق هديه طريق التكليف ، وأمدّه بموادّ إلهية تسترقتستغني عن
التعريف ، وتصل فتقطع موادّ التكليف .

ويسأله أن يصلّى على جدّه محمد الذي نسخ بشريعته الشرائع ، وهدب بهدياته
المشارع ، وأيده بالحجج القواطع ، والأنوار السواطع ، وجعل من ذريته جبال الله
القوارع ، ومن مشكاته نجوم الهدى الطوالع ، وعدت صنائعه بالله إذا أفتخرت
المنعمون بالصنائع ؛ وعلى أخيه وأبنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب المخصوص
بأخوته ، وأبي الثقلين من عترته ، والسابق إلى الإسلام فهو بعده أبو عذريته ؛
وإلى تفریح الكرب عن وجهه في الحرب فهو ابن بجدته . وعلى الأئمة من ذريتهما
مصايح الظلمات ، ومفاتيح الشكوك المبهمات ، والمنوحين من شرف السمات ،
ماجلّ عن المسامات ، والمدوحين بفضل الجاه في الأرضين والسّموات .

وإن الله بحكمته البديعه ، ورحمته الوسيعة ؛ أقام الخلفاء خلقه قواماً وبحقه
قواماً ، وجعل نار الحوادث بنورهم برداً وسلاماً ، وجعل لهم الهداية بأمره لزاماً ،
وأستصرف بهم عن الخلق عذاب جهنم (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) ؛ فهم أرواح
والخلائق أجسام ، وصباح والمسالك أظلام ، وثمرات والوجود أحكام ، وحكام
والحقائق أحكام ، يسهرون في منافع الأنام وهم نيام ، وينفردون بوصب النصب

وَيُقِرُّدُونَهُمْ بِلَذَاتِ الْجَمَامِ ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدَايَاتِهِمْ إِلَى مَا تَدِقُّ عَنْهُ حَوَائِطُ الْأَفْهَامِ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بوسائِلِ إلهام . وقد أصطفى الله الأميرَ من تلك الأُسْرَةِ ، ورفاهَ شرفَ تلك المنابرِ ومُلكَ تلك الأُسْرَةِ ، وأثارَ بمقامه نُجومَ السعادةِ المُستَسرَّةِ ؛ وأستخدمَ العالمَ لأغراضه ، وسدَّدَ كلَّ سبيلٍ في رَمِيهِ إلى أغراضه ، وأقرضَ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فهو واثقٌ بِحُسْنِ عواقبِ إقراضه ، وأفترضَ طاعتهِ في خَلْقِهِ فالسعيدُ من تلقى طاعةَ أميرِ المؤمنينِ بِأقراضه ، وأمضى أوامرهَ على الأيامِ فما يقابلُها صَرْفٌ من صروفها بِأعتراضه ، وأدارَ الحقُّ معه حيثُ دارَ ، وكشَفَ له ما أَسْتَجَنَّ تحتَ أستارِ الأقدارِ ، ووقَفَ الخيرةَ والنُّصرةَ على آرائِهِ وراياتِهِ فهو المُستَشَارُ والمُستَخَارُ ؛ وأهمله أن يحفظَ للأمةِ غَدَها كما حفظَ لها يومَها ، وأن يُجَرِّى لها مواردَ توفيقِ الإرتيادِ ولا يُطِيلَ حومَها ؛ وأن يجعلَ المؤمنَ على ثَلَجٍ من الصدورِ ، وفَلَجٍ من الظهورِ ، ويودِعَ عندها بَرْدَ اليقينِ بالإشارةِ إلى مستودعِ النورِ ؛ ويجعلُها على شريعةٍ من الأمرِ فتتبعُها ، ويُجِلُّها بمنزلةِ الخُصْبِ فترتبعُها ؛ ويُعلمُ نَدَى خَيْرِهِ ليكونَ غَايَتَها ومَفزَعَها ، ويُعرفُها من تنتظرُها فتتخذُه مآلًا ومرجعَها ؛ ويقتدى في ذلك بسيدِ المرسلينِ في يومِ الغديرِ ، ويُشيرُ إلى مَنْ يقومُ به المَشيرُ مقامَ البشيرِ .

ولما كنتَ حافظَ عهدِ أميرِ المؤمنينِ والسيدِ الذي لا بُدَّ أن يُتَّوَجَّ به السَّيرِ ، والنَّجْمِ الذي لا بُدَّ أن نستطيلَ إلى أنوارِهِ ونستطيرُ ، والذخيرةِ التي ادَّخرها اللهُ لِنَيْلِ كلِّ خَطَرٍ ودَفَعِ كلِّ خَطِيرٍ ، والسَّحابِ الذي فيه الثَّجُّ المَطِيرُ ، والنَّجْمِ المُنِيرُ ، والرَّجْمِ المُنِيرِ ، وقد تجلَّتْ لَكَ أوجُهُ الكراماتِ وتبدَّتْ ، وتبرَّجتْ لَكَ مخطوباتُ المقاماتِ وتصدَّتْ ، وطلبتك كُفًّا لِنَيْلِ عَقِيلَتِها وسُكْنَى مَعْقِلِها فما تعدَّتْ ، وأدتْ إليك لطائفَ فهمِكَ من أسرارِ الحقائقِ ما أدتْ ؛ وعرفتْ من سِمَاكَ هدىَ النبوةِ ، وأجتمعتْ لَكَ مزيةُ الشرفينِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ الأبوةِ والبُوةِ ، وأخذتْ كِتابَ الحكمةِ

وَمَصُونِ الْعِصْمَةِ بِقُوَّةٍ ، وَأَجْرَتِ الْقُلُوبِ الَّتِي بَعَوَارِضِ الشَّكِّ مَمْنُونَهُ ، وَآثَرَتِ الْعِقَانِدَ
الَّتِي بِنَوَاقِضِ الْعَقْدِ مَمْلُوءَهُ ، وَغَدَّتْ وَجُوهَ الْأَنَامِ بِأَيَّامِكَ مَجْلُوءَهُ ، وَتَوَافَقَتِ الْأَلْسُنُ عَلَى
مَدْحِكَ وَلَا مِثْلَ مَا مِدَحَتْ مِنَ الْآيَاتِ الْمَمْلُوءَةِ ، وَكُنْتَ بِحَيْثُ تَذْهَبُ بِالْأَهْوَالِ
الْمَسْلُوءَةِ ، وَتُقْبِلُ بِالْآمَالِ الْمَرْجُوءَةِ ؛ وَلَوْ أَنَّ رَجَبًا ضَلَّ لَهْدَاهُ نُورَكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ،
وَلَوْ أَنَّ ذِكْرَكَ شَدَّ تَبَدُّى فِي الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَلَوْ أَنَّكَ طَلَعْتَ عَلَى الْأَوَّلِينَ
لَمَا تَسَاءَلُوا وَلَا اخْتَلَفُوا فِي النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ قَدِيمًا عَلَا فَوْقَ كُلِّ حَدِيثٍ لَقَامَ لَكَ
الْحَدِيثُ مَقَامَ الْقَدِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنَامِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لَصَعِدَتْ دُونَهُمُ الْمَقَامَ
الْحَكِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ يَدَكَ الْبَيْضَاءَ تَجَسَّمَتْ لِلنَّاطِرِينَ لِأَعْدَتِ آيَةَ مُوسَى الْكَلِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ
هِدَايَتِكَ الْغَرَاءَ تَسَمَّتْ لِلذَّاكِرِينَ لِأَحْيَيْتَ بِهَا الْعِظَامَ وَهِيَ رَيْمٍ ، وَلَوْ أَنَّ عُلُومَكَ
أَنْتَشَرَتْ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ لَتَلَّوْا : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ) وَلَوْ أَنَّ لَيْلَةَ وِلَادَتِكَ رَصَدَتْهَا
الْبَصَائِرُ ، رَأَتْ كَيْفَ يُفْرَقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، وَالصِّفَاتُ إِذَا أَحْتَفَلُ أَرْبَابُهَا وَقَفَتْ
لَكَ عَيْدًا ، وَالْأَيَّامُ إِذَا كَانَتْ طُرُوقًا لِفَضَائِلِكَ كَانَتْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا لِلْعَيْدِ عَيْدًا ،
وَالْأَنْسَابُ إِذَا عَدَدَتْهَا كَانَتْ الْجُدُّ سَعِيدًا ، فَلْتَفَضَّرْ قَبْلَ السَّيْرِ بِأَنْ أَمَلَيْتَ عَلَيْهَا السُّورَ ،
وَأَبَشِّرْ بِأَنْ الْمُنْتَظَرُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ لَكَ فَوْقَ مَا تَعَجَّلَهُ النَّظَرُ ، وَأَشْمَخْ بِأَنْ سَادَةَ الْقَبَائِلِ
مُضَرٌّ وَأَنْكَ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدٌ مُضَرٌّ ، وَأَبْدِخْ بِأَنْكَ عِوَضٌ مِنْ كُلِّ مَنْ غَابَ
وَمَاعِنَكَ عِوَضٌ فِي كُلِّ مَنْ حَضَرَ ، وَأَبْجَحْ بِأَنْكَ قَدْ أَهَلَّتْ لِأَمْرِ أَبِي اللَّهِ لَهُ إِلَّا أَوْلَى
الْعَزْمِ وَالْخَطَرِ ، وَأَشْكُرِ اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ خَلْقِكَ لَهَا بِقَدْرٍ ، وَمَرْيِيَّةٌ لِأَبِوَيْ حَقَّهَا مِنْ أَضْمَرِ
فَأَغْرَقَ أَوْ نَطَقَ فَشَكَرَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ
هَدَانَا اللَّهُ) : (وَقُلْ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) .

فإليك هذا الأمرُ بصير، وأنت لهُ واللهُ لك نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير، وتأهب له في درجته التي لا ينالها باعٌ قصير، ولا يمتطيها إلا من آختره اللهُ على علمٍ من أهل الثقلين ولو أنَّ بعضهم لبعضٍ ظهير، ولا نرى لها أهلاً إلا من أراه اللهُ من آياته أنه هو السميع البصير، وفاوض أمير المؤمنين في مُشكلات الأمر ولا ينبتك مثل خبير، وأقَد منه بمن هو [في] أهل دهره وصي الوصي ونظير النذير، وأهدت بنوره الذي هو بالنور البائن دُونَ الخلق بشير، وسر إذا استعملك اللهُ فيهم بما رأيت أمير المؤمنين به فيهم يسير، وأدع اللهُ بأن يسر على يدك مناجحهم إنَّ ذلك على الله يسير، وأعرف ما آتراك اللهُ به من أنه لم يجعل ليدك كُفؤاً إلا إذا الفقار ولا لقدمك كُفؤاً إلا المنبر والسرير، وتحدثت بنعمة الله وإجرائها فأمر المؤمنين اليوم عليك أميراً وأنت غداً على المؤمنين أميراً: ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ﴾ .

وأما العدلُ وإفاضته ، والجورُ وإغاضته ، والصعبُ ورياضته ، والجذبُ وترويضه ، والخطبُ وتقويضه ؛ والجهدُ ورفع علمه ، والذبُّ عن دينِ الله وحفظُ حرمة ؛ والأمرُ بالمعروف ونشر دأئه ، والنهيُّ عن المنكر وطىُّ اعتدائه ؛ وإقامة الحدِّ بالصفح والحدِّ ، والمساواةُ في الحقِّ بين المولى والعبد ؛ وبثُّ دعوة الله في كلِّ غورٍ من البلاد وتجدد ، وأمرُ عباد الله إن عباد الله في زمنك الرغد ؛ فذلك عهدُ الأئمة الراشدين ، وهو إليك من أمير المؤمنين ، عهدٌ مؤكَّد العقد : وهو سنة فضل الخلفاء التي لا تجدُّ لها تحويلاً ، ومعنى العهد الذي أمر اللهُ بالوفاء به فقال : ﴿ إنَّ العهدَ كانَ مسئولاً ﴾ .

وهل يوصى البحرُ بتلاطم أمواجه؟ وتدافع أفواجه؟ وبتراخُر عجاجه؟ وهل يخصُّ البدرُ المنيرُ على أن يُنير سراجَه، ويطلع ليتضح للسالك منهاجَه؟ أو ينبه على هدايته

إذا تهادته أبرأه ؟ عليك من سرائر أنوار الله ما يُغنيك أن تُوصى ، ولديك من ظواهر لطائف الله ما يميز به عن الخلق إذ أُخفيت به مخصوصا ، ومن شواهد اختيار الله ما تظاهرت عليك آياته نصوصا ، فيسلام الله يحييك المؤمنون ، وبالاعتلاق بعصمة ولائك في يوم الفزع الأكبر يأمنون ، والله مُنجرك وعده كما أنجزه لمن جعلهم أئمة لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ؛ والله سبحانه يهدي إليك تحية من عنده مباركة طيبة ، ويؤدي إلى مقام شرفك سخابة رحمة غدقة صبيته ، ويجعل ما رآه أمير المؤمنين من ولايتك عهدته ، وكفالتك للأمة بعده ، للسرات ناظما ، وللساعات حاسما ؛ وللبركات جامعا ، وللباطل خافضا وللحق رافعا . وأمر أمير المؤمنين أن يعين على رجال من أولياء دولته ، ووجوه شيعته ؛ وأنصار سريته ، عده يكون إليك اعتراضها وبك اعتراضها ، وببابل العالي إقامتها وإلى جنابك أنجيازها ؛ فتكون موسومة بالعبودية ، ومتعرضة بالولاء للسعادة الأبدية ؛ فتمثل على ما مثله من المراسم ، وتتصرف على ما تصرفها عليه من الغزائم ؛ وتكون أبدا لما ينفذ عنك من أحكام الهبات والمكآرم ، وتقوم من ملازمة الخدمة في مواجيك بما هو لكل خادم فرض لازم ؛ وتُسارع في مطالبك إلى ما يسارع إليه الحازم ، وتُجود باسماء الإنعام بالغدق الساجم . وتقدر لها من الواجبات والزيادات ما تقتضيه همم المكآرم ؛ تبدل في الخدمة الإجتهد ، وتنافس فيما تستمدد [به] الخطوة بحضرتة والإحماد ؛ وعرضها من الإحسان الجمم للآزدياد ، وبلغها المراد بما تبلغ بها من المراد : لتتصرف بأن تكون تحت ركابه العالی متصرفه ، وتفتخر بأن تكون أنسابها باسمه العالی مشرفه ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) لعله فتمشى على .

المذهب الثالث

(أن يفتتح العهد بعد البسملة بخطبة مفتوحة بـ «الحمد لله» ثم يأتي بالبعديّة،
ويأتي بما يناسب الحال على نحو ما تقدم، وعليه عمل أهل زماننا
مع الأقتصار على تجميد واحدة، والأختصار في القول)

وهذه نسخة أوردتها على بن خلف من إنشائه في كتابه "مواد البيان" لترتيب
الكتابة في زمن الفاطميين، وهي :

الحمد لله معزّ دينه، مُخلِّقائه الراشدين، ومرتبِّ حقّه بأوليائه الهادين؛ الذي اختار
دين الإسلام لصفوته من بريته، وخصّ به من استخلصه من أهل طاعته؛ وجعله
حبّله المتين، ودينه الذي أظهره على كلّ دين؛ وسيله الأفسح، وطريقه الأوضح؛
وآبعت به نبيّه محمداً صلى الله عليه فصدع بأمره، وأعلن بذكّره؛ والناس في فترة
الضلالة، وعمرة الجهالة؛ فلما أنجز في نصرته حقّه، وتأيدته لسعداء خلقه [قبضه]^(١)
إليه محمود الأثر، طيب الخبر [وقام] بخلافته، من آتخبه من طهرة عترته؛ وأودعهم
حكمته، وكفلهم شريعته؛ فأقتفوا سبيله، وآتبعوا دليله؛ كما قبض منهم سلفاً إلى
مقرّ مجده، أصطفى خلفاً للإمامة من بعده .

يحمده أمير المؤمنين أن أفضى إليه براث الإمامة والرّسالة، وهدي به كما هدى
بجده من الزّين والضلّالة؛ وأختصه بميراث النبوة والخلافه، ونصّبه رحمةً للكافة؛ وأتمّ
نعمته [عليه] كما أتمها على آبائه، وأجزل حظّه من حُسن بلائه؛ وأعانته على ما استرعاها،
ووفقه فيما ولّاه؛ وأنهضه بإعزاز الملّة، وإكرام الأُمّة؛ وإماتة البدع، وإبطال

(١) يياض بالأصل، والتصحيح ما يقتضيه المقام .

المذهب المخترع، وإحياء السنن، والاستقامة على لأحِبِّ السنن؛ ووجهه من بينه
وذرئته، مؤزرين على ما حمَّله من أعباء خلافته، ومُظَاهِرِينَ على ما كلفه من إمعان
النظر في بريته.

ويسأله الصلاة على عهد خاتم أنبيائه، والخيرة من خُلصائه؛ الذي شرفه بختام
رُسله، وإقرار نيابته في أهله؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه وباب حكيمته،
على بن أبي طالب وصيه في أمته؛ وعلى الأئمة الطاهرة من ذريته، مناهج رحمته،
وسرر هدايته، وسلم تسليماً.

وإنَّ الله تعالى جعل الخلافة للكافة عِصمه، ولأهل الإيمان رحمه، تجمع
كلماتهم، وتحفظ ألفتهم؛ وتصلح عايتهم، وتقيم فرائضه وسننه فيهم، وتمدُّ رُواق
العدل والأئمة عليهم؛ وتحسم أسباب الكفر والنفاق، وتقمع أهل العناد
والشقاق؛ ولذلك وصل الله جبل الإمامه، وجعلها كلمة باقية في عقب أوليائه
إلى يوم القيامة.

ولما نظر أمير المؤمنين بعين اليقين، وأقتبس من الحقيقة قيس [الحق] المئين،
عرف ما بُنيت عليه الدنيا من سُرعة الزوال، وشك التحول والانتقال؛ وأن
ما فوّض الله إليه من خلافته لا بد أن يتقل عنه إلى أبنائه الميامين، كما أنتقل إليه
عن آباءه الراشدين؛ فلم يفتّر بمواعيدها المحال، وأصرب عما تحدّث به من الأمانى
والآمال؛ وأشفق على من كلفه الله بسياسته، وحمَّله رعايته من أهل الإسلام
المعتصمين بحبل دعوته؛ المشتغلين بظُل بيغته، عند تقضى مدته ونزوعه إلى آخرته؛
في الوقت المعلوم، بالأجل المحتوم؛ من انتشار الكلمة، وأنبات العِصمه؛
وأنشاق العصا، وإراقة الدماء؛ وأستيلاء الفتن، وتعطيل الفروض والسنن؛ فنظر

لهم بما يَنْظِمُ شَمْلَهُمْ ، وَيَصِلُ حَبْلَهُمْ ، وَيَزْجُرُ ظَلَمَتَهُمْ ، وَيَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ ، وَيُؤَلِّفُ
أَفْئِدَتَهُمْ ، وَرَأَى أَنْ يَعْهَدَ إِلَى فُلَانٍ وَلِدِهِ : لِأَنَّهُ قَرِيبُهُ فِي عَالِمِهِ وَفَضْلُهُ ، وَعَقِيْبُهُ
فِي إِنْصَافِهِ وَعَدْلِهِ ، وَالْمَأْمُوحُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَالْمَرْجُو لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ ، وَلِمَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ
مِنْ شُرُوطِ الْإِمَامَةِ ، وَكَلَّمَ لَهُ مِنْ أَدْوَاتِ الْخِلَافَةِ ، وَجَبَلَهُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ ،
وَخَصَّهُ بِهِ مِنَ الرَّصَانَةِ وَالرَّجَاحَةِ ، وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّامِحَةِ ، وَأَتَاهُ مِنْ فَضْلِ الْخِطَابِ ،
وَجَوَامِعِ الصَّوَابِ وَمَحَاسِنِ الْآدَابِ ، وَوِقَايَةِ الدِّينِ ، وَالغَلْظَةِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، وَاللُّطْفِ
بِالمُؤْمِنِينَ ، بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ، وَسَأَلَهُ تَوْفِيقَهُ لِمَا يُرْضِيهِ ، وَوَقَفَ
فِكْرُهُ عَلَى آخِيَارِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَخْتِيَارِهِ مَعَ إِثْبَارِهِ ، وَيَلُوحُ فِي شَمَائِلِهِ ، وَيَسْتَوْضِحُ
فِي مَخَالِيهِ ، أَنَّهُ الْوَلِيُّ الْمُجْتَبِيُّ ، وَالْخَلِيفَةُ الْمُصْطَفِيُّ ، الَّذِي يَجِيئُ اللَّهُ بِهِ ذِمَارَ الْحَقِّ ،
وَيُعَلِّي بِسُلْطَانِهِ شِعَارَ الصِّدْقِ ، وَأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - قَدْ أَفْضَى إِلَيْهِ بِمَا أَفْضَى بِهِ إِلَى
الْخُلَفَاءِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَامِنَاتِ مَا أَفَاضَهُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ عَاقَدَهُ
وَعَاهَدَهُ عَلَى مِثْلِ مَا عَاهَدَهُ عَلَيْهِ آبَاؤُهُ : مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ ، وَاسْتِشْعَارِ
خِيفَتِهِ وَمِرَاقِبَتِهِ وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ ، وَإِقَامَةِ حُدُودِ اللَّهِ الَّتِي حَدَّهَا ، بِفُرُوضِهِ الَّتِي
وَكَّدَهَا ، وَالْإِقْتِدَاءِ بِسَلَفِهِ الرَّاشِدِينَ ، فِي الْمُكَافَأَةِ عَنِ الدِّينِ ، وَالْمَسَاحَةِ عَنِ أَوْزَارِ
المُسْلِمِينَ ، وَبَسْطِ الْعَدْلِ عَلَى الرِّعْيَةِ ، وَالْحُكْمِ بَيْنَهُمُ بِالسُّوْبَةِ ، وَإِنْصَافِ الْمَظْلُومِ
مِنَ الظُّلْمِ ، وَكَفِّ يَدِ الْمُغْتَصِبِ الْعَشُومِ ، وَصَرْفِ أَلَاةِ الْجَوْرِ عَنِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ،
وَتَخْيِيرِ مَنْ يَنْظُرُ بَيْنَهُمْ فِي الْمَظَالِمِ وَالْأَحْكَامِ ، وَأَنْ لَا يُؤَلَّى عَلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ يَتَّقِ بَعْدَ اللَّهِ ،
وَيَسْكُنُ إِلَى دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ ، وَلَا يَفْسُحُ لِشَرِيفٍ فِي التَّعَدَّى عَلَى مَشْرُوفٍ ، وَلَا يَقْوَى
فِي التَّسَلُّطِ عَلَى مَضعُوفٍ ، وَأَنْ يَجْمَلَ النَّاسَ فِي الْحُقُوقِ عَلَى النَّسَاوِي ، وَيُجْرِيَهُمْ
فِي دَوْلَتِهِ عَلَى التَّنَاصُفِ وَالتَّكَاثُفِ ، وَيَأْمُرُ مُجَّابَهُ وَتَوَابَهُ بِإِيصَالِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِ ،
وَتَمَكِينِهِمْ مِنْ عَرَضِ حَوَائِجِهِمْ وَمَظَالِمِهِمْ عَلَيْهِ : لِيَعْلَمُوا : الْوَلَاةَ وَالْعَمَالَ ، أَنَّ رِعْيَتَهُ

على ذكر منه وبأل ؛ فیتحاموا التثقیل علیهم والإضرار بهم . وأشهد علیه بكل ماشرطه
 وحدده ، والعمل بما یحمد إلیه فیما تقلده . على أنه غنی عن وصیة وتبصیر ، وتنبیه
 وتذكیر ؛ إلا أن مجداً سید المرسلین یقول لعلى صلی الله علیهما ” أرسل عاقلاً
 (١)
 الا فإوصه “ .

فبايعوا على بركة الله تعالى طائعين غير مكرهين ، برغبة لا برهبة ، وبإخلاص
 لا بمداهنه ، بیعة رضا واختیار ، وأتقياد وإيثار ، بصحة من نیاتكم ، وسلامة
 من صدوركم ؛ وصفاء من عقائدكم ، ووفاء واستقامة فیما تضعون علیه أیمانكم :
 لیعرفکم الله [من] سبوغ النعمة ، وشمول الخبره ؛ وحسن العاقبه ، وأتفاق الكلمه ؛
 ما یقر نواظرکم ، ویرد ضمائرکم ؛ ویذهب غل صدورکم ويعز جانبکم ، ویذل
 مجانبکم ؛ فاعلموا هذا وأعملوا به إن شاء الله .

وقد یغنی هذا الكتاب الذى ذكرناه معنى العهد ، فلا یحتاج إلى عهد :

وعلى ذلك كتبت عن الإمام المستكفي بالله أبى الربيع سليمان ، أبى الحاكم بأمر
 الله أحمد ، عهد ولده المستوثق بالله « بركة » بالخلافة بعده . وهذه نسخته :

الحمد لله الذى أيد الخلافة العباسية بأجل والد وأبر ولد ، وجعلها كلمة باقية
 فى عقبه والسند كالسند ، وآواهم من أمرهم إلى الكهف فالكهف وإن تنأهى
 العدد ؛ وزان عطفها بسود سواد شعارهم المسجلة أنوارهم ولا شك أن النور
 فى السواد ، وعدق بصولتهم النبوى معجزها كل مناد .
 (٢)

(١) كذا فى الأصول مضياً عليه وحرر .

(٢) لعله وقدع . أى كف . تأمل .

محمّده على مامنّ به من تمام النعمة فيهم ، وزُور الرحمة بتوآفيهم ، ونشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة محضّة الإخلاص ، كافلة محضها بالتمكّك من أسر الشُّرك والخلاص ؛ ونشهد أنّ مجدّا عبده ورسوله المبعوث بما أوصحّ سبيل الرّشاد ، وقّع أهل العناد ، والشفيع المشفّع يوم التناد ؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا أنقضاء لها ولا نقاد ؛ وسلّم تسليما كثيرا .

وبعد فإنّ أمير المؤمنين (ويذكر اسمه) يعتصم بالله في كلّ ما يأتى ويذرّ مما جعل الله [له] من التفويض ، ويُشير إلى الصّواب في كلّ تصرّيح منه وتعريض ؛ وإنه شدّ الله أزره ، وعظّم قدره ؛ أستخار الله سبحانه وتعالى في الوصية بما جعله الله له من الخلافة المعظمة المنخّمة الموروثية عن الآباء والجُدود ، الملقاة إليه مقاليدها كما نصّ عليه ابن عمّه صلّى الله عليه وسلم في الوالد من قرّيش والمؤلّود ؛ لولده السيّد ، الأجلّ ، المعظّم ، المكرّم ، فلان ؛ سليل الخلافة وشبيل غايبها ، ونُحبة أحسابها وأنسابها ؛ أجلّه الله وشرفه ، وحمل به عطف الأمانة وقوفه : لما تلمّحه فيه من النّجاة اللامحة على شمائله ، وظهر من مستوثق إبداء سرّه فيه بدلائل برهانه وبرهان دلائله ؛ وأشهد على نفسه الكريمة - صانها الله تعالى - مولانا أو سيّدنا أمير المؤمنين ، من حضر من حُكّام المسامين : قضاة قضايتهم ، وعلمائهم ، وعدوهم ، يجلسه الشريف ؛ أنه رضى أن يكون الأمر في الخلافة المعظمة ، الذي جعله الله له الآن لولده السيّد الأجلّ فلان بعد وفاته ، فسحّ الله في أجله ؛ وعهد بذلك إليه ، وعول في أمر الخلافة عليه ؛ وألقى إليه مقاليدها ، وجعل بيده زمام مُبديها ومعيدها ؛ وصّى له بذلك جزئيّه وكليّه ، وغامضه وجليّه ؛ وصية شرعية بشروطها اللازمة المعتبرة ، وقواعدها المحرّرة ؛ أشهد عليه بذلك في تاريخ كذا .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد ولى الخلافة عن الخليفة ، وما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته من قبول المعهود إليه ، وشهادة الشهود على العهد)

أما ما يكتب في المستند ، فينبغي أن يكون كما يكتب في عهد الملوك عن الخلفاء ، على نحو ما تقدم في البيعات ؛ وهو أن يكتب : « بالإذن العالى ، المولوى ، الإمامى ، النبوى ، الفلانى » (بقلب الخلافة) أعلاه الله تعالى « أو نحو ذلك من الدعاء .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فينبغي أن يكتب : « عاهدتُ إليه بذلك » : لأنه اللفظ الذى ينعقد به العهد . ولو كتب : « فوضتُ إليه ذلك » كما يكتب الخليفة في عهد السلطان الآن على ماسياتى ، كفى ذلك . والأليق بالمقام الأول .

وأما ما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته ، فالمقول فيه عن المتقدمين ما كتب به « على الرضى » تحت عهد المأمون إليه بالخلافة ، وهو :

الحمد لله الفعال لما يشاء ، لأمعقِّ لحكمه ، ولا راد لقضائه ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ وصلواته على نبيه محمد خاتم النبیین ، وآله الطيبين الطاهرين . أقول وأنا على بن موسى بن جعفر : إن أمير المؤمنين عَصَّده الله بالسداد ، ووقفه للرشاد ؛ عَرَف من حقنا ما جهله غيره : فوصل أرحاما قُطعت ، وأمن أنفساً فرعت ، بل أحيها وقد تلفت ، وأغناها إذ أفقرت ؛ مُتبعاً رضا رب العالمين ، لأيريد جزءاً من غيره وسيجزى الله الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ؛

ولانه جعل إلى عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده؛ فمن حل عُقْدَةَ أمر الله
بشدّها، أو قَصَمَ عُرْوَةَ أَحَبِّ الله إيثاقها، فقد أباح حريمه وأحلّ محرّمه؛ إذ كان
بذلك زارياً على الإمام، منتهكاً حرمة الإسلام؛ بذلك جرى السالف فصر منهم
على الفتات، ولم يُعترض بعدها على العزّات؛ خوفاً على شتات الدين، وأضطراب
حبل المسلمين؛ ولقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تُتَهَرزُ، وباقية تُتَدَرَّبُ؛ وقد جعلت
الله تعالى على نفسه إن استرعاني على المسلمين، وقلدني خلافته، العمل فيهم عامّة
وفي بنى العباس بن عبدالمطلب خاصّة بطاعته وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأن لا أسفك دمًا حراماً، ولا أبيع فرجاً ولا مالا؛ إلا ماسفكته حدوده، وأباحته
فرائضه؛ وأن أتخير الكفّاة جهدى وطاقتي. جعلت بذلك على نفسه عهداً مؤكّداً
يسألني [الله] عنه، فإنه عزّ وجل يقول: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ .
فإن أحدثت أو غيرت أو بدلت، كنت للغير مستحقاً، وللنكال متعرّضاً؛ وأعوذ بالله
من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته، (في عامّة
المسلمين؛ والخاصّة والحزبيد لان على ضدّ ذلك) : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي
وَلَا بِكُمْ ﴾ : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ . لكنني آمنتُ
أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه، والله يعصمني وإياه؛ واشهدتُ الله على نفسي
بذلك وكفني بالله شهيدا. وكتبتُ بخطي بحضرة أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكرم، وإسیر بن المعتز، وحماد
ابن الثعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين .

ثم كتب فيه من حضر من هؤلاء، وهذه صورة كتابهم .

فكتب الفضل بن سهل وزير المأمون ماصورته :

(١) ثبتت هذه العبارة في الاصل وعليها علامة التوقف . ولم نثر عليها في غير هذا الكتاب . تأمل .

”رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة مضمون هذا المكتوب: ظهره وبطنه، بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد، ومرأى ومسمع من وجوه بنى هاشم وسائر الأولياء والأجناد؛ وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق، بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع المسلمين، وأبطل الشبهة التي كانت اعتراض آراء الجاهلين: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيُدْرَأَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ). وكتب ”الفضل بن سهل“ في التاريخ المعين فيه“.

وكتب عبد الله بن طاهر ما صورته « أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر بن الحسين » .

وكتب يحيى بن أكرم القاضي ما صورته: « شهد يحيى بن أكرم على مضمون هذه الصحيفة ظهرها وبطنها، وكتب بخطه بالتاريخ » .

وكتب حماد بن النعمان ما صورته: « شهد حماد بن النعمان بمضمون ظهره وبطنه، وكتب بيده بتاريخه » .

وكتب بشر بن المعتمر ما صورته: « شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر، وكتب بخطه بالتاريخ » .

قلت: وعلى نحو ما تقدم من كتابة المعهود إليه بالقبول وشهادة الشهود على العهد ينبغي أن يكون العمل أيضا في زماننا: ليجمع خط العاهد بالتفويض على ما تقدم، وشهادة الشهود. ولو اقتصر المعهود إليه في الكتابة على قوله: « قِلْتُ ذلك » كان كافيا، وإن كان أميا أكتفى بشهادة الشهود.

الوجه الثامن

(في قطع الورق الذي تُكْتَب فيه عهودُ الخلفاء، والقلم الذي يُكْتَب به،
وكيفية كتابتها وصورة وضعها)

أما قطع الورق فمقتضى قول المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" "أن للعهود قطع البغدادى الكامل، وأن عهود الخلفاء تُكْتَب في البغدادى كما هو مستعمل في عهود الملوك عن الخلفاء، على ما سياتى في موضعه إن شاء الله تعالى. وهو مقتضى ما تقدم في الكلام على قطع الورق في مقدمة الكتاب نقلًا عن محمد بن عمر المدائنى في كتاب "القلم والدواة" "أن القطع الكامل للخلفاء .

قلت : وقد أخبرنى من يُوثقُ به أنه وقف على عهد المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر، وأبى المتوكل على الله : أبى عبد الله محمد خليفة العصر، وهو مكتوب في قطع الشامى الكامل ؛ وأنه كُتِبَ عهد المتوكل على ظهره بخط الشهود دون كاتب إنشاء . وكأنهم لما تفهقرت الخلافة وضعف شأنها، وصار الأمر إلى الملوك المتغلبين على الخلفاء، تنازلوا في كتابة عهودهم من قطع كامل البغدادى إلى قطع الشامى . وهذا هو المناسب للحال في زماننا .

وأما القلم الذى يُكْتَب به ، فالحكم فيه ما تقدم في البيعات ، وهو إن كُتِب العهدُ في قطع البغدادى ، كُتِبَ بقلم محتصر الطومار . وإن كُتِبَ في قطع الشامى ، كُتِبَ بقلم الثلثين الثقيل .

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها ، فعلى ما تقدم في كتابة البيعات ، وهو أن يبدأ بكتابة الطرة في أول الدرج بالقلم الذى يُكْتَب به العهدُ سطورا متلاصقة ممتدة

في عرض الدرّج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكتابة في قطع
 البغدادى الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة في عهود الملوك عن الخلفاء ؛ فيترك
 بعد الوصل الذى فيه الطرة ستة أوصال بيضاء من غير كتابة ، ثم يكتب البسملة
 في أول الوصل الثامن بحيث يلحق أعلى ألقائه بالوصل الذى فوقه ، بهامش قدر
 أربعة أصابع أو خمسة ؛ ثم يكتب تحت البسملة سطرًا من أول العهد ملاصقا لها ؛
 ثم يخلى مكان بيت العلامة قدر شبر كما في عهود الملوك ؛ ثم يكتب السطر الثانى
 تحت بيت العلامة على سمت السطر الذى تحت البسملة . ويحرص أن تكون نهاية
 السجعة الأولى في السطر الأول أو الثانى ؛ ثم يسترسل في كتابة بقية العهد إلى آخره ،
 ويجعل بين كل سطرين قدر ربع ذراع بذراع القماش . فإذا انتهى إلى آخر العهد ،
 كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المستند ، ثم الحمدلة ، والصلاة على النبى صلى الله
 عليه وسلم والحسبة ، على ما تقدم في الفواتح والخواتم . ثم يكتب المعهود إليه
 والشهود بعد ذلك . وإن كتب في قطع الشامى ، فعلى ما تقدم في البيعات : من
 أنه ينبغي أن يقتصر في أوصال البياض على خمسة أوصال ، ويكون الهامش قدر
 ثلاثة أصابع .

وهذه صورة وضعه في الورق ، ممثلا فيها بالطرة التى أنشأتها ، على ما تقدم ذكره
 في العهد الذى أنشأته على لسان الإمام المتوكل على الله خليفة العصر لولده العباس .
 وهو العهد الأخير من المذهب الأول من عهود الخلفاء عن الخلفاء

هذا عهد إمامي قد علتْ جُدُودُه ، وزاد في الارتقاء في العلياء صُعودُه ، وفُصِّلَتْ
 بالجواهر قلائدُه ونُظِّمَتْ بنفيس الدرِّ عُقُودُه ؛ من عبدِ الله ووليِّه الإمام المتوكِّلِ
 على الله أبي عبد الله محمد ابن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر ، بالخلافة
 المقدسة لولده السيد الجليل ؛ دَخِيْرَةَ الدِّين ، ووليَّ عهد المسلمين ، أبي الفضل
 العباس ، بَلَّغَهُ اللهُ تعالى فيه غايةَ الأمل ، وأقرَّبَهُ عَيْنَ الأُمَّةِ كما أقرَّبَهُ عَيْنَ أَبِيهِ
 وقد فَعَلَ على ما شرح فيه

بياض ستة أوصال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا عَهْدُ سَعِيدِ الطَّالِعِ مَيْمُونِ الطَّائِرِ مَبَارِكُ الْأَوَّلِ هَامِش

عهدت إليه بذلك

وكتب فلان بن فلان

بين العلامه
تقدير شهر

صورة خط الخليفة

جَمِيلُ الْأَوْسَطِ حَمِيدُ الْآخِرِ تَشْهَدُ بِهِ حَضْرَاتُ الْأَمَّاكِ

وَتَرْقُوه كَفُّ الثُّرَيَّا بِأَقْلَامِ الْقَبُولِ فِي صَحَائِفِ الْأَفْلاكِ وَتُبَاهِي

بِهِ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ ، وَسَرَى بِنَشْرِهِ الْقَبُولُ إِلَى الْأَقْطَارِ

تقدير ربع ذراع
والباقي بالشرح

هاشم فننشره بكل ناحية علما، وتطلع به سعادة الجسد من ملوك العدل

في كل أفق تجا .

ثم يأتي على الكلام إلى آخر العهد على هذا النمط إلى أن ينتهي إلى قوله فيه «والله تعالى يبلغه منك أملا، ويحقق فيك علما ويزكي بك عملا»

إن شاء الله تعالى

كتب في اليوم الأول من المحرم
سنة إحدى وثمانمائة

بالإذن العالي ، المولوي ، الإمامي ، النبوي ، التوكلية ،

أعلاه الله تعالى

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

شهد على العاهد والمعهود إليه
فيه زادهما الله شرفا
وكتب فلان بن فلان
وكذا بقية الشهود

صورة
خط شهود العهد

قبلت ذلك
وكتب فلان ولى
جهد أمير المؤمنين

صورة
خط المعهود

النوع الثاني

(عهودُ الخلفاء للوك ، ويتعلق النظر به من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(في أصل مشروعيّتها)

والأصلُ فيها مارواه ابن إسحاق وغيره : أنه لما رجع وفدُ بني الحريث بن كعب إلى قومهم باليمن بعد وفود [هم] على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأربعة أشهر ، بعث إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، يُفقههم في الدين ، ويعلمهم السنّة ومعالم الإسلام ، ويأخذُ منهم صدقاتهم . وكتب له كتاباً عهد فيه عهده ، وأمره فيه أمره ، على ماسياتي ذكره في أول نسخ العهود الواردة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فقد فوض النبي صلى الله عليه وسلم أمرَ اليمن في حياته إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه . وذلك أصرح دليل وأقوم شاهد لما نحن فيه .

الوجه الثاني

(في بيان [معنى] الملك والسّلطنة اللتين يقعُ العهدُ بهما)

قد تقدّم في الكلام على الألقاب نقلاً عن " الفروق " في اللغة العسكريّة أن الملك أخص من السّلطنة : لأن الملك لا يطلق إلا على الولاية العامّة ، والسّلطنة تُطلق على أنواع الولايات ؛ حتى إنّ الفقهاء يعبرون عن القاضي ووالي البلد في أبواب الفقه بالسّلطان .

ثم تفويض الخليفة الأمور في البلاد والأقاليم إلى من يدبرها ويقوم بأعبائها
على ثلاثة أقسام :

القسم الأول — وهو أعلاها وزارة التفويض، وهو أن يستوزر الخليفة من
يقوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على أجهاده، وينظر فيها على العموم .
وعلى ذلك كانت السلطنة في زمن الخلفاء الفاطميين بمصر على ماسياتي ذكره .
قال الماوردي في "الأحكام السلطانية" : ولا يمتنع جواز مثل ذلك : لأن
كل ما وكل إلى الإمام من تدبير [الأمة] لا يقدر على مباشرة جميعه إلا بالاستنابة^(١)،
ونياية الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور، [من تفرده بها] ليستظهر^(١)
به على نفسه ولنفسه، فيكون أبعد من الزلل، وأمنع من الخلل . قال : وتعتبر^(٢)
في [تقليد] هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده . وقد تقدم بيان شروط
الإمامة في الكلام على البيعات . ثم قال : وكل ما صح من الإمام صح من وزير
التفويض إلا في ثلاثة أشياء :

أحدها — ولاية العهد . فإن للإمام أن يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير .

الثاني — أن للإمام أن يستعفي الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير .

الثالث — أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير وليس للوزير أن يعزل من
قلده الإمام .

وتفارق هذه الوزارة الخلافة في عموم النظر فيما عدا ذلك من وجهين :

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

(٢) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

أحدهما - مختص بالإمام وهو أن يتصفح أعمال الوزير وتدير الأمور : ليقتر منها ماوافق الصواب ، ويستدرك ماخالفه : لأن تدير الأمة إليه موكل ، وعلى أجهاده محمول .

والثاني - مختص بالوزير . وهو مطالعة الإمام بما أمضاه من تدير ، وأنفذه من ولاية وتقليد : لئلا يصير بالاستبداد كالإمام .

أما وزارة التنفيذ فسيأتي الكلام عليها في تقليد الوزارة إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني - إماره الاستكفاء .

وهي التي تتعد عن اختيار من الخليفة . وتشتمل على عمل محدود ونظر مهود ، بأن يفوض الخليفة إليه إماره بلد أو إقليم ولاية على جميع أهله ، ونظراً في المعهود من سائر أعماله ، فيصير عام النظر فيما كان محدوداً من عمل ، ومعهوداً من نظر . قال الماوردي : فينظر فيما إليه في تدير الجيش ، وترتيبه في النواحي ، وتقدير أرزاقهم إن لم يكن الإمام قد قدرها ، وإدراكها عليهم إن كان الإمام قد رها ، وكذلك [النظر في] الأحكام ، وتقليد القضاة والحكام ، وجباية الخراج ، وقبض الصدقات والعمل فيهما ، وتفريق ما يستحق منهما ، وحماية الحریم ، والدب عن البيضة ، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل ، وإقامة الحدود في حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين ، والإمامة في الجمع والجماعات بالقيام بها ، والاستخلاف عليها ، وتفسير الحجيج من عمله ومن يتر عليه من غير عمله ، وجهاد من يليه من العدو ، وقسم الغنائم في المقاتلة ، وأخذ خمسها لاهل الخمس . وله أن يتخذ وزير تنفيذ لا وزير تفويض .

وعلى هذا كانت الأُمراء والمُعال في الأقاليم والأمصارع من ابتداء الإسلام إلى أن تغلب المتغلبون على الأمر وأستضعف جانب الخلفاء .

قال الماوردي : ويعتبر في هذه الإمارة ما يُعتبر في وزارة التفويض من الشروط : إذ ليس بين عموم الولاية وخصوصها فرق في الشروط المعتبرة فيها .

القسم الثالث - إمارة الاستيلاء .

وهي أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد ويفوض إليه تديرها، فيستولى عليها بالقوة، فيكون [الأمير] باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه ينفذ أحكام الدين : لتخرج عن الفساد إلى الصحة، ومن الحظر إلى الإباحة؛ نافذ التصرف في حقوق الملة وأحكام الأمة . وهذا ما صار إليه الأمر بعد التغلب على الخلفاء، والاستبداد بالأمر بالعلبة والقوة .

قال الماوردي : وهذا وإن خرج عن عرف التقليد المطلق في شروطه وأحكامه، ففيه [من] حفظ قوانين الشرع وحراسة الأحكام الدينية مالا يجوز أن يترك مختلاً مدخولاً، ولا فاسداً معلولاً؛ فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار، ما امتنع في تقليد الاستكفاء والإختيار : لوقوع الفرق بين شروط المكنة والعجز .^(٢) قال : والذي يُحفظ بتقليد المستولي من قوانين الشريعة سبعة أشياء، يشترك في الترامها الخليفة المولى والأمير المستولى، ووجوبها في جهة المستولى أغلظ .

(١) عبارة "الأحكام السلطانية" وإمارة الاستيلاء التي تمقد عن اضطراب فهي أن يستولى بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليه الخ وهي أوضح وأصرح .

(٢) في المصباح . وله مكنة أى قوة وشدة .

أحدها - حِفْظُ مَنْصِبِ الإِمَامَةِ فِي خِلافةِ النَبْوَةِ، وَتدبيرِ أُمُورِ الأُمَّةِ : لِيَكُونَ ما أَوْجبه الشَّرْعُ مِنْ إقامتها مُحْفُوظًا، وما تفرَّعَ عنها مِنَ الحَقُوقِ مُحْرَوسًا .

والثاني - ظُهُورُ الطَّاعَةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي يُزُولُ مَعها حُكْمُ العِنادِ فِي الدِّينِ ، وَيَنْتَفِي بِها ما تُثَمُّ المُبَيَّنَةِ لَهُ .

والثالث - أَجْتِمَاعُ الكَلِمَةِ عَلَى الأُلْفَةِ وَالتَّنَاصُرِ : لِيَكُونَ المُسَلِمُونَ يَدًا عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ .

والرابع - أَنْ تَكُونَ عُقُودُ الوِلايَاتِ الدِّينِيَّةِ جَائِزَةً، والأَحْكامُ والأَقْضيةُ [فِيها] نَافِذَةً؛ لِاتِبْطَلِ بِفِسادِ عُقُودِها، وَلا تَسْقُطَ بِجَلَلِ عُهُودِها .

الخامس - أَنْ يَكُونَ اسْتِيفاءُ الأُمُوالِ الشَّرِيعِيَّةِ بِحَقِّ تَبَرُّأِ بِهِ ذِمَّةً مُؤَدِّيها ، وَيَسْتَيِّبِها أَحَدُها وَمُعْطِيها .

السادس - أَنْ تَكُونَ الحُدُودُ مُستوفاةً بِحَقِّ ، وَقائِمةً عَلَى مُسْتَحِقِّ ؛ فَإِنَّ جَنْبَ المُؤْمِنِ حِمِّيٌّ إِلاَّ مِنَ حَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُدُودِهِ .

السابع - أَنْ يَكُونَ للأُمَّةِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَازِعٌ عَنِ مَحارِمِ اللَّهِ تَعَالَى، بِأَمْرِ بِحَقِّهِ إِنْ أُطِيعَ ، وَيَدْعُو إلى طاعته إِنْ عُصِيَ . ثُمَّ قالَ : فَإِنْ كُنْتَ فِيهِ شُرُوطُ الأِختِيارِ المُتَقَدِّمةُ ، كانَ تَقْلِيدُهُ حَتْمًا اسْتِدْعاءً لَطاعته ، وَدَفْعًا لِمِشاقتِهِ وَمُخالَفَتِهِ ؛ وَجَرى عَلَى مَنْ اسْتَوَزَرَهُ أَوْ اسْتَنابَهُ أَحْكامُ مَنْ اسْتَوَزَرَهُ الخَلِيفَةُ أَوْ اسْتَنابَهُ . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ [فِيهِ] شُرُوطُ الأِختِيارِ ، جازِلُهُ إِظْهَارُ تَقْلِيدِهِ اسْتِدْعاءً لَطاعته وَحَسْمًا لِمُخالَفَتِهِ وَمَعانَدَتِهِ ؛ وَكانَ نَفُوذُ تَصَرُّفاتِهِ فِي الحَقُوقِ والأَحْكامِ مَوْقُوفًا عَلَى أَنْ يَسْتَيِّبَ الخَلِيفَةُ

له من تكاملت فيه الشروط . قال : وجاز مثل هذا وإن شدَّ عن الأصول : لأن
الضرورة تُسقط ما أعوز من شروط المكنة .

قلت : ومملكة الديار المصرية من حين الفتح الإسلامي وهلمَّ جرأ إلى زماننا
دائرة بين هذه الأقسام الثلاثة ، لا تكاد تُخرج عنها : فكانت في بداية الأمر « إمارة
أستكفاء » يولى عليها الخليفة في كلِّ زمن من يقوم بأعبائها ، ويتصرف في أمورها ،
قاصر الولاية عليها ، واقف عند حدِّ ما يرد عليه من الخليفة من الأوامر والنواهي ،
إلا ما كان في أيام بني طولون من الخروج عن طاعة الخلفاء في بعض الأحيان .
فلما استولى عليها الفاطميون واستوزروا أرباب السيف في أواخر دولتهم ،
وعظمت كلمتهم عندهم ، صارت سلطنتها « وزارة تفويض » . وكان الخليفة يُختب
والوزير هو المتصرف في المملكة كالمُلوک الآن أوقريب منهم . وكانوا يُلقبون باللقاب
المُلوک الآن : كالمُلوک الأفضل رضوان وزير الحافظ ، وهو أول من لُقّب بالملك
منهم فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في تاريخه . والملك الصالح طلائع بن رزك
وزير الفائز ثم العاضد . والملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى وزير العاضد ،
وأبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وزير العاضد أيضا ، قبل أن يستقلَّ
بالمُلوک ويخطب بالديار المصرية لبني العباس ببغداد . ولأنكر في تسمية الوزير ملكا ،
فقد قيل في قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ
أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾ إن المراد بالملك الوزير لا الملك نفسه . ولما اتُّرعت من
الفاطميين وصارت إلى بني أيوب ، وكانوا يُلونها عن خلفاء بني العباس ،
صارت « إمارة أستيلاء » لأستيلائهم عليها بالقوة ، وأستبداهم بالأمر والتدبير
مع أصل إذن الخليفة وتقليده . وكان الرشيد قد لُقّب « جعفر بن يحيى البرمكي »

في زمن وزارته له بالسلطان ، ولم يأخذ الناس في التلقيب به . فلما تغلب
 الملوك بالشرق على الخلفاء وأسبَدُوا عليهم ، صار لقبُ السلطان سِمَةً لهم ، مع
 ما يختصُّهم به الخليفةُ من ألقاب التَّشريف : كَشَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَعَضُدِ الدَّوْلَةِ ،
 وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَمُعَزِّ الدَّوْلَةِ ، وَعِزِّ الدَّوْلَةِ ، ونحو ذلك . وشاركهم في لقبِ السلطنة
 غيرهم من ملوك النواحي ، فلقَّبَ بذلك صلاحُ الدين يوسفُ بنُ أيُّوبَ ، وتلقَّبَ
 بالملكِ الناصرِ عندَ استبداده بالملكِ على العاضِدِ الفاطميِّ بعدَ وزارته له ، ونقل
 ما كان من وِزَارَةِ التفويضِ والعهدِ بها إلى السلطنة ، وصارتِ الوِزَارَةُ عن السلطان
 معدومةً بقَدْرِ مخصوصٍ من التَّصَرُّفِ . وبقى الأمرُ على ما هو عليه من الإِسْتِيلاءِ
 والإِسْتِبْدَادِ بالملكِ ، مع أصلِ إِذْنِ الخليفةِ وكتابةِ العَهْدِ بالملكِ ، وهي على ذلك إلى
 زماننا ؛ إلا ما كان في زمنِ تعطيلِ جِيدِ الخِلافةِ من الخُلفاءِ ، من حينِ قتلِ التتارِ
 « المُسْتَعَصِمِ » آخرِ خُلفاءِ بني العباسِ ببغدادِ إلى حينِ إقامةِ الخليفةِ بمصر
 في الدولةِ الظاهريةِ بِبِرْسِ . على أنَّ في السلطنة الآنَ شَبَهًا من وِزَارَةِ التفويضِ ،
 فإن الخليفةَ يفوضُ إليه في تقليدهِ تدييرَ جميعِ الممالكِ الإسلاميةِ بالتفويضِ العامِّ
 لايسْتثنِي منها شيئًا . وغيرُ هذهِ المملكةِ وإن كان خارجًا عن يدهِ فهو داخلٌ في عُمومِ
 وِلايتهِ ، حتَّى لو غلبَ على شيءٍ منها أو فتحه لم يَحْتَجِ فيه إلى توليةِ جديدةٍ من
 الخليفةِ . ولا مانعٌ لذلك : فسيأتي في الكلامِ على المناشيرِ أنه يجوزُ للإمامِ أن يُقْطِعَ
 أرضَ الكُفْرِ قبل أن تُفْتَحَ ، وإذا جاز ذلك في الإِقطاعِ ففي هذا أوَّلُ . وحينئذٍ
 فتكونُ سلطنةُ الديارِ المصريةِ الآنَ مرَّكبةً من وِزَارَةِ التفويضِ وإمارةِ الإِسْتِيلاءِ .

الوجه الثالث

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فيه)

وأعلم أنه يجب على الكاتب مراعاة أمور :

منها — براعة الاستهلال بما يتبها له من اسم السلطان أو لقبه الخاص : مثل فلان الدين ، أو لقبه بالسلطنة : مثل الناصر ، والظاهر ، ونحوهما ؛ أو غير ذلك مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به كما تقدم في البيعات وعهود الخلفاء .

ومنها — التنييه على شرف السلطنة وعزوتبتها ، ووجوب القيام بأمر الرعية ، وتحمل ذلك عن الخليفة .

ومنها — الإشارة إلى اجتهاد الخليفة وإعمال فكره فيمن يقوم بأمر الأمة ، وأنه لم يجد بذلك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه ، فيصفه بالصفات الجميلة ، ويثني عليه بما يليق بمقام الملك .

ومنها — الإشارة إلى جريان لفظ تنعقد به الولاية من عهد أو تقليد أو تفويض ، وقبول ذلك ، ووقوع الإشهاد على الخليفة بالعهد .

ومنها — إيراد ما يليق بالمقام من الوصية ، بحسب ما يقتضيه الحال : من عزوتبة الخلافة وانخفاضها ، مبينا لما يلزمه القيام به : من حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، وتنفيذ الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، وحماية البيضة ، والذب عن الحرم ، وإقامة الحدود ، وتحصين الثغور ، وجهاد أعداء الله وغزوهم ، وحماية الفئء والصدقات على ما أوجبه الشرع من غير حيف ولا عسف ،

وتقدير العطاء، وصرف ما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، في وقت الحاجة إليه، وأستكفاء الأبناء، وتقليد النصحاء للأعمال والأموال، ومباشرة الأمور بنفسه وتصفح الأحوال؛ إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالإمامة: من إقامة موسم الحج، وتأمين الحرم الشريف وإكرام ضرائح الأنبياء وبيت المقدس، وتحرير مقادير المعاملات، وغير ذلك مما يقتضيه أمر المملكة.

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرّة، وهو نمطان)

النمط الأول — ما كان يكتب في وزارة التفويض في دولة الفاطميين .

وكان الخليفة هو الذي يكتب بيده . وهذا أمر وإن كان قد ترك فالمعرفة به خير من الجهل ، خصوصاً وقد أثبت المقرّ الشهابي بن فضل الله عهدئ أسد الدين شيركوه وابن أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد، في جملة عهود الملوك على ما سيأتي ذكره . وسنوردُهما في جملة عهود الملوك عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما كتب به العاضد في طرّة عهد أسد الدين شيركوه المتقدم ذكره، وهو :

«هذا عهد لا عهد لوزيرٍ بمثله ، وتقليد أمانة رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهلاً لحمله ، والحجة عليك عند الله بما أوصحه لك من مرآشد سبله ، فخذ كتاب أمير المؤمنين

يُقُوهُ، وَأَسْجَبَ ذَيْلَ الْفَخَّارِ بِأَنْ أَعْتَرَتْ خِدْمَتَكَ إِلَى بُتُوَةِ النَّبِيِّ، وَأَتَّخِذَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْفَوْزِ سَبِيلًا (وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) .



ومن ذلك ما كتب به العاضدُ أيضا في طرّة العهد المكتتب عنه بالوزارة
للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قبل استيلائه بالسلطنة، وهو :

« هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وُحِّجْتَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ، فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ
وَيَمِينِكَ، وَخُذْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَمِينِكَ، وَلِمَنْ مَضَى بِحَدِّنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنُ أَسْوَاهُ، وَلِمَنْ بَقِيَ بَقْرُنَا أَعْظَمُ سَلْوَاهُ (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ) » .

النمط الثاني - ما يكتتب في طرّة عهود الملوك الآن .

وهو قريب مما كان يكتب أولا مما تقدم ذكره، إلا أنه يُبدل فيه لفظ الوزارة
بالمُلك والسلطنة، ويكون الذي يكتبه هو الذي يكتب العهد دون الخليفة . ثم هو
بحسب ما يؤثره الكاتب مما يدل على صدر العهد على ما يقتضيه الحال .

وهذه نسخة طرّة عهد، كتب بها القاضي محي الدين بن عبد الظاهر،
في نسخة عهد أنشأه للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، في سنة سبع عشرة
وسبعمائة، وهو :

« هذا عهد شريف تجددت مسرات الإسلام بتجديده، وتأكدت أسباب
الإيمان بتأكيده، ووجد النصر العزيز والفتح المبين بوجوده، ووفد اليمن والإقبال

على الخليفة بوفوده، وورد الأنام مؤرد الأمان بوروده . من عبد الله ووليه الإمام
المستكفي بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس
أحمد . عهد به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد ، خلد الله سلطانه ،
ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه » .

تم الجزء التاسع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العاشر

وأوله الوجه الخامس

(فيما يكتب فى ألقاب الملوك عن الخلفاء ، وهو نمطان)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرس

الجزء التاسع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- القسم الثانى - من مقاصد المكاتب الإخوانيات ،
- وهى على سبعة عشر نوعا ٥
- النوع الأول - التهانى ، وهى على أحد عشر ضربا ٥
- الضرب الأول - التهنتة بالولايات ٦
- » الثانى - » بكرامة السلطان ، وأجوبته ٢٥
- » الثالث - » بالعود من الحج ٣١
- » الرابع - » بالقدوم من السفر ٣٣
- » الخامس - » بالشهور والمواسم والأعياد ٣٩
- » السادس - » بالزواج والتسرى ٥٤
- » السابع - » بالأولاد ٥٦
- » الثامن - » بالإبلال من المرض والعافية من السقم ٦٣
- » التاسع - » بقرب المزار ٧٠
- » العاشر - » بتزول المنازل المستجدة ٧١
- » الحادى عشر - نواذر التهانى ٧٣
- النوع الثانى - من مقاصد المكاتب التعازى ، وهى على أضراب ٨٠
- الضرب الأول - التعزية بالأبن ٨٠
- » الثانى - » بالبنت ٨٥
- » الثالث - » بالأب ٨٦
- » الرابع - » بالأم ٨٧
- » الخامس - » بالأخ ٨٨
- » السادس - » بالزوجة ٩٠
- » السابع - التعازى المطلقة ٩٢

صفحة

- النوع الثالث - من مقاصد المكاتبات التهادى والملاطفة ... ١٠٠
- » الرابع - الشفاعات والعنايات ... ١٢٤
- » الخامس - التشوق ... ١٤٢
- » السادس - فى الأستراحة ... ١٥٠
- » السابع - فى أخطاب المودّة وأفتتاح المكاتبه ... ١٥٥
- » الثامن - فى خطبة النساء ... ١٥٩
- » التاسع - فى الأسترضاء والأستعطاف والأعتذار ... ١٦٥
- » العاشر - فى الشكوى ... ١٧٣
- » الحادى عشر - فى آستراحة الحوائج ... ١٧٦
- » الثانى عشر - فى الشكر ... ١٨٣
- » الثالث عشر - فى العتاب ... ١٨٩
- » الرابع عشر - فى العيادة والسؤال عن حال المريض ... ٢٠٣
- » الخامس عشر - فى الظم ... ٢١٧
- » السادس عشر - فى الأخبار ... ٢١٩
- » السابع عشر - فى المداعبه ... ٢٢٥
- الفصل الثامن - فى إخفاء ما فى الكتب من السر، وهو على نوعين ٢٢٩
- النوع الأول - ما يتعلق بالكتابة ، وهو على ضربين ... ٢٢٩
- الضرب الأول - ما يتعلق بالمكتوب به ... ٢٢٩
- » الثانى - ما يتعلق بالخط المكتوب ... ٢٣٠
- النوع الثانى - الرموز والإشارات التى لاتعلق لها بالخط والكتابة ٢٤٩
- المقالة الخامسة - فى الولايات، وفيها أربعة أبواب ... ٢٥٢
- الباب الأول - فى بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيه
- ثلاثة فصول ... ٢٥٢

- صفحة
- ٢٥٢ الفصل الأول - في بيان طبقات الولايات
- ٢٥٢ الطبقة الأولى - الخلافة
- ٢٥٢ » الثانية - السلطنة
- » الثالثة - الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن
السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر
والشام والحجاز، وهي على خمسة أنواع ٢٥٢
- ٢٥٣ النوع الأول - ولايات أرباب السيوف
- » الثاني - ولاية أرباب الأقلام ٢٥٥
- » الثالث - ولاية أرباب الوظائف الصناعية ٢٥٩
- » الرابع - ولايات زعماء أهل الذمة ٢٥٩
- » الخامس - ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع ... ٢٦٠
- الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان
ما تجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات
على سبيل الإجمال ٢٦١
- الفصل الثالث - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان
ما يقع به التفاوت في رتب الولايات . وذلك
من سبعة أوجه ٢٦٣
- الوجه الأول - الألقاب ، وهي على ثلاثة أنواع ٢٦٣
- النوع الأول - ألقاب الخلفاء ٢٦٣
- » الثاني - « الملوك ٢٦٣
- » الثالث - ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان ٢٦٤
- الوجه الثاني - ألقاب إسناد الولايات إلى صاحب الوظيفة ... ٢٦٦
- » الثالث - الأفتاحات ٢٦٨
- » الرابع - تعدد التعميد في الخطبة أو في أثناء الكلام
وآتحاده ٢٦٩

صفحة

- الوجه الخامس - الدعاء ٢٦٩
- » السادس - طول الكلام وقصره ٢٧٠
- » السابع - قطع الورق ٢٧١
- الباب الثانى - من المقالة الخامسة فى البيعات، وفيه فصلان ٢٧٣
- الفصل الأول - فى معناها... .. ٢٧٣
- » الثانى - فى ذكر تنوع البيعات، وهى نوعان ٢٧٤
- النوع الأول - بيعات الخلفاء، وفيها سبعة مقاصد... .. ٢٧٤
- المقصد الأول - فى أصل مشروعيتها ٢٧٤
- » الثانى - فى بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية ٢٧٥
- » الثالث - فى بيان ما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة البيعة... .. ٢٧٦
- » الرابع - فى بيان مواضع الخلافة التى تستدعى الحال كتابة المبايعات فيها ٢٧٩
- » الخامس - فى بيان صورة ما يكتب فى بيعات الخلفاء، وفيه أربعة مذاهب ٢٨٠
- المذهب الأول - أن تفتتح المبايعه بلفظ «تبايع فلانا أمير المؤمنين» خطابا لمن تؤخذ عليه البيعة ٢٨٠
- » الثانى - مما يكتب فى بيعات الخلفاء أن تفتتح المبايعه بلفظ «من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الامام الفلانى» إلى أهل دولته ٢٨٦
- » الثالث - أن تفتتح البيعة بعد البسملة بخطبة مفتوحة بالحمد لله الخ ٢٩٨
- » الرابع - مما يكتب فى بيعات الخلفاء أن تفتتح البيعة بلفظ «هذه بيعة الخ ٣٢٠